



مجلة





هيئة التحرير



مركز بحوث الدراسات الإسلامية

رئيس التحرير

عميد الكلية وكالة

الدكتور ضياء الدين حمودي

عضوا

معاون العميد

الدكتور صلاح حسين العبيدي

عضوا

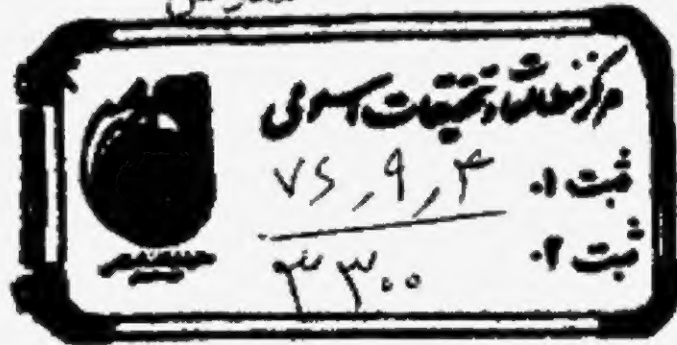
رئيس قسم الاعلام

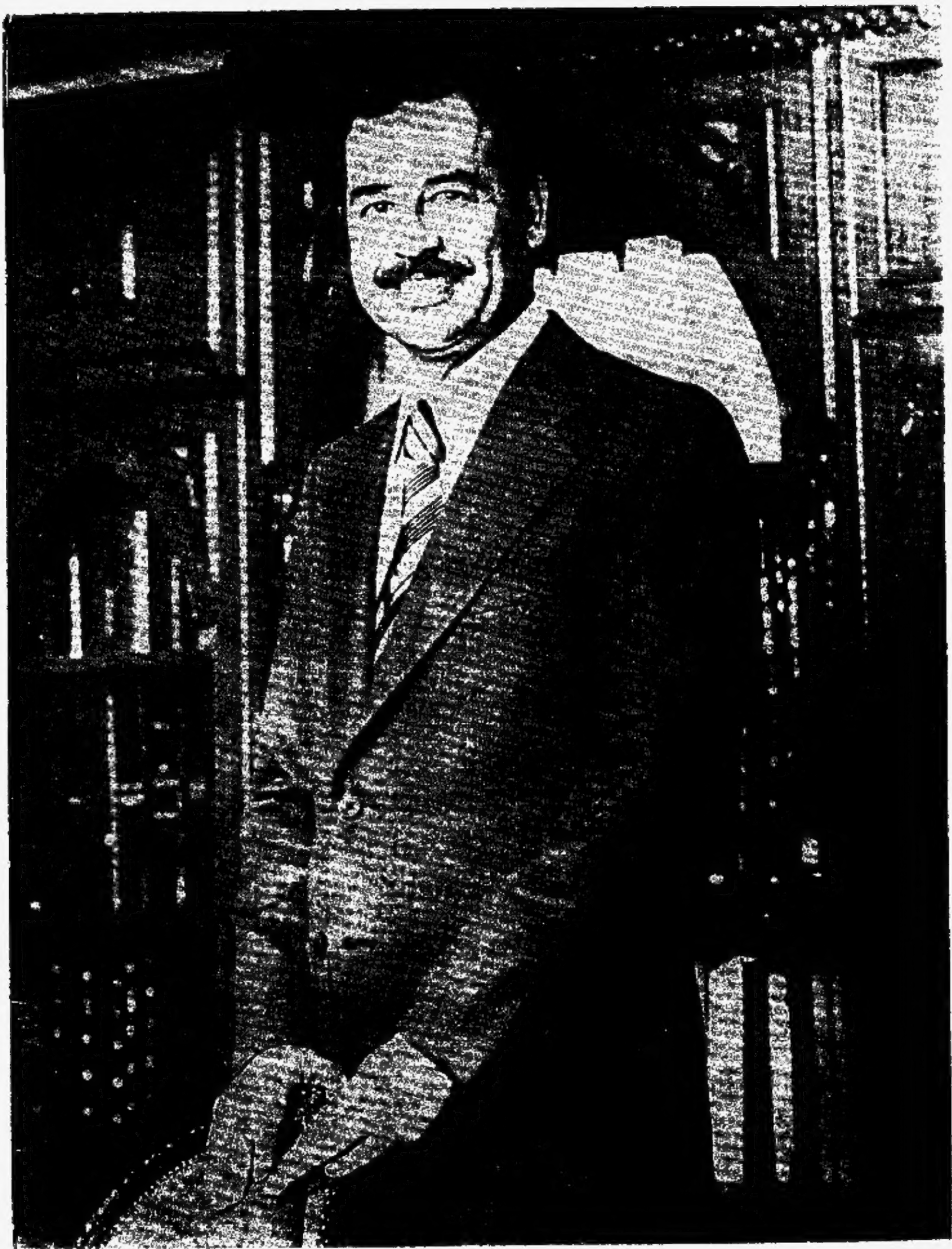
الدكتور محسن الموسوي

عضوا

مدرس

الدكتور عهاد موسى





السيد صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية العراقية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المقدمة

ويكتب لمجلة الكلية ان تسير متوافقة مع مسيرة الكلية نفسها من حيث الزمن ، ويكتب لها ان تكون معبرة عن المواكبة العلمية الناضجة التي تجددت في خضم هذه السنين ، فاقترنت بالاحداث الكبيرة التي شهدناها قطرنا ، وعكست المطامح المشروعة التي ظلت تعيش في اذهان الاساتذة وصولا الى المنهجية العلمية ، والتناول الموضوعي لمعطيات الترات الحي . وبذلك تكون المجلة قد أدت مهنتها في هذا المجال وهي تغني البحث بالعطاء المتواصل .

لقد اقترن عطاء المجلة بعطاء الحركة العلمية التي عاشتها الكلية ، متمثلا بالاعداد الكبيرة التي كانت وجها متميزا ، وحالة فريدة ، وصوتا من اصوات الجهد الواضح وبالمتابعة الجادة لهيئة التحرير وهي تواصل اداءها في تقديم كل ما يحقق للحركة العلمية وضوحها ويمنحها فرصة الاقتدار على حمل رسالتها ، واغناء تجربتها وفي هذه الظروف التي يجابه قطرنا تحديات القوى الشريرة ويتعرض لاقسى الهجمات الظالمة يقف شعبنا بكل قواه الخيرة وتقف أمتنا بكل ابنائها البررة ويقف العالم بكل الخيرين ليدنوا العدوان ، ويرفعوا أصواتهم عاليا لنصرة الحق العراقي في السيادة على ارضه ومياهه ، وليقطعوا الطريق على الذين يحاولون تحجيم ارادة الامة ، ووضع قدرتها في القوالب التي يريدونها للاجهاز عليها في أي وقت . .

ان الامة التي عاشت حية في عصور التاريخ ستبقى قادرة على حمل
الامانة باقتدار لتظل متفاعلة مع أحداث التاريخ وان الامة التي اغنت العالم
بحضارتها عبر مراحل السنين الطويلة ستكون داعية لدورها الحاضر لتعيد
الدور الانساني الذي قدمته من خلال مؤسساتها العلمية ورجالها المؤمنين
ومفكريها المبدعين .



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي

تقويم جديد لظاهرة الهجاء في الشعر العربي قبل الاسلام

الدكتور نوري حمودي علي القيسي

كلية الآداب - جامعة بغداد

تظل محاولات الدفاع عن النفس ، والسيطرة الذاتية التي تثير في نفوس الافراد نزعات الاستحواذ ، وقدرات الاعتزاز التي تفرض عليه ان يدافع عن وجهة النظر الذاتية شكلا متميزاً من أشكال حياة الانسان ، ولونا واضحا من ألوان حياته العريقة التي طبعت صورتها فوق كل حالة من حالات حرصه على الاستمرار ، وفي كل حركة من حركات تحسسه بالوجود ، لان حب الحياة والحرص على اكتشاف مجاهيلها ومتابعة استكمال بداياتها التي شددت الانسان اليها لا تنتهي عند حدود اللحظات السريعة ، ولا تقف ازاء التراجعات الحادة التي تعترى الانسان فيستحيل بعدها صوتا خافتا ، او رمزا اسطوريا متناھيا أو قطعة هامة تستحق الرحمة أو تدعو الى الشفقة او الاستعطاف . وهذا هو السر في اندفاع الانسان لتجديد طاقته ، او تحقيق مطامحه والسير وراء الخوافق الأصلية التي تملك عليه قدرة التحرك ، وتتوجه الوجهة التي تراها قادرة على هذا التحقيق ، وتمكنه من تظمين تلك الرغبات .

والمجتمع الانساني بكل أطواره ، ومختلف مراحل حقه في ظل هذه النوازع تطورات هامة مكنته من تغيير واقعه بما يتناسب مع تلك النوازع ووضعت في المواضع التي تتلاءم مع قدراته وامكانياته التي حققها افراد تلك المجتمعات . ولما كانت قدرات الافراد متفاوتة من حيث الاداء والاستيعاب ، ومحددة في اطار الظرف الزماني والمكاني . فقد جاءت أقدار تلك الاطوار متآلفة مع تلك القدرات وهذا ما اعطى المجتمعات صفة التميز ، وحدد لها مجال التحرك ، وقدر لها موضوعات التسلسل الحضاري في سلم الامم .

والانسان الذي سار في الموكب الحياتي لمسيرة الامم انسان له قدراته التي اخذها عن أبناء مجتمعه ، وتأثر بها في ظل تقاليد وقيم ذلك المجتمع ، وله وسائله التي يستخدمها لتحقيق ذاته ، وتأكيده شخصيته ، وتطمين رغباته التي يدافع عنها بكل الطرق الكفيلة . فكانت الحركة السريعة واستخدام السلاح البسيط ، والتناول الممكن ، واللجوء الى التوسل والتضرع . والاستعانة بالاشارة والعبارة والكلمة . كل هذه الوسائل كانت تنمو نموا منطقيا مع طبيعة الحاجات التي تفرضها الظروف الانية والمرحلية لمسيرته هذه . وقد وهب الانسان عقلا يستطيع بواسطته ان يدرك حقيقة الاشياء ادراكا متفاوتا ويتلمس وسائل الاستخدام تلمسا مناسبا ، وهب حكمة في الاستعانة بكل وسيلة بما يناسبها . ولعل الدراسات العلمية التي صاحبت تطور الانسان تقدم لنا النماذج الكفيلة بهذا السلم التطوري ، وبالوسائل المرحلية التي قدمها في كل مناسبة ، ولما كانت الكلمة جزء من هذا السلاح فلا بد ان تظل لصيقة بالاهداف الحقيقية التي نشأت في ظلها ، والتزمت بأدائها ، وعبرت عن مضامينها . ومفهوم الكلمة في هذا التحديد لا يعني الكلمة السائبة او الكلمة التي تنتهي عند حدود استخدامها ، وانما المقصود بها الكلمة المتطورة التي اخذت حجمها في التعبير سجعاً او ثرا او شعراً . والكلمة التي دخلت في تحديد الاهداف التي تحرك دواعي استخدامها ، لانها مرتبطة بأسباب ، ومتصلة باعتبارات ، ومعبرة عن اغراض . وهذه كلها لا يسكن ان تكون منفصلة عن حياتها وحركتها ولونها واسلوبها . ولا يسكن ان تفضل غير فاعلة في تأثيرها وانفعالها واستجابتها ، وهذا يضع الشعر في مقام الوسائل الاخرى المستخدمة في الدفاع عن الانسان او التعبير عن رغباته الذاتية ، او الاحساس بما يعانيه من مشاعر التأثير او الانفعال وهذا ما تؤكد كل المضامين التي حملت مشاعر هذا الانسان خلال حياته الطويلة التي عانى في ظلها الوانا من القهر ، واصنافا من العذاب والتسلط ، وضروبا من التعسف ، الى جانب اناشيده الانسانية التي سجلت لحظات حبه او حزنه ، دفاعه عن نفسه او ارضه ، نزوعه

الى انسانيته او فرديته • وتتجلى حقيقة هذا التصور في ايات قيس بن
خفاف الذي اعد للنائبات سيفاً قاطعاً ، ووقع لسان كحد السنان^(١) •

فأصبحت أعددت للنائبا

ت عرضاً بريئاً وعَضْباً صقيلاً

ووقع لسان كحد السنا

ن ورمحاً طويل القناة عسولاً

وسابغة من جياذ الدرو

ع تسمع للسيف فيها صليلاً

فالشعر والسلاح يصدران عن سبب واحد ، ويؤديان مهمة واحدة ، ويحملان
هدفاً واحداً ، ويؤثران في الخصم تأثيراً متقارباً من حيث الاداء • ولا بد ان
ترتبط عناصرهما الاساسية ، وتتفق خائصهما في حدود تلك الاهداف • واذا
حاولنا تخصيص ضرب واحد من الشعر وهو الهجاء ، استطعنا ان نحدد
وسيلة من وسائل التعبير ، وطريقة من طرق الحس ، ونموذجاً من نماذج التفكير
التي تختلف عن طرق الآخرين التي تثير في النفس المعارضة او السخط او
الغضب •

ان السياق الزمني الذي مرت به اللفظة هو السياق الذي حدد لنا
الاصطلاح الذي شاعت فيه واستخدمت في حدوده ، فعندما كانت لفظه
الهجاء تضيق في حدود المعايير الشخصية كانت تنحصر كل معانيها في هذه
الدائرة ، لانها اقتصر على ما تحققه هذه الدائرة ، والتزمت بالاساليب
التي كانت تؤديها ، والاعراض التي تستخدم فيها • وهي دائرة تقف عند
اعتبارات السخط والغضب الناتجة عن الفخر القبلي بتجريد الخصوم من القيم

(١) - المفضل الضبي : المفضليات ١٨٦/٢ •

المحمودة التي تمثل اعرافا اجتماعية متفقا عليها ، وملتزما بمقاييسها ، ووضعهم في المكانة التي تجعلهم اهدافا للنقد ، ومواضع للاستخفاف ، وصورا للسخرية وقد اخذت هذه المعاني احجاما في شعر الشعراء ، ولكنها تشكل الصورة الواضحة التي ظلت معانيها تستخدم في المحيط الاجتماعي والقبلي ، وبقيت تأثيراتها تؤلف النبع الذي يستمد منه الشعراء هجاءهم لاسكات الاصوات ، وتوجيه المجموعة القبلية الى الحرص على الالتزام بكل ما يدعو الى الحفاظ على هذه المكانة ، والدعوة الى ابقاء الانسان في المكانة المرموقة ، لان الرقابة الشعرية ، والرصد الاجتماعي ، والتقصي وراء السلوك المناهض لتلك القيم كان قادرا على ادراك كل جوانب السقوط التي ينحدر اليها الناس ، ومتابعا لكل الاخفاقات التي تلحق بهؤلاء الناس في حالة تنازلهم عن تلك القيم ، ووقوعهم في دائرة التهاون الذي يحمل عليهم هجاء الشعراء ، وهذا ما حقق للهجاء الدور البارز في تقويم الحركة الاجتماعية لانه يمثل السوط المرفوع لرد كل النزعات الشريرة ، وكبح كل النفوس التي تحاول التجاوز او الخروج على الاعراف السائدة والتقاليد التي اصبحت دستورا للقبيلة ، وايقاف جموحها ، والحد من استمراريتها في المعاصي .

ان مهمة الهجاء في ظل الواقع الاجتماعي القبلي كانت مهمة اصلاح وتقويم لانه وسيلة العلاج ، وطريق الدفاع عن الحقيقة التي ترسخت اصولها في الاذهان ، وقبل بها الناس اعرافا متداولة ، وقيما مشاعة ، ومثلا يحسن الخضوع لها بسبب قدرتها على شد التماسك بين الافراد . وتوثيق الاواصر ، وتنمية العلاقات ، وان هذه المهمة لم تنحصر في قدرتها على اقتناص الاسباب وحدها ، او الترصد الذي يفقد الهدف غايته ، وانما كان اقتناصا واعيا ، وترصدا مدركا . تتحسس الفرق بين واقع الاشياء وبين ما يجب ان تكون عليه ، بين حقيقة القيم وما يمكن ان يطبق منها ، بين انسانية العادات وما يمكن ان يعود بسببها على المجموعة بالسعادة والرفاه . وهنا تتجلى قدرة الشعراء التي

تحدد هذه المهام ، وتفرز النتائج التي تخرج على المؤلف لتكون شريحة للنقد ، وصورة للهجاء ، ورمزا من رموز التقريع والتأنيب * .وعندها تستجيب لهذا الصوت كل النوازع الكامنة التي استشارتها قدرة الشعراء لتردد معهم هذا الصوت ، وترفع نبراته الحادة لتملأ الارض ، وتنتشر فوق ربوع الجزيرة فتطوي فيافيها المقفرة على لسان مرتحل ازجي مطيته ، او شاعر حمل همومه فلم تستقر به ارض *

لقد ظل المجتمع العربي آمينا على قيمة التي رسختها مسيرة الامة الطويلة ، وبقي يعتز بولائه لكل المثل التي نادت بها الامة ، وقدمت من أجلها اعظم التضحيات ، لان هذا المجتمع كان يشعر بمهمته الاجتماعية والاخلاقية التي كان يحققها في هذا الاتجاه ، وهذا ما كان يدفعه الى ان يكشف عن خوافي النفوس التي تتظاهر بغير ما هي عليه ، وتعتبر عما ليس تعتقد به ، وتجاهر بما ليس في داخلها * وكثيرا ما كانت تتضح هذه المهام في تقريع الخصال الذميمة وفضح الاساليب غير الانسانية التي تمارس في حدود القبيلة ، ونزع الثقة من بعض الاشخاص الذين منحتهم مجتمعاتهم الولاء ، ودواعي التقدير ، وهي ظاهرة تعكس غريزة الاحتجاج الدفينة التي تتولد في نفوس الشعراء لوضع الامور في مواضعها المناسبة ، وتقدير الاشياء تقديرا يتلاءم والمراحل التي يمكن ان تكون فيه * . وهي بالتالي مسألة اجتماعية تتناول ، الموضوعات تناول موضوعيا يحدد فيها زاوية النقد ، ويعالج في اطارها المسائل معالجة صائبة - في كثير من الاحيان - لان بعض الموضوعات قد تصاحبها قدرة العواطف ، او تتداخل فيها الاسباب الذاتية * وقد قدم الشعر العربي قبل الاسلام صورة رائدة في هذا المجال يمكن الاستشهاد بها والوقوف عليها^(١) .

(١) تنظر قصائد الاعشي في ديوانه : ٢٦ و ٣٤ و ٢٠ و ١٩ و ٧٣ و ٦٢ و ١٨ و ١٥ و قصائد بشر بن ابي خازم . ٣٤٠ ، ١٧٠ ، ٤٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٠ ، ١٣٠ و ٤٥ و ٨٩ و ديوان لبید / ٢٣ ، ٣٤ ، ٣٧٠ ، ٢٣١ .

لقد حددت طبيعة الهجاء المسلك الذي سار فيه هذا الغرض الشعري ،
ووضعت مضامينه في القنوات الحياتية التي وجدت فيها الجريان السهل ،
والوصول السريع ، والتأثير المباشر ، وهي طبيعة متداخلة من حيث التأثير
ومتواصلة من حيث الاستمرار والتوجه ، وقد وجدت هذه الاهداف صور
المعاني المستخدمة لانها تدخل في حالة الدفاع عن النفس ، واضعاف شوكة
الخصم ، واستلاب الصفات الحميدة ، وانتزاع المعاني الخيرة ، وتجريده
من القيم التي يعتز بها الانسان . وكان الشعراء يتوسلون الى ذلك بأساليب
التهكم والسخرية للنيل من هؤلاء الخصوم ، ويلجأون الى أساليب المفاضلة
التي يتخذون منها مجالا لعقد المقارنة ، وإبراز النقائص ، وتمييز الصور
المتباعدة :

يعجب الدهر متى سويًا

كم ضاحك من ذا ومن ساخر

وهي حالة انسانية متحركة ، استقطبت عناصر الشد والتأزم ، واستوعبت قدرة
التعبير والتمثل فكانت اسلوبا من اساليب المقاومة ، وصوتا من اصوات
الاتقاص التي يظل صداها متجاوبا في كثير من النفوس ، ومترددا في اوساط
كثيرة من المحافل ، ولعل الشاعر بشر بن ابي خازم الاسدي يعد نموذجا
من نماذج الشعراء الذين عرفوا باستخدام هذه القدرة ، وهو يجعل اوس
ابن حارثة هدفا كبيرا من اهداف هجائه لاسباب قد تختلف مع كثير من الاسباب
التي حددها النقاد القدامى ، فهي لم تكن رغبة في الطمع ، او حبا في المال
الذي أغري به ، او انتقاصا لغرض الانتقاص ، وانما كان محاولة لتجريده
مما كان يفخر به ، فهو من قوم لا يوفون اذا وعدوا ، قاصرون عن غاية

الجود والكرم اذا اشتدت الازمات ، ضعفاء اذا اشتعلت الحرب ، وخرجت
النسوة الى الخلاء من الفزع^(٢) :

فياعجباً عجبت لآل لأم

أما لهم اذا عتقدوا وفاء

وأنكاس اذا استعرت ضروس

تخلّى من مخافتها النساء

ثم يعود الى الاحتماء بقبيلة بني أسد عندما علم بوعيد أوس فيقول^(٣) :

فياعجباً ايوعدني ابن سعادى

وقد أبدى مساوئه الهجاء

وحولي من بني اسد حُلُول

كمثل الليل ضاق به الفضاء

ويظل هذا الصوت يرتفع في قصيدته الثانية التي هجا فيها آوس بن حارثة ،
وتظل المعاني التي حاول التركيز عليها تتردد في مضامينها ، لانتزاع الثقة من
نفسه ، واسقاط مركزه الذي عرف به بين ابناء قبيلته ، وبين القبائل الأخرى
وتأكيد خروجه على العرف الذي اصبح قانونا يلتزم به ، وتراثا يعتز بفضائله ..
وهي صورة كانت تمتد أواصرها في كثير من شعر الهجاء ، وتأخذ حجماً في
قصائد تناثرت في دواوين الشعراء ، لأنها كانت تمثل الملتقى الفكري ، والتوجه
الاجتماعي الذي أخذ به الشعراء انفسهم لتثبيت هذه المفاهيم ، وترسيخ
أقدارها التي كانت تجد صداها في النفوس ، والاستجابة لها في المشاعر ،
والتأكيد عليها في أحاديث المجالس والاندية ..^(٤)

(٢) بشر بن ابي خازم . الديوان / ٣ .

(٣) بشر : الديوان / ٤ .

(٤) بشر : الديوان / ٨ .

ألا أبلغ بني لأم رسولا .. فبئس محل راحلة الغريب
إذا عقدوا لجار اخفروه .. كما غر الرشاء من الذنوب
أتوعدني بقومك يابن سعدى .. وذلك من ملمات الخطوب
وحولي من بني أسد حلول .. مبن بين شبان وشبيب

والشاعر هنا يدافع عن القيم التي نشأ عليها المجتمع ، ودافع عنها ، والتزم
بأدائها ، ويحرص على استمرارها والحفاظ عليها وانتقالها من جيل الى جيل
، ويؤكد موقفه من الذين لا يحفظون أصولها ، وهي حقيقة تؤكد الحقائق
التي ترسبت عليها وظلت قصائد بشر بن ابي خازم الخمس صوتا يرتفع ليسلب
كل أشكال السيادة التي تمتع بها هذا الرجل ، وصحيفة تجوب الجزيرة
العربية لتعلن على كل الرؤوس اعمال آوس ، وتنتشر خصاله التي وصفه بها
بشر ، وتسقطه من المكانة الرفيعة التي عرف بها ، لأنه - وفي مفهوم الشاعر ،
وقد يكون الشاعر مبالغا - خرج عليها، وخرج على كل مألفته الطبيعة العربية
وتعوده المجتمع ، من وفاء بالعهد ، ومناصرة للضعيف ، ودفاع عن المرأة
واطعام للضعيف ، وانجاز الوعد . وان حرص الشاعر الذي حملته على أن
يتحمل خصومة أوس كان عاملا حاسما ، ووظيفة لازمة ، ومهمة اجتماعية
دفعته الى ان يخوض غمار هذا الموقف ، ويحدد وظيفته القومية التي تفرض
عليه الدفاع عن المضامين الاجتماعية ، والقيم الانسانية التي عاشت مع كل
فرد ، وتحققت في كل نموذج ، وتوثقت في كل عمل حرص عليه الأبناء وان
الواجب الانساني والقيادي الذي وضعته القبيلة في اعناق شعرائها والمسؤولية
التربوية التي فرضتها تقاليد المجتمع ، واساليب بنائه المتكاملة ، وحققتها
الحريصون على ترسيخ اصولها ، كانت تلزم الشاعر بهذا الموقف ، وتفرض
عليه أن يسلك هذا المسلك ، كما حاول بشر أن يباشر الهجاء في قصيدته
الثالثة ، وهو يهجو أوس بن حارثة ، ويتجاوز التقليد الفني الذي درج عليه
في القصيدة الاولى والثانية ، وكأنه أراد أن يكون أكثر ايعالا في الايذاء ،

واعنف هجوما في التقويم واشد تنكيلا في المبادرة • وفي تحليل مضامين هذه القصيدة وجدنا الشاعر يستهزيء بقوم أوس من البيت الأول بعد أن باشر الغرض دون مقدمات وحاول أن يصل اليهم بلا تمهيد ، ثم يصب عليهم غضبه في الأبيات الأخرى وهو يجردهم من الخصائص التي عرف بها كرام الناس واشداؤهم ، وحاول أن يضعهم في صفوف الضعاف الذين لا يثبتون في الحرب ولا يصدقون القتال ويتهمم بالتبعية وعدم الوفاء بعهد الجار وتنصلهم عن معاونة الفقراء ، ويصل الهجاء ذروته عندما يفرده لأوس بعد أن اشتفى من قبيلته حين يقول : (٥) ••

إذا ما المكرمات رفعن يوما مددت ليلها باعا قصيرا
غدرت بجار بيتك يا ابن لأم وكنت بمثل فعلتها جديرا

ان المعاني التي حاول الشاعر أن يستخدمها في الهجاء هي المعاني التي حرص المجتمع على احترامها ، ووضع كل طاقاته من اجل الحفاظ عليها ، والاهتداء بقيمها التي تغني المجتمع بعطائها ، وتصلح اخطاءه التي لم يستطع علاجها في ظل اوضاعه القائمة ، وأحواله السائدة • وان دعوات الشعراء واصواتهم التي كانت توجه الى الاشخاص الذين لا يلتزمون بها تمثل الريادة الاصلية التي امتلكها هؤلاء الشعراء وهم ينشرون قصائدهم ، ويذيعون اراءهم ، ويمررون افكارهم ، وعلى الرغم من المبالغات او عدم الدقة التي تتخلل هذه الاصوات او الدوافع الشخصية او الذاتية او القبلية التي تستثيرهم فانها كانت تحمل الشعار الذي كان المجتمع يقبل به والصورة التي يميز بها حياته المستمرة ، وقيمه التي تأصلت في كل سلوك من سلوك ابنائه ، وقد تركت هذه القصائد الهجائية أثرها في نفس أوس ، بعد ان سلخته من كثير من الخصائص التي عرف بها ، وشهر بالاتصاف بها « حتى نذر لو ظفر به

(٥) بشر بن ابي خازم • الديوان ٩٠ - ٩١ •

ليحرقه»^(٦) ولم يحل هذا النذر ، والتأنيج المترتبة عليه دون استمرار بشر بهجائه لايمانه بان القيم التي تحدث عنها هي القيم التي أوكل بالدفاع عنها ، وبأن الصفات النبيلة التي دافع عنها ، واتهم أوس بالتنازل عنها ، هي الصفات التي حددتها القيم العربية الاصيلية ، وارتضاها السلوك الاجتماعي ، وامس بها الجمهور لانها جزء من حياته ، واستكمال لبناء شخصيته ، وتمكن أوس من بشر فأسره . وإراد ان يفي بنذره ، واوقد نارا ليحرقه ولكنه يعدل عن ذلك وتقول بعض الروايات ، أدخله في جلد بعير بعد ان سلخه ، ويقال جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه ، زيادة في ايدائه ، وايغالا في تحقير شأنه ، وعندما بلغ ذلك (سعدى) أم أوس ، وكانت سيدة من سادات طي ، ذات رأي وحكمة ، خرجت اليه وقالت له : قبح الله قوما يسودونك أو يقتبسون من رأيك ، لقد مات ابوك فرجوتك لقومك عامة فأصبحت والله لا ارجوك لنفسك خاصة ، والله لكأنك أخذت (رهذنا)^(٧) ، أما تعلم ما منزلته في قومه ، او ما تعلم أنه هجأك في بني بدر ، أزعمت أنك تحرق رجلا هجأك ، اذا من يحو ما قال فيك . وأيم الله لو فعلت ماأستقلتها أنت ولا قومك أبدا . فقال لها أوس ، فما أضنع به . قالت أرى ان ترد عليه ماله ، وتعفو عنه ، وتحبوه وتكرمه . فانه لايفضل عنك ما صنع غيره .

لقد كانت كلمات (سعدى) ذات دلالة اجتماعية كبيرة لانها تعلم قيمة الهجاء ، وتدرك آثاره العميقة التي ستركها في كل نفس ، وما تتحمله القبيلة وهي تستمع الى أهاجي هذا الشاعر التي طبقت كل أفق ، واصبحت على كل لسان ، وتبودلت في كل مجلس ، وانها تعلم ان الصورة التي رسمها لاوس هي صورة الضعف والتجريد من كل الخصال ، وان الاحاديث التي

(٦) تنظر القصة كاملة في كامل المبرد / ١٩٩ وثمار القلوب ٩١ - ٩٢ وكامل ابن الاثير ٢٦٦/١ والخزانة ٢/ ٢٦٣ ، ٤ / ١١١ ومقدمة ديوان بشر / ٢٥ - ٣١ .

(٧) الرهذن . طائر صغير كالمصفور ، تريد المرأة ان تعظم من شأن بشر وتبين انه ليس شيئا هينا لهذا الطائر .

طوتها أهاجيه كانت تمثل الاحاديث التي تتبرأ منها كل القبائل ، ويأنف منها كل الاشخاص • وهذا يعني انها ستظل ملاصقة لكل الاجيال التي تتوارث أوسا أو ابناء قبيلته ، وستلاحقهم على الرغم من كل الاعمال الكبيرة التي سيقومون بها ، أو الايام الجليلة التي سيبولون فيها ، أو البطولات الخالدة التي يسجلونها في كل معركة من المعارك •

و (سعدى) المرأة الذكية كانت تعرف أبعاد العمل الذي أقدم عليه أوس ، وحاول تنفيذه ، وان العرب وقوم بشر سيذكرون فعلته بكل مرارة ، وسيقولون فيها ما يقولون ، وان اللعنة الانسانية التي يتحملها من جراء حرقه لهذا الشاعر بسبب هجائه سوف لن تمحوها كل الحسنات الكبيرة التي يحاولها والاعمال الانسانية التي يقدمها ، كانت الام الكريمة تعرف كل هذا ، وتدرك اطراف المسألة الاجتماعية واثار الضغط القبلي الذي سيتعرضون اليه ، وهذا ما دفعها الى ان تعلن رأيها بصراحة • وهذا يؤكد قوة الصوت الشعري، وشموخ الدفاع عن القيم ، والتمسك بمضامين الشعر الهجائي الذي كان يشل التوجيه الحقيقي لكل محاولة تباعد عن الطريق السليم ، والريادة الاصلية التي يمتلكها الشعراء، وهم يقفون لصد تلك المحاولات بجرأة، لانهم يعلمون ان المجتمع يحميهم، وان العرف الاجتماعي كان يمنحهم الحصانة التي تميزهم عن غيرهم ، وان الصوت الذي يرتفع لحجب اصواتهم ينتهي عند أبعاد محددة ، ويقف في حصار دائرة مغلقة وان الكلمات التي تنطلق من افواههم ستظل قوية وعظيمة ، وان اية كلمة لا تستطيع اسكاتها الا الكلمات التي تصدر عن نفس الاصل الذي صدرت عنه • وان المجتمع الكبير الذي ترسخت فيه هذه المفاهيم لا يتساهل مع المحاولات التي تنطلق لتشويه تلك المفاهيم او الحاق الاذى بسن حاول الدفاع عنها ، او ايقاف تلك الاصوات التي لم تعرف حدودا ، ولم تقف عند قنفاة اعلامية واحدة ، او رقابة تفرضها جهة يضيرها ارتفاع هذا الصوت •

وصنع أوس ما طلبته منه امه ، واستجاب لدعوتها ، وغنا عن بشر وكرمه
واحسن اليه ، ولم يكن بشر بعيدا عن هذه المكرمة التي سجلت مكرمة اخرى في
مكارم العرف العربي ، ومحمدة جديدة من محامد المجد الذي أغنته اعمال
هؤلاء الرجال فكان جوابه لاوس بمستوى عمل أوس له ، وقد تحقق قول بشر
له : لا جرم والله لا مدحت احدا حتى أموت غيرك ، وصدق بشر ، فمدح
أوساً مكان كل قصيدة هجاء بها قصيدة ، اكراما له ، وتحقيقا لانسانيته ،
وكان شعره في مديحه أبلغ وأجمل منه في هجائه ، فدلل بشر على أمانته
ووفائه ، بعد ان التزم بهذا السلوك الاجتماعي الذي اعطى الناس حقوقهم
اذا حرصوا عليها ، والتزموا بأدائها ، وحفظوا استمرارها .

وبقي الشعراء يحملون عن أقوامهم مسؤولية الدفاع ، ويتولون مهمة
استرداد كل الحقوق التي أوشكت ان تضيع أو حاول البعض الاستيلاء
عليها ، بأسباب غير مشروعة ، وحجج غير مقنعة ، وهو هجاء يتخذ طابع المناقشة
الهادئة ، والحجة البينة ، والدليل الواضح ، وهنا يلتقي شعر زهير بن
ابي سلمى بشعر بشر بن ابي خازم وبشعر الشعراء الآخرين الذين وضعوا
انفسهم في المواقع نفسها ، فعندما أغار الحارث بن ورقاء الاسدي واصاب
سببا ومالا انصرف راجعا ، فوجد غلاما لزهير بن ابي سلمى فاستاقه وهو يحرم
عليه لحلف اسد وغطفان ، فبلغ زهيرا فأرسل اليه أن يرده فأبى ، فقال في ذلك
زهير (٨) .

يا حارِ لا أُرْمَيْنُ منكم بداهية
لم يَلْتَقَهَا سُوقَه قَبلي ولا مَلِك
فأَرَدُدْ يَساراً ولا تَعْنِفْ عليّ ولا
تَمْعَكْ بَعْرِضِكِ إنَّ الغادر المَعَكْ

ولا تكونن كأكوامٍ علمتهم
يَلَوُونَ ما عندهم حتى إذا تهكوا
طابت نفوسهم عن حقّ خصمهم
مخافة الشرّ فارتدّوا لما تركوا
لن حلكت بجوٍّ في بني أسدٍ
في دين عمروٍ وحالت بيننا قدك
ليأينك مني منطوقٌ قدع
باقٍ كما دتس القبطيّة الودك
وقيل لما أتت الحارث بن ورقاء لم يلتفت إليها فقال زهير هذه القصيدة (٩) .
تعلّم أن شرّ الناس حي
ينادي في شعارهم يسار
وفي الديوان قصيدة أخرى تشير إلى عودة يسار غير مغلول ولا مهان ولكنه
كان عند ذي كرم ، يعرف الوفاء وبقي بالعهد (١٠) .
وتقول بعض الروايات ان قوم الحارث بن ورقاء طلبوا منه بعد ان سمعوا
قصيدة زهير الاولى ان يقتل يسارا الا انه ابي ذلك ورده الى اهله كريسا
بعد ان كساه ، واكرم مشواه ، وهي اشارة تذكرنا بصنيع اوس بن حارثة
مع بشر بن ابي خازم ، وكلا الرجلين كانا يعلمان النتائج التي تترتب على
القتل ، وان الشعر سينال منهما ، وستبقى اللعنة تلاحقهما اجيالا بعيدة ، فمديح
زهير بعد رد غلامه هو الذي مسح هجاءه لانه صدر عن نفس المنبع ، والشاعر
هو الوحيد الذي يستطيع ان يرد اعتبار المهجو .

(٩) زهير . الديوان / ٢٠٠ .

(١٠) زهير . الديوان / ٢٠٨ .

وكان الشعراء يندفعون في بعض الاحيان وراء بعض الاقوال غير الصحيحة ، تمسكا بمبدأ الدفاع عن القبيلة ، وحرصا على السمعة التي تتمتع بها ، وتأكيذا لموقع الشعراء الذين يحفظون لها مكائنها بين القبائل ، ولكنهم عندما يشعرون بالحقيقة ، وتكشف لهم الدوافع يندمون على فعلتهم ، وهذا دليل صدقهم ، لانهم يظنون يعانون من مواقفهم هذه فعندما أتى رجل من بني عبدالله بن غطفان بني عليم ونزل بهم اكرموه واحسنوا جواره وواسوه . وكان رجلا مولعا بالقمار فنهوه عنه فأبى الا المقامرة ، فقرر مرة فردوا عليه ، ثم قرر أخرى فردوا عليه ، ثم قرر الثالثة فلم يردوا عليه ، فرحل من عندهم وشكا ما صنع به الى زهير ، والعرب اذ ذاك - كما ذكر في مقدمة القصيدة يتقون الشعراء اتقاء شديدا ، فقال يهجو عليما وقال « ما خرجت في ليلة ظلماء الا خشيت ان يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوما ظلمتهم فقال القصيدة (١١)

ومقولة زهير تؤكد الهدف الذي كان الشاعر يسعى اليه ، والرسالة التي يحملها ، والانصاف الذي يعد الغاية التي كان يرجوها من شعره ، لان المثل الكبيرة التي كانت تتحقق في البناء الاجتماعي والقبلي والتي كان يعبر عنها من خلال شعره كانت تمثل الرافد العظيم الذي ينظم حياة الجماعة ، ويدعوها الى التمسك بكل المعاني الاصلية التي عاشت عليها الامة ، ودافعت عنها ، وبذلت من اجل الحفاظ عليها كل الجهود المسكنة ، واستخدمت من اجل استمرارها كل الوسائل الكفيلة بالاستمرار او القادرة على النقل ،

اما اتجاه الهجاء الثاني فهو الاتجاه الذي يدخل في الاطار السياسي في حدوده العامة والتي تؤكد ارتكازه على القيم القومية التي كانت ترفض كل اشكال السيطرة الاجنبية التي تحاول فرض سلطانها على القبائل ، لان معاني هذا الضرب من الهجاء كان يدخل في تمجيد الحرية ، ومقارعة الطغيان ، وايقاف تجاوزات الظلم مستمدا معانيه من الثقة الكبيرة التي كان يتمتع بها الشعراء ، والحس القومي الذي يشد كل الابداء ، والحق الصريح الذي يدفع اصحابه

الى المطالبة به • وهو هجاء كان ينطلق من احساس شعراء القبائل العربية التي كانت تتأخم في سكناها المناذرة • ومن الطبيعي ان يتسم شعر هؤلاء بهذه السسة لانهم كانوا يعيشون التحدي ، ويدركون صورة التسلط الذي تمارسه هذه الدولة ، ومن يقف وراءها من الفرس ، وقد تضمن شعر هؤلاء الشعراء المعاني التي كانت تتداخل في أشكال المقاومة ، والمضامين القومية التي كانت تجاهر بالمجابهة ، الى جانب الاعتزاز الحاد ، والتحسس الاصيل ، لانهم كانوا يواجهون الامر ، ويتلمسون مواقع الاضطهاد العنصري التي كانت تمارسه العناصر الاجنبية ، وهذا ما دفع معظم الشعراء الى ان يتخذوا الهجاء وسيلة المذب عن وجودهم ، والدفاع عن احسابهم ، والدعوة الى المطالبة بالارض التي استباحتها دولة الفرس او دولة الروم • وفي نماذج يزيد بن الخدّاق الشنيّ الذي هدد النعمان واتهمه بالخيانة والخداع ، واضمار الشر ، بعد ان استخف به ، وقد بدا قصيدته بنعت فرسه وسلاحه ثم وجه القول الى النعمان مهدداً ، وفخر بقومه ، واستعصائهم على من يبغيهم الذل والخسف^(١٢) والمتلمس الضبعي الذي افتتح قصيدته بحتمية الموت والنهاية المقدرة اشار الى ان قبول الضميم مخافة الموت عجز ، ثم سخر من النعمان ، وطلب منه ان يغزو ارضهم بعد ان اينع الزرع واخصبت الارض وساد طنين الذباب والزناير ، تحدياً للنعمان واستخفافاً به ولم ينس في نهاية القصيدة الاشارة الى اباء قومه^(١٣) ، وهجاء عسرو بن هند واستخف باحلامه وفخر بقومه^(١٤) وصنع طرفة بن العبد والحارث ابن ظالم هذا الصنع •• وقد تميزت معظم هذه القصائد بهجائها اللاذع الذي اعتسد الجانب النفسي باستلاب الفضائل من نفس المهجو والسخرية منه ، والاستخفاف بوعيده ، وتهديده ، والاشارة الى اقوام الشعراء وبلائهم في المعارك ، والوقوف عند بعض ايامهم الى جانب الايمان بالموت حقيقة قائمة ، ولا بد للانسان ان يموت ميتة كريمة •

(١٢) الفضل الضبي . المفضليات ٩٥/٢ - ٩٦ .

(١٣) المتلمس . الديوان . ١١٠١ .

(١٤) المتلمس . الديوان . ٤٢١ .

ومن الواضح ان هؤلاء الشعراء يمثلون القبائل العربية التي كانت تعيش على الحدود الشرقية لجزيرة العرب ، وان الصور البيانية والمعاني التي كانوا يستخدمونها في هجائهم كانت تمثل التيار الرفض الذي ظلت القبائل العربية تتحسس به . وان اشكال هذا الهجاء تحدد السلوك العام الذي كان يطوي خوافق الحس ، ويجسد صدق المشاعر ويجاهر بأساليب المقاومة التي تنادي بها القبائل العربية وهي تتوحد صورة في التحدي ، وقدرة في التهديد ، ولونا متميزا من ألوان النضال القومي ، ووحدة المعاني التي طواها الشعر . فالدعوة الى جمع الشمل ، ونبذ الفرقة ، وتسجيل ظواهر الاضطهاد ، وتهديد الملوك ، والاستخفاف بهم ، والتحدث بضمير الجماعة ، والتهيب ليوم الروع ، واستقبال الموت بشجاعة ، والايمان بالنهاية التي ينتهي اليها كل انسان . كل هذه المعاني كانت تدور في قصائدهم وهي تتسرب في معاني الهجاء الموجه الى اولئك الملوك الذين حاولوا بشتى الطرق السيطرة على الارض العربية ، وارتضوا لنفوسهم ان يكونوا صنائع تحركهم المطامع ، وادوات تستخدمهم الاغراض .

وسأحاول الوقوف في حديثي على هذا الجانب عند شاعر واحد هو الاعمش قالاعشى شاعر له قدرته الشعرية التي وضعت في الطبقة الاولى ومع ثلاثة شعراء اخرين من شعراء العرب قبل الاسلام هم امرؤ القيس وزهير ابن ابي سلمى والنابغة الذبياني ، وقد عرف هذا الشاعر بحسه القومي الذي توزع بين استثارة تهز النفوس ، واشادة تمجد المحامد ، وتمجيد يخلد المآثر ، وموقف يحدد هوية المتخاذلين . ويشخص نزعات الضالعين في ركاب التبعية ، والسائرين في دروب الضياع ، وللاعشى صوته الشامخ الذي ارتفع مع بقية الاصوات ليقف ضمن مجموعة الشعراء السبعة او التسعة او العشرة عند بعض شرائح الشعر ، وله امتداده الزمني المفتوح الذي تحرك في اوسع دائرة في الجزيرة العربية، وحظي باكبر قسط من المخاطبات المباشرة لاعداد غفيرة من البشر كانت لها مواقفها المحسودة ، ومراكزها المرموقة ، وهو بعد كل هذا شاعر قيس بلا منازع وصنّاجة العرب ، ورائد الرحلة الطويلة التي زحرت بكل وصف ، ووقفت عند كل ظل ، وحملت كثيرا من المشاعر الرقيقة لتجوب

مفاوز الجزيرة ، وتنقل الاصوات الحرة ان تجربة هذا الشاعر كانت غنية ، وحركته سريعة ، واحساسه بلوازم الحياة اكثر تجاوبا ، واشد تأثرا ، • ومن يطلع على ديوانه يجد فيه تراحم الاحاسيس ، وتشابك الصور ، وتداخل الانعام البشرية التي تستقبل القاري في كل قصيدة ، وتتأثر امامه بأوعية زاهية تكاد ألوانها البراقة تخطف كل نظرة ، وتستقطب كل التفاتة •

هذا الشاعر الاصيل حمل في بعض قصائده اصالة التوجيه ، وحاول ان يتخذ من الهجاء سلاحا لبناء المجتمع ، وتوجيه ابنائه الوجهة التي تخدم وحدة البناء ، وتدعو الى توثيق عرى التواصل ، وترفع شأن الامة عن طريق النوم المباشر ، والتفريع الحاد ، والمحاورة الهادفة ، وهو في كل واحدة من تلك القصائد كان يحسن اختيار الموقف ، ويوفق في تحديد الجهة ، ويبدع في انتقاء المبررات والحجج ، ولهذا كانت مواقفه في يوم (ذي قار) مشهورة ، وقصائده في تسجيل بطولة الامة معروفة يتناقلها الرواة ، ويذكرها الابناء في كل محفل ، وقد تركت هذه القصائد بصماتها فوق كثير من النصوص ، وعند سلاسل من الرواة وفي ثيايا مجموعة من الاخبار ، وهي تؤكد قدرة الشاعر الخالد على استلهاام طبيعة الاحداث ، واستيعاب معالم الواقع ، واستيعاب ابعاد الصور التي تلازم الظروف في المرحلة التي مرت بها الامة • لقد كانت مواقفه هذه لازمة من لوازم الشاعر ، لانها استشارت عواطفه ، وبعثت في كثير من قصائده امارات الشجاعة ، وعلامات النزوع القومي الاصيل ، فبنى عليه كل مواقفه التي استحق عليها التخليد ، لان (ذي قار) هيأت له من الابدع التومية والانسانية ما دفعه الى ان يقرر المسلك الحقيقي لمسيرته الواضحة ، ولخصته الشعري الملتزم الذي تداعت اليه كل الاصوات الخيرة من الابناء ليكونوا مع الامة في يوم من اشد ايامها تأزما ، ومن اكثرها حسا في تقرير مصيرها ، ووجد الشاعر في شخصية قيس بن مسعود النموذج الخياني الواضح الذي عبر و في اطار الحدث القائم عن كل الصور التي كانت تدور في نفسه او تتحرك في نفوس الآخرين من ابناء قومه ، وهم ينظرون الى هذه الخيانة

المجسدة ، والتخاذل المشين والتورط الذليل الذي وقع فيه وهو يُسقط كل
الاقنعة الهزيلة التي حاول ان يضعها على وجهه المشوه .

كانت هذه الصورة تتألق في عيني وانا أقرأ له القطعة التي وجهها الى
قيس بن مسعود هذا حين وفد على كسرى بعد ذي قار ، وقيس هذا كان واليا
لكسرى على (الابلّة) ، ولاء عليها شراء لذمته ، وثمنا لخياته ، وقد سار مع
جيش كسرى لمحاربة بكر في يوم (ذي قار) ثم رحل بعد هزيمة كسرى
ليعتذر اليه عن انتصار قومه ، وما صنعوه بكسرى وجيشه .

والاعشى في هذا الموقف يلومه على مسيره ، ويسفه رأيه ، ويذكره
بأن قومه كانوا كفيلين بحمايته لو اراد ، لانهم يملكون القوة والقدرة والسلاح
والعتاد ، فلو استعان بهم لكفوه مؤونه الخصم ، ولو اعتمد عليهم لاصبح
عزيز الجانب ، فطوائفهم كثيرة ، وجباياتهم متعددة واموالهم لاحصر لها ،
وكتائبهم ضخمة تنوج بما ازدحم بها من فرسان وسلاح يرد بريقه عين الناظر
وافراس جياد تحيط بها كرائم الابل ونجائب الجبال ، وهذا يغنيه عن كسرى
ومذلتة وهوانه . وهو يأخذ عليه قيامه بهذه الرحلة التي يطلب فيها النصف
والاعتذار بعد الذي سفك من دماء قومه في هذا اليوم الخالد . فقيس في عرف
الاعشى ، وفي اعراف الواقع الاجتماعي انذاك صورة مقيبة ، ومسلك مرفوض
وننازل بائس ، وملح بشري غريب ، لم يؤمن به المجتمع ولم يقبل بتعامله ولن
يرتضي سلوكه الذي خالف به كل التقاليد وناهض كل القيم التي اتفقت على
الوقوف بوجه المعتدي ، والتصدي لمحاولاته الرامية للاجهاز على وجود
الامة ، واستهداف انسانها الذي وقف بصلاية يتحدى التدخل ، ويجابه
الاستغلال ، ويقاوم الوجه الغريب الذي حاول ان يمد تطلعه الى الارض العربية
وييسط سلطانه على الانسان الذي عاش فوق ارضها .

لقد حاول الأعشى أن يوظف الهجاء توظيفاً اجتماعياً ، ويبدع في تقديم الصور التي تستهجن الخيانة ، وتستبشع التعاون مع كل معتد ، وتناهض الوقوف في صفوف الخصم لمقاومة المطامح المشروعة ، والأجهزة على أمال الأمة التي اندفعت بكل قواها لرد عادية الغدر ، وقتل نوازع الاندفاع ، وإنهاء أسباب الاستثارة ، وقد اتخذ من الصفات ما يعينه على تكبير الصورة البشعة ومن الوقائع ما يساعده على وضع المهجو موضع الازدراء ، ومن الأحداث ما يجعله موفقاً في عزله بعد أن حاول قطع المبررات التي يسكن أن يعتسدها المهجو . ومع هذا فقد أكد الشاعر أن المهجو قد ترك قومه سفها ، وابتعد عن دائرتهم جهلاً ، وهذا ما دعا الشاعر إلى أن يبتعد عنه فلا يسع منه خيراً ولا يبلغ عنه نبأ .

والأعشى لم يقف بعد هذا مكتوفاً أمام خيانة قيس بن مسعود الذي تمنى أن يسوت ساعة ولادته ، وليت القوابل غرقته بمائه حتى لا يكون وصمة عار في تاريخ هذه الأمة ، فأنبرى وقد تجلّت عناصر قوميته ، واستثيرت دوافع نزوعه الأصلي وتجددت في أعماقه روح التحدي والمجابهة فأعلنها صرخة قوية في كل طرف من أطراف الجزيرة العربية ، ويردها كل رواية وشاعر . ويسمع إليها كل إنسان . وهي اليوم تستعاد لأنها سجّلت للشاعر ماثرة ، وسجّلت لقيس بن مسعود صفحة تاريخ بأثمة . بعد أن كانت الأمة ترجو منه الخير ، وتعقد عليه الآمال ، ولكنها شعرت بخيبة الأمل مرتين في عام واحد فقد سحب كسرى (الجزار) والتقى به ، ورحل إليه ، واتفق معه . ولم يجد الأعشى - والجزيرة تغلي ، وشعبها ينتظر الخلاص - دعاء يقوله سوى أنه تسنى لو (مات) ساعة ولد ، وليت (القوابل) غرقته بمائة لتدفن معه إلى الأبد كل الأثام الكبيرة ، وتقتل معه كل نزعات الشرور ، وتسقط صورة التخاذل ، وتنهي معالم التواطؤ والهزيمة وتخفى آثار العار الذي لازمه وبقيت لعنة الأعشى خمسة عشر قرناً ملازمة لهذا الرجل الخائن الذي استهان بحرمة الأمة ، وغرق بأثام الخيانة حتى رأسه . (١٥)

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد وانت امرؤ ترجو شبابك وأئبل
أطورين في عام غزاة ورحلة ألا ليت قيسا غرقته القوابل
وليتك حال البحر دونك كله وكنت لقي تجري عليه السوائل
كأنك لم تشهد قرايين جملة تعبت ضياع فيهم وعواسل
تركهم صرعى لدى كل منهل وأقبلت تبغي الصلح أمك هابل
لقد كان في شيان لو كنت راضيا قباب "وحي حلة" وقنايل

وتظل أهاجي الاعشى السياسية التي يرى فيها صوت الحقيقة أداة من الأدوات التي يستخدمها تجاه كل الخصوم الذين يقفون مواقف معادية لمطامح الأمة ، ويواصل من خلالها اضعاف شوكتهم وفي الطرف الثاني من المعادلة كان يثير في نفوس الابناء حوافز الاستماتة ، ودوافع الاستثارة ليجعلهم أقوى في الثبات واكثر رسوخا في المقاومة وليحقق لهم الموقع المناسب ، ويؤكد في نفوسهم الثقة الكبيرة ، وهذا ما جعله قريبا من القادة السياسيين الذين وضعوا مصلحة قومهم فوق كل مصلحة ، فتحركوا في شعاب الجزيرة ومفازاتها ، وطافوا حواضرها وبواديها ، يحصلون رسالة الايمان بوجدتها ، ويستخدمون الشعر في تأكيد القيم التي كانت صورة المجتمع العربي . وقد تجلت هذه الاتجاهات والمضامين في هجائياته الى كسرى^(١٦) ، ولكل الاطراف التي شاركت في ذي قار متكررة للعرب ، ولكل المعاني الانسانية التي تفرضها عليهم طبيعة الانتساء .

والهجاء في كثير من ضروب المعاني التي تناولها ، والاهداف التي كان يرمي اليها لا يكتفي بالمضمون المحدد الذي تحمله المعاني . وانما تشارك فيه امور كثيرة تتعلق بشكله العام وتفصيلات اسلوب عرضه ، وتناول اساليب الألفاظ ، وبناء الجملة والاوزان العروضية التي تتداخل فيها الايقاعات ، وتحرك الموسيقى بشكل يوحى بالصور التي يستخدمها الشعراء ، والايحاءات

(١٦) تنظر في ديوانه القصائد رقم (٣٤) و (٦٢) .

التي تتخلل تلك الصور ، ويوسع مجال القدرة التعبيرية ليضيف الى المضمون القائم موجات متدفقة من الاحاسيس ، واللوان متراكمة من اللوان تترك الصورة واضحة الابعاد ، موحية التأثير . وشاعر الهجاء يسعى الى ان تكون معانيه محددة ومركزة ، حتى يستطيع ان يكون تأثيرها واضحا ومحددا ، وتتعاون في تحديد شمولية الشكل ووضوح الترتيب الموسيقي القدرة الذاتية والابداع الفني الذي يعطي هذا الغرض أهيبته الاجتماعية .

والهجاء يسعى دائما من اجل صيغة التوازن بين الأدب والحياة ، وتجديد القيمة الايجابية التي يستطيع من خلالها هذا الفن ان يحفظ تلك الصيغة ، ويترك للناس الرؤية الواضحة في مجال المعالجة الذاتية . والشاعر في قصيدة الهجاء يحاول ان يستخدم أسلوب الانتقال من الشكل العام الى الانماط التفصيلية في بعض الاحيان لان حقيقة الهجاء تكمن في الانسان وان الشكل والصورة يتدرجان في هذه المسألة لتأخذ الاجزاء التي ترتبط بهذا الانسان . النسق المتكامل .

وقد تعرض القصيدة في بعض اشكالها الى استلال الاجزاء المعنوية باعتبارها قيما أخلاقية ليصبح بعدها هذا الانسان غير قادر على امتلاك ما يحصله على الوقوف مع الآخرين الذين ما يزالون محتفظين بهذه الاشكال . وصورة الهجاء في معظم اشكالها تعتمد المفردة، وترتكز الى الدقائق الجزئية التي تترابط في اطار اللوحة الحادة ، والاشارات التي تحاول الوصول الى النقد اللاذع والتجريح الساخر .

وكما يختلف الهجاء في موضوعاته وانماطه كذلك يختلف في اشكاله فالأوزان الطويلة والقصيرة واوزان المقطوعات تكون خاضعة للشاعر ، وكيفية باليت الأول الذي يحدد بداية القصيدة بعد ان يستقر الشاعر على الصورة التي يراها قادرة على الأداء ، موفية بالغرض ، وكثيرا ما كان الشاعر يحرص على الاتساع جملة واحدة وان تحمل كل كلمة وزنها الكامل في المعنى وهي تنزع - وهذا ما يوجبه الغرض - الى التشويه ، وتميل الى استلاب الخصائص وهنا تتميز قدرة الشاعر وبراعته في معالجة العمل الفني . .

ان هذا التوجه في الهجاء ، وفي اطار المدلول الايجابي الذي حمله بدفعنا الى نعيد النظر في المقولات التي وقفت عند التعريف التقليدي لهذا الغرض وحاولت ان تدور في المعاني التي ذكرت أو التعليقات التي تحركت في دائرتها كل التفسيرات ، فالهجاء في هذا التناول يمثل محاولة اصلاح الواقع الاجتماعي بقدر مايمكن ، وتحريك الجمهور لتوجيه النقد والادانة عن طريق استلاب المعاني أو السخرية أو الغضب أو استثارة المشاعر ، لتحديد الموقف المناهض لعزل المهجو وافراذه واخراجه عن دائرة القبول ، لأن الشعر العربي عالج موضوعات الحياة معالجة دقيقة وشاملة ، وتعامل معها تعاملًا انسانيًا ينسجم والمفهوم الطبيعي ، ويتناسب مع الواقع الاجتماعي الذي حددت مساره قيم الواقع ورسخت ابعاده اشكال التجربة الحياتية ، ولهذا كانت وقفات الشعراء تمتاز بالمسؤولية ، وتتحدد من خلال المواقف التي وقفوها عند كل غرض ، والتزموا بها عند كل حدث ، وعبروا عنها في كل حديث . فالشعر صورة الحياة التي ملأت كل درب ، واتسعت لكل معنى ، وتلونت بكل لون ، وانطلقت مع احساس الناس لتروي ظمأ المتلهفين لمتابعة الأحداث ، والراغبين ، ملاحقة الأيام التي حملت في بطونها ارواح الاعمال ، واحتجنت احداثها افضل القيم ، وتمثلت في اعمال ابطالها الأنماط السلوكية والاجتماعية للبنية التكوينية لمجتمع الجزيرة في تلك المرحلة .

والشعراء وسيلة التعبير الهادفة ، وقدرة الابداع الفذة ، ونموذج التحرك الانساني الرائد الذي منح الحياة سلامة الطريق ، ووهب الانسان نشوة الحرص على الوجود ، وجسد المطامح البشرية التي كانت تعتمل في النفوس فرائد خالدة ، وروائع ناصعة ، وحمل همومهم ومعاناتهم وهي تنطلق في زفرات حادة ، واحاديث صادقة ، وتجارب اصيلة ، وقدموا اليها من الوان الواقع ودقائقه مايشهد لهم بالريادة ، ومن ضروب المشاعر ما يؤكد قدرتهم الصائبة في التقاط الاحداث ، واختيار المواقف ، وادراك النوازع ، فجاءت تجاربهم وهي زاخرة بالحياة ، ودلالات معانيهم ، وهي موحية بالالتصاق المباشر ، وربطهم المحكم وهو لوحة لما تعارفوا عليه من تقاليد .

واذا قدر لهذه الابعاد ان تظل بعيدة عن التناول ، وقدر لهذه الضوابط ان تضيع في زحمة الاحكام السريعة أو الاراء التقليدية التي طغت على كل حكم ، واذا قدر لهؤلاء الشعراء أن يعيشوا تحت مظلة المقولات القسرية التي حشروا فيها أو في دائرة النتائج التي انتهت اليها بعض الدراسات غير الدقيقة فلا بد ان تكون النظرة الجديدة محاولة لمراجعة تلك الضوابط ، وعدولا عن الاخذ بتلك الاحكام ، لتعطي الفرصة ثانية لأولئك الأشخاص الذين حملوا راية البناء ، واكدوا حقيقة الوجود ودافعوا عن معالم الالتزام التي بقيت مثلها قائمة في كل عمل خالد ، واستمرت حقيقتها رائدة في كل محال ، وعاشت قيمها أصيلة في كل موقف انساني متميز ، وليكونوا قادرين على التعبير عن أنفسهم بما يعيد اليهم بعض ما امنوا به ، ويحقق لهم جزء مما وقفوا عليه .

ان الحقائق التاريخية الثابتة قد وضعت الانسان العربي قبل الاسلام موضعا يوحى بكل ما يجعله انسانا اعد لتحمل الرسالة الجديدة ، وهياً وجوده لبداية التحرك ، واوقف طاقاته من اجل تحرير الانسان من كل ما علق به من نوازع الاثم ورواسب التطرف ، وبقايا التقاليد ، ويؤكد تلك الحقائق ايضا ان حياته التي كان يمارسها كانت حياة مليئة بمكارم الاخلاق ، وفضائل الصفات ، وروائع المثل ، وهذا ما جعله مؤمنا بالقيم الخيرة ، ومهيئاً لتسلم الامانة ، ومعدا لامتلاك ناحية الموقف الحاسم الذي ينسجم مع طبيعة تكوينه ويتفق مع اتجاه مسيرته ، وقد تحقق ذلك في الاندفاع العظيم الذي تعالت دفتاته بهذه الدعوة الاسلامية مباشرة والتي حمل الرسول الكريم لواءها ، وسار في ظلها الرواد الاوائل من الصحابة الاخيار .

ومن الطبيعي ان تكون المعالجة الانسانية لكل ما يرتبط بحياة الانسان ،
متصلة بالاهداف الكبيرة التي كان يسعى اليها هذا الانسان في كل خطوة من
خطواته ، وفي كل اشارة من اشاراته ، ولكي تكون المسألة واضحة في الذهن
قريبة من الحقيقة اثرت ان اقف عند معالجة واحدة من تلك المعالجات لاني
سبق ان قلت كلمتي في المديح الذي جاء على لسان الشعراء العرب قبل
الاسلام ، وقد اعتبرت هذا الغرض صورة من صور التوجيه الاجتماعي ،
ومحاولة للبناء الانساني الذي كان الشعراء يسعون اليه من خلال مدائحهم ،
ويجهدون انفسهم في تثبيت قواعده ، وهم يتحدثون عن الصفات التي كان
المجتمع يرى فيها النموذج الامثل ، والتطلع الافضل ، واذا استطاع هذا الغرض
ان يوطد دعائم هذه الحقيقة في الادلة التي اعتمدتها في النماذج ، والتحليلات
التي اكدتها في ثنايا البحث وطريقة التناول التي وقفت عندها . فان الهجاء مازال
يؤكد هذه الحقيقة على الرغم من الاحكام الكثيرة التي قيلت بشأنه ، أو
الصفات المتعددة التي اتهم بها ، ولعل النماذج التي وقفت عندها ، والاشعار
التي ذكرتها والنتائج التي توصلت اليها تؤكد هذه الحقيقة الجديدة التي
تعطي هذا الغرض الصورة الواضحة ، وتكشف عن التناول الجديد الذي
بسوجه يقوم هذا الغرض الشعري وفي ظل الاحكام الاجتماعية السائدة ،
والقيم الاخلاقية التي ظلت حصنا منيعا من حصون التداعي ، وسياجا وثيقا
من اسيجة البناء القومي ..

التدريب الصحفي

(« نظرة تحليلية ») (*)

د . زكي الجابر

كلية الاداب - جامعة بغداد

اضواء ساطعة

ان سياسة عدم الانحياز هي اختيار البلدان المستقلة الطامحة الى التقدم ، والى بناء علاقات دولية قائمة على الحرية والتكافؤ والعدالة .

الرئيس احمد حسن البكر

بمناسبة الذكرى التاسعة لثورة ١٧ تموز / ٩٦٨

هذه الدراسة محاولة لمعالجة موضوع التدريب للصحافة كمهنة لتوضيح الوظائف الرئيسية لمؤسسات تدريب صحفي المستقبل . وقد بنيت الورقة على الافتراض بان الصحفي كغيره من المتصلين عبر اجهزة الاعلام يستطيع التوصل الى النجاح في وظيفته من خلال التدريب من اجلها ، والعمل بها ، والمثابرة عليها^(١) ان هذا الافتراض يمكن ان يبرر بعوامل عدة ، من بينها :-

- ١ - الحاجة الى سد الهوة بين الكفاءة التقنية والخلفية الثقافية لاولئك القائمين حالياً بالمهنة .

- ٢ - الحاجة الى توظيف صحفيين ذوي اختصاص في حقول معينة^(٢) .

* قدمت في المؤتمر الاول لصحفي دول عدم الانحياز - بغداد ٢١ - ٢٤

كانون الثاني / ١٩٧٩ .

٣ - الحاجة الى الوصول والاحتفاظ بالمستوى المنشود من الثقافة والقدرة التقنية لمواجهة ما يريده المجتمع من اجهزة الاعلام . اذ ان هناك ادراكا بان الاعلام عما تقوم به اية سلطة ليس كافيا بل يضاف الى ذلك الاعلام عن « لماذا » تحقق هذا العمل^(٣) . لقد ازداد عالمنا تعقيدا على المستويين الانساني والثقافي ونتيجة لذلك فقد ازدادت ايضا مسؤوليات اولئك الذين هم في مواقف اعلام الشعب عبر قنوات الاتصال الجماهيرية .

٤ - ان عالمنا يشهد عهد انهزام المنطق الشكلي والقوانين التي تستثنى الحركة وتنكر التغيير صوب العدالة الاجتماعية ، وهناك تدعو الحاجة الى جيل فعال من الصحفيين الذين لديهم الاستيعاب الكافي للاحداث الجارية وفلسفة الصحافة في عصرنا المتغير^(٤) .

٥ - هذا ، وعلى اعتبار نشر المعلومات هو احد العوامل الهامة في حل مشكلات عالمنا^(٥) ، فان هناك حاجة لتحسين نوعية الخدمة الاعلامية وفي الوقت ذاته تجنب تعلم مهنة الصحافة على حساب القراءة^(٦) . ولكن عبر السنوات لم يكن هناك اتفاق على صيغة معينة للتدريب لمهنة الصحافة . لقد كانت البرامج متغيرة وستبقى متغيرة من قطر الى اخر ومن منطقة الى اخرى عبر الزمن وفقا الى تغير الحاجات^(٧) . وفي وثيقة قدمتها اليونسكو عبر المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى مؤتمر الامم المتحدة حول حرية الاعلام في اذار ١٩٤٨ ، حاولت اليونسكو ان تبرهن ان الصحافة الان مهنة وذات مركز مشرف . ولكن بالرغم من ان عمل الصحفي قد توقف عن ان يكون ميدانا للهواة والمرجلين ، والصحافة غدت مهنة يجب ان تتعلم ولا زال الشوط طويلا للاتفاق حول اساليب المعاهد او نوع التدريب المطلوب للمهنة^(٨) . وقد اعلن فريدس . سيرت كرئيس لجمعية التربية الصحفية قائلًا : ان ما كان ملائما للتربية من اجل الصحافة قبل عشرين او حتى عشر سنوات لم يعد ملائما لمتطلبات عالمنا المعاصر . . ان اهم حدث مفرد في تاريخ الانسانية وقع عندما تساءل الانسان لاول

مرة ، ماهو الجديد^(٩) . الى جانب عدم الاتفاق حول صيغة التدريب

والتأهيل يوجد اتفاق حول الشاب الذي ينتمي الى صف التدريب ،

الاتفاق على ان يكون متطلعا ، جيد الكتابة ، راغبا في العمل والتعلم ،

يعتمد عليه مع شعور بالمسؤولية ، وينسجم مع الناس .. ذا شخصية

غير مملّة مع روح النكته والحماسة ^(١٠) .

واذا كانت الكلية او الجامعة لا تخلق عاملا احسن فان خريج معهد

التدريب اكثر قربا لان يكون صحفيا احسن^(١١) .

ومن هنا فان الغرض هو تزويد مؤسسات الاتصال بال جماهير بصحفيين

اكفاء يحبون مهنتهم ويتمتعون بالخبرة وميزات احترافهم . وكعلامة مشجعة

فقد اشارت دراسة اجريت حديثا حول الطلبة الذين انضموا توا الى قسم

الاعلام في كلية الاداب / جامعة بغداد ، ان ٧٥٪ منهم قد اعرّبوا رغبتهم في

ممارسة عملهم في المستقبل وان ٩١٪ منهم يعتقدون برفعة مستوى مهنتهم ،

وان ٧٧٪ يعتقدون بأنهم سيحظون باحترام المجتمع .

ان مهنة الصحافة التي ندافع عنها ونعني بها ، ينظر اليها كمجموعة من

الصفات لعمل تجعله متميزا عن الاعمال الاخرى^(١٢) هذه الخصائص يمكن

تلخيصها كما يأتي :-

١ - امتلاك تقنية متخصصة مسندة بنجموعة من النظريات .

٢ - امتلاك حرفة تسندها جمعية من زملاء .

٣ - امتلاك مكانة مسندة باعتراف المجتمع^(١٣) .

ان تعريف المهنة ينبغي ان ينضم الى جانب اشياء اخرى كاعتراف الاعضاء

بميثاق اخلاقي ، وتوجه الى مصلحة المجتمع ، ونظام للمكافآت المعنوية

والمادية ، كما ينبغي ان تضم عملية الاحتراف قيام مؤسسات تدريبية ذات

اشكال محددة لتخريج العاملين الجدد^(١٤) ان السؤال الذى ينبغي ان يسأل هو عن الشخص المؤهل الذى يعلم ويدرب الصحفيين الجدد ، لقد جرت محاولات للبرهنة على ان هذا الشخص ينبغي ان يمتلك اطلاعا وفهما مستوعبا لما يأتي :-

١ - ادارة مؤسسات الاعلام •

٢ - تدفق الاخبار •

٣ - تكوين الرأى •

٤ - عمليات التقنية •

ولا يمكن ان يضطلع بهذه المتطلبات ويضمن النجاح لشخص سواء كان حملا شهادة دكتوراه الفلسفة في الاتصال بالجههير او المدرب الذى اكتسب خبرته من الممارسة الميدانية •

ان معهد الاعلام ينبغي ان يضم جهازا يمتلك خبرة مهنية تمكنهم من تزويد طلبتهم بالخبرات المطلوبة للاتصال والتي تتضمن الخبرات الشفوية وغير الشفوية للاتصال ، التحرير والتحقيق ، تاريخ وفلسفة الاعلام ، قانون الاعلام ، نظريات الاعلام وطرق البحث اضافة الى ادارة اجهزة الاعلام واقتصادياتها^(١٥) ولمواجهة هذه المتطلبات فقد ارتوى ان تتكامل الدكتوراه مع الممارسة العملية من خلال بناء جهاز تدريسي عن طريق الاختبار وفي الحقيقة، لا يوجد مدرس واحد يمتلك كل الخصائص المطلوبة ولكن الجهاز التدريسي كمجموع يمكن ان يحقق ذلك فعن طريق الاختيار عبر مدة من الزمن ، يستطيع الرئيس المدير لقسم تأهيل الصحفيين ان يضم تشكيلا من المدرسين ذوي قابليات وخلفيات ثقافية مختلفة يكمل بعضها بعضا^(١٦) •

خلال عملية تعيين المدرسين ، على المعهد ان يلاحظ التحديات التي سيواجهها المتخرجون الجدد • هذه التحديات الجديدة كما نراها يمكن تلخيصها بما يأتي :-

١ - ان الصحفي في معالجته المشكلات الاجتماعية من الممكن الا يرى قبة الجبل الجليدي العائم ، اذ ان الجزء الاكبر يبقى غير مرئي او تحت السطح . ولو ان تأهيل صحفي المستقبل ، يجب ان يضم اللغة والادب والتاريخ والفلسفة والقانون والالعب فأن هناك حاجة ماسة الى الاحصاء ايضا .

ان الشعب يحتاج الى من يوضح الاحصاءات التي تغطي جانبا يسيرا من الصحافة في عصرنا الحديث . والاحصائيات كمؤشرات للحياة الاجتماعية ينبغي ان تتحول الى معلومات واضحة وذات دلالة وان العلل الاجتماعية ينبغي ان تبحث ضمن الاطار العام لمجمل القضايا التي تمس المجتمع . وضروري ان توضح بصورة منظمة لكي تهىء للناس تحديد مواقفهم من هذه العلل اخذين بنظر الاعتبار اهدافهم وما يقوم به النظام الاجتماعي المحيط بهم ككل (١٧) .

٢ - وفي عملية بحثه ، على الصحفي ان يقترب ما امكن من الباحث الاجتماعي . انهما يشتركان في كثير من الوجوه ، الاهداف ، الاتجاهات ، الموضوع وطرق الوصول . انهما يشتركان بداية البحث ببناء سؤال يستند على ارضية نظرية ، ويقترحان فرضيات ، يثبتان او يرفضان هذه النظريات ريبينان اسباب الرفض او القبول . والمقترح هو ان يعمل الصحفيون كما يعمل العلماء على التعبير الكمي والبحث عن ثبات النتائج وصحة ما اذا كان المقاس هو المنشود قياسه (١٨) . . غير ان الصحفيين يمكن ان يختلفوا عن العلماء في طريقة الكتابة . وبالرغم من ان الواضح مطلوب كعنصر اساس في الكتابة الصحفية وتدوين العلوم الاجتماعية ، فان الصحفي مطالب ان يكون قادرا على كتابة الاخبار البسيطة والمعقدة مستخدما ادوات التعبير بشكل مناسب وتحت ضغط الموعد المحدد لتقديم التقرير او الخبر الصحفي (١٩) .

٣ - ولا زال هناك نوع من الاختلاف بين رغبات الاكاديميين والصحفيين ولكن يوجد هناك من الصحفيين المحترفين « والمتعصبين » الذين لا زالوا ينظرون بعين الشك الى قدرة مدارس ومعاهد التأهيل الصحفي للاضطلاع الناجح بما انشئت من اجله . ولكن من المهم جدا استخدام الصحفيين المحترفين للصف المدرسي وفق اسس منظمة . ومن الامور الاساسية ايضا اقامة علاقة مثمرة بين التربية الصحفية والمهنة ، وبين الوسط المحترف وبين مدرسي الاعلام (٢٠) .

٤ - ان التغيير في اجهزة الاعلام والذي اتخذ مكانه كنتيجة للتقدم الهائل في العلوم الالكترونية لن يكون له تأثير كبير على الاخبار ذاتها ما لم يكن هناك أولا تغير في تهئية الصحفي الجديد . ان اتجاهات الصحفي الفكرية والعاطفية الى جانب تعليمه وتدريبه وخلقته الثقافية تقرر ما يقال للجمهور اكثر من تأثير اى نوع من المطابع والاشربة كاميرات التصوير الفوتوغرافي والسينمائي التي تحمل الرسالة الاعلامية (٢١) .

٥ - وسواء اتخذ التدريب في داخل الجامعة او خارجها على مدى طويل او على فصول قصيرة ، فانه من الضروري تبني طرائق حديثة في تعليم الاتصال بال جماهير والعمل على توظيف الاساليب الجديدة في التعليم المبرمج لدراسة التحرير والاخراج وكذلك استعمال التسجيلات الصورية في دروس الاعلام (٢٢) .

٦ - ومع ان الصحافة كغيرها من المهن تحتاج الى نوع من التأهيل فان الصحفي لا يمكن ان يصنع كما تصنع الكعكة الشهية . يحتاج الصحفي لكي ينضج مدة تقارب عشر سنين ، لذا فانه من المستحسن تقديم دورة منتصف المهنة في الكليات او المعاهد للشباب الذين تم تعيينهم في المؤسسات الصحفية (٢٣) ان استمرارية التعليم ضرورية لتطوير الخبرات الاساسية من اجل التوصل الى تخصص في حقول معينة مثل الصحافة الزراعية ، الصحافة الاقتصادية والتصوير الصحفي .

٧ - مع تنامي عدد الوظائف الجديدة في الحقل الواسع للاعلام كما في الاقسام المختلفة من اقسام وزارات الاعلام والتجارة والخارجية ، فانه من المقبول الاستفادة من المدرسين في مختلف المعاهد العلمية سواء اتخذ التأهيل مكانه داخل الجامعة او في معهد متخصص خارج الجامعة^(٢٤) .

٨ - لوحظ ان البحث على المستوى العالمي قد فشل في سد الثغرة القائمة

بين البحث الصحفي والتطبيق اليومي في غرفة الاخبار . ولوحظ كذلك

ان التطبيق اليومي في الميدان الاعلامي لم يستفد بشكل كلي من نتائج

البحوث في تدفق الاخبار والتعرض الالتقائي^(٢٥) . واذا كان مما يوصي

به اعتبار البحث من وظائف مؤسسات التأهيل الاعلامي ، فمما يوصي به

ايضا البدء ببناء برامج التدريب على ما تم التوصل اليه من نتائج في

حقول البحث الاعلامي .

٩ - وبسبب كما هو مفترض من النوعية العالية للتدريب فان مؤسسات

التأهيل مطالبة لان تكون مراكز لنشر تحقيقات متسمة بالعمق في

مواضيع ذات اهمية متصلة بمصلحة المجتمع . وفي ضوء التحليل السابق

للتحديات ، فأثنا نوصي بان تكون معاهد التدريب الصحفي :-

١ - مراكز تدريب ل صحفيي المستقبل وللصحفيين الممارسين معا .

وتقوم هذه المراكز بتزويدهم بالخبرات الاعلامية الاساسية

المتطورة الشفوية منها وغير الشفوية بالاضافة الى تاثير هذه

الخبرات بمعرفة نظرية واسعة ، ان التأهيل يمكن ان يأخذ مداه

عبر فترة قصيرة او طويلة بناء على الحاجة .

٢ - كمراكز للبحث لتطوير فهم لتدفق الاخبار ، والتحقيقات

والاتجاهات وكيف يدركها الناس ويستعملونها ضمن مختلف البيئات

الطبيعية والاجتماعية *

٣ - كمراكز لنشر تحقيقات تتسم بالعمق وتعالج مواضيع ذات مساس

بالحياة العامة * وفي هذا الصدد فان الصحفي يجب ان يدرب ليس

على جمع الاخبار وصياغتها بل كيف يعطي معاني لهذه الاخبار

على اعتباره قائدا ومكتشفا وناقدا^(٢٦) وعلى هذه المراكز ان تضع

في حيز التطبيق اخر نتائج البحث الاعلامي *

وفي الوقت الذي تجد فيه مؤسسات تأهيل الصحفيين اهتماما في كل البلدان المتقدمة صناعيا، لا بد لنا ان نذكر ان تأهيل صحفيي البلدان النامية ، ومنها دول عدم الانحياز ، يمكن ان يتخذ اساليب اخرى نختلف عما هو متبع في البلدان المتقدمة صناعيا .. علما بان هذه الاساليب يمكن ان تختلف من قطر الى اخر وفقا للتطور الثقافي والتقدم الاجتماعي والاقتصادي وتصور النخبة السياسية في تزويد الشعب بمعلومات واضحة ومكتوبة بشكل جيد عن انفسهم وعن الناس الاخرين في العالم *

ان مؤسسات التدريب والتأهيل يمكن ان تتبع واحدا او اكثر من واحد من الاساليب الاتية :-

١ - التدريب اثناء الخدمة من خلال التعلم عن طريق الخبراء المتوفرين في المؤسسة الاعلامية *

٢ - التأهيل والتدريب في جامعة او كلية *

٣ - الدورة التدريبية في مؤسسة خاصة خارج او داخل القطر *

٤ - التعاون الاقليمي من خلال البحث والتعليم وطبع النشرات والدوريات والمشاركة بالمعلومات •

٥ - عقد حلقات النقاش والمؤتمرات لبحث اخر التطورات في حقل الاتصال بالجماهير •

٦ - تبادل وجهات النظر والزيارات بين الطلاب والمدرسين في الحقل الواسع للاعلام (٢٧) •

٧ - عقد برامج للتدريب والتثقيف بمساعدة من المؤسسات الصحفية المهنية في البلدان غير المنحازة واليونسكو ومنظمة الصحفيين العالمية وغيرها من المنظمات الصحفية التي تعني بتدريب الكوادر الصحفية الشابة •

اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان واجهات عدة للصراع لا زالت باقية في عالمنا ، فاننا ينبغي ان ندرك ايضاً ، ان الصحفيين مواطنون اعدوا للحياة في اطار البيئة السياسية والاجتماعية لوطانهم ، ولكن على الصحفيين في بلدان عدم الانحياز الا يجدوا خلافاً بين كونهم مواطنين وادوارهم كصحفيين في سعيهم نحو السلام والدفاع عن كرامة الانسان • ان على مؤسسات الاعداد الصحفي ان تذكر طلابها باهمية بناء السلم والصداقة الحقيقية • ان انتقال المعلومات عبر القنوات الرسمية في الوسط الدولي يمكن اعتباره اقل من المعلومات التي تنتقل عبر اجهزة الاعلام وعليه فانه لا يمكن اغفال اهمية التحقيقات الاخبارية في الاعلام الدولي واتخاذ القرارات (٢٨) •

ومع نمو التعقيد على المستوى العالمي فقد ازدادت معه مسؤولية اولئك الذين هم في مراكز الاعلام عبر اجهزة الاتصال الجماهيرية ؛ وعلى مدارس الصحافة وغيرها من معاهد التدريب وتأهيل الاعلاميين في الاقطار غير المنحازة ان تخلق تشابكاً في الاراء الفلسفية حول تطوير الانسان وبناء سلام عادل يقوم على العدالة فوق الارض •

وفي ضوء التحليل اعلاه فأنا نصل الى خلاصة ترى ان التعليم المهني
للصحفيين لا يمكن ان يقام بالتعاون مع مؤسسات لديها نوع او اخر من
الصلات مع مراكز الاستعلامات الاستعمارية او مع دوائر المعلومات لما
« وراء البحار » . لقد علم الرفيق صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية
ابناء شعبه قائلاً : « للقلم والبندقية فوهة واحدة » إن هذا المبدأ يصلح ان
يشكل استراتيجية تأخذها بعين الاعتبار اية مؤسسة تدريبية لصحفيي
عدم الانحياز .

اننا نؤمل من صحفيي المستقبل ، وكذلك اولئك الذين تم انخراطهم
كصحفيين في بلدان عدم الانحياز ان يجدوا في مدرسة التضامن التي
ستفتح قريباً في بغداد مركزاً جيداً للتدريب والتأهيل ولفترات قصيرة ومن
الممكن ان تقدم هذه الدورات ، المتخصصة دورات متداخلة مع فلسفة
المصاحفة في بلدان عدم الانحياز .

FOOTNOTES

- (1) Carl Warren wrote : "The notion that newspapermen are bron, is nonsense. "See **Modern News Reporting** P. 1
- (2) See Bernard J. Hall, **Basic Training in Journalism** P. 11
- (3) Ibid P. 9
- (4) See George Novack, **An Introduction to the Logic of Marxism** pp. 54 — 68
- (5) See Robert W. Desmond, **Professional Training of Journalists** p. 16
- (6) Ibid.
- (7) Ibid p. 54
Arville Schalebon states "Man has progressed according to his ability to communicate." **Your Future in Journalism** p. 18
- (8) U.N. Economic and Social Council E/Conf. 6/33.23 March 1948. See also Robert W. Desmond, **Professional Training of Journalists** pp. 1 — 12
- (9) See Arville Schaleben, **Your Future in Journalism** p. 46
- (10) Ibid. pp. 48 — 9
- (11) Ibid. pp. 59 — 60

In a study conducted by Wall Street Journal, ninety-one out of a hundred and twenty-eight managing editors, said they would hire journalism graduates ahead of general graduate grades. Only twenty-nine favoured the latter; eight indicated no preference. Ibid. p. 44.

- (12) Oguz B. Nayman, **Professional Orientation of Journalists: An Introduction to Communication Analysis Studies**, Gazette. Vol. 25. No. 4, 1973. p. 206
- (13) Ibid. p. 207
- (14) Ibid.

- (15) See Richard G. Gray, **For 70s and Beyond Hire Electic J. Faculties**. Paper presented at the Conference on Education for Newspaper Journalists in the Seventies and Beyond, 1973.
- (16) Ibid.
- (17) See Maxwell McCombs **Social Indicators for Local Communities** in **Handbook of Reporting Methods**. M. McCombs D. Shaw and D. Grey pp. 20—41
- (18) See James W. Tanhard, Jr., **Reporting and Selentific Method**. pp. 42 — 77
- (19) See David M. Jones, "Editors, Educators anr Close on What Makes a Newsman", **Journalism Educators** Vol. 33, No. 2, July 1978. pp. 17 — 20
- (20) See John Hohenberg, **The News Media : A Journalist Looks At His Profession** p. 296
- (21) See Robert L. Jones **Journalism in the Joyful Sixties**, **Journalism Quarterly**, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968, pp. 729 — 34.
- (22) John Hohenberg, **The News Media** p. 294
- (23) On the effectiveness of programmed instruction as a method for teaching news writing skills, see William E. Francois, **Programmed Instruction of News Writing Skills**, **Journalism Quarterly**, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968. pp. 735 — 38
- (24) See John Hohenberg, **The News Media**, pp. 297 — 99
- (25) See May Katzen, **Mass Communication Teaching and Studies at Universities**, p. 254
- (26) Ibid p. 263
- (27) See Wilbur Schramm, **Mass Media and National Development** pp. 217 — 22
- (28) J. Herbert Altschull, **Government Dialogue Through the Mass Media**, p. 2

BIBLIOGRAPHY

- Altschull, Herbert J., **Government Dialogue Through Mass Media** Monograph, Indiana University, Bloomington, Indiana, 1978.
- Desmond, Robert W., **Professional Training of Journalists**, UNESCO, Paris, 1949.
- Prancois, William E., **Programmed Instruction of News Writing Skills**, *Journalism Quarterly*, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968. pp. 735 — 38.
- Gray, Richard G., **For '70s and Beyond Hire "Electric J. Faculties"**, Paper presented at the "Conference on Education for Newspaper Journalists in the Seventies and Beyond", October 31, November 1,2, 1973. Reston, va.
- Hall, Bernard J., **Basic Training in Journalism**, Pergamon Press: London, 1968.
- Hohenberg, John, **The News Media : A Journalist Looks at his Profession**. Holt, Rinehart and Winston, Inc.: N.Y., 1968.
- Jones, David M., **"Editors, Educators are Close on What "Makes" A Newsman"**, *Journalism Quarterly*, Vol. 33, No. 2, July 1978. pp. 17 — 18.
- Jones, Robert L., **"Journalism Education in the Joyful Sixties"** *Journalism Quarterly*, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968. pp. 729 — 35.
- Katzen, May, **Mass Communication Teaching and Studies at Universities**, The UNESCO Press, Paris, 1975.
- McCombs, Maxwell, **Social Indicators for Local Communities**, Handbook of Reporting Methods, edited by M. McCombs, D. Shaw and D. Grey Houghton Mifflin Co. : Boston, 1976.
- Nayman, Oguz B., **Professional Orientations of Journalists: An Introduction to Communication Analysis Studies**. *Gazette* Vol. 25, No. 4, 1973. pp. 195 — 212
- Novach, George, **An Introduction to the Logic of Marxism**, 4th ed. Pathfinder Press, N.Y. 1975.
- Schaleben, Arville, **Your Future in Journalism**, Richards Rosen Press, Inc. : N.Y., 1961.
- Schramm, Wilbur, **Mass Media and National Development**, Stanford University Press : California, 1973.
- of Reporting Methods, edited by M. McCombs, D. Shaw and
- Tankard, James Jr. **Reporting and Scientific Method : Handbook** David Grey. Houghton Mifflin Co. Boston, 1976.
- Warren, Carl, **Modern News Reporting**. 3rd ed. Harper and Row, Publishers : N.Y., 1959.

Journalism Training

"Analystic View"*

Dr. Zeki Al-Jabir

College of Arts

University of Baghdad

Republic of Iraq

HIGHLIGHTS

"The non-alignment policy is the true volition of independent states aspiring to progress and to the establishment of international relations based on freedom, equality and justice."

President Ahmed Hassan Al-Bakr

on the Occasion of the Ninth

Anniversary of July 17

Revolution of 1968

This study is an attempt to deal with the issue of training for journalism as a profession, to delineate the main functions of the training institutions for prospective journalists. The paper is based on the assumption that newspaperman, as well as other communicators through mass media, can achieve success in his job through training for it, working at it and sticking to it (1). This assumption is justified by many reasons, among them:

* Unpublished study conducted by Zeki Al-Jabir

1. The need to bridge the gap between technical efficiency and educational background of those who have been already on the job.
2. The need to employ journalists with specialisation in certain areas (2).
3. The need to achieve and maintain the required level of education and technical ability to meet what society wants from the mass media. It has been realized that it is not enough to inform about "what" the public is doing but also "why?" it is being functioned (3). The complexity of our world has grown both on human and technical levels. As a consequence, it has increased also the responsibility of those who are in positions of informing people over the channels of mass media.
4. Our world is witnessing the era of defeating the formal logic and the laws which exclude movement and deny change toward social justice. There is a growing need for young energetic generation of journalists who have enough grasp of current affairs and press philosophy of our changing time (4).
5. On the consideration that the diffusion of information is one of the most important elements in solving the problem of our world (5), there is a need to improve the quality of information services and to avoid, at the same time, learning the profession of journalism on the expense of the readers (6).

However, through the years, there was no agreement on a certain form for professional training in journalism. Programs were varied and will stay varied from a country to another and from a region to another over time according to the change of needs (7). The UNESCO in a document submitted to the United Nations Conference on Freedom of Information through the Economic and social Council, in March 1948 agreed that "journalism is now a profession, with a honorable status. But though the career of journalist has long since ceased to be the province of amateurs and improvisers, and though it is generally admitted that journalism is a profession to be learned, agreement on the methods of instruction as type of apprenticeship required is still a long way off (8).

When Fred S. Siebert retired as president of the Association for Education in Journalism, he stated "what was an adequate education for journalism twenty or even ten years ago is no longer adequate for the demands of the contemporary world. The most important single event in the history of the human race was when man first asked, "what's new?" (9).

Along with this disagreement on the form of training, there has been agreement on the young who will enroll in training class. He has to be curious, reasonably good writer, willing to work and learn, dependable with the feeling of responsibility, able to get along with people. He must have pleasant personality with a sense of humor and enthusiasm (10).

Though attending colleges or training institutes does not create better worker, the graduate of such institution is more likely to be a better journalist (11).

Hence, the aim is to provide mass communication establishments with qualified journalists who like their profession and enjoy the skill and benefits of their profession. As encouraging sign in a study conducted recently, (75%) of the students who have already enrolled in the Department of Mass Communications in the College of Arts of Baghdad University expressed their interest to follow the path of their study and to be a "professional" journalists. It is interesting also to note that about (91%) of them are thinking highly of their jobs as media men and women. In addition to that (77%) of them think they will enjoy the respect of their society.*

The profession of journalism, which we are arguing for and concerned about, has been seen as "a set of specific characteristics by an occupation which distinguishes it from other occupations (12).

These characteristics were summarized as follows:

- (1) The possession of specialised technique supported with theory;
- (2) The possession of a career supported by an association with colleagues, and

* Unpublished study conducted by Zeki Al-Jabir.

- (3) The possession of a status supported by community recognition (13).

The definition of profession has to include, among other things, a recognition of a code of ethics by the members of the profession, an orientation to the community interest rather than individual self interest, and a system of monetary and honorary rewards. The process of professionalisation has to involve, other formal training institutions for the new recruits (14).

The question which ought to be asked is about the qualified person that teaches and trains the new recruits. It has been argued that this person should have familiarity and basic understanding of:

- (1) Media organisation,
- (2) The flow of news, from story conception to front-page article.
- (3) Opinion formation, and
- (4) Technical process

In dealing with such demands neither the scholar with his ph.D. in mass communication nor the trainer with his experience in the field can guarantee the success. The mass communication institution should include faculty with professional knowledge that enables them to provide their students with the required skills of communication which include non-verbal communication skills, verbal communication skills, editing and reporting skills, history and philosophy of the media, communication law, communication theory and methodology, media management and economic (15). To cope with all these demands, it has been suggested that, the Ph.D. and media experience can be integrated through building an eclectic journalism faculty.

True, no single teacher can be expected to possess all of the desired traits. But, collectively the faculty can. By selective hiring over a period of time, the wise journalism chairman can assemble a wide array of teachers with varied talents and backgrounds who complement one another (16).

Through the procedure of hiring, the institution has to notice the new challenges which the new recruits will face. The new challenges, as we see them, may be summarized as follows:

(1) In dealing with social affairs, the journalist may only see the tip of iceberg. The major part will remain invisible beneath the surface. Through the training of prospective reporters should include language, literature, history, philosophy law and sports, there is an urgent need to include statistics.

The people need some one to interpret the statistics which cover not a small part of the press in our modern time. The statistics as indicators of social life should be transformed into clear and meaningful information. The social ills ought to be discussed in the context of overall social matters. They have to be related in order to help the people assess their attitudes towards these ills with the consideration of their values and goals and the performance of the surrounding system as a whole.

(2) In his investigation, the journalist has to become, as near as possible, to a social scientist. He shares with him, in many aspects, the goals, attitudes, the subject matter, and techniques. They share the beginning of their investigation with a question building on theoretical background, suggesting hypothesis, confirming or refuting these hypothesis, and explaining the reasons behind acceptance or rejection. It is suggested for the journalists, as the scientists have been doing, to look after quantification and seeking reliability and validity of the applied measure (18).

However, the journalist may differ from the scientist in the way of his writing. Though the clarity is an essential aspect of writing in both of the fields: social science and journalism, the journalist has to be able to write complex and simple news using his tools of expression properly under certain pressure; the pressure of deadline (19).

(3) There is still a kind of separation between academic community interests and those of the journalists. There are still hard-nosed professional journalists who are still looking with suspicion to schools and institutions of journalism. Yet, it is very important to bring

professional journalists into classroom on regular basis. It is essential to have a productive relationship between journalism education and the profession, between the professional scientists and journalism educators (20).

(4) The change in the news media which takes its place as a result of the developing revolution in electronic science will not have a great impact on the news itself unless there is a change first in the process of shaping the new journalist. His attitudes of mind and heart, as well as his education, training, and background, will do more to determine what the public is to be told than any kind of tube, press, tape, or camera that carries his message (21).

(5) Whether the training is within the university or not, on long term basis or short sessions, it is important to adopt newer methods of teaching mass communication and to work with the new technique of using programmed lessons in editing and layout and utilizing videotaped material in mass media classes (22).

(6) Although journalism like any other career demands some training, yet the journalist cannot be made like a cookie. The journalist needs as about ten years to mature. It is advisable to offer mid career program in colleges or institutions for youthful but established journalists (23). The continuity of learning is essential to develop the basic skills and to achieve specialisation in specific areas, e. g. agricultural journalism, business journalism, press photography.

(7) With the growth of many new occupations in the broad field of mass communication such as in different departments of information, commerce, foreign affairs, it is plausible to get advantages from the faculty of different academic institutions whether the training is carried on in a university or a special institution (24).

(8) It is conceived that research, on the international level, has failed to bridge the gap between journalism research and the daily practice inside the news room. It is noticed also that the daily practice in the field has not taken much advantages from, for example, research findings in the flow of communication, and selective exposure (25). While it is advisable to consider research as a function of

training institution, it is advisable also to start developing the training programs on what have been already achieved, by communication research.

(9) Because of, as it supposed, high quality of training, the institutions are required to be centres for disseminating in depth reports investigating issues of special interest and importance to the community.

In the light of the above analysis of challenges, we recommend that the training journalism institutions can function:

(1) As training centers for prospect journalists and for young journalists who have established themselves. The centers can provide them with the basic and well developed verbal and non-verbal communication skills in addition to frame these skills with a broad theoretical knowledge. The training may take short or long term according to the needs.

(2) As research centers for the development of authentic understanding of the flow of news, features, and editorials, and how people perceive and use them within the context of their different natural and social environments.

(3) As centers of disseminating in depth reports dealing with urgent issues. In this context, the journalist has to be trained not only to gather and report news but also to give meaning to the news as a leader, innovator and critic (26).

These centers have put in practice the latest results in communication research while training institutions are getting more attention in all the developed countries. It is worthwhile to mention that training journalists of the developing countries may take approaches that differ from those in the developed world, these approaches may also differ on the bases of literacy rate, economic and social development, and political elite perception of providing people with clear and well written information about themselves and other people of the world. The training and qualifying institutions may adopt one or more than one of the following approaches:

(1) On the job training: through learning from experts within the communication establishments.

(2) Training and qualification in a university or college.

(3) Training session in special institution inside or outside the country.

(4) Regional cooperation through research, teaching, publishing pamphlets and periodicals, and sharing information.

(5) Conducting group discussions, seminars and conferences to investigate the latest development in the field of mass communication.

(6) Exchange of views and visits between students and educators in the broad field of mass communication (27).

(7) Conducting training and educational programmes with the assistance of press professional organisations in nonaligned countries, the UNESCO and IOJ.

With the understanding that different aspects of conflict are still existing in our world, one has to understand also that journalists are citizens socialized within the sociopolitical environment of their countries. However, journalists of the non-alignment nations have to find no conflict between their beings as citizens and their roles as reporters in their search for peace and defending human dignity. Journalism institutions have to remind their students of the importance of their jobs in building peace and true friendship.

Whatever information flows along official channels in the international family, it is considerably less than the information which moves through "news channels". Hence, one cannot dismiss the importance of news reports in international communication and decision making (28). With the growth of international conflict, it has grown also the responsibility of those who are in position of communicating over the mass media.

The schools of journalism and other institutions of training and qualifying communicators in non-alignment nations have to interweave the approaches of training with the philosophical concepts of developing man and building peace based on justice all over the world. This, of course, is not an easy task.

In the light of the above analysis, one can arrive at the conclusion that professional training of journalists cannot be based on cooperation with institutions that have one type or another of the imperialist information centers or with any "Overseas Information Offices". Comrade Saddam Hussein, the President of Iraq taught "For the pencil and the rifle, there is one barrel". This training doctrine may serve as strategy to be considered by all professional training institutions in non-aligned countries.

We hope that the prospective journalists and those who established themselves as journalists in non-aligned countries can find in the school of solidarity which will be opened soon in Baghdad as a good center for short training and qualifying session that be held on regular basis. These sessions may offer special session interwoven with the basic concepts of press philosophy in non-aligned nations.

* Presented at the 1st Conference of Journalists of Non - Aligned Countries, Baghdad, Jan. 21st - 24th, 1979.

FOOTNOTES

- (1) Carl Warren wrote: "The notion that newspapermen are born, is nonsense. "See **Modern News Reporting P. 1**
- (2) See Bernard J. Hall, **Basic Training in Journalism P. 11**
- (3) Ibid P. 9
- (4) See George Novack, **An Introduction to the Logic of Marxism PP. 54—68.**
- (5) See Robert W. Desmond, **Professional Training of Journalists P. 16**
- (6) Ibid.
- (7) Ibid P. 54

Arville Schaleben states "Man has progressed according to his ability to communicate". **Your Future in Journalism P. 13**

- (8) U.N. Economic and Social Council E/Conf. 6/33.23 March 1948. See also Robert W. Desmond, **Professional Training of Journalists PP. 1—12.**
- (9) See Arville Schaleben, **Your Future in Journalism P. 46**
- (10) Ibid. PP. 48 — 9
- (11) Ibid. PP. 59 — 60

In study conducted by Wall Street Journal ninety-one out of a hundred and twenty-eight managing editors, said they would hire journalism graduates ahead of general graduate grades. Only twenty-nine favoured the latter; eight indicated no preference. Ibid P. 44.

- (12) Oguz B. Nayman **Professional Orientation of Journalists: An Introduction to Communication Analysis Studies Gazette Vol. 25, No. 4. 1973. P. 206**

- (13) Ibid. p. 207
- (14) Ibid.
- (15) See Richard G. Gray, **For 70s and Beyond Hire Electric J. Faculties**. Paper presented at the Conference on Education for Newspaper Journalists in the Seventies and Beyond, 1973.
- (16) Ibid.
- (17) See Maxwell McCombs, **Social Indicators for Local Communities in Handbook of Reporting Methods**. M. McCombs D. Shaw and D. Grey pp. 20 — 41
- (18) See James W. Tanhard, Jr., **Reporting and Scientific Method**. pp. 42 — 77
- (19) See David M. Jones, "Editors, Educators are Close on What Makes a Newsman", **Journalism Educators** Vol. 33, No. 2, July 1978. pp. 17 — 20
- (20) See John Hohenberg, **The News Media: A Journalist Looks At His Profession** p. 296
- (21) See Robert L. Jones **Journalism in the Joyful Sixties**, *Journalism Quarterly*, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968, pp. 729—34
- (22) John Hohenberg, **The News Media** p. 294
- (23) On the effectiveness of programmed instruction as a method for teaching news writing skills, see William E. Francois, **Programmed Instruction of News Writing Skills**, *Journalism Quarterly*, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968, pp. 735 — 38
- (24) See John Hohenberg, **The News Media**, pp. 297—99
- (25) See May Katzen, **Mass Communication Teaching and Studies at Universities**, p. 254
- (26) Ibid p. 263
- (27) See Wilbur Schramm, **Mass Media and National Development** pp. 217 — 22
- (28) J. Herbert Altschull, **Government Dialogue Through the Mass Media**, p. 2

BIBLIOGRAPHY

- Altschull, Herbert J., **Government Dialogue Through Mass Media**
Monograph, Indiana University, Bloomington, Indiana, 1978.
- Desmond, Robert W., **Professional Training of Journalists**, UNESCO,
Paris, 1949.
- Francois, William E., **Programmed Instruction of News Writing**
Skills, *Journalism Quarterly*, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968.
pp. 735 — 38.
- Gray, Richard G., **For '70s and Beyond Hire "Electic J. Faculties"**,
Paper presented at the "Conference on Education for News-
paper Journalists in the Seventies and Beyond", October
31, November 1,2, 1973. Reston, Va.
- Hall, Bernard J., **Basic Training in Journalism**, Pergamon Press:
London, 1968.
- Hohenberg, John, **The News Media: A Journalist Looks at his Pro-**
fession. Holt, Rinehart and Winston, Inc.: N.Y., 1968.
- Jones, David M., **"Editors, Educators are Close on What "Makes"**
A Newsman", *Journalism Quarterly*, Vol. 33, No. 2, July
1978. pp. 17 — 18.
- Jones, Robert L., **"Journalism Education in the Joyful Sixties"**
Journalism Quarterly, Vol. 45, No. 4, Winter, 1968.
pp. 729 — 35
- Katzen, May **Mass Communication Teaching and Studies at Univer-**
sities, The UNESCO Press, Paris, 1975.
- McCombs, Maxwell, **Social Indicators for Local Communities**,
Handbook of Reporting Methods, edited by M. McCombs,
D. Shaw and D. Grey. Houghton Mifflin Co. : Boston, 1976.

- Nayman, Oguz B., **Professional Orientations of Journalists: An Introduction to Communication Analysis Studies**, Gazette Vol. 25, No. 4, 1973. pp. 195 — 212.
- Novach, George, **An Introduction to the Logic of Marxism**, 4th ed. Pathfinder Press, N.Y. 1975.
- Schaleben, Arville, **Your Future in Journalism**, Richards Rosen Press, Inc. : N.Y., 1961.
- Schramm, Wilbur, **Mass Media and National Development**, Stanford University Press: California, 1973.
- Tankard, James Jr. **Reporting and Scientific Method : Handbook of Reporting Methods**, edited by M. McCombs, D. Shaw and David Grey. Houghton Mifflin Co. Boston, 1976.
- Warren, Carl, **Modern News Reporting**. 3rd ed. Harper and Row, Publishers : N.Y., 1959.

تطور صناعة الادوات الحجرية في شمالي افريقيا

د . وليد الجادر

كلية الاداب - جامعة بغداد

لقد اصبح من الواضح الان ان اقدم النماذج البشرية وجدت في قارة افريقيا ، واصبح واضحا ايضا ان اقدم الادوات الحجرية المصنوعة من قبل الانسان كانت في نفس هذه القارة ، حيث ان التجمعات السكانية في افريقيا كانت قد انتجت ادوات من الحجر منذ حوالي عام ٠ وكان الدكتور ليكي "Leaky" (١) قد عثر في عام ١٩٥٩ وفي منطقة اولدوفاي في تنجانيقا على مواقع للانسان المعروف بزنجاتروبس ووجدت معه ادوات ذات صناعة بدائية جدا ، وامكن تشخيص تلك الادوات على انها اقدم ما عرف لحد الان مما صنعته هذه الجماعات في القارة الافريقية . لقد عرفت هذه النوعية البدائية من الادوات بانها من الادوات الحصوية ومرحلة صناعتها بمرحلة الصناعية الحصوية ونسبها المتخصصون الى الفترة التي تسبق اقدم مراحل صناعة الانسان للادوات الحجرية المعروفة حتى الان بالادوات الابشيلية (٢) .

لقد كان اسلوب معاملة قطع الحجارة بدائيا الى حد ان العديد ظن في اول الامر انها ربما من صنع الطبيعة ولكن وبعد العثور على نماذج غزيرة من هذا الاسلوب في معاملة الادوات الحجرية وبشكل خاص في آسيا وافريقيا أصبح اكيداً انها كانت من صنع الانسان . ولقد عرفت اماكن عديدة عثر فيها على مثل هذه الادوات في شمال افريقيا بشكل خاص وتمتد هذه المواقع من موريطانيا الى وادي النيل ومن اثيوبيا الى المغرب والصحراء (انظر الشكل ١) . اما

في اوربا فان مثل هذا الاسلوب من الصناعة كان محدودا جدا ووجدت قطع منفردة في ايسويج في انكلترا واكتشف هنري بروي ، (H. Breuil) مشابها لهذه الاداة في البرتغال وعلى الساحل^(٣) .

لقد ازداد الاهتمام بتتبع مراحل تطور الانسان وتطور ادواته المصنوعة في قارة افريقيا بالذات وكان أهم دافع الى ذلك كثرة النماذج التي وجدت في مواقع عديدة واستمرار صناعة الادوات بشكل متسلسل تقريبا واحيانا في منطقة واحدة ، وبالنتيجة فان جدولا زمنيا يربط تطور صناعة الادوات الحجرية فيها صار منذ فترة طويلة لازما ، الى جانب الجدول القياسي الذي ظل معمولا به لفترة تزيد على القرن من الزمن والذي يستند على الادوات الحجرية المصنوعة والتي عثر عليها في اوربا وخاصة في فرنسا . لقد غطت مراحل صناعة الادوات الحجرية المكتشفة في افريقيا تلك المراحل المعاصرة لها في اوربا بل وزادت عليها بالعثور على مراحل ثانوية في تطور صناعة الادوات الحجرية خلال فترة واحدة ، هذا اضافة الى غزارة النماذج المغطية لكل مرحلة من هذه المراحل والاختلافات الجزئية التي توجد في المرحلة الواحدة نتيجة الصناعة المحلية أو نتيجة تأثيرات الهجرة السكانية وخاصة من مناطق جنوب غرب آسيا .

اما ترتيب تطور الصناعة الحجرية واساليبها في شمال افريقيا فهو كالآتي :

الدور الايوليثي : وهو فترة الصناعة الحصوية هذه والتي تغطي فترة

طويلة جدا تسبق فترة العصر الحجري القديم .

لقد عرفت مواضيع عديدة وجدت فيها نماذج كثيرة من هذه الصناعة ومن ذلك عين حنش القريب من قسنطينة في الشرق الجزائري وفي موضع قرب الدار البيضاء يسمى سيدي عبدالحمن . وجدير بالذكر ان هذه الادوات الحصوية وجدت في طبقات هذه المواقع اسفل الطبقات التي وجدت فيها الادوات الحجرية المميزة لاساليب الصناعة اللاحقة المعروفة بالابقيلية (الشيلية) والاشولية^(٤) . (انظر الشكل ٢)

كذلك عرفت الثقافة الحصوية في مواقع اخرى وجدت فيها نماذج من هذه المرحلة المعروفة بمرحلة الثقافة الحصوية في موقع مغارة العالية في طنجة . وفي هذه المغارة الاخيرة وجدت ، اضافة الى نماذج الادوات الحجرية من هذه المرحلة . ادوات اخرى تغطي مجموعة فترات صناعية لاحقة وبشكل متسلسل وصولا الى فترة العصر الحجري القديم الاوسط^(٥) .

ان هذه الصناعة المعروفة بـ « الحصوية » غطت مرحلة طويلة بحيث قسمت من قبل البعض من الباحثين الى مراحل ثانوية ومن ذلك تقسيم (P. biberson) الذي يقسمها الى اربع مراحل خلال فترتها ولقد وجد من نماذج هذه المراحل الثانوية الاربع في مواقع من شمال افريقيا وبالذات في المغرب^(٦) .

ان مثل هذه الادوات كان قد وجد في وسط وجنوب افريقيا وكذلك في اقسام افريقيا الشرقية . كما تم اكتشاف خمس طبقات بسمك حوالى مئة متر في احد المواقع في افريقيا واعطت هذه الطبقات الخمس كلها نماذج غزيرة جدا من بقايا هذه الصناعة المعروفة بالحصوية^(٧) .

وفي موقع اخر وجدت مثل هذه الصناعة في اماكن سكن قرية من بحيرة قديمة وفي احدى تلك الاماكن وجدت سبعة ارضيات سكنية متتالية فيها بقايا حيوانات ايضا^(٨) .

والواقع فان غزارة ما وجد من نماذج هذه الفترة الخاصة بصناعة الادوات الحصوية في مواضع عديدة من افريقيا قد دفع البعض الى القول انها الاصل لصناعة الحجرية المشابهة لها التي سبق وان وجدت بشكل منفرد ونزر في بعض مواضع اوربا كما سبق وان اشرت الى ذلك .

وفي الواقع فان مثل هذه المرحلة الاولى من صناعة الادوات ومنذ كانت مواكبة لوجود بقايا الانسان في نفس القارة الافريقية ومنذ اكثر من مليوني عام بينما لم توجد لحد الان ، بقايا بشل هذا القدم في اوربا .

وفي مستوطن كبير في شمال افريقيا ، وهو موقع يسمى كهف هوافتيخ
أو هوا فطيخ ، أجرى المنقب مكبرني ، (M. McBurney) حفريات منتظمة
تشير نتائجها الى استمرارية السكن في هذه المواقع ابتداء من العصر الحجري
القديم الادنى وحتى عهد الاستيطان الاغريقي في شمال افريقيا أي من حدود
القرن السابع ق م •

والمعروف ان هذا الكهف يعتبر لحد الان اكبر واوسع الكهوف التي
ترجع الى فترة ما قبل التاريخ في حوض البحر المتوسط ، وشكله نصف دائري
بقطر ٨٠ م ، ويبعد بضعة امتار عن ساحل البحر ويقع في ليبيا قريبا من مرسى
سوسة • ولقد وجد مكبرني ان طبقات الكهف وترسباته هي عبارة عن بقايا
لتجمعات سكانية مرتبة بقاياها بشكل طبقات افقية واضحة هي كالآتي ابتداء
من الاعلى الى الاسفل :

• بقايا استيطان اغريقية •

• اثار الليبيين القدماء •

• اثار العصر الحجري الحديث في المنطقة •

• مرحلة التدجين •

• اثار الصناعة القفصية - الليبية المتأخرة ، أي من حدود ١٠ر٠٠٠ -

• ٧ر٠٠٠ ق م •

• ادوات من المرحلة المعروفة بالوهرانية : ١٤ر٥٠٠ - ١٠ر٠٠٠ ق م •

ادوات حجرية من العصر الحجري القديم الاعلى المشابهة لما وجد منها في
مناطق عديدة من شمال افريقيا وفلسطين ومناطق اخرى عديدة في جنوب غرب
اسيا والتي يعود تاريخها الى الفترة بين ٤٠ ألف الى اربعة عشر الف عام ق م •
ادوات من العصر الحجري الاوسط (ليفالوازي - موستيري) ، اي من
الفترة المحصورة بين ٦٠ر٠٠٠ - ٤٠ر٠٠٠ سنة ق م •

بقايا اثرية من فترة حوالى ٩٠٠٠٠ سنة ق.م ، واعطت هذه الاخيرة معلومات ثمينة عن طبيعة التبدلات الخاصة بالحيوانات والنباتات (١٠) .

ان نتائج حفريات مكبرني في كهف هوافطيح هذا والذي يقع على اساحل الليبي تتأكد من خلال نتائج حفريات اخرى في مناطق تقع هذه المرة في اقصى الشرق من الشمال الافريقي . ولقد اثبتت الحفريات المنجزة في المناطق الاخيرة نتائج مشابهة لمعظم العصور المتسلسلة التي وجدها مكبرني في كهف هوافطيح فنحن نعرف مثلاً من خلال دراسة بقايا ما يعرف بالمدرجات البحرية والمنخفضات الواقعة بالقرب من واحة الخارجة غرب النيل ، ومن الاختبارات التي انجزتها الباحثة الاثرية كاتون تومبسون في مدرجات بحيرة قارون ان هناك اثاراً تغطي المنطقة وتوضح تتابع السكن فيها ابتداء من العصر الحجري القديم الاسفل وحتى العصر التأريخي في مصر (وصولاً الى بداية عصر الاسرة الرابعة) (١١) .

ولقد افردت الباحثة [تومبسون] نتائجها على شكل جدول يوضح موجودات الطبقات أو المدرجات وعلى النحو التالي :

- مدرج على عمق ٤٣ م وجدت : بقايا فأس يدوية من الحجر (من مدرج مجاور)
- مدرج على عمق ٤٠ م وجدت : الات ليفالوازية .
- مدرج على عمق ٣٤ م وجدت : الات مستيرية .
- مدرج على عمق ٢٨ م وجدت : الات من المرحلة السيلية القديمة .
- مدرج على عمق ٢٣ م وجدت : الات سيلية من المرحلة المتوسطة .
- مدرج على عمق ١٨ - ١١ م وجدت : الات حجرية حديثة أ .
- مدرج على عمق ٤ م وجدت : الات حجرية حديثة ب .
- مدرج على عمق ٢ م تحت مستوى سطح البحر . وجدت الات حجرية اكثر حداثة من الات سطح البحر .

- مدرج ٤ م تنتمي الى عصر ما قبل الاسرات والاسرات (الاسرة
الرابعة^(١٢)) •

وفي الواقع ، فان تنقيبات عديدة اخرى في مواضع متعددة في الاقسام
الشرقية من شمال افريقيا وفي مصر بالذات اثبتت وجود ادوات ترجع الى فترة
العصر الحجري القديم الاسفل وتندرج الات اخرى في نفس المواضع في الغالب
لتغطي مراحل احدث زمنا^(١٣) • وترد تسميات محلية مثل الادوات السبيلية
والوهرانية وهي في الواقع ادوار او صناعات محلية معروفة في شمال افريقيا
باصالتها المحلية كما سنأتي على ذلك في الفصول اللاحقة •

وفي مواقع اخرى في تونس اليوم اكتشف ادوات تغطي مرحلة الثقافة
والصناعة الاشولية^(١٤) في طبقات سفلى من موقع قفصة المشهور والمعروف
بنموذجيته الممثلة لفترة العصر الحجري الحديث في شمال افريقيا •

ان اكتشاف أرمبورغ (Arambourg) لموقع عين الحنش ، شرقي مدينة
سطيف ، الواقعة في الشرق الجزائري ، يثير أهمية كبيرة ايضا وذلك لكون
ادوات الموقع تمثل صناعة آشولية محلية انتشر اسلوب صناعتها باتجاه الشرق
أيضا وصولا الى برقوبة الحلو ورقوبة عين السلطان قرب مدينة قفصة^(١٥) •

والمعروف ان مثل هذه الادوات الاشولية التي تقرب الى الاشكال المدورة
والتي تحتوي على جزء اقرب ما يكون الى ان يكون مجوفا قليلا وتكون احجام
مثل هذه الادوات من هذه الفترة اقرب الى ان تحويها اليد البشرية الواحدة
ويمكن ان تستخدم للرمي والدق والتكسير بشكل خاص • ان سعة انتشار
مثل هذا الاسلوب الصناعي من هذه المرحلة حدى بالعديد من الباحثين على
تمييز هذه المرحلة بالحنشية نسبة الى موقع عين الحنش هذا^(١٦) •

وتندرج من العصر الحجري القديم الاوسط (Middle Paleolithic)
وحتى العصر الحجري الحديث في شمال افريقيا اساليب في صناعة الادوات
الحجرية اعطاها الباحثون من الاوربيين تسميات محلية • لقد وجدت نماذج

لكل هذه الاساليب في مواقع عديدة في شمال افريقيا والصحراء • ويظم ثلاثة من الباحثين المتخصصين المعروفين في دراسات ما قبل التاريخ في شمال افريقيا والصحراء ، في اخر دراسة مهمة لهم معتمدة على اساليب التحليل العلمي الحديثة ، جدولاً بتتابع هذه الاساليب والمراحل وهي كالآتي :

— الثقافة أو اسلوب الصناعة العتيرية •

— الثقافة أو اسلوب الصناعة الايروموريسية •

— الثقافة أو اسلوب الصناعات الايباليوليثيكية • (Epipaleolithique)

— الثقافة أو أسلوب الصناعة القضيّة التقليديّة أو الكلاسيكي •

— الثقافة أو اسلوب الصناعة الققصية العلوية •

— الثقافة أو اسلوب الصناعة التابعة للعصر الحجري الحديث —

الصحراوي — السوداني •

— الثقافة أو اسلوب الصناعة التابعة للعصر الحجري الحديث والخاصة

بالبحر المتوسط •

واخيرا مرحلة الثقافة أو الصناعة الخاصة بالققصية (١٧) •

ان احدث النتائج الخاصة بكل مرحلة من هذه المراحل الخاصة بمواقع العصور الحجرية في شمال افريقيا وفترات اساليب صناعاتها قد تيسرت بفعل الاختبارات المعتمدة على قياس اعمار المواد العضوية التي عثر عليها مع هذه الادوات المكتشفة في حوالى المائتي موقع ويسكن تلخيص النتائج كالآتي :

ان مرحلة الثقافة واسلوب صناعة الادوات من الفترة المعروفة بالعتيرية قد اصبحت اكثر وضوحا بفعل تثبيت طبقة وجودها جيولوجيا وبفعل فرز ثقافتها في اكثر من موقع واحد ويمكن القول انها ترجع الى فترة اقدم من الفترة التي حددها فوفري ، (R. Vaufray) ، في عام ١٩٥٥ والتي قال بانها ترجع الى العصر الحجري القديم الاعلى الاوربي (١٨) •

ومن جهة أخرى فإن اختبار البقايا الاثرية من نتائج تنقيبات موقع بيرار ، (Bérard) سابقا ، وهو الموقع الذي يقع تقريبا على الساحل الى الغرب من العاصمة الجزائرية بحوالى ثلاثين كيلو مترا ، يشير الى تتابع طبقي متسلسل امكن تشخيص الثقافة والمرحلة العتيرية فيه بموجب اختبار (C 14) بأنها تعود الى ٢٩٨٥٠ ق م \pm ١٩٠ . ولكن نتائج التنقيبات اثبتت وجود طبقات اخرى اسفل الطبقة العتيرية هذه والتي شخّصت فيما بعد الفترة أو المرحلة العتيرية الاولى ارجعت الى الالف الثلاثين ق م وتتميز الثقة بوجود هذه الفترة الاخيرة بفعل اكتشاف ما يشابهها في موقع تافوغالت ، (Taforalt) في المغرب والذي يرجع تحديده الى الباحث روش (J. Roche) وهي فترة ٤٠٠ و ٣٠ ق م. (١٩) .

والمعروف ان رايكاس ، (Reygasse) ، هو الذي عثر لأول مرة على اثر يشخص هذه المرحلة من الثقافة العتيرية في شمال افريقيا وذلك قرب مجرى وادي الجبانة وعند بئر العتير الذي يبعد حوالى ٨٤ كم جنوب تبسة الى الشرق من مدينة قسنطينة على مقربة من الحدود الجزائرية - التونسية .
(انظر الشكل ٣)

ان طبيعة اسلوب مثل هذه الصناعة العتيرية تتميز اولا بكونها ادوات من الحجر ذات .. امتداد عبارة عن ساق مهيأ لان يربط بمقبض أو ما يعرف بالمذنب ، ومن هذه الادوات .. السهام والنصال .

لقد امتد اسلوب مثل هذه الصناعة المميّزة من هذه المناطق السالفة الذكر وصولا حتى البحر الاحمر شرقا وحتى موريطانيا غربا وبعثق يصل جنوبا الى النيجر وتشاد (٢٠) . (انظر الشكل ٤)

ان اسلوب أو طريقة تهذيب الادوات الحجرية في هذه المرحلة الثقافية المميزة وجد انها تطور واقتباسا من اسلوب وطريقة هدمه الادوات الحجرية من الفترة السابقة المعروفة بالثقافة الليفالوازية - المستيرية مع ظاهرة جديدة مضافة تلك هي عمل واطافة الذنب أو الاستطالة المنوه عنها سابقا. كذلك تتميز هذه الادوات بكونها مدببة ومن مفردات ادواتها المتخصصة اضافة الى النصال والمقاشط : الشفرات والمداعيك وان البعض من هذه الادوات الاخيرة وجدت معمولة على شكل مقوس اشبه بالشكل النصف دائري تقريبا واقرب ما يكون الى شكل القارب المصغر (٢٢) . انظر الشكل ٥ أ . يؤكد باحثون اخرون من المتخصصين بدراسة هذه الفترة بان اسلوب تهذيب الحجر خلال هذه المرحلة يطابق فعلا نفس الاسلوب والثقافة المتجاوبة مع المرحلة المعروفة ايضا بالليفالوازية - المستيرية وخاصة في طريقة صقل الادوات ولمعائها وشكلها (٢٣) .

ويسرى ليونارد وولي ، وهو كس (Sir L. Woolley ' J. Hawkes) ان انتشار الثقافة العتيرية كان ابتداء من الساحل من نفس المنطقة المشار اليها سابقا في الشرق الجزائري وباتجاه الشرق . وفعلا يؤكد ان هذا الانتشار ضمن هذه الحدود ناتج عن تطور محلي لصناعة المرحلة العروفة بالمستيرية في هذه المنطقة . ويرى هذان الباحثان بأن ما يميز هذه الصناعة في هذه المنطقة هو اعتمادهم لاسلوب الضغط : (Pression) في صنع الادوات والمعروف ان مثل هذه الطريقة التي يفترضها المؤلفان والخاصة بتطوير اسلوب هذه الصناعة العتيرية ادت فيما بعد الى معرفة القوس والسهم (٢٣) . هذا اضافة الى تميزهم في تبني اسلوب تشظية القطعة الحجرية الواحدة ومثل هذه العملية الاخيرة تعتبر من ناحية عمل الادوات ، . . . مثلة للمرحلة الاساسية في صناعة القوس والسهم (٢٤) .

ومن منطقة كوم - امبو في الجزء المصري ، في منطقة اسوان ، وقريبا من
نهر النيل وجدت نماذج من مرحلة الثقافة العتيرية وعلى ثلاثة تدرجات ثانوية
متسلسلة من الفترة المقابلة زمنيا للفترة المستيرية الى الميزوليثيكية^(٢٥) . ان
مثل هذا التسلسل الزمني واسلوب الصناعة للادوات المميزة لهذه المرحلة وجد
في مواقع في المغرب والجزائر^(٢٦) حيث تم الكشف عن موقع : جوف الجمل
ويبرارد ، المذكورة سابقا والواقعة الى الغرب من العاصمة الجزائر كما اكتشف
في تونس في موقع يسمى عين ميثرشم وفي كل هذه المواقع وجدت معالم الثقافة
العتيرية اضافة الى طبقات سفلية منها عثر فيها على دلائل العصر الحجري القديم
الاسفل واهم نموذج لذلك الموقع المعروف بالزاوية الكبيرة^(٢٧) .

أما بالنسبة للثقافة الايروموريسية فلقد عرفت منذ عام ١٩٠٩ حيث
اطلق هذه التسمية لأول مرة الباحث بيليري (P. Pallery)^(٢٨) . لقد
وجدت معالم هذه الثقافة منتشرة في اماكن عديدة من شمال افريقيا واحيانا
سميت هذه الاماكن باسمائها المحلية .

ان اول اكتشاف لهذه الثقافة كان في موقع تافوغالت ، (Taforalt)
في المغرب اليوم والقريب الى الحدود مع الجزائر واعتبرت فترة الالف الثالث
عشر ق.م . كبداية لممارسة هذا الاسلوب من الصناعة التي ميز صفاتها
بيليري ، بكونها نموذجية وهي :-

— صناعة النصال والشفرات ذات الخلفيات المشغولة .

— صناعة النصال والشفرات ذات التدبيب الحاد .

— صناعة المداعيك المدورة .

— صناعة الات مدورة اقرب الى اشكال الحصا ، تكون الضربات الخاصة

في صناعتها عبارة عن ضربات متقابلة بالتناوب . تتميز هذه الفترة

بندرة الادوات المصنوعة من حجر الصوان والنماذج من هذا الحجر

وجد انها اقرب ما تكون الى شكل المربع المنحرف^(٢٩) .

لقد وجدت اولى مواقع هذه الثقافة الايروموريسية في شمال افريقيا قريبة من الساحل ووجدت بقايا ادوات المرحلة في فجوات المرتفعات الصخرية المطلة على البحر وقرب الانهار القريبة من الساحل . وكان اعتماد هذه المناطق بالدرجة الاساسية على صيد الاسماك والقواقع اضافة الى ماكانوا يجمعونه من القوت من المرتفعات الساحلية ، واكتشفت نماذج من هذه الثقافة في وديان الكرمة القريبة من العاصمة الجزائر وكورة البحرية القريبة منها^(٣٠) . واطافة الى ذلك فقد تم العثور على بقايا من الثقافة الايروموريسية في اطراف الصحراء الشمالية مثل منطقة سعيدة الواقعة جنوب شرق العاصمة الجزائر ومنطقة مويلا وبشكل يجعلها ثقافة محلية كبيرة مثل تلك التي وجدت في جنوب وهوان^(٣١) .

ومن الجدير بالملاحظة ان هذه التسمية المعروفة باسلوب الصناعة الايروموريسية ظلت منسوبة الى باليرى ، Pallary على الرغم من العثور على مرادفات مشابهة لهذه الصناعة في اماكن عديدة على الساحل وفي داخل الصحراء وظلت هذه التسمية قرابة نصف القرن بهذه الشمولية من حيث اسلوب الصناعة والفترة الزمنية التي شغلتها الى ان استطاع الباحثون المتخصصون تجديد الخصائص المميزة لهذه الفترة وتصنيف الادوات الحجرية واساليب تصنيعها وتحديد مراحلها . والمعروف ان هذه المرحلة من الصناعة الايروموريسية تضم مجموعة ثقافات أو اساليب صناعية محلية اكتشفت في مواقع مهمة وسميت ، كما قلنا سابقا ، بتسميات محلية مثل الوهرانية والمويلية كذلك تمثلت هذه الثقافة في موقع هوافتيح وبرقة (سيرانايسة) وفي مغارة سعيدة^(٣٢) . (انظر الشكل ٥ ب)

وكان اوائل الباحثين الذين قسموا فترة الثقافة الايروموريسية الباحث الجزائري براهيمى ، المتخصص بفترات ما قبل التاريخ في شمال افريقيا . لقد اعتمد براهيمى على تقسيماته هذه على نتائج تنقياته العديدة في مناطق قريبة من الجزائر العاصمة مثل كورة البحرية الواقعة على الساحل القريب من غرب الجزائر العاصمة بحوالى اربعين كيلو مترا وكذلك في منطقة مغارة راسل اضافة

الى المنطقة التي تقع في ملتقى وديان الكرامة وتينز . ويذكر براهيمى بأن مواقع اخرى في تونس مثل المنشية والوشاتة تمثل نفس الثقافة وكذلك ما يعرف بمناطق القبائل في الشرق الجزائري وبمحاذاة الساحل مثل تمارحات وجيجل وتازة ، اضافة الى جنوب وهران مثل الثقافة المعروفة بالكولناتية ، نسبة الى موقع كولناتا ، والهوتية . ان كل هذه المناطق الرئيسية الاخرى التي يوردها براهيمى يجمعها اسلوب صناعي ممثل لهذه الفترة ويشمل صناعة نموذجية تضم مايلى (٣٣) :

النصال والشفرات والمداعك وادوات حجرية مسننة وادوات دقيقة ذات اشكال اقرب الى الاشكال الهندسية ، اضافة الى المئاقب الدقيقة والصغيرة الحجم ، وبذلك فانه يناقض (Pallary) ، فيما عدا مايضيفه من ادوات دقيقة وصغيرة الحجم هي في الواقع من صفات ادوات فترة العصر القديم الاعلى في المنطقة هذا مع ملاحظة حداثة اراء براهيمى قياسا براء باليرى في بداية هذا القرن وكثرة النماذج المحلية الاخرى المكتشفة في الفترة الاخيرة . اما تقسيمات براهيمى الحديثة التي يوردها فترات الثقافة الايروموريسية حسب اكتشافها في مناطقها المحلية فهي كالآتي :-

بقايا اثار وادوات مغارة راسيل الواقعة الى الغرب من العاصمة الجزائر
والقرية من الساحل من فترة : ١٢٣٢٠ ق م٠

• تمارحات من فترة : ١٠٥٠٠ ق م٠

• كولناتا ، من فترة : ٨٨٥٠ ق م٠

• تازة من فترة : ١٠١٢٥ ق م٠

• تازة ٤ ، من فترة : ٩٣٩٠ ق م٠

• تازة ٥ ، من فترة : ١٠٧٥٠ ق م٠

واخيرا الهوتية من ٦٨٧٠ ق م٠ ، والمرحلة الاخيرة من فترة بداية المرحلة

الاولى من الثقافة القفصية .

ان من اهم المواقع التي ساهمت في توضيح مدى انتشار الثقافة الايروموريسية في شمال افريقيا هو موقع كولناتا ، يقع هذا الموقع بالقرب من سيدى حسين في القطاع الادارى الحالى التابع لولاية تيارت في الجزائر .
(انظر الشكل رقم ٦)

وكان سكنة هذا الموقع من الجماعات التي ترجع الى فترة العصر الحجري القديم الاعلى ، ونظرا لطول فترة سكنة هؤلاء في نفس المنطقة فقد امكن تمييز اربع ثقافات متتابعة فيها ترجع الى المرحلة الكبيرة نفسها وهي الفترة الايروموريسية ، ويرجع الفضل في الكشف عن اثار المنطقة الى الباحث الفرنسي كاديننا ، (Cadenat) ^(٣٤) ، الذي نقب بشكل متقطع في المنطقة ما بين فترة ١٩٣٧ - ١٩٦٢ ونشر نتائج بحوثه بشكل دوري ، واهم نتائج تنقيبات كاديننا تركز في تحديده للفترة الايروموريسية الرئيسية وفي تشخيص فترة تالية سماها بالكولناتية نسبة الى نفس الموقع الذي عمل فيه خلال هذه الفترة المذكورة سابقا .

لقد ذكر كاديننا بانه وجد معالم الثقافة الققصية المتأخرة ومعالم فترة العصر الحجري الحديث في شمال افريقيا ^(٣٥) . وفي الواقع ان اكتشاف اربعة مراحل في هذا الموقع ، كولناتا ، يعتبر امرا هاما لما يوضحه من استمرار المعيشة المتوفرة في المنطقة بصورة يغطي فيه هذه الفترات او المراحل الاربعة . ان أحدث البحوث المعتمدة والخاصة بتحديد نهاية فترة الثقافة الايروموريسية هذه في منطقة شمال افريقيا تشير الى انها قد وصلت حتى نهاية الالف التاسع م . ولقد تاكد ذلك من خلال نتائج التنقيبات التي اجريت في موقعي (Taforalt) وكولناتا ^(٣٦) . ومع ذلك فان مواقع اخرى اعطت نتائج لثقافات لاحقة لفترة نهاية الثقافة الايروموريسية من ٦٣٣٠ و ٦١٩٠ ق . م تقريبا ، ومن ذلك موقع كولناتا نفسه ، ثم كوديات كفن الذي حددت ثقافته من فترة ٦٧٥٠ ± ٢٠٠ و ٦٣٧٠ و ١٥٠ ± ١٠٠ ق . م ^(٣٧) .

كذلك حُدد اسلوبا صناعيا محليا للادوات الحجرية اكتشف نماذجه لأول مرة في موضع يسمى حكفت الضبة ، الواقع الى الشرق من مدينة بنغازي في ليبيا والقريب من الساحل . لقد اعتبر هذا الاسلوب المحلي الخاص في صناعة الادوات الحجرية اسلوبا متطورا عن اسلوب الصناعة العتيرية . وسمي هذا الاسلوب بالصناعة الدباوية أو الضباوية نسبة هذا الموقع ، وتميزت صناعته بالنصال ذات القاعدة والنصال المخرومة المؤرخة خلال فترة العصر الحجري القديم الاعلى وكانت معالم هذه الصناعة قد اكتشف في موقع هوافتح ايضا ، ويرجع تاريخ هذه الثقافة الى حدود الالف العاشر ق.م. ولقرب مناطق سكن جماعات هذه الثقافة من مناطق الثقافة القفصية اللاحقة ، فقد اقترح ان يكون سكان الثقافة الاولى هم انفسهم الذين انحدروا من سفوح جبال الاطلس المواجهة لتونس والجزائر ، والمعروف ان جماعات القفصيين انتجت في بدايات الالف السابع ق.م صناعة النصال المقوسة والكبيرة الحجم نسبيا اضافة الى نتائجها المميزة الاخرى الخاصة بها^(٣٩) .

(انظر الشكل رقم ٧)

اما بالنسبة للثقافة القفصية فلقد عرفت أولا بعد الكشف عن مناطق انتشارها في اقسام عديدة من الشرق الجزائري وفي تونس الحالية ، وكانت تسمية هذه الثقافة نسبة الى مدينة قفصة الواقعة قرب مدينة تبسة الحالية الواقعة في الشرق الجزائري وعلى الحدود مع تونس .

ان دراسة العديد من المنقبين تحدد مرحلة هذه الثقافة بالعصر الحجري الحديث في شمال افريقيا ومن ذلك ما توصل اليه المنقب - الفرنسي بالو (Balout) خلال عثوره على بقايا ما يميز الثقافة القفصية في تادمايت وهي من بقايا انتشار هذه الثقافة في الصحراء حيث عثر بالو على بقايا عظمية وكسر من بيض النعام المحفورة بشكل دقيق^(٤٠) ، كذلك فقد عثر في مواقع ترجع الى نفس الفترة على نماذج اخرى عديدة من بيض النعام واعتبرت فيما بعد هذه الظاهرة ميزة خاصة بثقافة هذه الفترة^(٤١) حتى لقد

سميت هذه الثقافة من قبل البعض من الباحثين بثقافة او صناعة بيض النعام او بثقافة القواقع ، لكثرة ما وجد من بقايا القواقع التي تركتها التجمعات السكانية في المناطق ذات الثقافة القفصية وخاصة الشمالية ، اي القرية من الساحل في شمال افريقيا قياسا بالصحراء . وسماها البعض الاخر من الباحثين بثقافة الرماد لكثرة ما وجد من اثار الحروق في مواقع تجمعاتهم السكانية . ومع بقايا الرماد هذه وجدت اكوام من القواقع الحلزونية وتصل الى حوالي عشرة امتار في ارتفاعها وتمتد الى مسافة ١٠٠ - ١٥٠ مترا ، ووجد ان هذه الاكوام تتكون من الرماد والادوات الحجرية والعظام ومجموعة كبيرة من الاصداف الصغيرة الحجم وقسم كبير منها على شكل الحلزون .
(انظر الشكل رقم ٨)

والواقع ان اساليب الصناعة خلال فترة الثقافة القفصية هذه تعتبر ثقافة متطورة لا ترتبط بوضوح باستمرارية وبقايا الثقافة الايروموريسية . وتتميز من ناحية صناعة ادواتها الحجرية بكونها دقيقة وكون الادوات المستخدمة من العظام فيها تقرب الى الاشكال الهندسية .

لقد اרכת بعض البقايا من الادوات العظمية والصدفية وبيض النعام المزين بخطوط هندسية بسيطة بنهايات الالف السادس ق.م (٤٢) .
لقد ظلت الثقافة القفصية منتشرة في مناطق عديدة من شمال افريقيا والصحراء وظلت واضحة المقاشط النموذجية تكتشف في مناطق في تونس بالذات وصولا الى الالف الرابع ق.م (٤٣) . ومع بقايا استخدام هذا النوع من المقاشط القفصية استمر اسلوب اخر في صناعة الحجر اعتبر استمراراً لواحد من جوانب الصناعة الايروموريسية ذلك هو اسلوب الادوات المضروبة أو المشغولة الظفر أو المشغولة من جانب واحد والمثلة لحوالي ٦٠٪ من الادوات المستخدمة بهذا الاسلوب سواء في انتاج المقاشط المدورة او غيرها من الادوات الاخرى (٤٤) .

(انظر الشكل رقم ٩ والشكل ١٠)

اما مجموعة السكان القفصيين (اصحاب الثقافة القفصية) فيعتقد ان
تصلهم من المناطق الواقعة في شرق البحر المتوسط ، وارتبطت بهذه النظرية
آثار اخرى وضحت بشكل اوسع الصلات الثقافية اللاحقة .

والمعروف ان التنقيبات الاثريّة كانت قد كشفت وجود بقايا تجمعات
سكانية ترجع الى فترة بدايات الالف الخامس ق.م في مناطق شمال غرب وادي
النيل ووجد ان انتاجات هذه التجمعات السكانية كانت لاختلف كثيرا عن
الثقافات الضخمة التي انتشرت قبل هذه الفترة واكثر من الف عام سابق لها في
مناطق الشرقين الاوسط والادنى القديمين . وقد انتشرت الثقافة القفصية في
اماكن ليست مقتصرة فقط على سواحل شمال افريقيا أو قريبا منها بل في مواضع
تبعد عن الساحل اكثر من ٨٠٠ كم كما هو الحال في مناطق الصحراء القريبة
من وركلة ولقد امكن اعادة موجودات هذه البقايا بعد اختبارها الى الفترات
التالية : ٥٠٠٠ ± ١٢٠ ق.م و ١٥٧٥ ± ١٢٠ ق.م (٤٥) ، وكان من بين
اثار هذه المواقع بقايا بيض النعام ، المعروف بكونه من انتاج الثقافة القفصية ،
الى جانب بقايا الصناعات الحجرية من قطع الصوان وابعاد كبيرة جدا . وفي
بعض المراكز من هذه الفترة وخاصة في هذا القطاع القريب من وركلة وجدت
صناعة فخارية اعطت ابعادا جديدة وغريبة فاعتبرت في مجموعها مكملات
لانتاج تجمع سكاني متكامل على الرغم من كون تجمعاته السكانية هذه متباعدة
عن بعضها البعض بمسافات كبيرة جدا تقرب من الالف كم احيانا .

وحتى مناطق تقع في كينيا وجدت بقايا الثقافة القفصية من فترتها المتأخرة
وذلك من خلال بقايا المجموعات الفخارية ذات الطابع المشابه لما عرف انتاجه
في مواقع الصحراء الاخرى السابقة الذكر (٤٦) .

(انظر الشكل رقم ١١)

هذا اضافة الى العثور على بقايا صناعة فخارية من انتاج جماعات الصيادين السودانيين ومن الفترة المعروفة بفترة الميزوليثيك ، العصر الحجري الوسيط ، في الخرطوم (٤٧) . والمعروف ان صناعة الفخار في افريقيا لم تمارس قبل فترة الالف الخامس ق.م ولذلك فالعثور على نماذج ضمن بقايا التجمعات السكانية فيها قد يكون بفعل ارتباط واتصال هذه الجماعات بسكان غرب النيل ككل اضافة الى الاتصال المعروف بجماعات جنوب غرب اسيا .

واخر البحوث الخاصة بتنقيبات الباحث الفرنسي (H. Camps-Fabrer) في مناطق تقع شمال العلمة الواقعة جنوب شرق العاصمة الجزائر بحوالي ٣٠٠ كم ، أعطت في الواقع تحديدات اخرى جديدة لمرحلة من مراحل الثقافة القفصية حدد هذا الباحث حتى المرحلة التي يقترح انها دامت حوالي الالف عام :

٦٩١ ± ١٥٠ ق.م - ٥٩٠ ± ١٥٠ ق.م (٤٨) .

اما المرحلة الثانية فيقترح بكونها قد استمرت حوالي خمسة قرون (٥٨٣٠ ± ١٤٠ ق.م) (٤٩) ، كذلك اعطت نتائج تنقيبات كل من (J. P. Maître ، G. Camps) في مناطق قريبة من جبال الحجار في الصحراء وخاصة في منطقة تعرف تحت اسم اميكني • (Amekni) ، ابعادا اخرى عن استمرارية الثقافة القفصية في هذه المناطق الصحراوية القريبة من جماعات غرب النيل ومن هذه الابعاد العثور على ادوات يومية من صناعة مثل المثاقب المخارز والسكاكين اضافة الى بعض المنحوتات على الحجر وبقايا فخارية (٥٠) .

وفي مناطق قريبة الى المناطق السابقة الذكر والواقعة في الصحراء كشف المنقب الايطالي فابريزيو موري (Fabrizio Mori) وذلك بين عامي ١٩٥٩ - ١٩٦٣ وفي منطقة تدرارت (Tadrart) ، القرية من الغاط • (Ghat).

رسوما جدارية اضافة الى بقايا من قطع الخشب المتفحم ، ولقد تمت عملية اختبار هذه البقايا بواسطة التحليل (C. 14) وارجعت الى فترة حوالي

٤٧٠٠ ق م •

علما^(٥١) بأن هذه الرسومات أرجعت من قبل بعض الباحثين الى فترة رعاة الماشية في شمال افريقيا • والمعروف عن اكتشاف منحوتات من الحجر عثر عليها في تسنيت (توات) وفي جنات او تاجنتورت في منطقة الحجار منها اشكال الاكباش وبعض هذه الاكباش وغيرها المكتشفة في تاسيلي أيضا وجد انها شبيهة بالاشكال المتخذة كنصب^(٥٢) وقد تكون في اول امرها للتعظيم أو التقديس • ومما يلفت النظر في مثل هذه النماذج المنحوتة والموضحة لفكر تجمع يعتمد على الصيد والرعي اعلم من اعتماده على الزراعة انه يوضح اكثر الحس الفني والاسلوب المحلي المميز ومثل هذه الاشكال تشير ، وكما سبق ذلك ، الى ممارسة بعض الطقوس الخاصة بالصيد والرعي قبل ان تكون مفسرة لمظهر زراعي معين • ان مجموعة الرسومات التي وجدت ملونة احيانا واحيانا اخرى محمورة على الصخور تعطي اولوية الاهتمام بالحيوانات اكثر من أي موضوع اخر •

وما عدا مواضع التجمعات السكانية في هذه المناطق الجبلية التي كانت مشجعة على الرعي وحتى استئناس الحيوانات خلال فترة الالف الخامس ق.م ، فان نتائج التنقيبات في وسط الصحراء الحالية أظهرت مواضع تجمعات سكانية مؤقتة وقد تكون مما يعرف بالرحل الممارسين لعملية الصيد اضافة الرعي • لقد وجدت بقايا مراكز هؤلاء على شكل بقايا صخرية كانت مساكن مؤقتة لهؤلاء ولا يزيد المتبقي من هذه المساكن اكثر من سمك نصف متر ووجد ان هذه المساكن موزعة بشكل منتظم^(٥٣) •

ان رسومات عديدة تفوق العدة الاف اكتشفت في مناطق الصحراء الوسطى ومنها العديد الذي يظهر اشكال الصيادين بمفردهم أو على شكل جماعات أو مع طرائدهم ، وتوضح العديد من هذه الاشكال ادوات الصيد ويبدو واضحا شكل السكين أو الخنجر^(٥٤) .

(انظر الشكل رقم ١٢ والشكل رقم ١٣)

لقد سبق للباحث رايكاس ، (M. Reygasse) ، ان ذكر خلال المؤتمر الخاص بعلوم ما قبل التاريخ والذي انعقد بباريس عام ١٩٣٤ والذي كان مكرسا بشكل خاص عن منطقة الصحراء الوسطى بان مشاهد واهتمامات فناني شمال افريقيا في الصحراء الحالية كان مكرسا لاشكال الصيادين وبعد ذلك تركز اهتمامهم باولى مراحل فترة الرعي^(٥٥) .

ان تتبعنا علميا يرصد من خلال الاكتشافات الاثرية والذي يوضح مراحل تطور فعاليات الصيد في الصحراء الوسطى والجنوبية الشرقية منها ، كذلك نستنتج من خلال الدراسات الخاصة بالاجناس ان صيادي هذه المرحلة كانوا انفسهم المهدين لمرحلة الرعي وهم من جماعات غرب النيل والسودانيين ثم كان هؤلاء انفسهم المهدين لتكوين جماعات من الرعاة الصحراوية مع بقاء القسم الاعظم من التجمعات السكانية في المناطق السابقة الذكر معتمدة على الصيد^(٥٦) .

المصادر

- Leakey, M. D. Preliminary survey of the cultural material (١)
from Beds I and II, Olduvai Gorge, 1967.
- Clark, D. J. The Prehistory of Africa, U.S.A. & London.
1970. p. 25.
- (٢) سميت مثل هذه الادوات البدائية من قبل (V. Commont) عام ١٩٠٩
بادوات ما قبل الشيلية (وهي التسمية القديمة للادوات الابيلية)
Revue préhistorique. 1911. P. 65.
- Raymond Furon. Manuel de préhistoire générale, Paris,
Payot, 1958. P. 162-63.
- Breuil, H. G. Zbyszewski. Contribution à l'étude des indus- (٣)
tries paléolithiques des plages quaternaires de l'Alen-
tejo Littoral. d'après. R. Furon. Ibid. P. 164.
- طه باقر : عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها باصول الحضارات (٤)
القديمة . في (عدد خاص بالمؤتمر التاريخي المنعقد في بنغازي ليبيا) تحت
عنوان ليبيا عبر التاريخ ، ١٩٦٨ ص ٢١ . كذلك انظر :
Arambourg. Nouvelle observations sur le gisement de l'Ain-
Hanech près de Saint- Arnaud (Constantine) in : Com-
ptes rendus de l'Académie des sciences, 236 (1952).
Balout, L. Préhistoire de l'Afrique du Nord.
- Biberson. P. Contribution à L'étude de la "pebble culture"
du Maroc atlantique "in Bull. d'Arch. marocains. III
(1958 - 59) P. 7...
- Howe, B. Morius, H. L. A stone Age cave site in Tangier. (٥)
Cambridge. 1947. 28.
- Le Roi- Gourhan. La préhistoire. Paris. CLIO. 1968. P. 81. (٦)
- Le Roi- Gourhan. Ibid. P. 73. (٧)
- مواقع اخرى اكتشفت فيها نماذج من الادوات الحصوية في الصحراء خاصة
ومن فترة ممارسة مثل هذه الادوات من حوالى الثلاثة ملايين سنة .

Archeologia. no : 94. Mai. 1976. P. 28-37. (٨)

McBurney, C.B.M. The Stone Age Of Northern Africa. Penguin Books, Norhampton. 1960 P. 199-202. (٩)

(١٠) انظر ملخص المحاضرة التي القاها الباحث والمنقب الاثاري مكبرني والخاصة بتفاصيل حفريات في هذا الكهف . العدد الخاص من : ليبيا عبر التاريخ (١٩٦٨) ص ٣٣ وهو العدد الخاص بالمؤتمر التاريخي المنعقد في بنغازي في ليبيا .

The Desert Fayum, London. 1934. (١١)

من د . يسرى الجوهري . شمال افريقيا . دراسة في الجغرافية التاريخية والاقليمية . الاسكندرية . مصر . ١٩٧٦ ، ص ٤٢ .

Alimen. H .The Prehistory Of Africa. London. 1957. P. 87. (١٢)

Vignard. E. Les stations et industries Sébiliennes du Burg Makkasin, région de Kom-Ombo. Bull. de la Soc. Préhist. Fran. Paris. 1955. 52. P. 437-452. 691(702. (١٣)

Biberson, P. Le paléolithique inférieur du Marco atlantique, Rabat, 1961. P. 17. Gobert, E. G. Le gisement paléolithique de Sidi Zin, Karthaga, I. 1950. P. 163. (١٤)

(١٥) احمد صفر . مدينة المغرب العربي في التاريخ . ج ١ . تونس ، ١٩٥٩ ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(١٦) نفس المصدر ص ٣٨ - ٣٩ .

G. Camps-G. Delibrias- J. Thommeret. "Chronologie des civilisations préhistoriques du Nord de l'Afrique d'après le Radiocarbène. In: Revue LIBYCA. Alger. Tome. XXI (1973) P. 66. (١٧)

(١٨) نفس المصدر السابق .

"La grotte de Taforalt" (Maroc Oriental). Bull. de la Soc. d'hist. nat. du Maroc. no. PP. 7-14. (١٩)

يرجع اخرون من الباحثين بان فترة الثقافة والصناعة العتيرية العلوية او المتأخرة الى فترة ٣٢٦٠٠ ق م . انظر في ذلك مجلة :

LIBYCA. XXI (1973) P. 67.

Balout, L. Préhis. de l'Afrique du Nord. Paris. 1955 .PP. (٢٠)
63-335.

وجدت كذلك من نماذج هذه الصناعة لهذه المرحلة ادوات هي عبارة عن
مقاشط تتميز بدقة صناعتها وكونها ذات اشكال هندسية وخاصة في عمل
حوافها وميزتها الخاصة بوجود « الذنب » أو الاستطالة التي تسهل تركيب
مثل هذه الادوات على مقبض أو عصا تختلف في طولها حسب اسلوب
استعمالها في الصيد او غير ذلك . انظر عن اكتشاف نماذج من هذه الثقافة
والاسلوب في الصناعة في مناطق غرب النيل :

Caton-Thompson. G. The Aterian Industry : Its place and
significance in palaeolithic world. Royal anth Insti-
tute. London. 1947.

Clark. G. World Prehistory. an outline. Cambridge. Great
Britain. 1962. P. 46.

وعن منتسبي الثقافة العتيرية من النياندرتاليين ، انظر :
وخاصة في واحات الداخلة والخارجة وسيوة . .

McBurney. M. Stone Age ... P. 159 - 160. انظر :

Ibid. P. 187. وعن منتسبي الثقافة العتيرية من النياندرتاليين ، انظر :

R. Furon. Ibid. P. 237. (٢١)

ياخذ هذا الاسلوب من الصناعة الحجرية بأنه يمثل ويميز مرحلة جديدة
من الثقافة المoustيرية المتأخرة .

M. Kaddache. L'Algérie dans l'antiquité

الدار الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر - مدريد ، ١٩٧٢ ص ١٢ .

Le Roi- Gourhan. Ibid. P. 135. (٢٢)

In : Histoire du développement culturel et scientifique de (٢٣)
L'humanité. vol. I. édit. R. Laffont. Paris. sous les aus-
pices de l'UNESCO. 1967 p. 93.

Ibid. P. 93. (٢٤)

Bull. Soc. Préhis. Fran. "une nouvelle industrie lithique : le
Sébilienne. 1928 P. 200.

Caton Thompson - G. kharga Oasis. In : Prehistory. London (٢٥)
1952. P. 81-90 and P. 116-123, Clark. D. J. The Pre. Of.
Africa. P. 127.

R. Furon. Ibid. P. 242. (٢٦)

- Ibid. P. 243. (٢٧)
- Chavaillon, J. Etude stratigraphique des formations quaternaires du Sahara. Nord- Occidental, Paris, 1964.
- Instructions pour les recherches préhistoriques dans le Nord ouest de l'Afrique. Alger. 1909. (٢٨)
- Ibid. (٢٩)
- Brahimi, C. L'ibéromaurusien littoral de la région d'Alger, Mémoires du CRAPE. Paris. 1970. PP. 144-145. (٣٠)
- Brahimi, C. In : LIBYCA. Tome. XX (1972) P. 93. (٣١)
- Vaufrey, R. and E. G. Gobert : Deux gisements extrêmes d'Ibéromaurusien. L'Anthropologie. XLII (1932) P. 441. (٣٢)
- LIBYCA. Tome. XX. (1972) P. 100 (٣٣)
- Ibid. P. 49. and note. no : I. (٣٤)
- (٣٥) في الواقع فان كادينا نشر تنقيباته النهائية عن حفرياته في كولمانا بعد اربعة سنوات من انتهاء آخر موسم من تنقيباته اي بداية من عام ١٩٦٦ ، وخلال هذه الفترة حدثت مشادات كثيرة حول النتائج التي توصل اليها هذا الباحث المنقب .
- G. Camps. ... In. LIBYCA. XXI, (1973) P. 73. (٣٦)
- Ibid. P. 70. (٣٧)
- Clark. D. J. The Pre. Of Africa. P. 129. (٣٨)
- عرفت ايضا كثقافة محلية اخرى سميت بالطيرة ، (Tera) ، نسبة الى حكمت الطيرة الواقعة الى الجنوب الغربي من موقع حقفة الضبة وذلك الى جانب هذه الثقافة الببابة . انظر :
- Le Roi- Gourhan. La pre. P. 135.
- Hakes, J. Woolley, L. Prehistory and the beginnings of civilizations. London. 1964 P. 88. (٣٩)
- De Capsien au Taidmait. Trav. de l'inst. de recherche Saharienne. T. 7. 1951-54. PP. 111-128. (٤٠)
- (٤١) انظر نتائج تنقيبات : J. P. Maître, G. Camps.. : في مواقع عديدة في الصحراء وخاصة في مناطق جبال الحجار .
- Ch. A. Julien. Hist. de l'Afrique Blanche. P. 7. 8.

- Balout, L. Algérie préhistorique. Paris. 1958. P. 6-8. (٤٢)
- ويذكر (Vaufrey) بأن القفصيين في فترتهم المتأخرة استخدموا
الغؤوس الحجرية وادوات من العظم المزين وكذلك الفخار .
- Le Roi- Gourhan. Ibid. P. 151. (٤٣)
- Ibid. P. 151. (٤٤)
- J. Tixier. Le Campement préhistorique de Bordj Mellala. (٤٥)
Paris. 1976. PP. 18, 49.
- McBurney, C. B .M. The Stone Age Of Northern Africa. (٤٦)
Ibid. P. 59.
- (٤٧) نفس المصدر السابق ، ص ٥٩ .
- Un gisement Capsien supérieur de facies sétifien, Medjéz. (٤٨)
II. Paris. 1974. I.
- LIBYCA. XXI (1973) P. 72-73. (٤٩)
- Ch. A. Julien. Ibid. P. 6-7. (٥٠)
- Orbis Pictus. Peintures rupestres du Sahara. Lausanne. (٥١)
1969. P. I.
- Musée d'Algérie. I. Reflets du Passé. Collection "Art et cul- (٥٢)
ture" Madrid. 1971. P. 13.
- B. Gabriel. "Steinplatze : Fruerstellen neolithisches Noma- (٥٣)
den in der Sahara" In: LIBYCA. T. XXI (1973) P. 151.
- P, Huard et L. Allard. "les gravures rupestres anciennes (٥٤)
de L'oued Djerat" in : LIBYCA. XXI. P. 169.
- La préhistoire du Sahara central. Cong. Preh. de France. (٥٥)
XIe sess. périgieux, 1934.
- P, Huard. Recherches sur les traits cultureles des chasseu- (٥٦)
res anciens du sahara centre-Oriental et du Nil, Revue
d'Egyptologie. 17 (1965) P. 21-80.
- Chavaux, G. Fresque gravée du Tanguet, Bull. Liais. Sah. 40. déc. 1960. P. 299.
- Lohte, H. Les peintures parietales d'époque bovidienne du
J. Soc. Africanistes. 1966.



شكل رقم (٢)

خارطة توضح المواقع التي اكتشفت فيها نماذج الثقافة الحصونية
الابفيلية والاشولية في شمال افريقيا

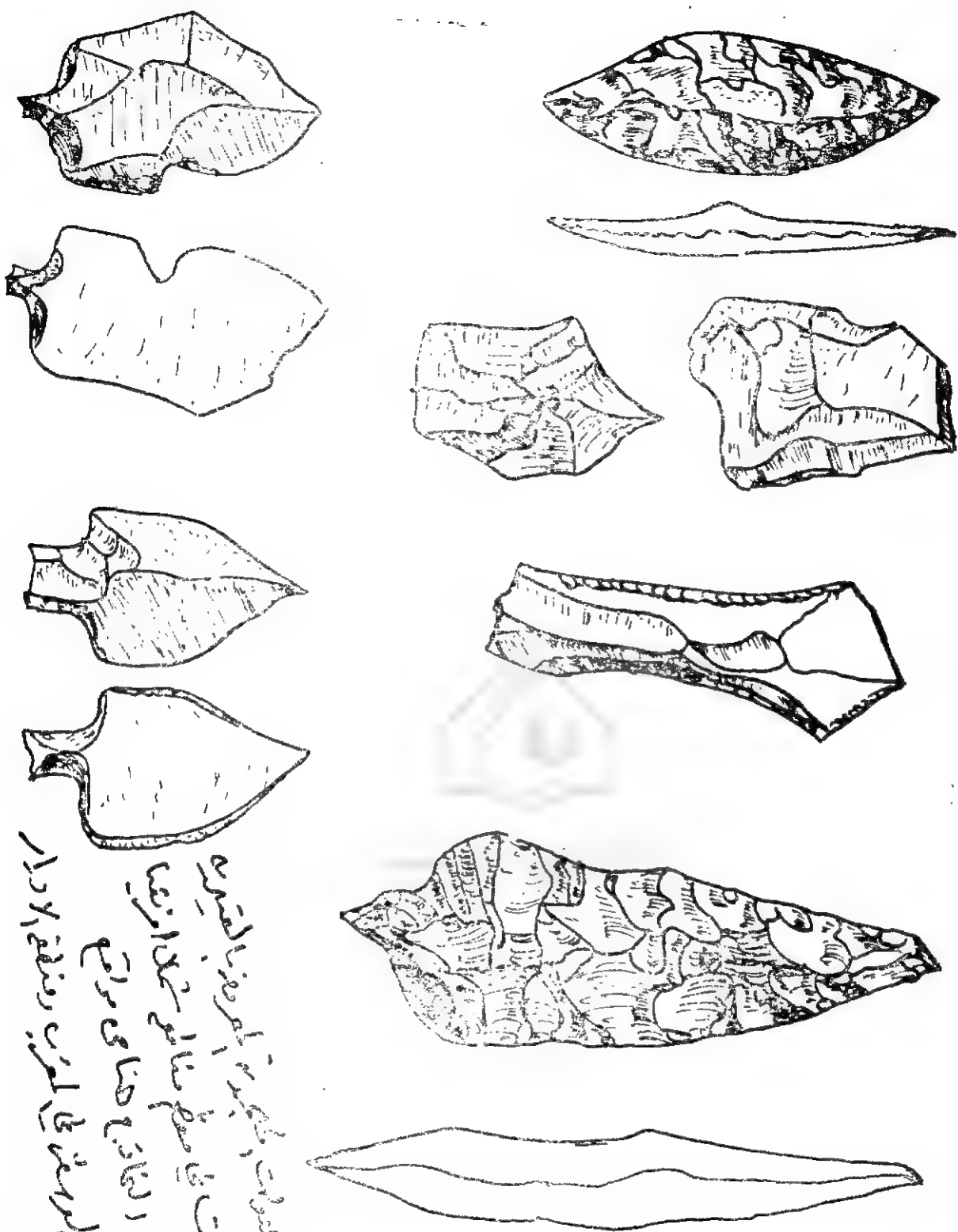
الشكل من :

Clark. J. D. The Prehistory of Africa. New York. 1970, p. 89.



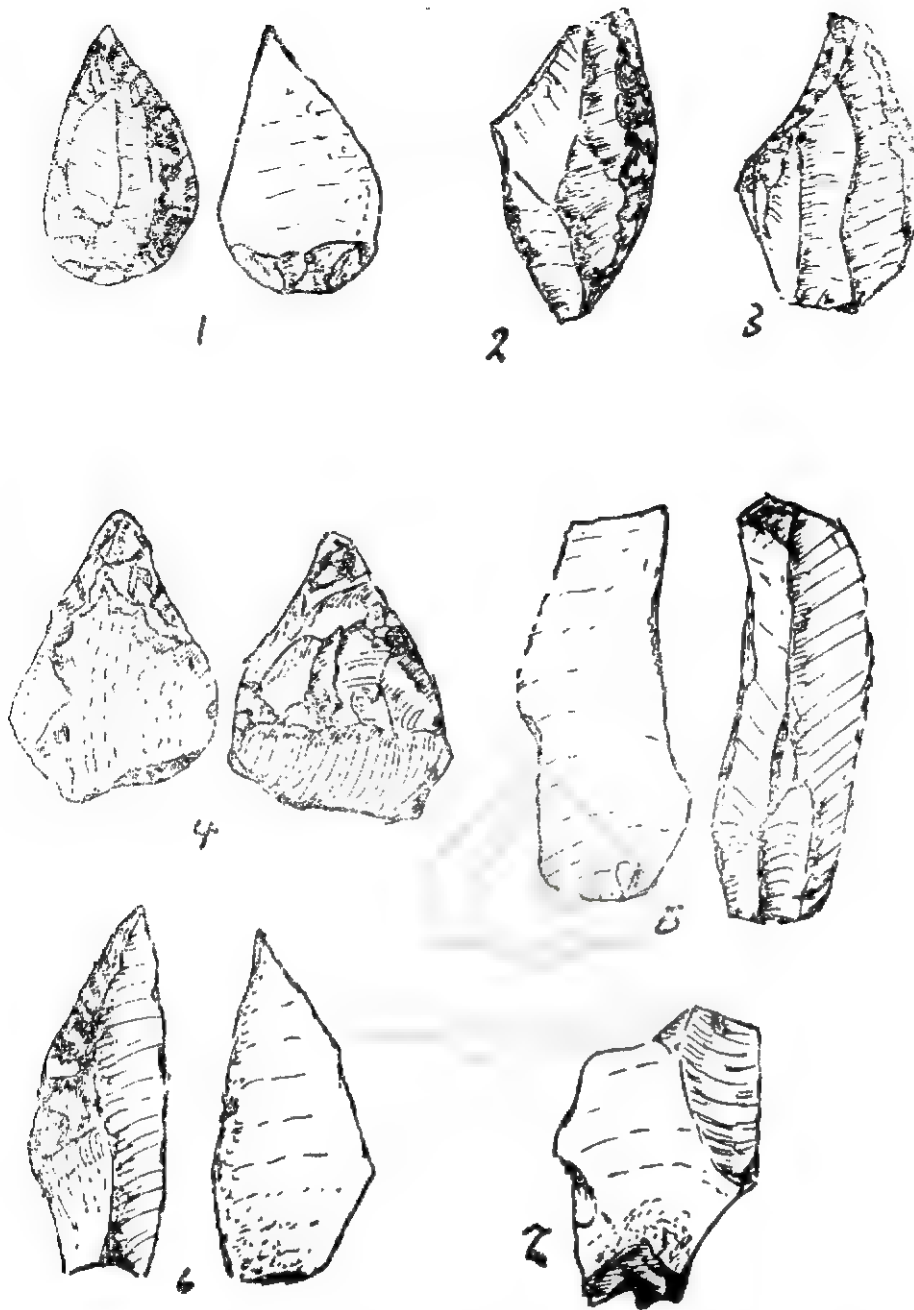
شكل رقم (٢٠)

● المواقع التي أسست فيها الأدوات الحجرية من الفترة المعروفة بالعترية في شمال أفريقيا



مخاريج من البتراء، الجيزة، مصر
والتي عرفت في سطح مناطق شمال
البحر. (المخاريج هي مواقع
الزلازل الحديثة في الجيزة ومنطقة الأردن)

شكل رقم (٤)

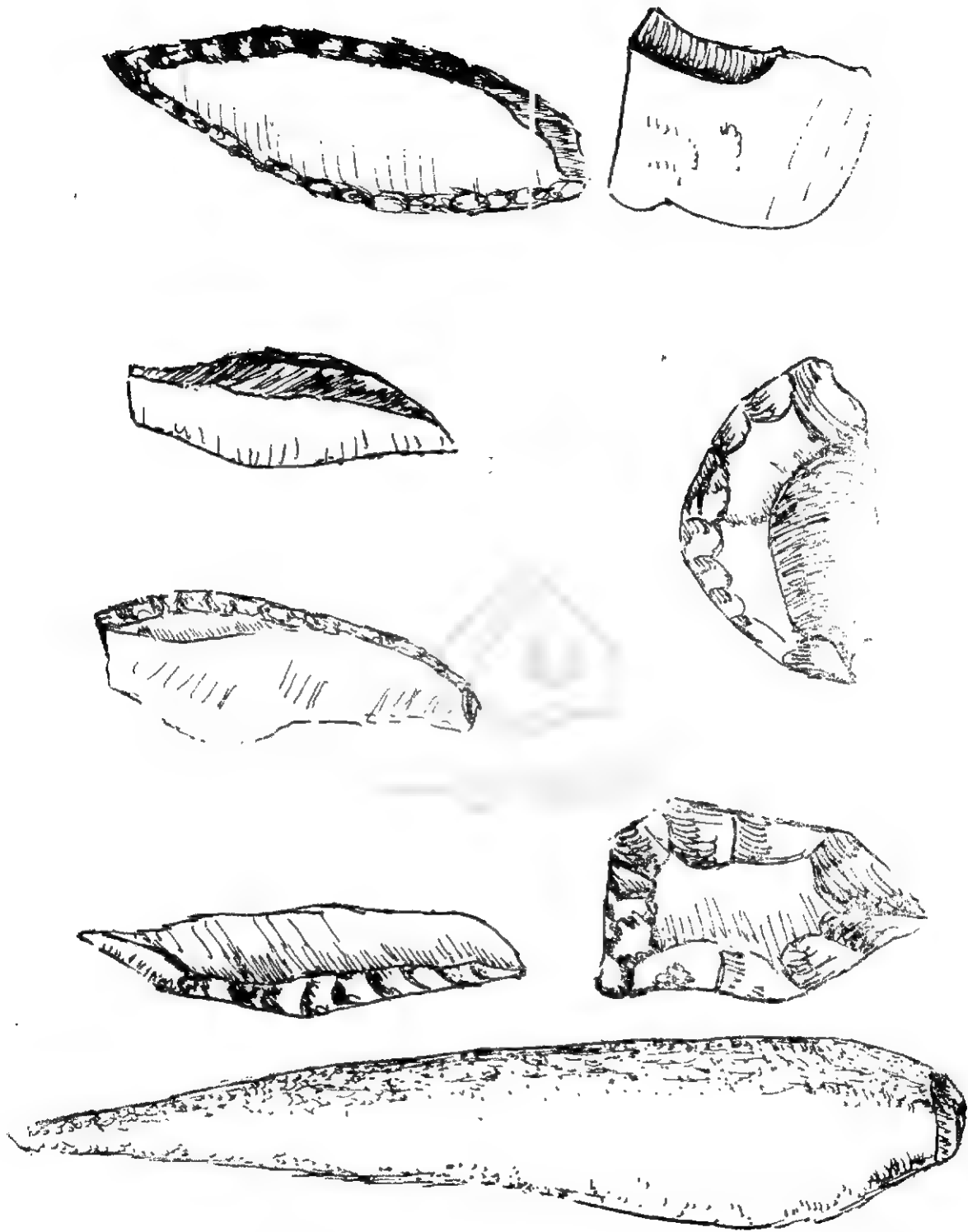


مناذع من الأدوات المعروفة بالموهنجوداد، المكتشفة
من الكداح المعروفة بجبل ارض سودا، كمراب، الاشكال.

١-٤

الاشكال ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ فترة ما قبل الهندو-أوروبية
في شمال امريكا. وقد اكتشفت في المناذع المعروفة في بلاد
الهند وباكستان.

شكل رقم (١٥)



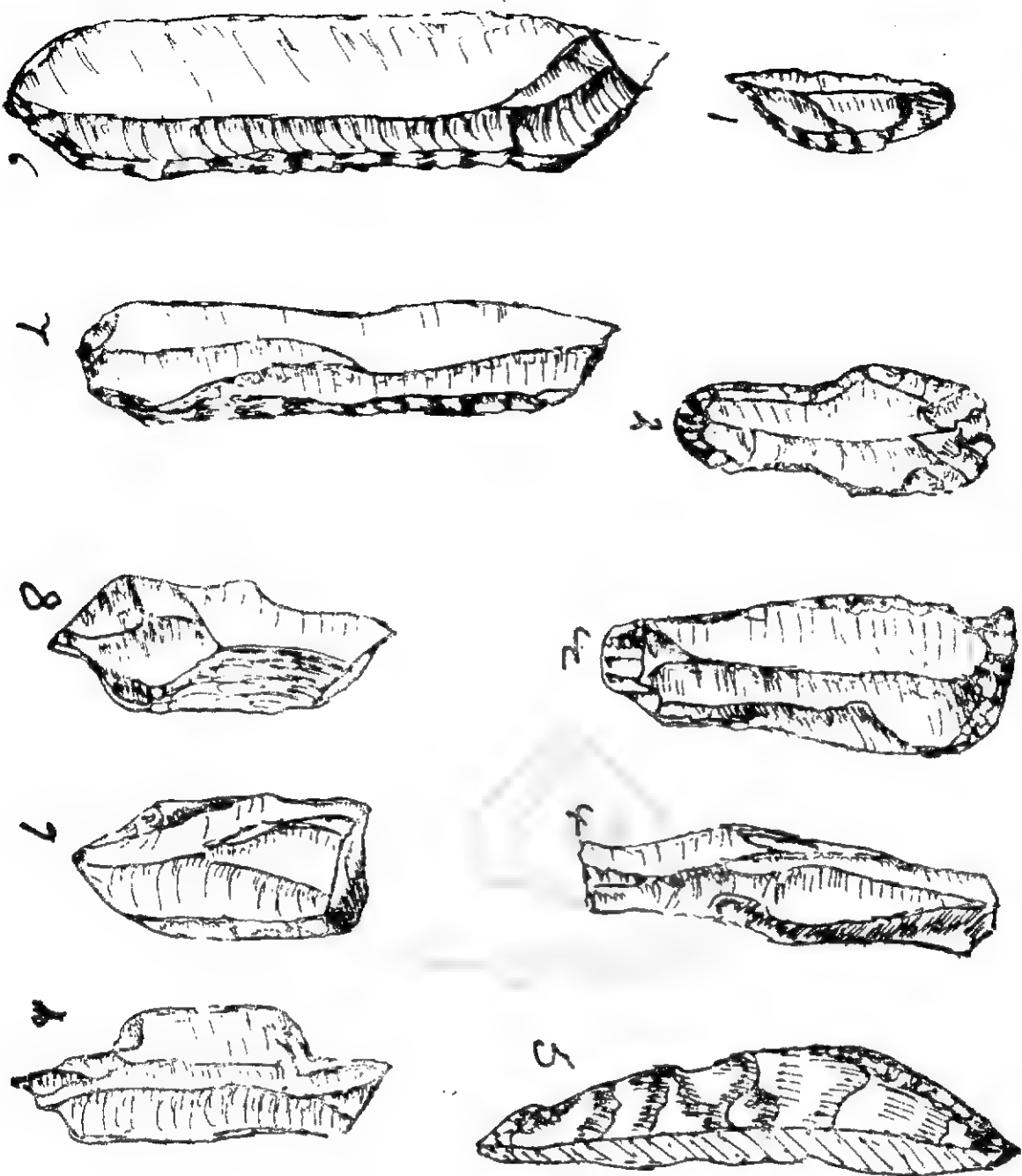
شکل رقم (۵ ب)



شكل رقم (٦)

□ مناطق وجود الأدوات الأيرومورسية (الوهرانية) في شمال افريقيا
 ● مناطق وجود أدوات العصر الحجري الحديث في شمال افريقيا والصحراء

Clark. J. D. 1967.



غلاف صلب
 المبرقعة المبرقعة
 المبرقعة المبرقعة
 في حال المبرقعة
 والمبرقعة
 من المبرقعة
 في المبرقعة
 في المبرقعة
 في المبرقعة
 في المبرقعة

شكل رقم (٧)

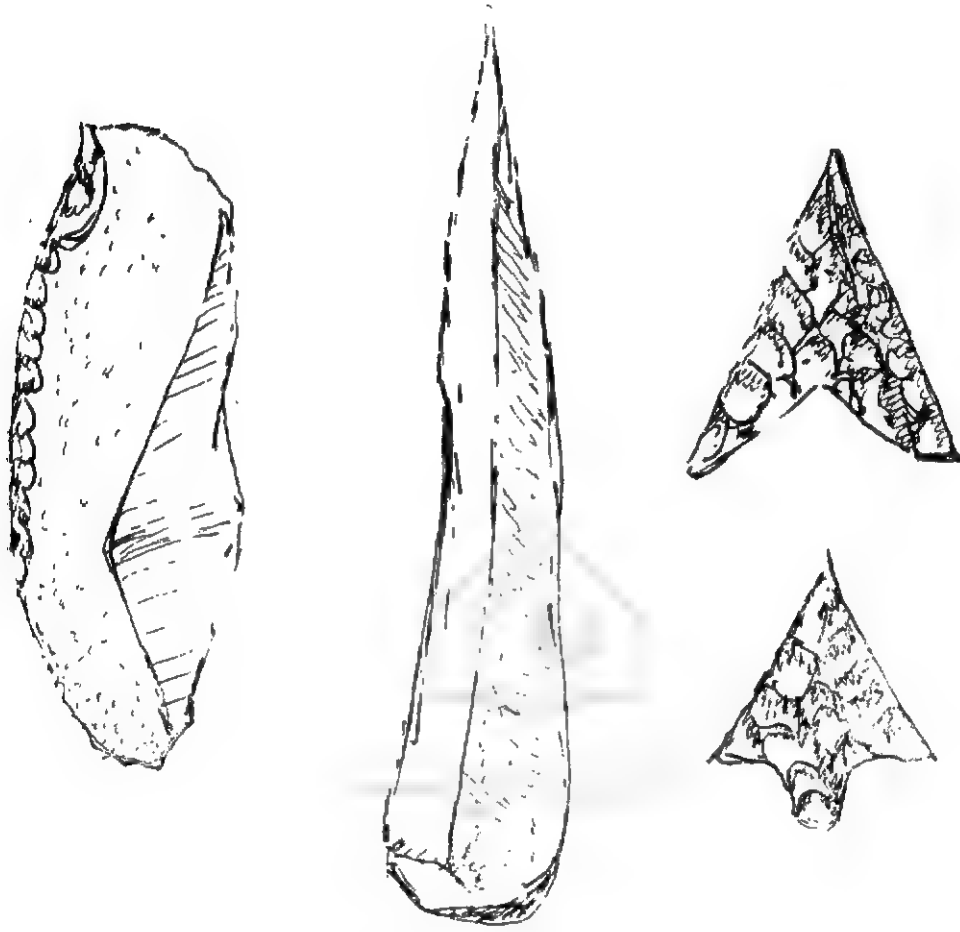


شكل رقم (٨)

نماذج من بيض النعام المكشوف في بعض المناطق المعروفة بشعافها العفصية
ومن موقع برج مليلة الواقع في وركله في الصحراء الجزائرية

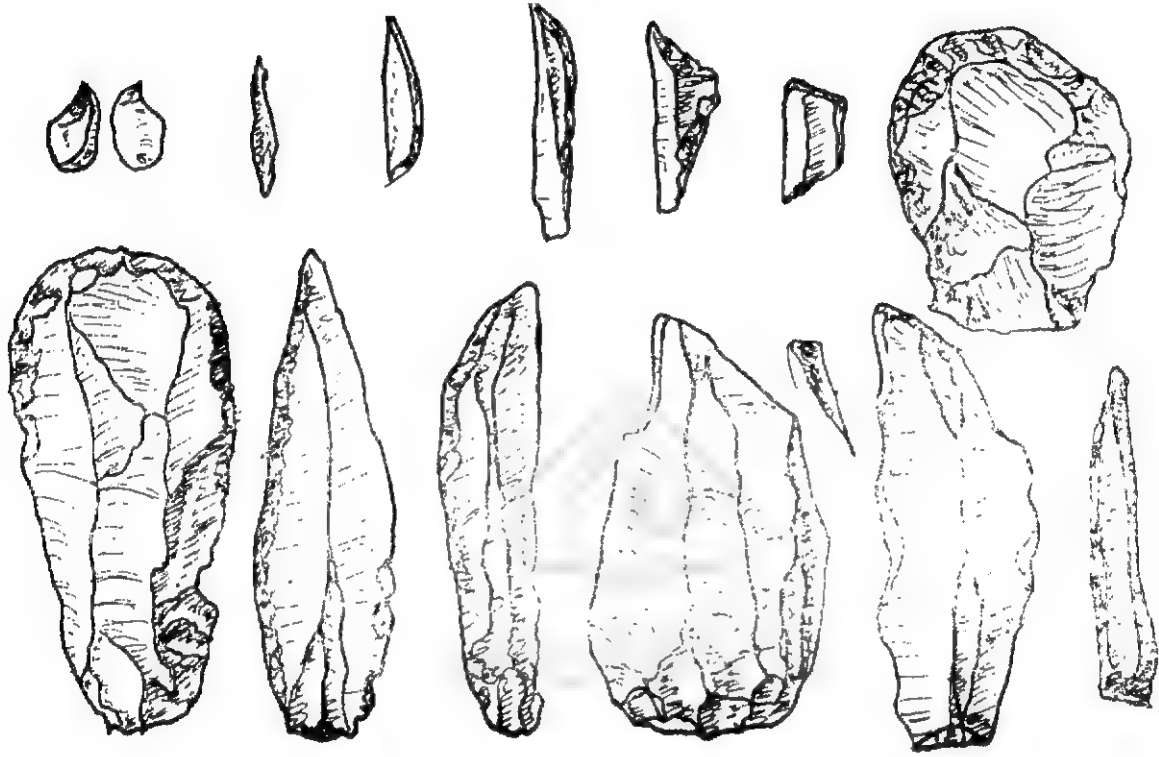
النموذج من :

Tixier, J. Le Campement Préhistorique de Bordj Mellala, Ouargla,
Paris, 1976.



شكل رقم (٩)

نماذج من الادوات الحجرية المستخدمة من قبل الجماعات القفصية
من مناطق جنوب تونس . يبدو بينها من اساليب التصنيع المتميزة
لهذه الفترة : المقاشط ذات الحد الواحد وذات الحدين .

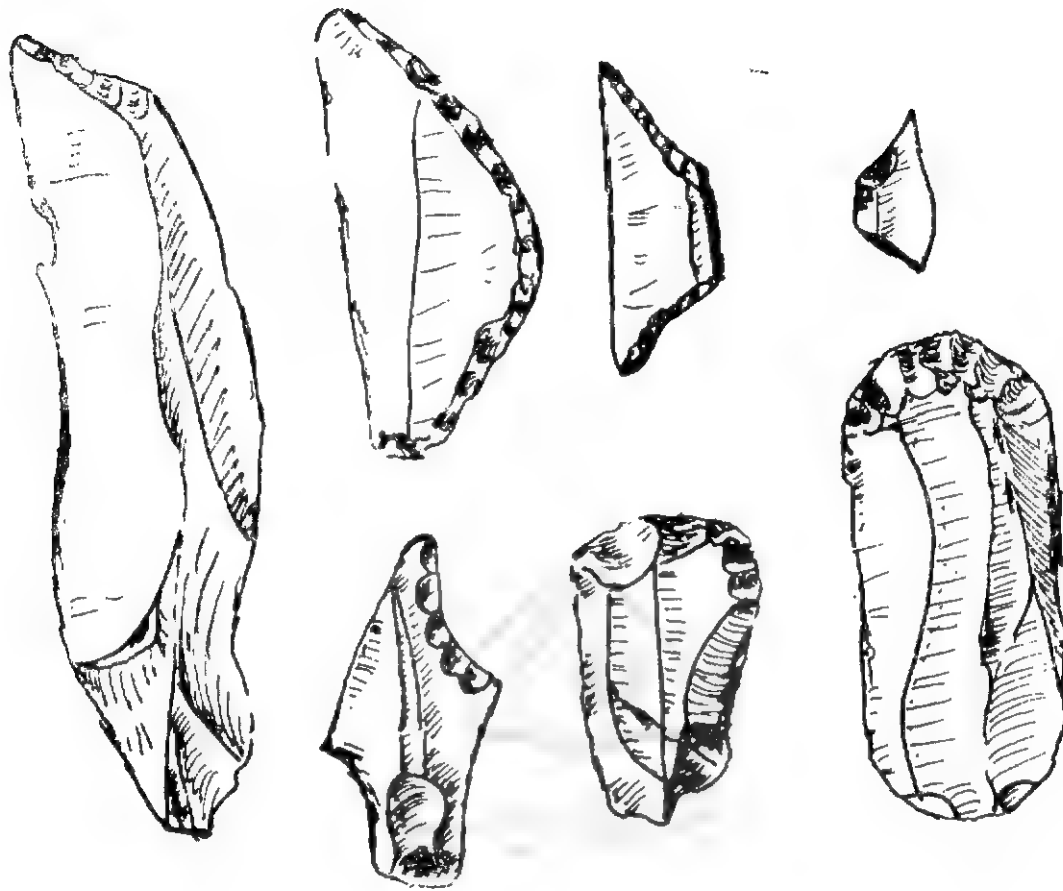


شكل رقم (١٠)

نماذج من الادوات الحجرية المستخدمة خلال فترة الثقافة القفصية
في تونس ومن الموقع المسمى الكتا ويغلب على اكثرها كونها من انواع الماشاب
والمقاشط المدورة .

الشكل من :

Vaufrey, R. Préhistoire de l'Afrique, Vol. II.



شكل رقم (١١)

نماذج اخرى من الادوات الحجرية المستخدمة من قبل الجماعات
القفصية في كينيا

الشكل من :

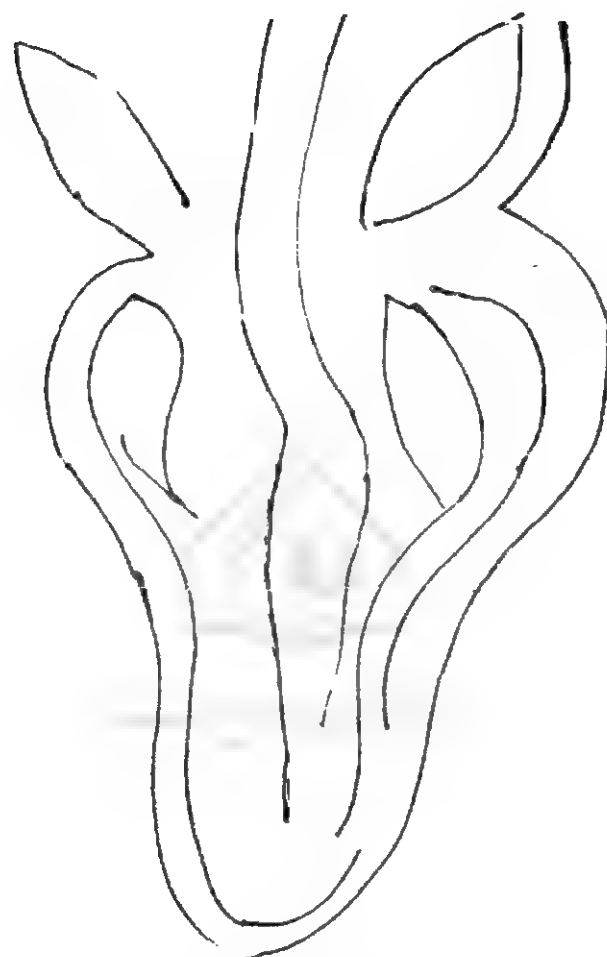
Leakey, L. S. B. The stone Age Cultures of Kenya .Colony. Camb-
ridge. 1931.



شكل رقم (١٢)
النموذج من مجلة LBYCA Tome



شكل رقم (١٢)
النموذج من مجلة LBYCA Tome



شكل رقم (١٢)

النموذج من مجلة LBYCA Tome



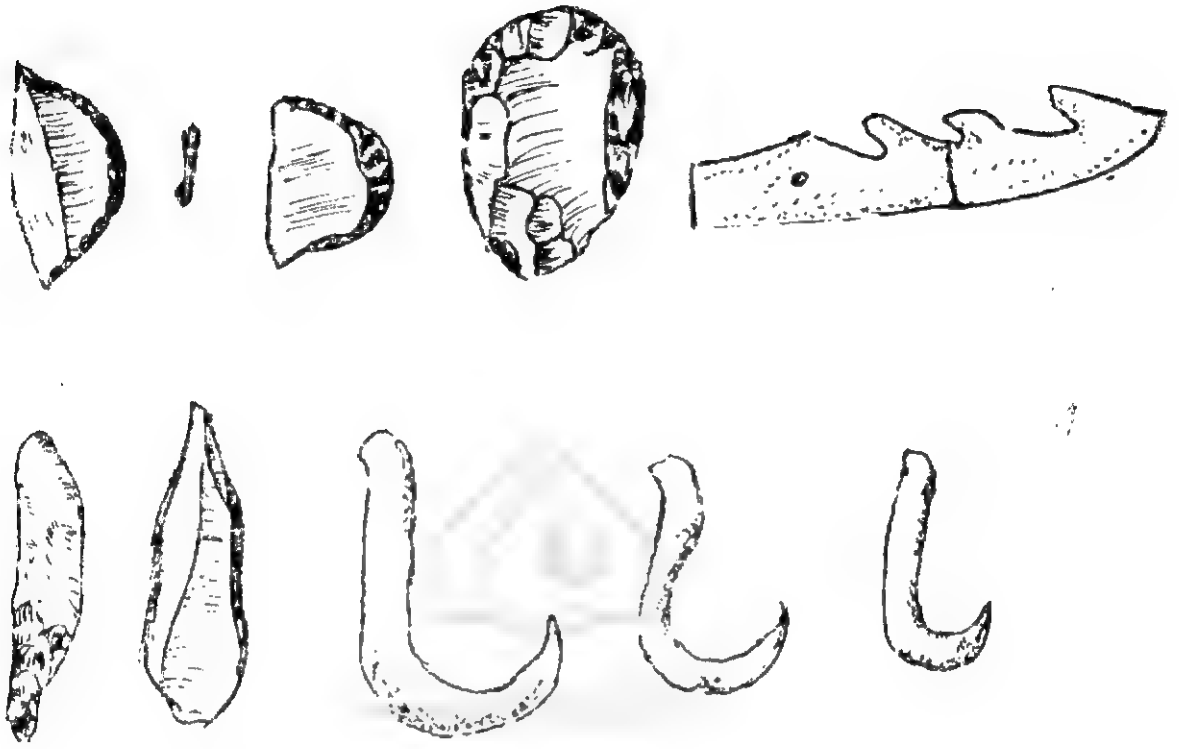
شكل رقم (١٢)

النموذج من مجلة LBYCA Tome



شكل رقم (١٢)

النموذج من مجلة LBYCA Tome



شكل رقم (١٣)

مجموعة من الادوات الحجرية والعظمية المستخدمة خلال فترة العصر الحديث
في منطقة الشاهيناب الواقعة في الخرطوم (السودان) ويبدو بينها المقاشط
ذات الشكل الهلالي : ١-٣ . المقشط ذو النهايات الحادة : شكل ٦ ،
الادوات المستخدمة كمشقب : شكل ٨ ، الادوات المستخدمة كشصوص
لصيد الاسماك :

الشكل من :

Arkell, A. Shaheinab. Oxford. 1953.

عبادة اللات العربية وانتشارها

في ضوء الشواهد الأثرية

الدكتور واثق اسماعيل الصالحي

كلية الآداب - جامعة بغداد

احتلت الالهة اللات مركزا بارزا ومهما بين مجموعة الآلهة العربية القديمة في الفترة التي سبقت الدعوة الاسلامية وقد عبدها عرب الحجاز وعرب الشمال في سورية والعراق وقد خصصت لها معابد كثيرة منتشرة في مواضع عديدة من هذه الاقطار وبخاصة في مراكز المدن العربية كتدمر والحضر ودوراويوروبس (الصالحية) والبتراء استنادا الى المنحوتات التي تصورها وبعض الكتابات التي يرد فيها اسمها التي اكتشفت اثناء التنقيبات الاثرية التي جرت في تلك المدن . ففي جنوب الجزيرة اقترنت عبادتها ، كما يعتقد ، بعبادة الشمس بدليل أن الشمس اثنى ، أى الهه في اللغة العربية وفي كثير من لهجات الجزيرة العربية الاخرى وأن اللات اثنى ايضا ^(١) وقد ورد أسمها بصيغة «ألت» في الكتابات النبطية والآرامية التي وجدت في الحجر وصلحد وتدمر والحضر وبصيغة « هلت » في الكتابات الصفوية ويقصد بها اللات لان الهاء أداة تعريف في اللهجة الصفوية ^(٢) . وأطلق عليها المؤرخ هيرودوتس اسم «أليات» والتي تعني الالهة ^(٣) ولفظة اللات هي ادغام لتلك الكلمة . في الجزيرة العربية ، كان مركز عبادتها بمدينة الطائف حيث قدسة وزاره العرب لاغراض التبرك وبنت قبيلة ثقيف ، ومركزها في الطائف أيضا ، بيتا (معبدا) على صخرة مربعة بيضاء ، كما يذكر ابن الكلبي ، وأصبح بعد ذلك معبدا للات وانه كان يضاهي الكعبة وسداته كانت لآل أبي العاص بن ابي يسار بن

مالك من ثقيف أو لبني عتاب بن مالك وكانت قريش تعظمه وتقده أيضا^(٤) وموضع المعبد كان في موقع مسجد الطائف أو تحت منارة المسجد اليسرى^(٥) وقد هدم هذا المعبد واحرق قوضت حجارته بأمر من الرسول لله (ص) عندما دخلت ثقيف الاسلام . وقد تعددت الروايات حول امر رسول الله بتهديم المعبد ويذكر ان الرسول (ص) قد ارسل أبا سفيان بن حرب ، المعارض للرسول وحامي الاصنام والمدافع عنها قبل فتح مكة ومعه المغيرة بن شعبه للبدء بتهديمه^(٦) وفي روايات اخرى بعث الرسول (ص) المغيرة بن شعبه وحده^(٧) والرواية التي تذكر اشتراك ابي سفيان مع المغيرة في هدم بيت الرب (أي اللات) كما يطلق عليه في بعض الاحيان ان صحت فانها تدل على الروح الجديدة والمثل العليا التي ظهرت بجزيرة العرب بظهور الاسلام وتعبير عن التطور الفكري الخطير الذي حدث فيها منبأ بظهور نهضة عربية جديدة .

وكان للات مركز مهم بين أصنام مكة المكرمة ، ويذكر ابن الكلبي أن قريشا ومن أقام بمكة من القبائل العربية كانوا يقدسون العزى واللات ثم مناة من بين الاصنام الاخرى وكانت قريش تخص العزى بالهدايا والزيارات وثقيف تخص اللات وكانت الاوس والخزرج تهتم بمناة وقد وردت الالهات الثلاث اللات والعزى ومناة في القرآن الكريم بهذا الترتيب^(٨) . ووضع الاخباريون العزى بعد اللات مجازاة لما ورد في القرآن الكريم وذكروا أخبارهم عنها على هذا الاساس لأن العرب الجاهليين قدموا اللات على العزى . ويذكر الاخباريون أيضا أن قريشا كانت تقدم الهدايا من الحلبي والثياب والنفائس ندورا لهذه الاصنام حيث كانوا يعلقون الاسلحة والقلائد عليها ويقدمون الاشياء الاخرى الى سدنة معابدها ويؤيد ذلك من بيت شعر ينسب الى كعب بن مالك الانصاري يقول فيه^(٩)

ونسى اللات والعزى وودا

ونسلبها القلائد والسيوف

ويذكر أيضا ان تماثيل الالهات كانت تؤخذ معهم في الغزوات^(١٠)

لقد وردنا العديد من أسماء الاعلام المركبة التي تعتمد اللات أمثال
تيم اللات ، زيد اللات ، عائذ اللات ، شيع اللات ، شكم اللات ، وهب اللات
وعبد اللات . وقد وصلت عبادة اللات الى سورية بواسطة الهجرات المتعاقبة
لقبائل الجزيرة العربية حيث نجدها في سنة ١ ميلادية في الحجر (مدائن
صالح) (١١) حيث تذكرها كتابة نبطية على تمثال ، جزؤه الايسر مكسور ،
بالصيغة التالية «هذه هي الالهة اللات من بصرى» (١٢) . وفي بصرى عثر
على تمثال اخر يمثل اللات عليه كتابة مشابهة لما ورد في الحجر ويدل على ذلك
ان العرب الانباط كانوا يقدسون ويعبدون اللات ضمن مجموعة آلهتهم
حيث بنوا لها معابد في داخل وخارج مملكتهم (١٣) وذكرتها الكتابات على
انها «أم الالهة» (١٤) وقد وردت في صلحد في كتابات يعود تأريخها ان سنة
٦٥ ميلادية (١٥) . وهناك أدلة آثارية تثبت انتشار عبادة اللات في سورية
وتقديسها على النطاق الشعبي بين قبائل عرب الشمال وعلى الصعيد الرسمي
كونها تدخل ضمن مجموعة الآلهة الرئيسية للمدن السورية العربية القديمة
واعترفت الالهة الام او الالهة العظيمة ، ومن جملة هذه الادلة أن أسماها يتردد
في الكتابات الآرامية ويدخل في تركيب أسماء الاعلام مثل شلم اللات ، وهب
اللات ، عبد اللات ، أمات اللات ، سعد اللات ، نصر اللات ... الخ (١٦) .
هذا بالإضافة الى العثور على منحوتات وتماثيل تمثلها . وفي تدمر كانت الالهة
رئيسية ولكننا لانعرف مركزها في مجموعة الآلهة التدمرية ، ويعزي سبب
ذلك الى ان عبادتها قد وصلت متأخرة الى تدمر ولم تحتل موقعا دينيا مهما (١٧)
ولكن التنقيبات الحديثة التي جرت في المدينة اثبتت ، بشكل واضح ، أهمية
مركزها بين الالهة التدمرية وعبادتها على نطاق واسع . ومن خلال منحوتاتها
والادلة المكتوبة التي عثر عليها أثناء التنقيبات اتضح مدى تطابقها مع 'الالهة
الاغريقية اثينا' . حيث نحتت بهيئة أثينا بززتها العسكرية وصدرها الغضى بدرع
مكون من حلقات معدنية مزودة ويظهر وجه مدوسا المطلسم في وسط الدرع

وتبدو الالهة وعلى رأسها الخوذة الكورثية وباحدى يديها رمح طويل وتضع اليد الاخرى على ترس بجانبها . والادلة المهمة التي اعتمدنا عليها في هذا التطابق مستمدة من الكتابات التذكارية . فقد عثر على كتابة باللغة اليونانية تذكر اثينا - اللات^(١٨) ، اضافة الى ان اسم وهب اللات ، ابن زنوبيا ملكة تدمر ، قد ترجم الى اليونانية بشكل أثينا دوروس على كتابة يونانية . وعلى النقود الاغريقية لوهب اللات فقد كتب « أوبالاثوس » أعقبته الترجمة الاغريقية للاسم « أثينادوروس »^(١٩) .

وعثر مؤخرا على معبد يقع في الجزء الغربي من مدينة تدمر خصص لعبادة اللات وبعض الالهة العربية الاخرى . واقدام ذكر لات ورد في كتابات تؤرخ في حدود عام ٦ ق م وفيها يذكر أن اللات هي آرتمس وتذكرها كتابات اخرى وجدت في تلك المنطقة تؤرخ في القرن الاول والثاني الميلادي . وعثر أيضا في خلوة المعبد على تمثال يصورها بهيئة اثينا بارثنوس يرجع بتاريخه الى حدود القرن الثالث الميلادي^(٢٠) . والتنقيبات اوضحت وبشكل مؤكد ان لات معبدا خاصا بها في الجزء الغربي من المدينة في بداية القرن الاول الميلادي او أقدم عهدا من هذا التاريخ . وعلى منحوتة تدمرية حفرت بالنحت الواطيء تظهر اللات اثينا مع خمس آلهة اخرى وهي تلبس ملابس طويلة تكاد تصل الارض وتضع فوق رأسها الخوذة وتسك بترس يضيوي بيدها اليسرى وباليمنى تمسك رمحا وعلى صدرها تضع الدرع المطلسم الحامي^(٢١) . وصورت اللات أيضا على بطاقات الدعوات الدينية بخصائصها المتميزة وعليها اسم « ألت » وعلى بعض من تلك البطاقات تظهر صورة أسد مع أسم اللات وعلى أخريات صورة نجمة وهلال مقرونة بصورة واسم اللات^(٢٢) . وفي تدمر أيضا عثر على كتابة يرجع تأريخها الى عام ١٢٩ ميلادي تذكر بأن احدى القبائل المحلية التدمرية شيدت بناية تحتوي على أعمدة في وسط المدينة خصصت لعبادة شمس ورحيم واللات الذين وصفتهم الكتابة بالآلهة الطيبين « ألها طيبا »^(٢٣) .

وقد انتشرت عبادة اللات في معظم مناطق سورية فقد عثر على نحت بارز يمثل اللات بالخصائص المميزة لاثينا في حوران ، وهو الآن محفوظ في متحف اللوفر ، وفيه تظهر الالهة حاملة ترسا صغيرا ورمحا طويلا وتلبس الدرع الحامي على صدرها وبجانب الالهة توجد كتابة تذكارية تشير الى ان مقدمها كان تدمريا (٢٤) . وفي خربة لقتير القريبة من جبل شعار الواقع الى الشمال الغربي من تدمر عثر على لوحة عليها نقش بالنحت البارز يمثل أربع آلهة وهم اللات وارصو وأما يارجول أو ملكبل ومن المحتمل أن يكون الاله الرابع تمثيلا لبعلشمين . وتظهر اللات - أثينا وهي تحمل نفس الخصائص المميزة (٢٥) . وفي خربة وادي سوانة عثر على ثلاث منحوتات تمثل اللات مع آلهة رئيسية (٢٦) . وفي خربة وادي الصانه وجدت منحوتات أخرى للات وفي احدها تظهر الالهة بدون الدرع الحامي (٢٧) . وفي سويداء عثر على اسكفة مهمة عليها نقش يمثل اللات بصفاتها المتميزة اضافة الى صورة اسد بجانبها ، ويدل هذا دلالة واضحة على قدسيته من قبل القبائل العربية (٢٨) .

وفي دورايوروبس (الصالحية) نلاحظ أن الادلة ضئيلة بشأن عبادتها ولا يظن أنها كانت في مصاف الآلهة الرئيسية للمدينة . وأهم صورة وجدت للات في دورا عثر عليها في معبد الاله بل وفيهما يظهر شخص يقدم القرابين لخمسة آلهة تدمرية ، أربع منها تمثل ذكورا والخامس يمثل اثنى ويظن انه يمثل اللات - اثينا استنادا الى الترس الظاهر بجانب لباسها الطويل علما بأن الجزء السفلي فقط بقي من صورة الالهة . وبجانب الصورة أيضا كتابة تذكر اسمها (٢٩) . وعثر في دورا أيضا على احدى عشرة لوحة جصية معموة بواسطة قالب اثنتان منها وجدت في شارع وواحدة في بيت اما الاخريات فمعثرها غير معروفة ويظن انها كانت في الاصل تزين واجهة معبد خصص لعبادة اللات في الاجزاء غير المنقبة من المدينة . ويمكن أن تصنف منحوتات اللات في دورا الى صنفين أولهما منحوتات عملت لتشابه المنحوتات الهلنستية - الرومانية لاثينا وثانيهما منحوتات تتصف بالصفات العامة لها في الشرق

الادنى وهي تحويل للشكل الاول من ناحية الاختلاف في شكل الخوذ
والملابس التي أصبحت مستمدة من التقاليد المحلية ويظن ان احدى تلك
اللوحات تمثل اللات العربية لان نحتها يختلف عن النحت المعروف للات - أثينا
يتضح من ذلك ان الادلة الاثرية تؤيد ان عبادة اللات - أثينا كانت منتشرة
على نطاق شعبي ، اضافة الى تكرار اسماء الاعلام المركبة التي تتضمن اسم
أثينا مثلا : أثينا دوررس ، أثينا فيلوس ، أثينا فيليا ... الخ ولكنها لم
تحتل موقعا بارزا في الديانة الرسمية لدوراويوروس عدا ورودها ، كما ذكرنا
سابقا ، مع الآلهة التدمرية في معبد « الاله بل » (٢٠) .

اما في مدينة الحضر والتي كانت مركزا للقبائل العربية فالشواهد
الاثرية والمكتوبة تدل على ان اللات قد احتلت موقعا مهما وبارزا في الديانة
الرسمية للمدينة ، قد دخلت في تركيب اسماء الاعلام وورد اسمها في العديد
من الكتابات الدعائية جنبا الى جنب مع آلهة المدينة الرئيسية اضافة الى
العثور على منحوتات تمثلها . وكشفت التنقيبات التي جرت مؤخرا عن معبد
ضخم ، يقع داخل المعبد الكبير ، مخصص لعبادتها استنادا الى ادلة مكتوبة
سندكرها بعدئذ . أما أسماء الاشخاص الذين سمو باسمها والتي وردت في
الكتابات فهي (١) زيد اللات ووجد هذا الاسم منقوشا على قاعدة تمثال
الملك سنطروق الثاني . ومقدم التمثال شخص اسمه نشريه ابن زيد -
اللات ونشريه كان سادنا لمعبد مرن (٢١) . (٢) جرم - اللات وهو الشخص
الذي أقام تمثالا للملك ولجش . ووجد التمثال في هيئة وقوف بموضعه
الاصلي في الايوان الجنوبي وعلى سيف الملك يوجد نقش يمثل الآلهة اللات
بوقفها الاعتيادية وخصائصها المتميزة (٣٢) (٣) يتم - اللات ورد في كتابة
دعائية تذكارية (٣٣) (٤) عويد اللات - ورد أيضا في كتابة تذكارية (٣٤) .
ويرد اسم اللات (ألت) في العديد من الكتابات الدعائية بالصيغة التي ورد
فيها اسمها في كتابات تدمر . ويتكرر اسم اللات مع آلهة حضرية معينة
وفي خمس كتابات يرد بعد اسماء آلهة التثليث الحضرية (مرن ومرتن

وبرمرين) ويعقبه أما شحيرو أو سسيا وفي الامثلة على ورود اسم اللات في الكتابات ماجاء في الكتابة المرقمة [٧٤] والتي نصها « مذکور نشري بالخير والحسنى أمام سيدنا النسر وشمش وزوجته وابنه والرايات كلها • ولعنه سيدنا على كل من يزيف هذه الكتابة أو يكتب عليها ، هذا عمل سيء أمام مرن ومرتن وبرمرين واللات وشحيرو »^(٣٥) ، أو في الكتابة المرقمة [٨٢] ٤٨٨ (١٧٧ ميلادي) المعبد الذي بناه سنطروق ملك العرب المظفر عابد شمش الاله (العظيم) ابن نصرومييا لمرن ومرتن وبرمرين واللات وسميتا »^(٣٦) •

وعثر في خلال التنقيبات التي جرت في مرافق المدينة المختلفة على احدى عشر لوحة وتشال تظهر فيها اللات مرتدية بزتها العسكرية المشابهة لتلك التي ترتديها على لوحات تدمر ودوراويوروبس وتطابقها مع أثينا يبدو واضحا من خلال تشابه مميزات الالهتين ، ولكننا نفتقد الى الدليل المكتوب الى ذلك التطابق في الحضر • وأبرز منحوتات اللات اكتشفت أثناء تنقيب المعبد الخامس وتبدو فيها واقفة على ظهر أسد وعلى جانبيها تقف امرأتان لعلهما العزى ومناة^(٣٧) • وفي منحوتة اخرى تظهر اللات مع اله ملتحي على وشك أن يطعن ثعبانا يظن أنه يمثل فيراثرا كنا ، اله النصر في الديانة الزرادشتية^(٣٨) • ونقشت صورة اللات بالنحت البارز على بدن حصالة نقود حيث تبدو مسرعة لنجدة هرقل الذي يخوض صراعا مع قنطرس^(٣٩) • وعلى تمثال اخر لها وجد ايضا في المعبد الخامس يظهر الدرع الوافي على صدرها بشكل محور يشبه القلادة معلقة بسلسلة حول رقبتها^(٤٠) ونستدل من المنحوتات والادلة المكتوبة التي كشفت عنها تنقيبات المعبد الخامس انه كان مخصصا لعبادتها حيث سميت فرحة الاله بل ونعتت بالبتول^(٤١) • وبل اله معروف في الشرق الادنى القديم ويطلق زوس ، كبير آلهة الاغريق ، في بعض الاحيان • وتعتبر الالهة اثينا في الاساطير اليونانية ابنة زوس العذراء ، ويظهر من هذا بشكل واضح أن فرحة الاله بل البتول هي اللات - اثينا •

وتزودنا التنقيبات التي جرت مؤخرا في المدينة بأدلة آثارية ومكتوبة تلقي ضوءا جديدا على مركز اللات المهم في مجموعة الالهة الحضرية . فقد عثر على كتابات منقوشة على جدران بناية ضخمة تقع في المعبد الكبير . تذكر ان الملك سنطروق (الاول) بنى تلك البناية وخصصها لعبادة اللات بعد ان زينها بالتماثيل والزخارف البديعة^(٤٢) . أما صفاتها ومميزاتها فتظهر من خلال منحوتة ، وجدت في غرفة من غرف المعبد ، تبدو فيها اللات جالسة بوضعية جانبية على جبل يقوده الملك سنطروق بنفسه مرتديه ملابس النسوة الاعتيادية المتعارف عليها من خلال المنحوتات والتي تختلف عن بزتها العسكرية ولا تحمل الرمح والترس ولا تلبس الخوذة والدرع الواقي ويظن ان ظهورها بهذا الشكل لا تمثل اللات - اثينا وانما اللات العربية .

وهناك ادلة على عبادتها في الوركاء ، فقد عثر على دمية فخارية تمثلها واقفة على قاعدة وتمسك |ترسا صغيرا| في يدها اليسرى وترفع يدها اليمنى وكأنها تمسك رمحا^(٤٣) . ووجدت في سلوقية على دجله خمس دمي فخارية تصورها بهيئة اثينا^(٤٤) .

من خلال هذا الاستعراض واستنادا للدلة الاثارية والمكتوبة يتضح لنا أن اللات العربية قد عبدت في معظم مراكز المدن العربية وفي المناطق التي سكنتها القبائل العربية سواءا في الجزيرة العربية أو سورية أو العراق . وتطابقها مع اثينا في سورية والعراق يدل على تشابه صفاتها وكونها الهة حرب وحكمة ، وظهور الاسد معها في بعض المنحوتات يدل على قوة الطبيعة للبيئة التي تسكنها تلك القبائل . ونستدل من الادلة أيضا انها احتلت موقعا بارزا في الدين الرسمي وعبدت كذلك على الصعيد الشعبي .

الهوامش

- (١) جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء الخامس ، بغداد ١٩٥٦ ص ٩٢
- (٢) J. G. Février, La Religion des Palmyréniens, Paris, 1931, p. 13.
- (٣) هيرودوتس - ٣ ، ٨ ، ١ ، ١٣١
- (٤) ابن الكلبي - كتاب الاصنام - تحقيق احمد زكي باشا ، ص ٢٣
- (٥) الازرقى - اخبار مكة - تحقيق رشدي الصالح ملحس - الجزء الاول الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٦٩ ص ١٢٦
- (٦) جواد علي - تاريخ العرب - ص ٩٤
- (٧) الازرقى - اخبار مكة - ص ١٢٦
- (٨) ابن الكلبي - كتاب الاصنام - ص ٢٤
- (٩) جواد علي - تاريخ العرب - ص ٩٥
- (١٠) Adolf Grohmann, Kulturgeschichte des Alten Orients : Arabien, München. 1963. p. 83.
- (١١) CIS, 11, 198.
- (١٢) Grohmann, Op. Cit., p. 79.
- (١٣) Nelson Glueck, Deities and Dolphins, New York, 1963, p. 166.
- (١٤) CIS, 185, 198.
- (١٥) CIS, II, 182.
- (١٦) Février, p. 10.
- (١٧) Henri Seyrig, AS, IV, p. 73f.
- (١٨) Franz Cumont, Syria, V, 1929, pp. 342(345.
- (١٩) Du Mesnil Du Buisson, Les Tessères et les Monnaies de Palmyre, Paris, 1965, pp. 755-756.
- (٢٠) H. Seyrig, AS, III, pp. 114
- (٢١) Segrig, Syria, (XIII) 1932, p. 258.
- (٢٢) Ingholt, et al, Recueil des Tessères de Palmyre, Paris, 1955, p. 16, 23-24, 38.
- (٢٣) Février, op. cit., p. 12.
- (٢٤) R. Dussaud, "Les déesses Allat- Athena et Simia", Syria, XVI (1935), p. 324.

- D. Schlumberger, *La Palmyrène du Nord-Ouest*, Paris, 1951, (٢٥)
pp. 62-63.
- Ibid., p. 70-71. (٢٦)
- Ibid., p. 71. (٢٧)
- Maurice Dunand, "Rapport sur une mission archéologique (٢٨)
au Djebel Druze," *Syria*, VII (1926) pp. 326-335.
- F. Cumont, *Fouilles de Doura-Europos*, Paris, 1926, p. 387ff. (٢٩)
- S. Downey, *The Stone and Plaster Sculpture, Excavations at (٣٠)
Dura-Europos*, Los Angeles, 1977, p. 181-184.
- (٣١) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر - مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤
الكتابة المرقمة (١٩٥) ص ٤١٢
- (٣٢) المصدر السابق - الكتابة المرقمة (١٩٣) ص ٤١٢
- (٣٣) المصدر السابق - الكتابة المرقمة (١٨٤) ص ٤١٢
- (٣٤) المصدر السابق - الكتابة المرقمة (٢٣٠) ص ٤١٣-٤١٤
- (٣٥) المصدر السابق - ص ٤٠٨
- (٣٦) المصدر السابق - ص ٤٠٨
- (٣٧) المصدر السابق - ص ٢٣٣
- Wathiq Al-Salihi, "Aspects of Hatran Religion," *Sumer*, 1970 (٣٨)
p. 189-190.
- S. Downey, "Cult - Bank from Hatra" *Berytus*, XVI (1966) (٣٩)
pp. 97-109.
- (٤٠) سفر ومصطفى ، ص ٢٣٥
- T. J. Milik, *Dédicaces Faites par des Dieux*, Paris, 1972, pp. (٤١)
337 - 344.
- (٤٢) عيسى سلمان - تقديم - سومر : ١٩٧٤ ص ٥ - ط . نتائج التنقيبات
في هذا المعبد لم تنشر لحد الان حيث يقوم الاستاذ حازم النجفي بكتابة
التقارير الاولى عنها .
- Charlotte Ziegler, *Die Terra Kotten von Warka*, Berlin, 1962, (٤٣)
p. 95f.
- W. Van Ingen, *Figurines from Seleucia on the Tigris*, Ann (٤٤)
Arbor, 1930, p. 81.

مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية

الدكتور علاء موسى كاظم نورس
قسم التاريخ/كلية الآداب
جامعة بغداد

يلاحظ عند دراسة التاريخ العثماني أن الجيش الانكشاري يعد من أشهر ما تميزت به الدولة العثمانية عسكرياً ، إذ كان سلاحاً للدفاع والتوسع في مراحلها الأولى .

ويقوم هذا الجيش على أساس تجنيد أبناء رعايا السلطان من المسيحيين ، الذين مكنت الغزوات الأولى للعثمانيين في أوروبا من الحصول على عدد كبير منهم^(١) . ويذكر المؤرخون أن السلطان أورخان (١٣٢٦-١٣٥٩م) - الذي يعتبر صاحب فكرة تأسيسه - قد جند في بادئ الأمر ألفاً من هؤلاء تجنيداً دائماً ، ووضع قانوناً خاصاً بهم صيغ في أربع عشرة مادة ، تضمنت النظام الداخلي للجيش الانكشاري ، وتنظيم علاقات أفرادهم ببعضهم ببعض . كما نصت على الطاعة المطلقة والانقياد التام لأولى الأمر^(٢) .

(١) Charles Eliot, Turkey in Europe, (London, 1908), P. 59; H. Gibband H. Bowen, Islamic Society and the west, Vol. I, Pt. I, (London, 1950), P. 43, 58.

(٢) أحمد جواد ، تاريخ عسكري عثماني ، (استانبول ، ١٢٩٩) ، ص ٦١ ، أحمد راسم ، عثمانلي تاريخي ، ج ١ ، (استانبول ، ١٣٣٠) ، ص ٥١ .

Ismail Hakki Uzunarsili, Osmanli, Devleti Teskilâtınlan Kapukulu Ocakları, I, (Ankara, 1943), P. 240. Ahamd Bedvi Kuran, Osmanli Impartorlugunda Inkilap Harekatleri Ve Milli Mucadele, (Istanbul), PP. 26 — 7.

وانظر : كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومير بعلبكي ، الطبعة السادسة ، (بيروت ، ١٩٧٤) ، ص ٤١٤ .

ويبدو ان السلاطين قد وجدوا في هذا النظام ميزة كبرى ، فالشبان الذين يجندون كانوا يفقدون - بمقتضى تربيتهم واعتناقهم الاسلام - روابطهم الالاسية . كما لم يكن بوسعهم اكتساب روابط جديدة ، لانه لم يكن يؤذن لهم بالزواج ما داموا جنودا ، وبذلك تنسرفيهم روح الجماعة المهنية مع ولائهم لعرش السلطان^(٣) . في حين ان القوات المعروفة باسم « اليايا » أو « البيادة » - أى المشاة - والتي تمت على يدها الفتوحات الاولى للعثمانيين ، كانت صعبة الانقياد ، بحكم كونها غير نظامية ومقصورة على الاناضول ، كما لم يكن بالامكان الركون اليها في عمليات بعيدة عن مواضع اماكنها دون التعرض لبعض المشاق^(٤) ، لهذا كان من الطبيعي - كما يقول المستشرق كب - أن يفكر السلاطين العثمانيون في ابدالهم بفرق أخرى . وهذا ما سححت الظروف بتحقيقه ، حين تسكن العثمانيون من الحصول على عدد كبير من الاسرى خلال عمليات توسيعهم في أوروبا^(٥) . ولما كانت رغبة السلاطين في ذلك الوقت اختيار اقوياء البنية منهم كأجناد لتأليف القوات الجديدة « الييني جري »^(٦) ، لذا تعين على هؤلاء الدخول في الدين الاسلامي ، اذ لم يكن الا للمسلمين الحق في حمل السلاح^(٧) .

(٣) اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، (القاهرة ، ١٣١٢) ، ص ٤٨٨ .

Edward Creasy, History of the Ottoman Turks, (London, 1878), P. 14, Eliot, Op. Cit., PP. 59 — 60.

Gibb & Bowen, Op Cit., Vol I, Pt. I, 58. (٤)

وانظر : محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، (القاهرة) ، ص ٧٥

Ibid. (٥)

(٦) الييني جري هو الاسم الذي صار فيما بعد علما على الجيش ثم حرف في اللغة العربية فأصبح « الانكشاري » ويكاد يكون القصد من التحريف التعريب .

(٧) بروكلمان ، المصدر السابق ، ص ٤١٤ ،

Theophile Lavallee, Historie de L'Empire Ottoman, (Paris, 1855), P. 131.

وكانت هذه النخبة تخضع لتدريب خاص في المدارس العسكرية ومدارس القصور السلطانية ، ويتخرجون منها ، حسب مؤهلاتهم ، جنودا في وحدات الانكشارية ، أو خداما في القصر ، أو موظفين كبارا في حكومة السلطان^(٨) وعلى أى حال فإن الانكشارية لم يكن لهم في القرن الرابع عشر تلك الأهمية التي أصبحت لهم فيما بعد ، ولم ينظم قانون التجنيد المسمى بالدوشرمة^(٩) إلا في القرن الخامس عشر على عهد السلطان مراد الثاني^(١٠) (١٤٢١-١٤٥١م) . فبعد ادخال هذا النوع من التجنيد أصبح مقدرا لمعظم المجندين أن يصبحوا انكشارية^(١١) . وبذلك خلق السلاطين جيشا رسميا دائما يغنيهم في كثير من الاحيان عن المتطوعة .

وقد حدث في تلك الفترة أن أنضوى الانكشارية تحت لواء الطريقة

(٨) للتفاصيل ، انظر :

Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol I, Pt. I, PP. 56 — 7.

(٩) الدوشرمة هو الاسم الذي يدل على حمل اولاد المسيحيين من رعايا السلطان ممن تتراوح اعمارهم بين العاشرة والعشرين ، على الانخراط في فرق الانكشارية وعلى الخدمة في القصور السلطانية .

A. H. Lybyer, The Government of the Ottoman Empire,
(New York, 1966), P. 34, 48.

وللتفاصيل ، انظر :

Encyclopaedia of Islam, art. Dewshirme.

(١٠) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمه عن التركية احمد سعيد ، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص ١٨٩ .

Gibb & Bowen, Op Cit., Vol. I, Pt. I, P. 59. (١١)

البكتاشية^(١٢) ، والمعروف ان (حاجي بكتاش) الذى استقيت الطريقة منه ، بارك في عهد السلطان اورخان تأسيس الجيش الانكشارى وذلك بوضع كفه على رأس واحد من أفراده ، ورغم ان الرواية اسطورية اذ ان حاجي بكتاش قد توفي قبل قرن تقريبا من مجرد التفكير في انشاء الجيش الانكشارى ، فان الانكشارية اتخذوه حاميا لهم ورمزا . وعمل المتصوفة من طرفهم على أخذ جيش المشاة الجديد تحت رعايتهم الروحية ، وهي رعاية قوبلت بالتجاهل من السلطات الرسمية في بادىء الامر ، وان يكن قد اعترف بها بعد ذلك . وهكذا اصبح الاسم الثاني للانكشارية هو « ابناء حاجي بكتاش » والجند البكتاشية^(١٣) .

(١٢) انتشرت الطريقة البكتاشية اكثر مما انتشرت في آسيا الصغرى ، ولا يعرف في الواقع متى شكل البكاشيون بالضبط طريقتهم وانها تنظيمها ، ولكن يمكن ارجاعها بشكلها المنظم الى القرن الخامس عشر . وتنسب هذه الفرقة نفسها الى « حاجي بكتاش » ، والمعلومات عن هذا الولي خرافية اكثر منها واقعية . ويقال انه كان تلميذا (لبابا اسحاق) زعيم الحركة الصوفية الباطنية بين قبائل الاناضول في منتصف القرن الثالث عشر . ومهما يكن فقد اختاروه وليا لهم وبنو تكيتهم الرئيسية بالقرب من ضريحه في قره شهر بين انقره وقيصريه .

ومعتقدات البكتاشية قريبة جدا من معتقدات القزل باش في آسيا الصغرى .

Encyclopaedia of Islam, art. 'Bektash'.

وانظر :

احمد سري دده بابا ، الرسالة الاحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص ١٥ .

(١٣) عن البكتاشية وعلاقتها بالانكشارية ، انظر :

F. W. Hasluck, Christianity and Islam under the Sultans,
Vol. II, (Oxford, 1929), PP. 483 — 493; J. K. Birge,
The Bektashi order of Dervishes, (Bristol, 1937), P. 74.

ومارست البكتاشية دورا سياسيا كبيرا لاتحادها مع الانكشارية ،
وربما يكون هذا هو السبب الذي منع السلطات العثمانية من ملاحقتهم ،
ومهما يكن فانه منذ نهاية القرن السادس عشر تم الاعتراف الرسمي بارتباط
الانكشارية بالبكتاشية ، ونال الرئيس العام لطريقتهم رتبة شرفية ، واصبح
ثانية من دراويشهم يقيمون في ثكنات استانبول لتأدية الصلوات اليومية
لرخاء الامبراطورية ونصرة قواتها . وفي الاحتفالات كانوا يسرون امام
أغا الانكشارية مرددين ادعية جماعية^(١٤) .

وقد أصبح الانكشارية في نهاية القرن الخامس عشر صفوة الفيالق
العسكرية التي تستند اليها الدولة العثمانية ، وبلغ عدد كتائبهم التي كانت
تسمى كل منها (أورطة) ١٦٥ كتيبة^(١٥) ، وهي منظمة تنظيميا متشابهة ،
وتعداد كل منها كان خمسون جنديا تحت قيادة ضابط يدعى (الجورباجي)
يساعده ستة من مرؤسيه وعدد من ضباط الصف . وهي تقيم في ثكنات
تسمى (أوطة) . ولكل كتيبة شارة توضع على اعلامها وعلى أبواب ثكناتها .
وجرت عادة الانكشارية على وشم هذه الشارات على أذرعتهم وسيقانهم^(١٦) .

(١٤) احمد سري دده بابا ، المصدر السابق . ص ١٥ .
Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol I, Pt. I, P. 65.

(١٥) في اواخر القرن الثامن عشر بلغ عدد الاورط (١٩٦) ، واصبح تعدادها
يتراوح ما بين ١٠٠ - ٣٠٠ رجل في اوقات السلم . اما عند اعدادها
للحرب فان العدد كان يصل الى ٥٠٠ رجل . وكان السبب في هذه الزيادات
هو الاسراع في التجنيد .

(١٦) للتفاصيل ، انظر :
Uzunçarsili, Kapukulu Ocaklari, I, PP. 343 — 371; Gibb &
Bowen, Op. Cit., Vol. I, Pt. I, PP. 60 — 2; 314 — 328.

وكانت شارات الانكشارية اما مفتاح او سمكة او علم او عصا ذات طرف
مدبب من المعدن .

وبرغم تفوق السباهية^(١٧) على الانكشارية من الناحيتين العددية والاجتماعية ، فان قاداتهم الذين كانوا يؤخذون من أرقى انواع غلمان السلطان ، كانوا يلون أعا الانكشارية في نظام الاسبقية^(١٨) .

وكان أعا الانكشارية شخصية بالغة الاهمية لانه قائد اقوى وحدات الدولة المحاربة ولانه كان يقوم بـنصب رئيس الشرطة في استانبول كما انه - بحكم منصبه - عضوا في مجلس الدولة^(١٩) ، ومقدما على كل الوزراء الذين تقل مرتبتهم عن مرتبة الوزير التي كان هو ينعم بها ، كما كان مقدما على كل القواد أيا كانوا . وفي حالة الحرب كانت له ميزة قيادة الفرق الانكشارية في حالة توجه السلطان بنفسه الى الحرب ، والا فانه كان يرسل نائبا عنه كي ينفذ أوامر القائد الذي يدير العمليات^(٢٠) .

ومن اوائل الاشارات الرسمية لمهمات الجيش الانكشاري التوسعية كانت في عهد السلطان مراد الثاني ، كما جاء في روايات بعض المؤرخين . اذ انه شارك في الحملات التي وجهها الى بلاد البلقان . وكذلك في الحرب التي شنها السلطان محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١ م) على القبيلة المعروفة باسم الآق قوينلو (الخروف الابيض) في ربيع سنة ١٤٦١^(٢١) .

(١٧) كانت السباهية بمثابة الفرسان النظاميين في الجيش العثماني . ويقال أن مجموع القوة التي كان يقدمها السباهية مع أتباعهم كانت تصل في بعض الاوقات الى حوالي مائتي ألف .

Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, Pt. I, P. 52.

Ibid, P. 327.

(١٨)

(١٩) كان مجلس الدولة يتألف من الصدر الاعظم وشيخ الاسلام والوزراء وقواد الجيوش البرية والبحرية ويترأس جلساته السلطان . علاء نرس ، حكم المماليك في العراق (بغداد ١٩٧٥) ، ص ٢١٠ .

Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, Pt. I, P. 61.

(٢٠)

(٢١) سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠٤ ، ٥١٣ ، راسم ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٧٥ ، ص ٢٠٩ ، محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، (القاهرة ، ١٨٩٦) ، ص ٥٧ ، Creasy, Op. Cit., P. 64.

وفي عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦ م) ، وهو العهد الذي استكملت فيه الدولة العثمانية عناصر قوتها وعظمتها ، مارس الانكشارية ، الذين بلغ تعدادهم ما بين ١٢ و ١٤ ألفاً (٢٢) ، دوراً مهماً في العمليات العسكرية العثمانية في المجر وبلاد فارس (٢٣) . كما ان اسطولا عثمانياً حاملاً الانكشاريين ، هاجم في سنة ١٥٥٩ البحرين في محاولة للاستيلاء عليها (٢٤) .

بالإضافة الى المهمات الدفاعية فقد كلفت الانكشارية في الولايات بمهام أخرى منها حماية الامن وجمع الضرائب . وان قوادهم كانوا أعضاء في الديوان الذي هو الهيئة الحكومة العليا في الولاية (٢٥) .

غير ان شعور الانكشارية بقوتهم على اعتبار أنهم السند الرئيسي للسلطان جعلهم يلجأون الى هذه القوة بالفعل حين اعلنوا عصيانهم في العاصمة سنة ١٤٨١ ، وقتلوا الصدر الاعظم قزمانلي محمد باشا لكتمانه موت السلطان محمد الثاني ومحاولته تنصيب الأمير جم الابن الاصغر للسلطان على العرش بدلا من أخيه بايزيد ، ولم تهدأ الفوضى الا بعد تسلم بايزيد مقاليد الحكم ، وقيامه

(٢٢) راسم المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، محمد جميل هيم ، فلسفة التاريخ العثماني (بيروت ، ١٩٢٥) ، ص ١٥١ ، Lybyer, Op.Cit., P. 95.

(٢٣) انظر : سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٤٠ ، ٥٥٠ ، فريد ، المصدر السابق ص ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٨ .

(٢٤) ستيفن هيسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، الطبعة الرابعة ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ٥٩ .

(٢٥) نفس المصدر ، ص ٦٧ ، عبدالعزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص ٩ - ١٠ .

زيادة اعطيات الانكشارية^(٢٦) زيادة صارت منذ ذلك الوقت عرفا ثابتا يطلبون انفاذه كلما ارتقى العرش سلطان جديد^(٢٧) .

وفي أواخر حكم السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢ م) مارس الانكشارية دورا خطيرا في الصراع الذي نشب بين ابنائه المتنازعين على العرش ، وهو بعد على قيد الحياة ، واجبروه على التنازل عن العرش لابنه سليم ، الملقب بـ « ياوز سلطان »^(٢٨) . وبذلك تركت هذه العلاقات الشاذة بين السلاطين وابنائهم أو بين هؤلاء الابناء بعضهم بعضا ثغرة واسعة ليفرض الانكشارية نفوذهم على السلطة .

والحق انهم لم يكتفوا بالالاحاح في طلب الهبات السخية كلما رقي العرش سلطان جديد ، فقد عانى منهم السلطان سليم الاول الامرين اثناء حملته على بلاد فارس التي انتهت بمعركة جالديران سنة ١٥١٤^(٢٩) ، وعدوا ذلك الى ما هو أخطر ، فأكرهوا السلطان على ان يقطع أثناء الحرب الفارسية ، رأس الصدر الاعظم ، ورأس قاضي العسكر ، ورأس قائدهم نفسه^(٣٠) .

(٢٦) سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥١٩ ، فريد ، المصدر السابق ، ص ٦٨ ، Lavalley, Op. Cit., PP. 197 — 8.

ويذكر ليبايران السلطان بايزيد الثاني دفع لكل انكشاري عند تسلمه الحكم الفتي آقجة . Lybyer, Op. Cit., P. 92.

(٢٧) ابطل هذا العرف السلطان عبدالحميد الاول سنة ١٧٧٤ . سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٣٤ .

(٢٨) راسم ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥١ ، Lavalley, Op. cit., P. 203; Creasy, Op. Cit., PP. 127 — 8.

(٢٩) Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, Pt. I, P. 179.

وجالديران سهل في آذربيجان شرقي بحيرة ارمية بالقرب من تبريز . وقد ادت المعركة التي دارت فيه الى سقوط تبريز عاصمة الدولة الصفوية في ايدي العثمانيين .

(٣٠) بروكلمان ، المصدر السابق ، ص ٤٦٦ ، انيس ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

كذلك تـسـرد الانكـشـارية في اوائل حكم سليمان القانوني ، وعاثوا في العاصمة فسادا حتى تدارك السلطان الموقف بالاغداق التقليدي عليهم^(٣١) . كما مارسوا دورا رئيسيا في مصرع ولده الاكبر مصطفى ، و انتهت الازمة بأن تولى العرش سليما الثاني . وهنا تبدو خطورة تدخل الانكشارية في السياسة ، اذ كان سليم دون مستوى ابيه وكذلك دون مستوى اخويه مصطفى وبايزيد ، واليه تعزى الى حد كبير كارثة لباتو البحرية التي حلت بالاسطول العثماني سنة ١٥٧١^(٣٢) .

وفي اواخر القرن السادس عشر استطاع الانكشارية الغاء مبدأ تحريم الزواج والذي يعد من مبادئ تنظيم الرئيسية، الامر الذي ترتب عليه أن أصبح الالتئاء اليهم وراثيا بصرف النظر عن المقدرة العسكرية^(٣٣) .

والحقيقة ان نظام الانكشارية تعرض الى التصدع منذ عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٦ م) حين سمح في سنة ١٥٨٢ بدخول عدد كبير من المجندين غير المدربين في صفوفهم ، بالرغم من معارضة أغا الانكشارية . ويعتقد كب ان مرادا كان راغبا في الواقع في افساد تنظيم الانكشارية بعد ان لاحظ الى أى مدى هم سادة الدولة^(٣٤) . يضاف الى ذلك انه ، في اثناء الحرب مع بلاد فارس ، وهي الحرب التي نشبت في عهده ، سمح بتجنيد عدد

(٣١) فريد ، المصدر السابق ، ص ص ٨٣ - ٨٤ .
Lybyer, Op. Cit., P. 92.
وانظر :

(٣٢) سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٥٨ ،
Lybyer, Op. Cit., PP. 94 — 5.

ولباتو هي المعركة البحرية التي دارت بين الدولة العثمانية من جهة واسبانيا والبندقية من جهة أخرى وترتب عليها انهيار البحرية العثمانية في البحر المتوسط .

Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, Pt. I, P. 182. (٣٣)

Ibid, P. 180. (٣٤)

أكثر من ذلك ، فأصبح عدد الانكشارية في نهاية عهده أكثر من ضعف ما كان عليه (٣٥) .

وتسخص هذا الاجراء عن نتيجة مزدوجة ، فهو قد نسب نظام الدوشرمة ، أذ كان من الواضح أن هذا النظام سيصبح عقيما فيما لو تكررت هذه الاجراءات ، ثم انه أجهد خزانة الدولة كثيرا . يضاف الى ذلك أن الاثر الثاني قد ترتب عليه استثناء الاثر الاول بشكل حاسم حيث لجأت الحكومة الى خفض العملة لكي تدفع رواتب الجيش الذي زادت اعداده ، وهذا بدوره أدى الى نشوب ثورات في العاصمة ، وهي ثورات قام بها الانكشارية . أولا ثم قامت بها فرق الخيالة بعد ذلك بسنوات قليلة (٣٦) . وكانت أخطر تلك الثورات تلك التي اندلعت في سنة ١٥٨٧ اذ قام الانكشارية بقتل ناظر الضربخانة (٣٧) والدفتردار وهاجموا السراي السلطانية (٣٨) .

ومنذ ذلك الوقت سرى الانحلال الى انكشارية الولايات ، وفشل الباشوات في مواجهة اعمال العدوان التي كانوا يقومون بها . فقد مارسوا - على سبيل المثال - في بغداد دورا خطيرا في الفتن الداخلية ونشب القتال أكثر من مرة بينهم وبين القوات المحلية ، وضع الناس بالشكوى من تعدياتهم (٣٩) .

(٣٥) يذكر جودت ان عدد الانكشارية في اواسط حكم السلطان مراد الثالث كان يقدر بـ (٢٧) الفا . (تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ٤٨) .

(٣٦) Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, Pt. I, P. 180.
لتفاصيل ، انظر : Encyclopaedia of Islam, art. 'Murad III'.

(٣٧) دار سك النقود .

(٣٨) سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٦٧ .

(٣٩) خير من وضع ذلك :

C. Huart, Historie de Bagdad, (Paris, 1909), PP. 36 — 49,
80, 85. 92 — 3.

وانظر : لوتكريك ، المصدر السابق ، ص ٦٨ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ٢٠٠ -
٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ .

وقد استطاع احد القادة الانكشاريين في بغداد المدعو محمد بن أحمد الطويل ان يستأثر في سنة ١٦٠٧ بالسلطة العليا في المدينة ، وان يهزم جيشا ارسله الباب العالي لاختضاعه ، بقيادة نصوح باشا والي ديار بكر . ولكنه ما لبث أن قتل من قبل احد اعدائه ، وعندما خلفه أخوه مصطفى في تولي الحكم حدثت ثورة في بغداد اطاحت به ، وأنهت السيطرة الانكشارية^(٤٠) .

وبرز بعد أربعة عشر عاما ثائر آخر من بين انكشارية بغداد هو بكر صوباشي^(٤١) . - احد قوادهم - الذي عظم شأنه كثيرا وتعالى سلطته فتفوقت على سلطة الوالي الضعيف يوسف باشا واستطاع في سنة ١٦٢١ أن يستأثر بالحكم بعد أن تمكن من القضاء على الحركة التي استهدفت الاطاحة به والتي قام بها أشرف المدينة ، وقتل اثناءها باشا بغداد^(٤٢) .

وقد غدا الصوباشي سيد بغداد غير المنازع ، ونصب نفسه للباشوية ، فكان ذلك ممهدا لوقوع بغداد فريسة بيد الفرس . اذ استنجد بالشاه عباس الكبير عندما اصدرت القيادة العثمانية اوامرها الى حكام الولايات المجاورة (الموصل وشهرزور ومرعش وسيواس) للزحف نحو بغداد والقضاء على السيطرة الانكشارية^(٤٣) .

(٤٠) مصطفى نعيما الحلبي ، تاريخ نعيما ، ج ١ ، (استانبول ١٢٨١) ، ص ٤٥٨ ، مرتضى نظمي زاده ، كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، (النجف ، ١٩٧١) ص ٢١١ .

(٤١) صوباشي : من الالقاب الحربية والشرطية ، شاع استعماله في الاناضول منذ القرن الرابع عشر . وقد أصبح الصوباشي في الولايات من كبار ضباط الشرطة ، كما كانت له مهام اخرى منها التجوال في الاسواق والمحلات ومراقبة نظافتها ، واخبار رئيس المعمارين بما هو متداع من الانية . محمود شوكت ، عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكرية ، (استانبول ، ١٣٢٥) ، ص ٦٠ ، يعقوب سرريس ، مباحث عراقية ، ق ٢ ، (بغداد ، ١٩٥٥) ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٤٢) مصطفى عبدالله كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، ج ٢ ، (استانبول ، ١٢٨٥) ، ص ٣٩ .

(٤٣) نفس المصدر ، ص ٤٠ ، منجم ياشي ، صحائف الاخبار ، ج ٢ ، (استانبول ، ١٢٨٥) ، ص ٦٥٨ ، لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

فكانت هذه فرصة للشاه لم يتوان عن انتهازها لكي يتوسع على حساب
العثمانيين ، فزحف نحو بغداد واستطاع احتلالها في ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣
(٢ صفر ١٠٣٣ هـ) (٤٤) .

وقد بذل السلطان عثمان الثاني (١٦١٨ - ١٦٢٢ م) جهدا كبيرا لكبح
جياح الانكشارية ، الا انهم كانوا من القوة بحيث عجز عن التغلب عليهم ،
وانتهى النزاع بخلعه وقتله . وبدأ يكون للانكشارية شأن سياسي ، فأرهبوا
الحكام وأخذوا يولون الوزراء ويعزلونهم ويمنحون المناصب لمن يجزّل
لهم العطايا (٤٥) .

وتكشف القصة المستمرة لشغب الانكشارية ، عن ظروف الضعف المتزايد
الذي اصاب الدولة العثمانية من الداخل ، وعن الفوضىّة العسكرية التي
كانت سببا في الاخفاق الذي مني به الجيش العثماني مرتين في حربه مع
الفرس ، والتي استهدفت استعادة بغداد .

والجدير بالذكر انه في الوقت الذي كانت القوات الفارسية تحتل
بغداد ، كانت الدولة العثمانية تواجه اخطارا وكوارث ، فقد تجمعت سحباً
سوداء حول مطلع عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠ م) الذي
ولاه الانكشارية العرش ، اذ يذكر المؤرخ كريسبي « انه كانت تصل من كل
اجزاء الامبراطورية الرسائل حاملة أنباء لا تسر : فهؤلاء هم الفرس
المرابطون على الحدود ، وهذا هو الثائر اباطة (٤٦) صاحب الامر والنهي على
اسيا الصغرى ، وهناك كذلك قبائل لبنان المتمردة علنا ، كما ان حكام مصر

(٤٤) فذلكة كاتب جلبي ، ج ٢ ، ص ٤٦ ، كلشن خلفا ، ص ٢٢٠ .

(٤٥) فريد ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٣ - ١٢٤ .
وانظر : Creasy, Op. Cit., P. 243.

(٤٦) كان اباطة باشا واليا على ارضروم ، وقد اعلن عصيانه اكثر من مرة ، واخيرا
تمكنت الدولة من اخضاعه وابعدته الى البوسنة سنة ١٦٢٨ .
فريد ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٥ - ١٢٦ ،

والولايات الاخرى يتأرجح ولائهم للسلطان ، وايضا هؤلاء البرابرة يجعلون من أنفسهم أوصياء على العرش متظاهرين بأنهم من ذوي السلطات المستقلة التي تتيح لهم أن يعقدوا معاهدات مع الامم الاوربية لحسابهم الخاص ، وليس هذا فقط ، بل ان الاساطيل القوقازية المغيرة لم تكتف بما كانت بأستمرار على طول البحر الأسود ، فأخذت تظهر في البسفور ، وراحت تنهب الأماكن القريبة جداً من العاصمة . ثم ان في القسطنطينية نفسها ، كانت هناك خزانة خاوية ، ودار صناعة معطلة ، ونقود قليلة القيمة لانخفاض قيمة الذهب والفضة فيها اثناء سكنها ، ومخازن للذخيرة هزيلة ، وسكان يسوتون جوعاً ، وجند بلغ بهم الفجور مبلغاً « (٤٧) » .

وفي سنة ١٦٣١ قام الانكشارية بحركة عصيان خطيرة في القسطنطينية ، على اثر التغييرات التي اجراها السلطان مراد الرابع في القيادة العسكرية ، بعد ان فشل الجيش العثماني في انقاذ بغداد من الاحتلال الفارسي . فتمسرد الانكشارية في السراي نفسه ، واخذوا يطالبون برأس كل من الصدر الاعظم والمفتي والدفتردار ، وكذلك طالبوا بتسليم أناس آخرين من المقربين الى السلطان وبلغ عدد الذين طالبوا بهم سبعة عشر شخصاً . وأقفلت العاصمة محلاتها وأصبحت والسراي في حالة رعب . ولم يجد السلطان بدا من تسليم الصدر الاعظم اليهم والتضحية به ، بعد أن كاد تمردهم أن يطيح به ايضاً ، فقتلوه أشنع قتلة في حضرة السلطان نفسه (٤٨) (شباط ١٦٣٢) .

Creasy, Op. Cit., PP. 246 — 7.

(٤٧)

وانظر : أوليا جلبي سياحتنامه سي ، ج ١ ، (استانبول ، ١٣١٤) ، ص ٢٢٨ .

(٤٨) تاريخ نعيما ، ج ٣ ، ص ٨٤ ، ٩٢ ، خير الله أفندي ، دولت عليه عثمانية تاريخي ، ج ١٧ ، (استانبول ١٢٩٢) ، ص ٤٤ ، سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٨٠ .

ويذكر كريسي تفاصيل المحنة التي واجهت السلطان مراد الرابع والظروف التي حملته على الاستجابة لمطلبهم ، ومما يذكره ان السلطان عندما خاطب المتمردين الذين تجمعوا في الساحة الثانية للسراي والتي كانت تعد بمثابة قاعة الديوان ، قائلا : « ما الذى ترغبون اليه يا رعاياي ؟ » أجابوه في صوت عال وبوقاحة : « اعطنا السبعة عشر رأسا ... أو يسير الامر معك الى ما لاتحمد عقباه » . كما انهم كانوا يصيحون عاليا مرددين « السبعة عشرة رأسا او التنازل عن العرش » وقد توسل اليهم السلطان الا يدنسوا شرف الخلافة ، ولكنه كان يتشفع عند من لا شفاعاة لهم ، فاستسلم لمطلبهم وملؤه الاسف ، وارسل يستدعي الصدر الاعظم حافظ أحمد باشا للسوت ، وعند مجيئه خاطب مراد الرابع قائلا : « مولاي ، ليهلك الف عبد مثل حافظ في سبيلك ، انني فقط اتضرع اليك الا تقتلني افت ، بل دعني لهؤلاء الرجال لاموت شهيدا وليجرى وزر دمي البرىء على رقابهم ، ولتأمر بدفن جثثاني في اسكودار » (٤٩) . ويصور كريسي بعد ذلك تفاصيل المشهد الذى تم فيه قتل الصدر الاعظم ومما يقوله ان احد الانكشارية جثم على صدره وجزء رأسه . وعلى مدى شهرين بعد هذا الحادث ، سقط ضحايا جدد أمام الغوغاء ، الامر الذى جلب العار الى اسم القوات العثمانية (٥٠) .

وازاء هذا الوضع الشاذ ، كان لابد للسلطان ان يخطط لكسر شوكة الانكشارية . وقد تم ذلك في ٢٩ مايس ١٦٣٢ ، بعد ان نظمت تدريجيا وبهدوء قوة جسورة يمكن الاعتماد عليها في وقت الحاجة ، كما ان المنازعات داخل القوات المتمردة نفسها ، وبخاصة بين السباهية والانكشارية ، جعلت

(٤٩) اقدم واكبر حي بالعاصمة العثمانية القسطنطينية ، في جزئها الواقع على الجانب الاسيوي من البسفور .

Creasy, Op. Cit., PP. 248 — 9.

(٥٠)

هناك ثمة فرصة لكبح جماح الجميع^(٥١) . فأمر السلطان بقتل كل من ثبت عليه اية مساهمة في حوادث الشغب الاخيرة^(٥٢) . وقد قتل من بينهم الصدر الاعظم رجب باشا الذي كان يحرض الثائرين سرا^(٥٣) ، حيث رأى السلطان انه لم يعد هناك مفر من مواجهة البديل المخيف «اقتل أو تقتل» ، وذلك بعد أن أخذ الانكشارية يتناقشون في مسألة عزله بشكل علني في ثكناتهم^(٥٤) . كما وزع اعدادا كبيرة منهم على حاميات الحدود ، وانشأ تشكيلات جديدة يستطيع الاعتماد عليها^(٥٥) . ولكي يخفض عدد المشاة الانكشارية اوقف التجنيد بالدوشرمة . غير ان ذلك ادى الى نتائج وخيمة بالنسبة الى القوة العثمانية ، اذ قد تضمن اضمحلال نظام التدريب العسكرى والادارى بأسره . وكان بالامكان تخفيف آثار ذلك فيما لو ألغى في نفس الوقت الجنود الذين وضع النظام في الاصل لتزويد الدولة بهم ، وحل محلهم آخرون أحسن تدريبا ونظاما ، ولكن التشيكلات التي انشأها مراد الرابع لم تكن من القوة بحيث تكفي للقضاء على الانكشارية^(٥٦) .

(٥١) Creasy, Op. Cit., P. 294. (٥١)

(٥٢) فريد ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
يذكر كريسي انه « في كل صباح كان البسفور يرمي على الشواطئ بجثث اولئك الذين اعدموا في الليلة السابقة ، وكان الجمهور القلق يتعرف على الانكشاريين والسباهيين الذين كانوا يشاهدونهم في الفترة الاخيرة متجمعين في الشوارع بكل غطرسة الفوضى العسكرية » . Creasy, Op. Cit., P. 251.

(٥٣) فذلكة كاتب جلبي ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ، تاريخ نعيما ، ج ٣ ، ص ١١٠ .

(٥٤) Creasy, Op. Cit., P. 249. (٥٤)

(٥٥) تاريخ نعيما ، ج ٣ ، ص ١١٢ .

(٥٦) Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, P. 181. (٥٦)

وهكذا ظل الانكشارية يثيرون المتاعب ويهظون الدولة بالنفقات ،
وبالتالي اصبحوا عديمي الجدوى في الحرب^(٥٧) ، ومثلا للفساد والانحلال
تحتذيه كل قوة أخرى منافسة تكونها الدولة لتلافي عيوبهم .

ومما زاد في فساد الانكشارية ان الكثيرين منهم أخذ يشتغل بالوان من
النشاط الصناعي والتجاري^(٥٨) ، الامر الذي ترتب عليه تضاعف ارتباطهم
بشكائهم ، فصار العديد منهم لا يذهب الى الشكنات الا لتسلم المرتبات ، التي
كانت تسمى « العلوفات » ، اضافة الى قيام بعضهم ببيع تذاكر علوفاتهم الى
الراغبين من الناس^(٥٩) . لهذا اصبح امرا غير عادي باطراد بالنسبة اليهم
ان يعيشوا في الشكنات ، وازدادت صعوبة اخضاعهم للنظام والتدريب .
يضاف الى ذلك ان موظفين من ذوى النفوذ استعملوا اعلام الانكشارية
- حين رأوها قد اهملت - في الحصول على تسجيل اسماء خدمهم واتباعهم
في قوائم الجيش ، وبذلك كانوا يكلفون الدولة باعالتهم . كما ان الغاء نظام
الدوشرمة ادى الى دخول المسلمين الاحرار في الفرقة الانكشارية ، وارتباط
هؤلاء بأسرهم وبحرفهم جعل الانكشارية عبارة عن رجال مدنيين فسي
الغالب^(٦٠) .

(٥٧) في سنة ١٦٢٦ اضطر الصدر الاعظم حافظ احمد باشا الذي كان يحاصر
بغداد في محاولة لاستعادتها من ايدي الفرس ، الى الانسحاب بسبب
تمرد الانكشارية وعدم رغبتهم في مواصلة الحرب . كذلك اضطر القائد
حسين باشا سنة ١٦٤٨ الى رفع الحصار عن مدينة (كنديا) عاصمة جزيرة
كريت لنفس السبب .

انظر : تاريخ نعيما ، ج ٢ ، ص ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، سرهنك ، المصدر
السابق ، ج ١ ، ص ٥٧٦ .

(٥٨) J. A. Marriott, The Eastern Question (Oxford, 1958). P. 102.

وكان قد حرم على الانكشارية تحريما قاطعا ان يعملوا في التجارة او الصناعة .

(٥٩) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، (بيروت ، ١٩٦٥) ،
ص ٤٧ .

(٦٠) Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, Pt. I, P. 182.

ويذكر كب - على سبيل المثال - انه لاجل الحصول على امتيازات
الانكشارية اصبح معظم الشعب البغدادي انكشارية .

وقد بذلت الدولة محاولات متكررة لانقاص عدد الرجال الذين وضعت
اسماؤهم في القوائم الرسمية . ولكي تسهل الحكومة هذا الاجراء يحتمل
انها سمحت بتطور آخر كانت له نتائج سيئة كذلك . وهو تغلغل عدد كبير
من الرجال غير المأجورين في كتائب الانكشارية في اوقات السلم ، وكان
هؤلاء الرجال - حين يطلبون - يسجلون رسميا على ايدي ضباط متنقلين .
وكان الاجراء مغريا لكل من الانكشارية والرجال المرتبطين بالفرقة بهذا
الشكل ، فهؤلاء الاخرون يحلفون يمين الانضمام ثم يلبسون بعد ذلك
شعار كتيبتهم (أورطتهم) الموشوم على اذرعتهم وسيقانهم . وحين يتم ذلك
كانوا يتمتعون بمركز ممتاز ، فمثلا كانوا يشبهون الانكشارية الاصليين في
اعفائهم من عقاب السلطات المدنية لهم^(٦١) . وكانوا يستطيعون ان يسخروا نفوذ
الفرقة لمصالحهم الخاصة . كما ان الانكشارية الاصليين حصلوا على قوة
احتياطية ضخمة مكنتهم من فرض ارادتهم على بقية المجتمع بشكل اسهل من
اي وقت مضى^(٦٢) .

ولا أريد ان اسهب في ذكر ضروب الفساد التي اخذت تشق طريقها الى
نظام الانكشارية ، فقد تحولوا الى اداة هزيمة وتخريب ، واستمرت تمرداتهم
خلال القرن الثامن عشر ، وكانت اخطرها تلك التي حدثت في عهد السلطان
احمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠ م) ، اذ تمكن الانكشارية في الثامن والعشرين

(٦١) من المزايا المرتبطة بوضع الانكشارية ، الحصانة ضد القبض عليهم . وضد
قيام السلطات المدنية بتوقيع العقاب عليهم ، وانما كانوا يخضعون خضوعا
تاما لسلطة كبار ضباطهم الذين كانوا هم يقاضون المذنبين منهم ويعاقبونهم .
Gibb & Bowen, Op. Cit., Vol. I, P. 63, 324.

Ibid, 183.

(٦٢)

من ايلول ١٧٣٠ ، من فرض سيطرتهم التامة على العاصمة^(٦٣) ، وظلوا لمدة ثلاثة ايام متتالية يطالبون برأس الصدر الاعظم وعدد من كبار رجال الدولة ، وذلك على اثر الانتصارات التي احرزها الفرس ضد القوات العثمانية المحتلة لاراضيهم وما سببته من هياج كبير في العاصمة العثمانية^(٦٤) . وقد اضطر السلطان احمد الى ان يستجيب لمطلبهم ، خوفا من ان يطيح تمردهم به^(٦٥) فأعدم الصدر الاعظم واثنين من ذوي الشأن . لكن انصياعه لهم لم يمنعهم من العصيان عليه ، فأعلنوا اسقاطه عن العرش^(٦٦) .

وفي الوقت الذي كان فيه الانكشارية يسبون المتاعب للسلطين ، لحقت الدولة العثمانية في المجال الخارجي - طوال القرن الثامن عشر - هزات خطيرة على يد الدول الاوربية^(٦٧) ، مما ادى الى ظهور اتجاه جديد في الدولة العثمانية يدعو الى اصلاح الدولة ونظم الحكم فيها وهو الاتجاه المعروف بحركة الاصلاح والتجديد^(٦٨) .

(٦٣) كامل باشا ، تاريخ سياسي دولته عليه عثمانية ، ج ٢ (استانبول ، ١٣٢٧) ، ص ١٤١ ، فريد ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ ،
V. J. Parry, A History of the Ottoman Empire to 1730
(London, 1976), P. 218.

وينفرد كريسي بجعل تاريخ حدوث العصيان في العشرين من ايلول .
Creasy, Op. Cit., P. 349.

(٦٤) فريد ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ ،
Lavallee, Op. Cit., P. 366; Creasy, Op. Cit., P. 350.

(٦٥) سبق ان تمرد الانكشارية في عهد سلفه السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥ - ١٧٠٣ م) واجبروه على التنازل عن العرش . سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦١٣ .

(٦٦) تاريخ جودت ، ج ١ ص ٧٤ ، سعيد الاحدب ، تفصيل الياقوت والمرجان في اجمال تاريخ دولة بني عثمان ، (بيروت ، ١٣٠٤) ، ص ١٠٢ .

(٦٧) انظر Eliot, Op. Cit., PP. 63 — 5; Creasy, Op. Cit., PP. 323 — 325.

(٦٨) الحصري ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

ولقد كان من الطبيعي ان يستهدف الاصلاح ، في المحل الاول ، انشاء جيش جديد يحل محل الانكشارية الذين ذر التمرد قرنه في صفوفهم ، وانهوا الى ان يكونوا بلاء الدولة .

والواقع ان الاصلاح العسكري قد بدأ في عهد السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٤ م) ، ولكن خوف السلطان من الانكشارية^(٦٩) جعله يتجنب اصلاحهم ، واتجه الى تنظيم البحرية والمدفعية^(٧٠) . غير ان هذا لم يكن ذا نفع كبير لانه لم يتناول القوة الرئيسية في الجيش ، وهي المشاة (الانكشارية) . ومع ان محاولات اصلاح الجيش سارت سيرا حثيثا في عهد السلطان عبد الحميد الاول (١٧٧٤ - ١٧٨٩ م) ، الا انها لم تلبث ان دخلت في طور جديد في عهد خليفته السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧ م) الذي كان يؤمن بضرورة اصلاح الجيش على اساس النظام الاوربي الحديث .

(٦٩) يذكر المؤرخ التركي جودت ياشا الحوار التالي الذي جرى بين السلطان مصطفى الثالث والدفتردار حليم افندي : « اذا نحن لم ننظم العساكر حسب التنظيمات الجديدة فلا نقدر على مقاومة اوربا فما العمل حينئذ ؟ فقال حليم افندي : فلندخل الانكشارية تحت النظام ، فقال السلطان : وهل يقبلون النظام ؟ قال : نعم ، فقال : وهل تتعهد انت بذلك ، قال : نعم ، غير متردد ، فأوقع هذا الكلام عليه الشبهة ، وتصور حضرة السلطان ان حليم افندي لو لم يكن له مداخله مع الانكشارية ، لما تجرأ على هذا الجواب القطعي واتهمه انه سيكشف هذا السر لهم ، فأبعده عن الاستانة خوفا من الانكشارية في صورة متصرف على الموصل ، فلما كان في الطريق ، نفاه ثم اعدمه » .

انظر : تاريخ جودت ، ج ١ ، ص ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٧٠) راسم ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ ، الحصري ، المصدر السابق ص ٧٦ .

فقد قرر هذا السلطان اثناء فرق جديدة من المشاة ، دون ان يتعرض للانكشارية ، الذين سمح لهم بان ينظموا الى هذه الفرق اذا شاءوا ، واستقدم من اجل تدريبها عددا من الضباط الخبراء الاوربيين^(٧١) . وسعى السلطان الى تعميم النظام الجديد في الولايات ، فيذكر المؤرخون ان والي بغداد سليمان باشا الكبير اخذ بهذه الفكرة ، اذ عهد الى ضابط انكليزي استقدمه من الهند بتعليم وتنظيم الجيش الجديد^(٧٢) ، كما يذكرون ان والي مصر خسرو باشا اهتم ايضا بهذا الامر ، وشرع في اثناء ثكنة خاصة بجيش « النظام الجديد » . وأخذ كذلك بهذه الفكرة احمد باشا الجزائر والي عكبا^(٧٣) .

غير ان الانكشارية ما لبثوا ان تأمروا على السلطان سليم وارغموه على الغاء « النظام الجديد » الذي وصفوه بانه بدعة مخالفة للشرع ، واعدموا جميع مؤيديه من رجال الدولة^(٧٤) . ولم يكتف الانكشارية بذلك ، بل

(٧١) سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٤٥ ، فريد ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، للتفاصيل انظر :

Stanford J. Shaw, The Ottoman Empire Under Sultan Selim III, (London, 1971), PP. 127 — 137.

(٧٢) استطاع سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ - ١٨٠٢ م) ان يجمع الف مملوك ، **واخذا يدرهم وفق النظام الاوربي الحديث** ، وامتدته حكومة بومباي في سنة ١٧٩٨ و ١٧٩٩ بكثير من الاسلحة وعدد من الضباط الخبراء . (علاء نورس ، المصدر السابق ، ص ١٢٧) .

(٧٣) الحصري ، المصدر السابق ، ص ص ٧٧ - ٧٨ ، Shaw, Op. Cit., P. 132, 135.

(٧٤) يذكر المؤرخون ان عددا كبيرا من الانكشارية ، تجمعوا في ميدان السباق (آت ميدان) وصفوا القدور الخاصة بهم علامة على العصيان ، ثم قرى عليهم احد رؤسائهم اسماء جميع المؤيدين لجيش النظام الجديد من الوزراء والاعيان ، فذهبوا الى منازلهم ثم اعدموهم واتوا برؤوسهم ووضعوها امام القدور . ولما بلغ السلطان خبر هذا العصيان أصدر على الفور امرا بالغاء النظام الجديد . سرهنك ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٥٨ ، راسم ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٨٤ ، فريد ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .

استصردوا فتوى من شيخ الاسلام بوجوب عزله حتى لا يتركوا له فرصة
احياء النظام الجديد ، وعزلوه بالفعل سنة ١٨٠٧ (٧٥) .

ولم يكن من غير المنتظر ان تعود الفوضى ادراجها الى الجيش في عهد
السلطان مصطفى الرابع (١٨٠٧ - ١٨٠٨ م) الذي نصبه الانكشارية محل
السلطان سليم الثالث المخلوع ، ولم يكن من غير المنتظر كذلك ان تتوالى
هزائم الدولة امام اعدائها . فلما تولى السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩ م)
العرش - بعد ثورة دموية قتل فيها السلطان مصطفى - ادرك انه لن يتمكن من
اصلاح الجيش الا بالتخلص من الانكشارية ، ولكنه تريث في الامر وراح
يستعد لهذه المهمة الخطيرة ، خصوصا وان الانكشارية كانوا يستمدون
نفوذهم وسطوتهم من البكتاشيه ، وهم من اكبر فرق الطرق الصوفية في
البلاد .

وفي بادىء الامر ، حاول محمود الثاني اقناع الانكشارية بقبول التعليم
العسكرى على النظام الاوربي ولكن دون جدوى ، بل كانوا ينكرون فائدته
قائلين : « ان ولي الله الحاج بكتاش ، كان قد بارك جماعة الانكشارية عند
تأسيسها ، ودعا لها بالنصر الدائم » ، وكانوا يزعمون ان بركة ذلك الولي
ودعائه يغنيها عن كل تعليم (٧٦) .

(٧٥) احمد رشيد ، مكمل تاريخ عثماني ، (استانبول ، ١٣٢٧) ، ج ٢ ، ص

٥٦٥ ، راسم ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٨٥ ،

Shaw, Op. Cit., P. 137, 406 — 7.

(٧٦) الحصري ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

وخلال سنوات حكمه الاولى استطاع ان يتخلص سرا من جماعات صغيرة من الانكشارية^(٧٧) ، ثم انتهز فرصة اندلاع الثورة في اليونان^(٧٨) وفشل الانكشارية في اخمادها لاستئناف العمل ضدهم ، بعد ان اسند معظم المناصب الرئيسية الى رجال مخلصين له شخصيا^(٧٩) . حتى اذا وافى ربيع سنة ١٨٢٦ أصدر امره بانشاء جيش نظامي جديد ، وقد تلا ذلك هياج حسب العادة ، وطالب الانكشارية بالغاء قوانين التدريب المستحدثة ، الا ان النتيجة كانت شيئا جديدا ، فقد تم في ١٥ حزيران ١٨٢٦ تطويق الانكشارية في ساحة (آت ميدان) حيث كانوا مجتمعين وصدرت الفتوى بوجوب ابادتهم ، ومن ثم دارت رحى مجزرة لم يسلم من هولها الا القليل . كما قتل عدد كبير من الانكشارية في الاقسام الاخرى من العاصمة ومختلف المدن التركية الاخرى . وطلب من حكام الولايات اتخاذ خطوات مماثلة والغاء الانكشارية المحلية^(٨٠) .

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول ان الانكشارية كانوا في المراحل الاولى، قوام الجيش العشائني وعماده ، ويكونون فئة عسكرية منيعة الجانب تقانت في الذود عن الدولة . وانهم ساهموا بشكل فعال في توسيع رقعتها . على ان وضعهم طرأ عليه تبدل انقلابي غير يسير منذ نهاية القرن السادس عشر ،

(٧٧) Hasluck, Op. Cit., Vol. II, P. 619.

(٧٨) وهي ثورة المورة الشهيرة (١٨٢١ - ١٨٢٧) ، التي شملت جميع اجزاء اليونان وجزر بحر ايجه .

(٧٩) فريد . المصدر السابق . ص ٢٢٠ . بروكلمان . المصدر السابق ، ص ٥٤٠ .

(٨٠) راسم . المصدر السابق . ج٤ . ص ١٧٢٣ ، فريد ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

Bernard Lewis, The Emergence of Modern Turkey,

(London, 1968), PP. 78 — 9.

عندما بدأ الفساد يدب في نظامهم وبدأوا يفقدون روحهم العسكرية حتى تحولوا في آخر الامر الى معول من معاول الهدم ، واقفين بشكل سافر امام جميع محاولات السلاطين الرامية الى الاصلاح وتطبيق القوانين العسكرية الحديثة والتي كانت تنتهي احيانا بنتائج مؤسفة كما توضح ذلك في سياق البحث .

وبالرغم من ان الانكشارية غدوا من عوامل تدهور الدولة العثمانية ، وان التخلص منهم كانت الحاجة ماسة اليه ، الا ان الدولة العثمانية ظلت تعاني من الانحطاط وان اخذت تسير في طريق الاصلاح سيرا مطردا ، ويمكن ان يعزا ذلك الى التدخلات الاجنبية المستمرة في شؤونها ، وما ترتب عليها من مشاكل ، وكذلك مساوىء الموظفين والولاة ومحاولات بعضهم الاستقلال عن السلطة المركزية . وبذلك لا يمكن ان نحمل الانكشارية المسؤولية كاملة في تدهور الدولة العثمانية ، وانما من الانصاف ان نقول انهم كانوا من جملة عوامله حتى سنة ١٨٢٦ .

المصادر

- (١) الاحدب ، سعيد ، تفصيل الياقوت والمرجان في اجمال تاريخ دولة بني عثمان ، بيروت ١٣٠٤
- (٢) النيس ، محمد ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، القاهرة .
- (٣) اولياء جلبي ، محمد ظلي بن درويش ، اوليا جلبي سياحتنامه سي . ج ١ ، استانبول ١٣١٤ .
- (٤) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي ، ط ٦ ، بيروت ١٩٧٤ .
- (٥) بيهم ، محمد جميل ، فلسفة التاريخ العثماني ، بيروت ١٩٢٥ .
- (٦) جواد ، احمد ، تاريخ عسكري عثماني ، استانبول ١٢٩٩ .
- (٧) جودت ، احمد ، تاريخ جودت ، ج ١ ، ترجمه عن التركية عبدالقادر الدنا ، بيروت ١٣٠٨ .
- (٨) الحصري ، ساطع ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٥ .
- (٩) الحلبي ، مصطفى نعيما ، تاريخ نعيما ، ج ٢ ، ٣ ، استانبول ١٢٨١ .
- (١٠) خير الله افندي ، دولت عليه عثمانية تاريخي ، ج ١٧ ، استانبول ١٢٩٢ .
- (١١) راسم . احمد ، رسملي وخريظه لي عثمانلي تاريخي ، اربعة اجزاء ، استانبول ١٣٣٠ - ١٣٣٥
- (١٢) رشيد ، احمد ، خريظه لي ورسملي مكملي تاريخ عثماني ، جزءان ، استانبول ١٣٢٧ .
- (١٣) سرهنك ، اسماعيل ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، القاهرة ١٣١٢ .
- (١٤) سر كيس . يعقوب ، مباحث عراقية ، ق ٢ ، بغداد ١٩٥٥ .
- (١٥) شوكت . محمود ، عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكرية ، استانبول ١٣٢٥
- (١٦) فريدبك . محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ١٨٩٦ .
- (١٧) كاتب جلبي ، مصطفى عبدالله ، فذلكه كاتب جلبي ، جزءان ، استانبول ١٢٨٥ .
- (١٨) كوريني . محمد فؤاد ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمه عن التركية احمد السعيد ، القاهرة ١٩٦٥ .
- (١٩) لونكريك . ستيفن هيمسلي ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ترجمة جعفر الخياط ، ط ٤ . بغداد ١٩٦٨ .
- (٢٠) محمد ، كامل باشا ، تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، ثلاثة اجزاء ، استانبول ١٣٢٧ .

- (٢١) منجم باشي ، أحمد بن لطف الله ، صحائف الاخبار ، ثلاثة أجزاء ،
استانبول ١٣٨٥ .
- (٢٢) نظمي زاده ، مرتضى افندي ، كلشن خلفا ، ترجمه عن التركية موسى
كاظم نورس ، النجف ١٩٧١ .
- (٢٣) نوار ، عبدالعزيز ، تاريخ العراق الحديث ، القاهرة ١٩٦٨ .
- (٢٤) نورس ، علاء ، حكم المماليك في العراق ، بغداد ١٩٧٥ .
- Birge, John K., The Bektashi Order of Dervishes, (Bristol, 1937). (٢٥)
- Creasy, Edward S., History of the Ottoman Turks, (London, 1878). (٢٦)
- Eliot, Sir Charles, Turkey in Europe, (London, 1908). (٢٧)
- Encyclopaedia of Islam, Isteld; 4 vols. and Supple, leiden, 1913 — 38, 2nd ed, 1954. (٢٨)
- Gibb, H. and Bowen, H., Islamic Society and the West, Vol. I, Pt. I, (London, 1951). (٢٩)
- Hasluck, F. W., Christianity and Islam under the Sultans, 2 Vols, (Oxford, 1929). (٣٠)
- Kuran, Ahmad Bedvi, Osmanli Impartorlugunda Inkilop Harektleri Ve Milli Mucadele., (Istanbul). (٣١)
- Lavallee, Theophile., Histoire de l'Empire Ottoman, (Paris, 1855). (٣٢)
- Lewis, Bernard., The Emergence of Modern Turkey, (London, 1968). (٣٣)
- Lybyer, Albert Howe., The Government of the Ottoman Empire in the time of Suleiman the Magnificent., (New York, 1966). (٣٤)
- Parry, V. J., A History of the Ottoman Empire to 1730. (London, 1976). (٣٥)
- Shaw, Stanford J., The Ottoman Empire under Sultan Selim III 1789 — 1807., (London, 1971). (٣٦)
- Uzunarsili, Ismail Hakki, Osmanli Dev'eti Teskilâtından Kapukulu Ocaklari., I, (Ankara, 1943). (٣٧)

الصييد والقنص في الآثار العربية من العصر العباسي

الدكتور صلاح حسين العبيدي
كلية الآداب - جامعة بغداد

عرف العراقيون القدماء في العصور السومرية والبابلية والاشورية انواعا مختلفة من الطيور والجوارح باسمائها المختلفة ، كما راقبوا عن كثب عاداتها وطباعها وعرفوا خصائصها ومثلما ألف الاقدمون قوائم بأسماء النباتات والحيوانات والمعادن ، فقد ذكروا ايضا اسماء الطيور الجارحة منها وغير الجارحة . وقد ادرك العراقيون القدماء المقدرة الفائقة التي تستع بها الصقور على سبيل المثال من الانقضاض على فرائسها . ومن الآثار السومرية التي تصور ذلك ، المسلة المعروفة بمسلة الصقور (Stele of vultures) التي تعود الى ايناتم امير سلالة لكش الاولى (النصف الاول من الالف الثالث ق . م) والتي تصور الصقور وهي تنقض على اشلاء الجنود في مدينة اوما المعادية . ونشاهد على المسلة نفسها الاله نكرسو ، اله مدينة لكش يسك بيده اليسرى بصقر له رأس اسد وبطريقة كبيرة الشبه جدا بوضعية الطائر الجارج المدجن الذي يقف عادة على كتف صاحبه^(١) .

كما وصلنا من العبيد (في النصف الاول من الالف الثالث ق . م) افريز نحاسي كبير بجسد نسر له رأس اسد وقد بسط جناحيه على ايلين واقفين مما يشير بوضوح الى معرفة الاقدمين بقدرة ومهارة هذا الطائر الجارج على صيد مثل هذه الحيوانات^(٢) .

ومن الآثار التي تذكر بهذا الخصوص زهرية من الفضة من مدينة
تلو (كيرصو قديما) تعود الى الامير انتمينا من سلالة لكش الاولى ايضا
ومن المشاهد التي حُفرت على هذه المزهرية ، منظر يشل جارحا وهو يسك
بحيوانين ، علماً بأن المشهد يتكرر اربع مرات بصورة متناوبة^(٣) .

هذا وقد استعمل السومريون صفات النسر نعوفا اطلقوها على ملوكهم ،
فوصفوا الملك « بالنسر الجبلي » و « مخلب النسر » تعبيرا عن القوة وشدة
البأس ، كما ادركوا عن كُثب القوة الكامنة في جناحي النسر وقابليته على
حُمل فرائسه الثقيلة . حتى انهم نسجوا اسطورة طريفة عن ابنتنا ملك سلالة
كيش الاولى ملخصها ان هذا الملك ارتقى الى السماء على متن جناحي نسر
من اجل ان يحصل على نبات للنسر لانه كان عمقا لا وريث له على العرش .

ان هذه الملاحظات المستفزة عن الطيور الجارحة في حضارة وادي
الرافدين تدلنا على ان العرافيين القدماء عرفوا قابليتها على الانقضاض على
الفرائس وادركوا قوتها بين الطيور الاخرى المختلفة .

ولاشك في ان هذه المعرفة بالطيور الجارحة قد استمرت عند العرب
بعد الفتح العربي حيث استأثر هذا الصنف من الطيور بحب العرب .
خلال تاريخهم الطويل ، فكانت عنايتهم بها واهتمامهم بتربيتها عناية
تفوق كل شيء واهتماما لا يكون مثله اهتمام فاتخذوا الجوارح من الطير
وربوها على صيد الطيور والحيوانات المختلفة .

وقد استعار الفنانون والصناع العرب في العصر العباسي هذا الموضوع
فاكثروا من تصوير مناظر الصيد على منتجاتهم الفنية المختلفة من مخطوطات
وخزف ومعادن واخشاب وعاج ونسيج وغيرها .

وقد استهواني هذا الموضوع الذي بقي بعيدا عن تناول الباحثين
والدارسين في الآثار العربية على الرغم من اهميته ، لانه يكشف جانبا مشرقا
من جوانب متعددة من تراث امتنا العربية .

وقد اعتدنا في كتابة هذا البحث على مصدرين اولهما ما جاء في المراجع التاريخية والادبية وثانيهما الرسوم التي وجدت في المخطوطات المنصورة والتحف الاثرية المختلفة .

اما المعلومات التي اوردها المؤرخون عن الجوارح والصيد بها فهي كثيرة ، شملت اسماء الجوارح وطبائعها وصفاتها ، وعاداتها واساليب تعيبتها والوانها وطرق الصيد بها والطيور والحيوانات التي كانت تصطادها وغيرها من المعلومات التي تتعلق بهذا الصنف من الطيور .

جاء في المخصص^(٤) « الجوارح من الطير » الصوائد واحدها جارح وجارحة ، ومنها الصوائد لانفسها غير المعلمة ومنها المعلمة الصوائد لاهلها وهي الجوارح . قال الله تعالى « يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله أن الله سريع الحساب^(٥) » .

اما الجاحظ^(٦) فيستقي طيور الصيد بالسباع وعلل ذلك لاكلها النجوم .

اما الدميري^(٧) فان طيور الصيد عنده كواسر وضوار ، وهي عنده سباع كذلك . وقد اشارت الكتب في بعض مواضعها الى معرفة العرب الصيد بواسطة الطيور منذ فجر الاسلام فقد ذكرت كتب السيرة ان حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول (ص) كان يخرج للصيد متشحا قوسه وعلى يده صقر^(٨) . كما عرف عن يزيد بن معاوية انه كان من اكثر خلفاء بني أمية افتنانا بالصيد فكان صاحب طرب وجوارح وكلاب وفهود^(٩) . ويقال انه أول من اشتغل بالصيد من الخلفاء وبلغ من اهتمام هذا الخليفة بالصيد وبوسائله انه كان يلبس كلابه الاساور من الذهب والحل المنسوجة بالذهب ويخصص لكل كلب عبدا^(١٠) .

وكانت عناية العباسيين بهذا الفن الجميل حدا كبيرا ، وكان الخلفاء من اكثر الناس اهتماما بالجوارح والصيد بها ، ومن الخلفاء العباسيين الذين نهجوا بالصيد الخليفة المنصور وتحدثنا الروايات التاريخية^(١١) انه عبر جسر بغداد مرة وقد شمر كفه وعلى يده باز ، والرشيد هو الآخر من خلفاء بني العباس المولعين بالصيد ، حتى كان يركض فرسه ركضا شديدا في اثر الطريدة^(١٢) ولم يتأخر المكتفي بالله عن ممارسة رياضة الصيد الا انه كان اكثر ما يدمنه الصيد بالفهد والعقاب^(١٣) .

ومن الملاحظ في العصر العباسي ان الخلفاء ورجال الدولة كانوا يكثرون من الخلع والهدايا للآخرين . ويضنون هذه الهدايا طيور الصيد مثل البزاة ، فقد ذكر الخالديان^(١٤) ان يعقوب بن الليث الصفار صاحب خراسان اهدى الى الخليفة المعتسد هدية من جملتها عشرة بزاة منها بازى ابلق لم ير مثله كذلك كان اخوه عمرو بن الليث يرسل كل سنة التحف النفيسة الى المعتضد بالله من سنة ٢٨١ هـ الى سنة ٢٨٦ هـ . منها عشرون بازيا أو بزاة كثيرة .

كما كان ملوك الغرب يرسلون بهدايا للخلفاء العباسيين كناية عن الود وربما لما رب اخرى ، فقد جاء في كتاب التحف والهدايا^(١٥) ان برتا مملكة الفرنج بعثت الى الخليفة المكتفي (٢٤٩ هـ - ٨٦٣ م) رسولا معه تحف نادرة من جملتها خسون سيفا وعشرة اكلب كبار لا يطيقها السباع وسبعة بزاة وسبعة صقور .

وازاء هذا الاهتمام الواسع بالجوارح نجد الخلفاء العباسيين يبذلون اموالا طائلة لتربيتها واقاموا عليها اناسا ينظرون في شؤونها ومنهم البيازره واصحاب الصقور . وكانت الدولة تجري عليهم مبالغ كبيرة ، ومما يذكر بهذا الصدد أن نفقات الكلابيين والبازداراة والفهادين في دور الخليفة المتوكل بلغت خمسمائة الف درهم في السنة^(١٦)

وكثيرا ما كان السلاطين يطلبون الى الفنانين والصناع ان يصوروا
صقورهم لوحدها أو يصوروهم مع صقورهم ويزاتهم وغيرها من طيور
الصيد^(١٧) . ومن غير المستبعد انهم كانوا يصطحبونهم في رحلات الصيد
نفسها حتى يصوروا وقائع الصيد على الطبيعة ، ولعل مشاهد الصيد التي
رسومها او نقوشها على تحفهم ما يؤيد هذا الرأي .

وكان للعرب دور مهم في تعليم الجوارح ولهم يرجع الفضل في ادخال
الغشاء الذي يغطي عين الجارح خلال مدة تدجينه ، وهذه الطريقة تعتبر من
مبتكرات العرب وعندهم اخذها الاوربيون واقلبوا على اقتباسها والعمل
بسوجبها وكانوا قبل ذلك يغلّقون عين الجارح المحبوس قبل أن يربوه
ويخيطون اجفانه بابر وخائط لئلا يرى وجه الانسان . وبعد ان يتم تهذيب
الجارح يفتحون له عينيه فيرى كل ما في العالم . وقد اعترف بذلك
الامبراطور فردريك في كتابه « فن الصيد بواسطة الجوارح » . فهو يقول
في الباب السابع والسبعين « ان غشاء الباز من مخترعات أهل الشرق وعمل
بها اولا العرب ... وحصلنا منهم على كل ما عرفوا من علم ، ولما كان
استعمال الغشاء افضل ما كان لديهم من مناهج التهذيب قيمة ولما شاهدنا
فائدته العظيمة في تربية الصقور اتخذناه ليزاتنا واستحسنناه حتى ان معاصرين
اخذوا منا طريقة استعماله »^(١٨) .

وينسب الى الصيادين العرب ايضا استعمال غطاء لليد يعرف بالقفاز ،
والقفاز « كيس يصنع عادة من الادم يجعله الصياد على يده تحت رجلي
الصقر »^(١٩) . وقد اعطانا ابو نواس في بعض طردياته وصفا لما يؤديه القفاز
من فوائد للصياد مثل حماية يد الصياد من جرح البازي حين يظفر على يده ،
ووقاية يديه من البرد ، يقول ابو نواس^(٢٠) :

كسوت كفي دستبانا مشعرا	فروة سنجاب لؤاما او برا
تقي بنان الكف الا تحصدا	وغمرة البازي اذا ما ظفرا
قسمت فيه الكف الا الخنصرا	اعددت للبغتان حتفا محقرا

اما حيور الصيد التي سيتناولها البحث فهي العقاب ، البازي ، الصقر ،
الشاهين ، والطغرل .

العقاب :

وهي مؤنثة لا تذكر ، والعقاب لا يعد من الصقور ولا من البزاة وهو
معدود من الجوارح بل هي من اعظمها^(٢١) . واصل لونها السواد^(٢٢) . وبلغ
من عظمة العقاب ان سباع الطيور كانت تحيد عنها ، وكان لا يرسل شيء
من الجوارح الى الصيد اذا كانت معه خوفا^(٢٣) منه واول من لعب بالعقاب
اهل المغرب . وقد اعجبت الروم بها وقد بلغ من عظمة وقوة العقاب
وفاعليته العظيمة بـ « ملك سباع الطير » كما يحلو للاصبهاني^(٢٤) ان يسمي
العقاب بـ « سيد الطيور » .

يصيد العقاب الحيوان والطيور على حد سواء ، كما يستخدم في بعض
الاحيان معقوفا للفريسة وبالاخص في صيد الحيوان الكبير الحجم مثل
ثور الوحش ويكون عمل الطائر سهيدا لعمل كلاب الصيد التي تصل الى
الفريسة في وقت اسرع عندما يعوقها ، وهذه الطريقة تساعد في الحصول
على الفريسة وهي حية . جاء في المصايد والمطارد^(٢٥) « ان العقاب اذا نظرت
حمار الوحش رمت بنفسها في الماء حتى يتل جناحها ثم تخرج فتقع على
التراب فتحمل منه ومن الرمل ما يعلق بها ثم تطير ثقيلتا حتى تقع على هامته
فتصنق على عينيه بجناحها فيمتلئان ترابا من ذلك فيدركها القانص فيأخذها » .

ولدينا نص واضح من الباخريزي احد رجال القرن الخامس الهجري
(الحادي عشر الميلادي) يشير الى استخدام العقاب في صيد الحيوانات
الصغيرة مثل الارنب وفي النص تصوير لعملية الصيد ، وكان الباخريزي
احد الذين صاحبوا الصيادين في عملية صيد بواسطة الجوارح فهو يقول
« فلما فرغنا وبذلنا الوسع واستفرغنا ثار عن الكمين ارنب . . . فالتقى
العقابي عقابا يوسع الوحش عقابا فعلق في الهواء على رسمه ، ثم نزل على
الارنب كاسرا كاسسه وسحب على الارنب نصول مخبله وما استمر
حتى قضى الارنب نحبه »^(٢٦)

ومن صنف العقاب نوع يقال له « الزمج » وهو من الطيور المعروفة ،
تصيد به الملوك الوحش واهل البيزة يعدونه من خفاف الطير الجوارح ، ومن
صفاته ان يصيد على وجه الارض » (٢٧) .

البازي :

ومن الجوارح ايضا البزة ، وهي تختلف عن الصقور في كثير من
الصفات ، فالصقور سود العيون ، محددة الرؤوس قصار الاجنحة طوال
الارجل (٢٨) . والبزة حمر العيون او زرقها او صغيرها مدورة الرؤوس
قصار الاجنحة طوال الارجل ، حجن المناقير اقتم الريش في ريشها حمره
ضاربة في السواد (٢٩) .

وفي جناح البازي من عدد الريش عشرون اربع قوادم واربع مناكب
واربع اباهر واربع كلى واربع خواف (٣٠) .

والبزة ذات الوان منها الاحمر والاكثر سوادا والاشهب الشبيه
بالابيض والاصفر المديج الظهر (٣١) .

والبزة على خمسة اصناف ، الاول البازي ، وهو من اشرف الطيور
الجوارح ، ومن صفاته ان الصيد فيه طبيعة لانه يؤخذ فرخا من وكره من
غير ان يكون يصيد مع ابويه فيصيد ابتداء وقريحة من غير تضريه ، بخلاف
الصقر فانه اذا اخذ قبل ان يتصيد مع ابويه لم ينجب ولم يصد ، واذا كان
قد لحق ابويه وصاد معهما ثم عود اكثر مما يوجد عنده في تلك الحال وجري
على ما هو اكبر من الظباء اعتاد ذلك ومهر فيه » (٣٢) .

والبزة تصيد الطيور وصغار الحيوان مثل الارنب والغزال والكركي
والصجل والبط (٣٣) .

واتحفنا الباخري بصورة بديعة لباز ينقض على فريسته من البط اثناء
ما كان في رحلة صيد مع فهادين وكلايين وبيازرة وعقابين وصقارين ومعهم
جوارحهم وادوات صيدهم ، حيث ابصر البازيار سربا من البط انحط على
بركة ماء فتأمله ثم اخذ الطبل يقرع مستفزا السرب من الماء حتى اذا ما بسط
البط اجنحته للنهوض اطلق الباز من عقاله فهبط الباز نحو البط وقد لوى
جيده فهصره بمنقاره الحاد وسال الدم منه ، ثم سددت البنادق نحو بقية
الطيور فجعلت تتساقط الواحدة بعد الاخرى .

ولا نجد ضيرا من ان نسوق النص ليلمس القارئ دقائق الصورة
التي جاء بها الباخري (.. فبينما نحن كذلك اذ وقع في الماء منحط وتأملناه فاذا
هو بط ، فقرع البازيار الطبل حتى استفزه من وجه الماء الى جو السماء
ولم يزل يصك طبله صكا صكا حتى دك بازية بمنقار البط دكا دكا وضربه
يمخاله انحدر به الارض منحدرًا كالشهاب الثاقب ، ونزل به وظفاره مصغره
بالعلق ولوى جيده وكأن صليب المكسر فهصره بالمنسر وسال منه الدم كما
كسر الابريق واريق منه الرحيق (..) (٣٤)

وينفذ هذا المقطع من رسالة الباخري ان الطبل قد دخل عدة من
عدد الصيد ، فلم يكن الباز وحده في هذه الساحة بل شاركت فيه هذه الالة
الموسيقية التي ادت دورا اخر غير السرور والطرب .

وقد اشار المؤرخون الى ان اول من صاد البازي من ملوك قسطنطين
ملك الروم وذلك انه مر يوما بلحف جبل فراى بازيا يطير ثم ينزل على
شجرة كثيرة الاغصان فاعجبه صورته فأمر بان يصاد له جملة من البزاة
فصيدت له وحملت اليه فارتبطها في مجلسه (٣٥) .

ان مثل هذا الحكم نقف منه في كثير من التحفظ لانتا لم نقع لحد الان
على اي دليل مادي يعطينا الفترة المحددة لتدجين هذا الطير ، لكننا نستطيع
ان نحكم من خلال هذا النص ان عصر قسطنطين يعد من العصور المتقدمة
في تدجين البازي واستخدامه لهذا الغرض .

وقد سبق ان بينا في بداية البحث ان هناك جذورا قديمة لتراث اصيل
عن الجوارح في العراق سبقت عصور الساسانيين والبيزنطيين وغيرهم بقرون
كثيرة .

اما عن طريقة امساك البازي واطلاقه فتقد جاء في المصايد والمطارد^(٣٦)،
« الامساك على اليدين امكن من الحمل وادنى الى الاصابة في الوقوع على
الصيد . وكلما كان امعن كان اسرع . واذا اراد الفارس الركوب على يسار
البازي لم يمكنه ذلك حتى يضع يده اليسرى على القربوس فربما يفسر
الجراح عند تهيؤ الفارس للاستواء في سرجة فصار من تحته فقتله فان كان على
يمينه وضعها على المؤخرة فاذا هم بالاستواء في سرجه رفعها لئلا يصيبها
آفة . وكان من الايين ان يأتي البازيار . . والجراح على يساره فيعارض
الملك ورأس كل واحد منهما الى كفل الاخر فتحوله من يساره الى يسرى
الملك وهذا مذهب العرب في امساك الجوارح .

وقد اخذ صاحب كتاب « قابوس نامه »^(٣٧) على ملوك خراسان ان من
عاداتهم الا يحملوا الباز على ايديهم ، بينما يحملها ملوك وامراء العراق . وفي
نفس هذا المعنى يقول الجاحظ^(٣٨) « وليس ترى شريفا يستحسن حمل
البازي لان ذلك من عمل البازيار » .

اما عن عادة ملوك وامراء جرجان فيقول صاحب « قابوس نامه »^(٣٩)
انه يليق بالملك ان يحمل ويطير بازيا ولكنه لا يليق به ان يطيره غير مرة واحدة
ثم يأخذ بازيا اخر .

ومن جنس البزاة « الزرق » وهو ذكر البازي ، جاء في المصايد^(٤٠) ان
« الزرق يصيد ما يصيد البازي من دق الطيور ولا ينتهي الى صيد الكركي » .
« والفقيسي » صنف اخر من اصناف البزاة ، وهو اقل قوة وشجاعة
من بقية الاصناف الاخرى ، فقد وصف كشاجم^(٤١) هذا الطائر بأنه باز
ضعيف قليل الصبر ذاهل النفس .

ومن اصناف البزاة ايضا « الباشق » ويسميه اهل الشام ومصر الساف^(٤٢) . وقد جاء في كتاب حياة الحيوان^(٤٣) عن هذا الطائر بانه طائر حسن الصورة اصغر الجوارح جثه يصطاد العصافير وما في حبسها .

ويأتي « البيدق^(٤٤) » في اسفل قائمة البزاة ، ومن صفاته يصيد العصافير دون غيرها .

الصقر :

وتجمع على اصقر وصقور وصقار وصقاره ، والاثني صقرة^(٤٥) . والعرب تسمى كل طائر يصيد صقرا خلا النسر والعقاب^(٤٦) قال صاحب «المصايد والمطارد^(٤٧) » عن الصقور بانها بغال الطير لانها اصبر على الاذى وبسبب ذلك يغري على الغزال والارنب ولا يغري على الطير لانه يفوته ، والعرب تحسد من الصقور ما قرنص وحشيا وتذم ما قرنص داجنا^(٤٨) .

يخبرنا ادهم بن محرز ان اول من لعب بالصقر الحارث بن معاوية بن كندة الكندي خرج يوما الى الصيد فرأى صيادين قد نصبوا اشباكا عدة فوقع فيها عصافير عدة فحين رآها صقر في الجو انقض عليها يطلبها فأمر الحارث بنصب الشباك للصقور فنصبت لها فاصطاد منها جملة^(٤٩) .

والصقر يصيد الكركي والبطة وسائر طيور الماء كما يصيد الجباري . ويمدنا البخارزي بصورة دقيقة جدا وغنية بالتفاصيل عن صقر فك عنه صاحبه قيده فأخذ يلتهب حرصا وانفعالا قبل الطيران نحو غنيمته وهي طير من طيور الجباري فاذا ما خلي عنه سدّد الحاظا نحو فريسته واصحابه من خلفه يركضون حتى اذا ادركوه اذا به منكب على فريسته بجميع جوارحه ، والفريسة قد ادركها اليأس من النجاة وكانت قد استخدمت سلاحها الواهي فان من عادة الجباري اذا داهمها الصقر سلحت عليه عسى ان تظلمه بسلاحها فتجد سبيلا الى الهرب ، ولكي تصبح الصورة اكثر وضوحا لدى القارئ، فاننا نورد نصها (... ومررنا ولم تمر علينا ساعة حتى رأينا الصقر والحرص

ملتهب به ويشتعل ويكاد قبل الفعل يفعل وخلي للجباري من مكان بعيد
وكرر اليه الحاظ مستعيد ففككنا عنه قيده وخليناه وصيده ، وتبعناه فاذا
هو مكب عليها بمجامعه وهي تحته كالاسير في جوامعه ايسه من الفلاح لم
يفن عنها سلاح السلاح» (٥٠) .

ويبدو ان الصيد بالصقور كانت طريقة تختلف عن طرق الصيد الاخرى،
وقد اشار الى ذلك الدميري (٥١) في معرض حديثه عن الصقور اذ قال ان
الصيد بالصقور من اعجب الطير اذ يشترك فيها صقران في وقت واحد ، وهي
خاصة في قنص الحيوانات مثل الظبي ، ففي هذه الحالة يرسل الصقران الى
الظبي فينزل احدهما على رأسه يضرب عينيه بجناحيه ثم يعلو وينزل الاخر
ويفعل مثل ذلك وهكذا يشغلانه عن المشي حتى يدركه من يبطشن به » .

للصقور اصناف منها « السنقر » وهو من اشرف الجوارح ، والسنقر
تجنب من البحر الشامي (٥٢) .

ومن صنف الصقور ايضا « الكونج » وهو طائر صغير الحجم .
وبالنظر لصغر جسمه فقد اقتصر في صيده على طيور الماء (٥٣) .

ويشير القلقشندي (٥٤) الى طائر اخر من جنس الصقور وهو
« السقاوة » وقال عنه انه قريب الشكل من الصقر .

ومن جنس الصقر ايضا « الشاهين » ، ويعتبر الشاهين من اسرع الجوارح
كنها واشجعها واخفها واحسنها قلبا واقبالا وادبارا واشدها ضراوة على
الصيد (٥٥) .

وكان للشواهين شأن عظيم عند العرب ، قال ابن عفير كانت ملوك
العرب اذا ركبت في مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤوسهم وكان ذلك عندهم
هو الرتبة العظيمة (٥٦) .

تذكر المصادر التاريخية^(٥٧) ان اول من صاد بالشاهين قسطنطين امبراطور الدولة البيزنطية الذي اعجب بهذا الطير فضراه على الصيد . ان هذا الرأي الذي جاء به المؤرخون والباحثون لا يختلف عن احكامهم الذي قالوا به في مسألة الصيد بالبازي ، وقد سبق ان نوهنا على هذه المسألة بان الحكم المطلق فيها يعد ضربا من المجازفة العلمية ان لم يتأيد ذلك بدليل مادي ثابت .

ومن فصيلة الشواهين « الانقي » وهو دون الشاهين في القوة ويقتصر على صيد العصافير دون غيرها^(٥٨) .

ويضاف الى صنف الصقور صنف اخر يدعى « اليؤيؤ » ،^(٥٩) وتسميه اهل مصر والشام « الجلم » وهو طائر صغير اسود اللون يضرب بالزرقة .

واليؤيؤ مختص بصيد نوع من الطيور البرية يعرف القنبره وفي رسالة الطرد للباخرزي وصفا شيقا مستعا يصور من خلاله يؤيؤ اطلق وراء سربا من القنبر في وضح الصباح الباكر فتسكن منها تمكينا سريعا (.. فلما ذكا الصبح كما يذكو المصباح ... دعرت هممه السنايك سربا من القنبر فاعتمدنا في صيدها على يؤيؤ .. وطار اليؤيؤ مراقبا للذخاخ الى ان بسط .. بالقنبرة كلكل الجناح وبقي في انتهاز فرصة ، حتى احكم المخالب في فريسته ..)^(٦٠) .

الطفرل :

وهو من طيور الصيد بل من اعظمها واكبرها واكثرها شراسة يمتاز بقوة احتماله فهو ينقض عشر مرات ويستطيع صيد كل الحيوانات^(٦١) .

هذا عن الجانب التاريخي للجوارح ، اما عن الجانب الاثري أي عن المآثورات التي وجدت ممثلة على التحف الاثرية المختلفة فاهميتها كبيرة جدا ، اذ ان مجال الواقعية فيها ابرز من جانب الخيال ، ومع ذلك فقد صادفتنا

صعوبات كبيرة في الوقوف على انواع الجوارح التي مر ذكرها ، وسبب هذه الصعوبات ان طيور الصيد تتشابه في مظهرها العام وان الفنان مهما بلغ من الدقة في التعبير فانه لا يوفق دائما في تعرفنا على نوعية الطير الجارح ، فالملاحظ ان كثيرا من الرسوم التوضيحية ان لم تكن جميعها سواء فسي المخطوطات ام على التحف الاخرى كان الفنان يعرض لنا من خلالها ، نماذجه بصورة او باخرى دون ان يتعرض لتفاصيل هذه الطيور من حيث انواعها وعدد ريشها والوانها وعاداتها وما الى ذلك من المعلومات الاخرى لانه في كثير من الاحيان يهمل رسم اشياء على جانب من الاهمية وربما تحدد تلك الاشياء نوعية الجارح ان كان صقرا او شاهينا او عقابا او بازاء ونتيجة لذلك كله انه يصعب على المتأمل ان يحكم بنوعية الجارح الذي تظهر صورته في المخطوطات او على اي تحفة اثرية ولا سيما وان الفروقات في بعض الاحيان دقيقة جدا وربما لا تلفت اهتمام المصور او الفنان ، اذ يصعب عليه رسمها مثل عدد الريش او لون العيون ، وفي بعض الاحيان ينحصر الفرق بين جارح واخر في لون العيون مثلا او عدد الريش •

هذا بالاضافة الى الاختلاف في الاداء بين فن واخر اذ يجب ان نضع في الحساب ان الحفر والنقش على الاخشاب يختلف عن النقش على المعادن وكذلك الامر بالنسبة للمخطوطات لان لكل مادة طريقة خاصة في التعبير عن الصور التوضيحية • وعلى هذا فاننا سنطلق كلمة جارح بصورة عامة على كل طير من طيور الصيد التي ترد صورها او رسومها على التحف الاثرية وفي المخطوطات المصورة الا اذا كان هناك ما يشير صراحة الى نوعية هذه الطيور • ولقد رصدنا مجموعة طيبة من مشاهد الصيد بالجوارح ممثلة على العديد من التحف الاثرية العربية بعضها على الخزف وبعضها على المعادن واخرى على الخشب وعلى المخطوطات والاخر على الزجاج وعلى العاج •

أما مناظر الصيد على التحف المعدنية فهي كثيرة نذكر منها مشهد منقوش على ابريق^(٦٢) (شكل ١) من النحاس من صناعة احمد الذكي النقاش الموصل مؤرخ من سنة ١٢٢٣/٦٢٠م وهو محفوظ في متحف كليفلاند ، ويزين الابريق المذكور جملة من الصور والرسوم المكففة بالفضة ، ومن المؤسف ان معظم التكفيت سقط عن الرسوم بحيث اصبحنا نلاقي صعوبة في تتبع تلك الصور ، ومع ذلك يستطيع المرء ان يلح صورة صياد امتدت يده اليسرى مثنية الى اعلى ، في حين بسط اليد اليمنى بصورة افقية وقد حمل على كفه الايمن والايسر جراح .

وهناك تحفة معدنية اخرى (شكل ٢) يظهر عليها منظر الصيد بالجوارح ، وهي عبارة عن طست^(٦٣) من النحاس المكفيت بالفضة من صناعة احمد الذكي النقاش الذي صنع لنا الابريق السابق ، الطست يرجع تاريخه بين سنتي ٦٣٦ - ٦٣٨هـ / ١٢٣٨ - ١٢٤٠م والطست محفوظ في متحف اللوفر بباريس ، ونجد على الجدار الداخلي للطست زخارف ورسوم مختلفة ، ولا يرى المرء في هذه الزخارف لاول وهلة سوى رسوم فروع نباتية ورسوم مناظر اشخاص متشابهة ، ولكن اذا دقق النظر فيها يستطيع ان يكشف صوراً عديدة لصيادين وحيوانات وطيور ، فنرى هنا مجموعة من الصيادين بعضهم على صهوة جيادهم والبعض الآخر على الارض وهم يارسون عملية صيد الطيور والحيوانات بالآلات واسلحة وطرق متنوعة بعضهم يطلق سهمه من قوسه وآخر يطعن حيواناً برمح وآخر يصطاد بواسطة طيور الصيد ، فنجد هنا احد الصيادين وقد امسك بجراح كانما يتأهب لتجربته ، وفي جانب آخر من جدار الطست وفي الزاوية العليا من الجهة اليسرى نشاهد صياداً على فرسه وبجانبه جراح ينقض على طائر اتجه اليه من الناحية الخلفية في حركة بديعة بينما امتدت يد الصياد نحوها كما لو كان يريد صيده . وعلى مقربة من هذا المشهد يطالعنا مشهداً آخر يختلف عن سابقه حيث جاء هذه المرة صورة جراح يطارد غزالاً يحاول اقتناصها .

وهناك قطعة معدنية أخرى^(٦٤) (شكل ٣) محفوظة في متحف اللوفر بباريس وهي من صناعة « محمد بن الزين » والقطعة تمثل طستا تزينه زخارف ورسوم مكفتة بالفضة وهي تمثل مناظر مختلفة من مناظر البلاط والصيد والقتال ومشاهد من الحياة اليومية موضوعة في اشربة واشكال هندسية متعددة الانواع على مهاد من الفروع النباتية ، والذي يهنا من المشهد الصيد والمنظر المذكور يعبر عن جماعة من الصيادين عادوا تواء من رحلة الصيد وقد امسك احدهم بيده اليمنى بصيده الذي يمثل غرناقاً وقد تدلى رأسه مما يقطع بأنه ميت والى جانبه صياد يحمل فوق ذراعه الايسر جارحا والى جانبه من الجهة اليسرى من المنظر صياد ثالث يرافق كلب صيد وقد امسك يمينه طرف الجبل الذي يربط عتق الكلب . اما الصياد الرابع فقد التفت الى الورااء منشغلا بالنظر الى جهة اخرى لم يتضح الشيء الذي يشغله

ويظهر لنا موضوع الصيد بواسطة الجوارح في تحفة معدنية^(٦٥) اخرى تتمثل في صينية مصنوعة من النحاس الاصفر المكفت بالفضة وهي موجودة في متحف الفنون الشعبية في ميونيخ ، وتزين الصينية المذكورة صور تمثل موضوعات مختلفة ، من بينها صور تمثل رجلا يصطاد من على صهوة جواده بواسطة القوس وصياد اخر يصطاد اسداً بواسطة الرمح . كما اظهرت بعض الرسوم الاخرى صيادا يستخدم في صيده نوع من طيور الصيد .

ولم يكتف الفنانون العرب بتصوير رسوم الصيد بالجوارح على التحف السابقة بل امتد تصويرها الى مواد الكتابة ايضا كالمحابر ، وقد وصلت الينا محبرة من النحاس المكفت بالفضة وهي من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ومحفظة الآن في متحف برلين ، وتزين المحبرة زخرفة قوامها ثلاثة اشربة العلوي والسفلي ضيقان ويضمان فروعا نباتية ، اما الشريط الاوسط فاعرض من الشريطين الاولين ويضم هذا الشريط اشكال دائرية تضم واحدة منها رسم صياد يصطاد بطير من طيور الجوارح وقد ظهر الجارح هنا على اليد اليسرى للصياد بينما رفع اليد اليمنى نحو الاعلى قد تكون اشارة لانطلاق

الجارج نحو مهمته (شكل ٤) كما لم يكتف الحكام والامراء في العصر العباسي بحمل طيور الصيد اثناء الصيد فحسب بل كانوا يحملونها في مجالسهم الخاصة مما يدل على اعتزازهم وولعهم وشغفهم بهذه الطيور ، وقد ارشدتنا الى ذلك صورة منقوشة على شمعدان^(٦٦) من النحاس (لوحة ٥) من صناعة ابي بكر ابن جلدك الموصلية سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م وتمثل الصورة المذكورة مجلسا يضم حاكما يجلس على عرشه وقد وضع يده اليسرى امام صدره وحمل عليها طائرا من طيور الصيد ، ولعل الفنان أراد بذلك ان ينعت هذا الحاكم أو الامير بانه صياد كناية عن الشجاعة والفروسية .

اما صناع البلور والزجاج فقد اعجبوا اعجابا عظيما بموضوع الصيد لذا نراهم ينقشون مشاهد الصيد على تحفهم التي كانوا يصنعونها ، ومن القطع التي يظهر عليها منظر الصيد ابريق من البلور الصخري^(٦٧) من القرن الحادي عشر محفوظ في متحف فكتوريا وابرت بلندن وقوام الزخرفة في هذا الابريق رسم جارج ينقض على غزال محاولا اقتناصها وقد ثبت مخالفه بظهر الغزال بينما انتصبت جناحاه (شكل ٦)

وفي المصنوعات الزجاجية رسوم تمثل مشاهد الصيد ، نذكر منها انية محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، والانية ذات زخرفة متنوعة ، ويزين اكناف الانية المسطحة تصميم زخرفي بديع من افرع نباتية تتخلله مناطق بها رسوم طيور يصطاد بعضها البعض الاخر ، فنرى فيها ثلاثة من الجوارح كل منها ينقض على اوزره .

كما مثل الصيد بالجوارح على الاخشاب ، ففي متحف الفن الاسلامي بالقاهرة عارض خشبي ضيق مزين بزخارف وشريط طويل تتعاقب فيه اشكال مستطيلة مسدسة فتملؤها رسوم لصائد يحمل جارحا وهو على صهوة جواد يقوده سائس يحمل درعا ورمحا ، ثم حثوتين متواجهتين لصائدين احدهما يحمل جارحا وهو على صهوة جواده يتقدمه سائس آخر يحمل من السلاح ما رأيناه في صورة السائس السابق^(٦٨) .

وفي متحف الفن الاسلامي بالقاهرة حشوة من الخشب مطعمة بالعظم وبالخشب الاحمر وهي من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وتتألف الحشوة من دائرة مستديرة تضم رسم جارح ينقض على ارنب يعدو رافعا رأسه في وضع طبيعي كأنه يأكل من فرع نباتي وذيل الجارح منحني الى اسفل . ويلاحظ أن جسمي الجارح والارنب تزخر بهما معينات بداخلها اشكال صليبية تتألف من افرع نباتية مورقة (٦٩) .

على ان تصوير مناظر الصيد بالجوارح لم يكن مقتصرًا على المعادن والزجاج والاختشاب . بل شمل ايضا التحف المصنوعة من العاج ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، بقطعة من العاج (٧٠) (لوحة ٧) يعود تاريخها الى القرن الحادي عشر والثاني عشر ، ويزين القطعة المذكورة مجموعة من الصور ، من بينها رسوم تمثل ستة من الصيادين موضوعة داخل شريط ، فالاول الذي يظهر على الجهة اليمنى من الشريط يحمل فوق يديه اليسرى جارحا كأنما يتأهب للانطلاق ، بينما ظهر الى جانبه صياد آخر امتدت يده اليسرى سائبة في الهواء كأنه يشير للطائر بالانطلاق نحو الجهة المطلوبة بينما وقف على كفه طائر جارح ناشرا جناحيه بينما امسكت يده اليمنى بحيوان اقرب ما يكون الى الارنب يليه صياد ثالث يعتلي صهوة فرسه وقد امسك بيسراه بجارح بينما امتدت يمينه مشيرا الى الجهة المطلوبة . اما الصياد الرابع فهو الذي يمثل نهاية هذا الشريط فيظهر هو الآخر ممتطيا صهوة جواده حاملا على يده اليمنى طير من طيور الصيد .

وفي كاتدرائية طرطوسه باسبانيا صندوق من الخشب (٧١) المغطى بالعاج وهو من القرن الثاني عشر ، ويحلى الصندوق زخرفة من دوائر مستديرة تضم رسوما آدمية ورسوم حيوانات اضافة الى عدد من الاشرطة الكتابية ، والذي يهتئ من هذه الزخرفة مشهد الصيد المثل على هذه التحفة الفريدة .

والمنظر المذكور يمثل دائرتين من الدوائر التي تزين بدن الصندوق ، ففي الدائرة اليمنى نشاهد فارسا يعتلي صهوة فرسه وقد امسك بجارحين رفعهما الى اعلى والفرس تجري من اليمين الى اليسار (شكل ٨) في حين اتخذ فارس آخر احتل الدائرة اليسرى بنفس موقعه ووضعته بالنسبة لحمل الجارحين ، الا ان الفرس جارية به من الشمال الى اليمين (شكل ٩) .

ولم يقتصر منظر الصيد بالباز والشاهين والصقر والعقاب على المواد السالفة الذكر ، بل صورها على مواد اخرى مثل النسيج ، ومن القطع التي يظهر عليها منظر الصيد بالجوارح قطعة نسيج من الكتان ذي الزخارف المطبوعة (٧٢) تعود الى القرن الثاني عشر وهي من مقتنيات متحف الفن الاسلامي بالقاهرة وتتألف زخرفة هذه القطعة من شريطين . العلوي يضم فرع نباتي فضلا عن رسم جارح باسط جناحيه وينقض على اوزة لفتت برأسها نحوه ، ورسم اخر لجارح ينقض على غزال في حركة بديعة ، اما الشريط السفلي ، فيضم زخارف من فروع نباتية فضلا عن رسم لجارح اخر ينقض على ارنب .

وقطعة ثالثة من النسيج (٧٣) ايضا (شكل ٩٠) يظهر فيها مشهد الصيد ، والقطعة المذكورة مصنوعة من الحرير في القرن الثاني عشر وقد رسم عليها صفوف من الصيادين في مواجهة بعضهم وقد امتلأت صهوة جيادهم وحمل كل صياد على يده جارحا ،

وقد حظيت المخطوطات المصورة ببعض من الصور التي تمثل الصيد ، فهناك مخطوط (٧٤) هراري المحفوظة في المكتبة البودلية بلندن به صور عن الصيد ، ففي احدى صفحاته صورة تمثل الصيد بواسطة الطيور ، ففي هذه التصويرة نجد ان الفنان قد عبر عن منطقة الصيد بغابة أو بحقل والمنظر به مجموعة من الشجيرات الصغيرة بارتفاع واحد تقريبا وقد وزعت الشجيرات

بشكل زخرفي وبه مجموعة من الصيادين يتجهون من اليسار الى اليمين ، وفي مقدمة المنظر تشاهد اثنان من الغزلان تجرى بسرعة من الخوف والفرع امام جارحا ناشرا جناحية وهو ينقض على احدى الغزالين بعنف وقوة ويستطيع المرء أن يلاحظ ان الفنان كان دقيقا في معالجة الحيوانات من حيث معرفته بتفاصيل اجسامها وعضلاتها وقوة التعبير عن انفعالاتها •

وصور الصيد بالجوارح امتدت الى التحف المصنوعة من الخزف ، فاتخذها الخزاف مادة للزخرفة حيث ظهرت على مجموعة من التحف الخزفية ، نذكر منها على سبيل المثال صحن^(٧٥) (شكل ١١) من الخزف ذي الزخارف المحفورة والمتعددة الالوان من القرن الخامس أو السادس الهجريين (الحادي عشر او الثاني عشر الميلاديين) محفوظ في متحف المتربوليتان وتمثل الزخرفة في هذا الصحن رسم جارح ينقض على نعامة في حركة تقوسية بديعة من جهة الخلف ويلاحظ ان قدمي الجارح قد لامس ظهر النعامة ومنقاره مثبت في عنقها من اسفل الرأس وتحت المنقار مباشرة •

وفي مجموعة والترهاوزر صحن^(٧٦) آخر (شكل ١٢) من الخزف ذي البريق المعدني عليه رسم يشبه الى حد بعيد الرسم الذي شاهدناه في الصحن السابق ، حيث تمثل الصورة المذكورة جارح ينقض على طائر من الخلف ويستقر ايضا فوق ظهره بحيث يلامس اقدامه ظهر الطائر ، وقد اعمل منقاره في صدر الطائر في انحناءه بديعة وقد التصق رأس الطائر في صدر الجارح • ويظالعا مشهد الصيد بالجوارح على قطعة اثرية اخرى تمثل صحننا من الخزف ذو البريق المعدني (شكل ١٣) من القرن الخامس والسادس الهجري (الحادي عشر او الثاني عشر الميلادي) في مجموعة كيرو ويمثل المشهد جارحا وفريسته من ضيور البط وقد شغل الرسم سطح الاناء ، وتقد بجمال وحيوية تدل على

مهارة الفنان في تصوير مثل هذه المشاهد ، ونشاهد الجارح هنا وقد فرش جناحيه بزهو وكبرياء ، بينما ثبت مخالبه في ظهر فريسته ، فاخضعها لسيطرته تأهباً للانقضاض عليها وعبثاً تبحث هذه الفريسة التعسة عن مخرج لها (٧٧) والى جانب القطعة المذكورة كسرة اناء من الخزف المتعدد الالوان عليها رسم يشثل واحداً من النماذج العديدة لاسلوب الصيد بالجوارح في الفن العربي المبكر الذي مثل على العاجيات الاسبانية المشهورة من العصر الاموي والرسم المذكور يعرض لنا جارحاً ينقض على غزال صغير اتجه اليها من الناحية الخلفية وقد بدأ الجارح منكب عليها بجميع جوارحه والفريسة من تحته كالاسيرة وقد ادركها اليأس من النجاة (٧٨) • (شكل ١٤)

وفي نفس المجموعة السالفة الذكر كسرة اخرى من اناء خزفي (شكل ١٥) ذات رسوم تحت الدهان تعود الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) عليها منظر مشابه لما هو مشثل في القطعة السالفة ، ويشثل الرسم طائراً على هيئة جارح قد فرش جناحيه وهو ينقض على بطة وقد سدّد مخالبه في ظهرها وعمل منقاره في صدرها ورمى بثقله على ظهر فريسة التي بدأ عليها الذعر والفرع (٧٩) •

وبعد فقد ظهر لنا من خلال هذا البحث جملة امور على جانب كبير من الأهمية ، يأتي في مقدمتها كون العرب اساتذة وروادا في الصيد بواسطة الجوارح ، فقد اوجدوا لهذا الفن مناهج خاصة بتهذيب وتدريب الجوارح على الصيد حتى عد بعضها من مبتكراتهم ، وعنهم أخذها الاوريون في العصور الوسطى •

يضاف الى ما تقدم ان لكل جارح طريقتيه وطريقته في الصيد ، ولم يكن الامر مجرد جارح ينقض على طائر أو حيوان كما يتصور البعض ، وانما كانت هناك قواعد واصول تتبع في الصيد وكان على الصياد التقيد بها والعمل بموجبها •

ومن استنتاجات البحث الاخرى ان الجارح لم يترك وحده في بعض الاحيان في عملية الصيد وانما كانت هناك عدد اخرى مساعدة كما هو الحال في آلة الطبل •

وقد مكنتنا دراسة الرسوم المصورة للجوارح والصيد بها من الاطلاع على معلومات ناطقة وصحيحة عززت الروايات التي استقينها من اقوال المؤرخين القدامى •

وكذلك اوضحت لنا هذه الدراسة ان الصيد بالجوارح تراث اصيل عند العرب وان العراقيين القدماء قد عرفوا هذا الفن ومارسوه قبل غيرهم ، ولم يكن الساسانيون والبيزنطيون هم الذين اوجدوا هذا الفن كما ذهب الى ذلك بعض المؤرخين •

كل ذلك يؤكد ان العقلية العربية عقلية متفتحة وانهم كانوا على مستوى كبير من الدراية في هذا الميدان •



103.12



شكل رقم (٢)



شکل رقم (۳)



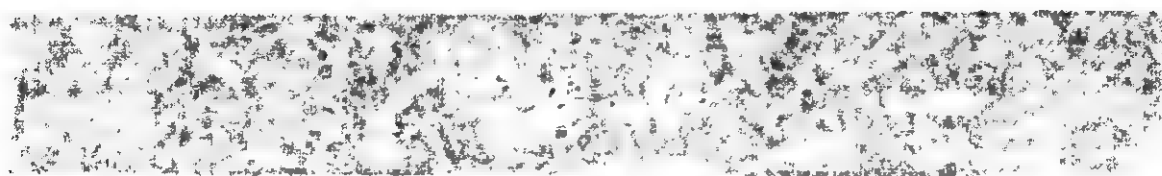
شكل رقم (٤)



شکل رسم (۵)



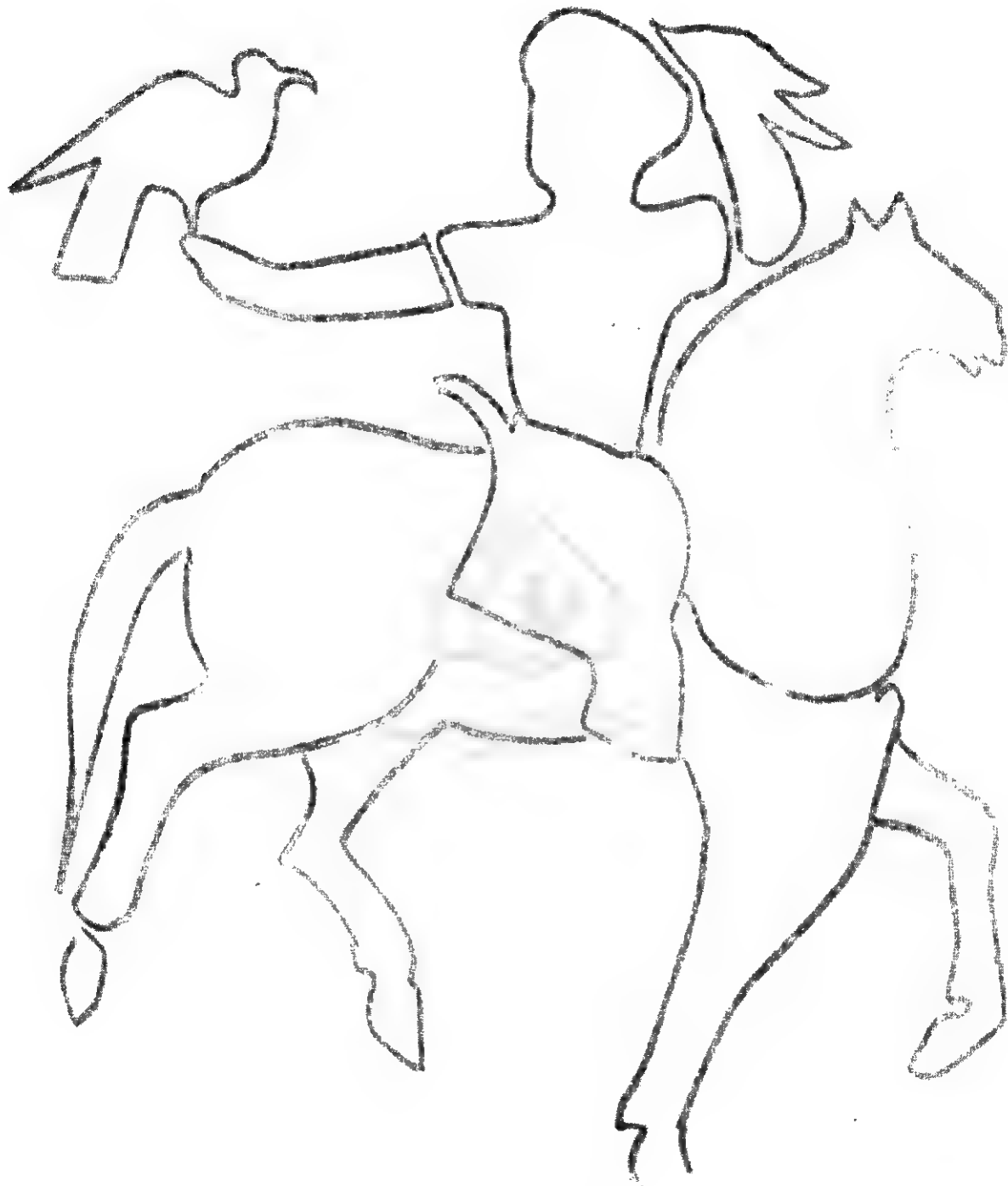
شکل رقم (۶)



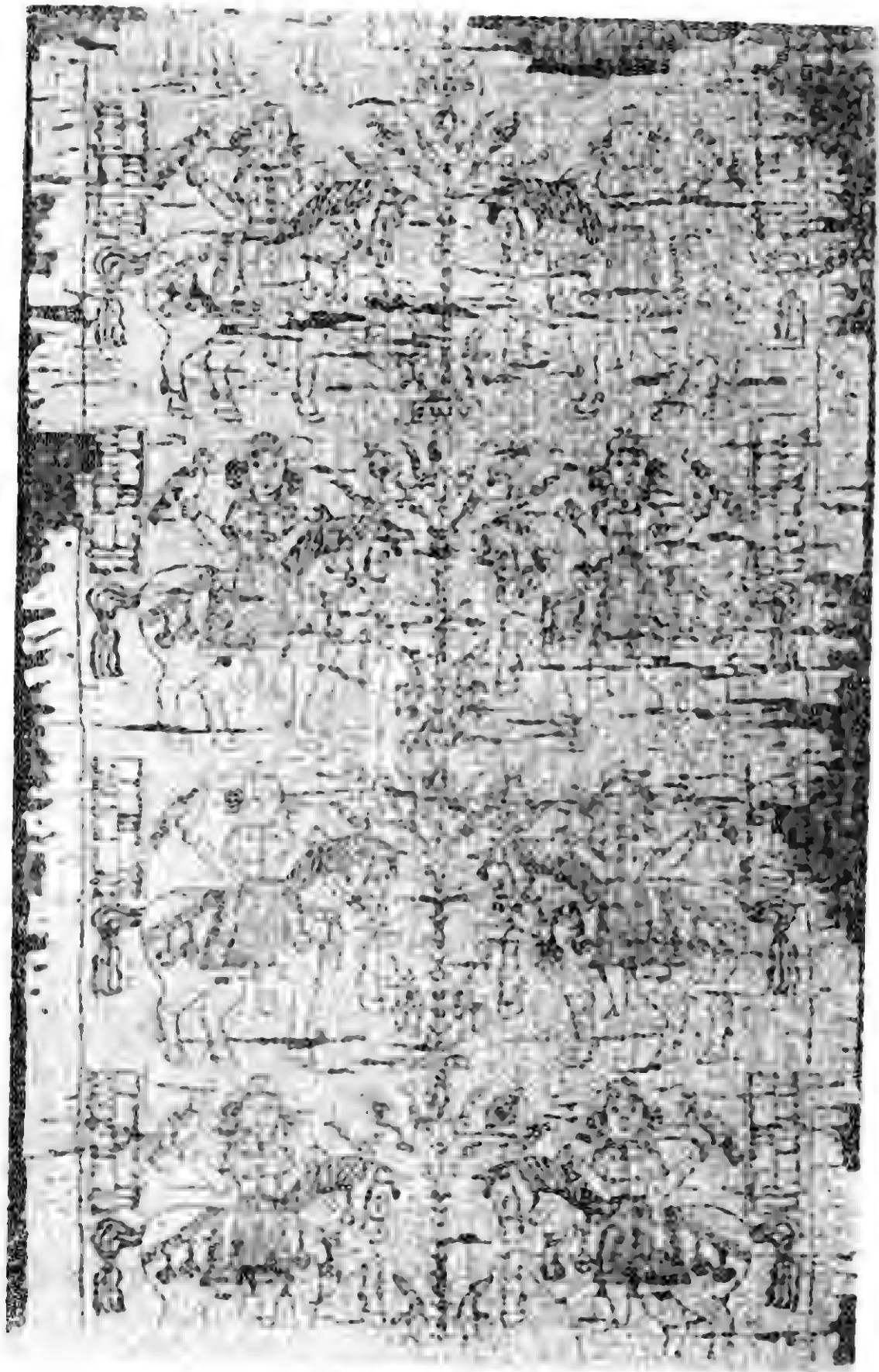
شکل رقم (۷)



شکل رقم (۸)



شکل رقم (۹)



شکل دوم ۱۰۱



شکل و رسم (۱۱۱)



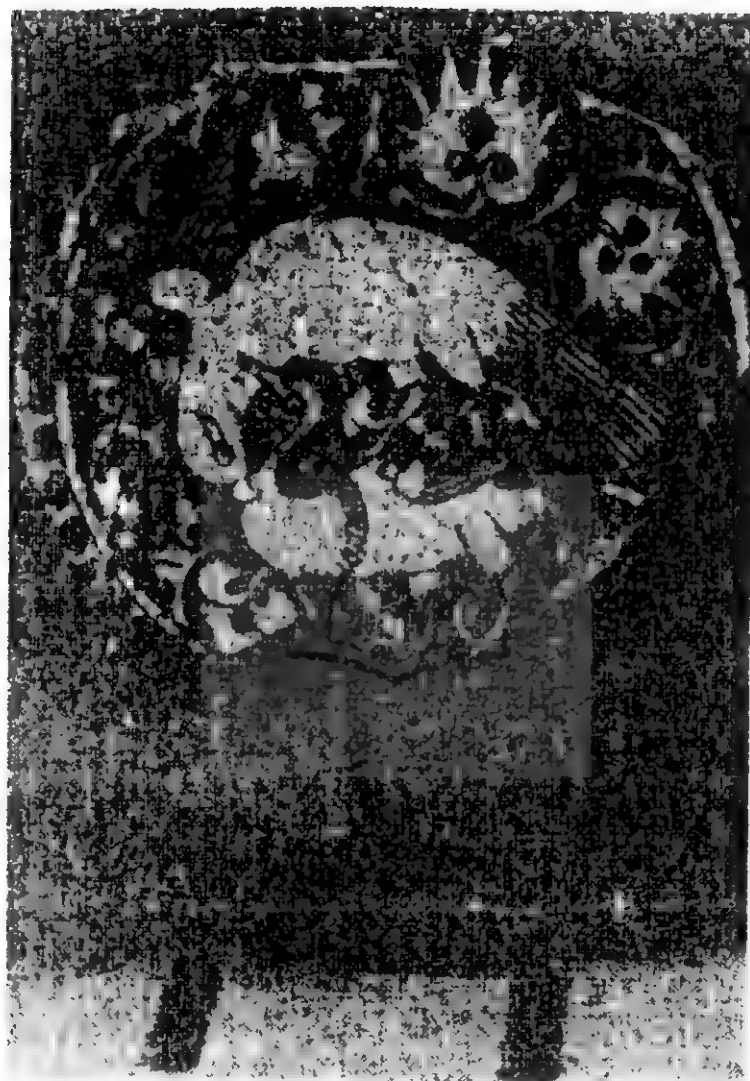
شکل و رسم (۱۱۲)



شکل رقم (۱۲)



شکل رقم (۱۴)



سنگل و ششم (۱۵)

المراجع

- (١) A. Parrot, SUMER, pl. 164, Paris (1960)
- (٢) Ibid. pl. 186
- (٣) Ibid. pl. 188
- (٤) ابن سيده : أبو الحسن علي بن اسماعيل المخصص (المطبعة الأميرية ببولاق ١٢١٦-١٢٢١ هـ / ٨١٠ م) ص ١٤٥
- (٥) القرآن الكريم . سورة المائدة . الآية (١١)
ومنى مكلمين من الذهب . من الجوارح ومؤدبها ومنفريها بالفضة . واستفاقه من الذهب لأن الذهب ليس منكون بالذهب . تسبق من غده لكونه في حينه لا شيء يسبقه . انظر : عين السند حسن أبو
سعد الفاروق عند العرب . نتائج البحوث في اللغة العربية . ص ١٠٠
- (٦) ابن جني . أبو عبد الله عمرو بن بحر الحيوان (تحقيق وترجم عبد السلام محمد حارون) ص ٥٥٥ . ص ١
- (٧) الدميري : كمال الدين محمد بن موسى حياة الحيوان الكبرى (مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده) القاهرة ١٢٧٦ هـ / ١٩٥٦ م ص ٢ ص ٢٧٥
- (٨) أبو عبد الله الحسن بن الحسين البزرة . نشر كرد علي سنة ١٩٥٣ م .
- (٩) السويدي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن محمد ومقاتل البزرة . تحقيق محمد عبد الله بن عبد الله (مطبعة المسعدة . مصر) ج ١ الثانية ١٩٥٦ م ص ١٠٠
- (١٠) ابن الأثير . محمد بن علي بن طاهر : المعجم في احوال العرب والمسلمين في العصور الإسلامية . ص ١٠٠

١١. نصالحى . عباس مصطفى :
العصيد والطرود في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثانى الهجرى (مطبعة
دار اسلام بغداد ١٣٩٣ | ١٩٧٤) ص ٤ .
- (١٢) كشاجم . ابو الفتح محمود بن الحسن الكاتب :
المصايد والمطارد ، تحقيق اسعد اطلس (بغداد ١٩٥٤ م) .
ص ٢-٤ . وانظر الصالحى . المصدر السابق ص ١٤
- (١٣) كشاجم : المصدر السابق ص ٧
- (١٤) الخالديان : ابو بكر وابو عثمان سعيد :
التحفة والهدايا . عنى بتحقيقه ووضع فهرسه سامي الدهان (دار المعارف
المعارف بمصر ١٩٥٦ م) ص ١٦٧
- (١٥) المصدر السابق ص ١٦٧
- (١٦) شميل : انا ماري . اليار الاشهب (ملاحظات في البيزرة في الشرق والعرب)
مجلة فكرو فن العدد (٤) سنة ١٩٦٤ ص ٣٠ .
- (١٧) المصدر السابق ص ٣٠ .
- (١٨) المصدر السابق ص ٢٩ .
- (١٩) ابن سيده : المصدر السابق ج ٨ ص ١٤١
- (٢٠) ديوان ابي نواس ص ٦٥٠
- السنن . انفجار
- (٢١) ابن سيده . المصدر السابق . وانظر كشاجم المصدر السابق ص ٦٢
- (٢٢) انقضي سدي : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣
- (٢٣) الاسفيهانى
محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والفن
- ج ٤ ص ٦٦٩
- (٢٤) المصدر السابق ج ٤ ص ٦٦٩
- (٢٥) كشاجم : المصدر السابق ص ٦٥
- (٢٦) الباجوري : ابن ابي الخليل : رسالة الطرد . تحقيق محمد قاسم مصطفى
(مجلة معهد المخطوطات العربية .
المجلد الحادى والعشرون ج ١ سنة ١٩٧٥ ص ٢٧٢-٢٧٣

- (٢٧) القلقشندي . المصدر السابق ج ٢ ص ٥٥
- (٢٨) الاصفهاني المصدر السابق
- (٢٩) المصدر السابق ٤٤/١
- (٣٠) كشاجم : المصدر السابق ص ٥٣
- (٣١) المصدر السابق ص ٥٥
- (٣٢) المصدر السابق ٥٢ القلقشندي المصدر السابق ج ٢ ص ٥٦
- (٣٣) القلقشندي : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٧
- (٣٤) الباخري : المصدر السابق ص ٢٧٦
- والبنادق جمع « بندق » والبندق كرات صغيرة تصنع من الفلين المدور المدملق يرمى به عن القوس . وقد تكون من الحجارة او الرصاص . انظر الجواليقي . المعرب ص ٦٩، ٦٦
- وانظر كذلك . الحنفي . احمد بن محمد الحموي :
- النفخات المسكية في صناعة القروسية . تحقيق عبدالستار القوه غولي (مطبعة التفيض ببغداد ١٩٥٠ م) ص ٧٣ .
- (٣٥) القلقشندي ، المصدر السابق ج ٢ ص ٥٥٧
- (٣٦) كشاجم : المصدر السابق ص ٥٧
- (٣٧) شيمل : المصدر السابق ص ٣٠
- (٣٨) الجاحظ : المصدر السابق ج ٦ ص ٤٧٨
- (٣٩) شيمل : المصدر السابق ص ٣٠
- (٤٠) كشاجم : المصدر السابق ص ٦١
- (٤١) المصدر السابق ص ٧٣
- (٤٢) المصدر السابق ص ٧٣
- (٤٣) الدميري : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥٥
- (٤٤) كشاجم : المصدر السابق ص ٧٧
- (٤٥) ابن سيده : المصدر السابق ج ٨ ص ١٤٨
- (٤٦) الدميري : المصدر السابق ج ١ ص ٥٥٥
- (٤٧) كشاجم : المصدر السابق ص ٨٤

- (٤٨) المصدر السابق ص ٨٤، ٧٩
- (٤٩) القلقشندي : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢
- (٥٠) الباخريزي : المصدر السابق ص ٢٧٣-٢٧٤
- (٥١) الدميري : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٣
- (٥٢) القلقشندي : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠
- (٥٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢
- (٥٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢
- (٥٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٩
- (٥٦) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠
- (٥٧) القرشي : ابي بكر القاسمي : الجوارح وعلم البيزدره (مخطوط) ص ١٨٠ .
وانظر كذلك عبدالقادر حسن : شعراء الطرد ٢٠٢
- (٥٨) كشاجم : المصدر السابق ص ٨٢
- (٥٩) القلقشندي : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠
- (٥٩) كشاجم : المصدر السابق ص ٨٣-٨٤
- (٦٠) الباخريزي : المصدر السابق ٢٧٨
- (٦١) ماهر سعاد : البيزدره في التاريخ والآثار ، مجلة ادارته ، العدد الاول
للسنة الثالثة ١٩٧٧ ص ١٢٠، ١٢١
- (٦٢) Rice, Inlaid Brasses From the workshop of Ahmad al-Dhaki
al-Mausili (Ars Orientalist, II p. 290 fig. 5 A
- Ibid, p. 303, fig. 28
- (٦٣)
- (٦٤) حسن زكي محمد : اطللس الفنون شكل ٤٨٤
- الغرنوق : وهو من طير الماء موصوف بالحذر ومتى طار ترفع في الهواء
خشية السباع ويقوم على احدى رجليه جذرا لئلا ينام : نظر محاضرات
الادباء ج ٤ ص ٦٧٧
- (٦٥) العبيدي . صلاح : التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي ص ١٠٨
- E. Rice, ibid, p. 318 fig. 40 I
- (٦٦)
- (٦٧) حسن . زكي محمد : اطللس الفنون شكل ٧٤٣

- (٦٩) انظر كتاب معرض الفن الاسلامي في مصر من سنة ٩٦٩ الى سنة ١٥١٧ هـ الصادر في مصر سنة ١٩٦٩ ص ٣٢٤ .
- (٧٠) انظر حسن . زكي محمد | اطلس الفنون شكل ٢٤٠
- (٧١) حسن زكي : اطلس الفنون شكل ٤٢٠
- (٧٢) حسن . زكي محمد : كنوز الفاطميين لوحة ١٧ ، اطلس الفنون شكل ٥٩٥
- (٧٣) المصدر السابق ص ٢٠
- Rice, Ibid, pl. 16 c (٧٤)
- حسن زكي محمد : اطلس الفنون شكل ١٠٨ (٧٥)
- المصدر السابق شكل ١٣٠ (٧٦)
- Grube Ernst Islamic Pottery of the eighth to the fifteenth century, p. 130 No. 89 (٧٧)
- Ibid, pl. 120 No. 77 (٧٨)
- Ibid, No. 216 (٧٩)



المصادر والمراجع

- (١) أبو عبدالله الحسن بن الحسين بازبادار العزيز بالله الفاطمي : البيزة (نشر كرد لمي - ١٩٥٣) .
- (٢) محمد بن منقلي : كتاب مناهج السرور والرشاد (مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٩٣٤) .
- (٣) قابوس نامه ، مخطوطة فارسية ترجمة الى الالمانية .
- (٤) المسعودي - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي مروج الذهب ومعادن الجواهر (تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مطبعة السعادة - مصر ط الثالثة ١٩٥٨) .
- (٥) المقرئزي : الشيخ تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر ابن محمود المقرئزي (كتاب المواعظ والاعتبار) .
- (٦) ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر) بيروت المكتبة الادبية ١٨٨١ .
- (٧) سعاد ماهر : البيزة في التاريخ والاثار (مجلة الدارة العدد الاول للسنة الثالثة ١٩٩٧\١٩٧٧ م)
- (٨) فكر وفن العدد الرابع سنة ١٩٦٤ (ألمانيا)
- (٩) أبو نواس \ الحسن بن هاني : الديوان - دار صادر بيروت ١٩٦٢ .
- (١٠) ابن سيده : أبو الحسين علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ ١٠٦٥ م المخصص - ١٧ جزءا المطبعة الاميرية ببولاق ١٣١٦\١٣٢١ هـ .
- (١١) الصاحي : عباس مصطفى - الصيد والطرود في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ١٣٩٣\١٩٧٤ .
- (١٢) الفلقشندي : احمد بن علي بن احمد بن عبدالله ٧٥٦ - ٨٢١ هـ صبح الاعشى القاهرة دار الكتب الخديوية ١٣٣١ ، ١٩١٣ م .
- (١٣) الاصبهاني : محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء .
- (١٤) كشاجم \ أبو الفتح محمود بن الحسن الكاتب (المصايد والمطارد) تحقيق اسعد طلس بغداد ١٩٥٤ م
- (١٥) الدميري - كمال الدين محمد بن موسى الدميري : حياة الحيوان الكبرى .
- (١٦) الجاحظ \ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ / الحيوان . مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ١٣٥٧ م
- (١٧) الخالديان : أبو بكر محمد وأبو عثمان ابنا هاشم (كتاب التحف والهدايا) حققه سامي الدهان - دار المعارف بمصر ١٩٥٦ .

المسكوكات وثيقة معبرة عن الاحداث السياسية زمن الخليفة هارون الرشيد

الدكتور ناهض عبدالرزاق دفتر
كلية الآداب / جامعة بغداد

المسكوكة تلك الوثيقة المهمة التي تحمل تأريخها ومكان سكها معها ، وقد لعبت دورا كبيرا في توضيح العديد من الحقائق التي اغفلها المؤرخون وبخاصة السياسي منها . فقد كانت المسكوكات أحد عنصري مستلزمات الخلافة العباسية . فالعنصر الاول الخطبة التي كانت تذكر اسم الخليفة في اثناء صلاة الجمعة اضافة الى الامور العامة . والثاني هو السكة التي كانت المرآة التي تعكس ما يجري من احداث وصراعات على السلطة . وبالرغم مما تحمله المسكوكة بين طيات نصوصها من الشواهد المهمة غير ان المؤرخين العرب القدامى والمحدثين عزفوا عن الخوض في غمار هذا الرافد المهم للتأريخ ، الا من تنف ذكرتها كتبهم هنا وهناك . وربما يعود السبب في ذلك للصعوبات التي ترافق مثل هذا الحقل من الدراسة . منها صغر حجم المسكوكة واسلوب الخط والاساء التي تظهر عليها او اماكن سكها غير المعروفة - وخاصة المدن المدرسة - اضافة الى صعوبة الوصول الى معرفة دار الضرب . لذلك نجد النقص الفاضح في مكتبتنا العربية لمثل هذا الموضوع اذا ما قورن ببقية كتب التراث الاخرى .

فقد وصلتنا من مدينة السلام عاصمة الخلافة العباسية مئات الالاف من المسكوكات التي كانت نسك فيها سنويا ولكن للأسف لم تقف نجد الان على اية مخطوطة تكشف عن اسرار سك المسكوكات فيها او اساليب صناعتها .

غير ان بعض المصادر - وباقتضاب - تحدثت عن المسكوكات التي صدرت عن دور ضرب اخرى ومن فترات زمنية متأخرة بعض الشيء عن عصر الخليفة هارون الرشيد . ومن هذه المصادر ما يلي : -

١ - البلاذري ، فتوح البلدان (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) حيث ذكر عن اوزان الدراهم الساسانية والاموية^(١) .

٢ - الماوردي ، الاحكام السلطانية ، (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) فقد ذكر الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب بعض المعلومات^(٢)

٣ - اسعد ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) في الفصل التاسع من هذا الكتاب ترد بعض المعلومات عن دار الضرب^(٣) .

٤ - ابن خلدون ، المقدمة (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) ناقش بعض المصطلحات المتعلقة بصناعة المسكوكات مثل كلمة السكة والتي عرفها بانها قالب السك^(٤) .

٥ - المقرئ ، شذوذ العقود في ذكر النقود ، (القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) فقد ذكر الاوزان للنقود العباسية ، اضافته الى دراسته مسهبه عن النقود المصرية^(٥) .

(١) احمد بن يحيى البلاذري - فتوح البلدان - طبعة برل ١٨٦٦ ص ٤٦٥ - ٤٧٠ .

(٢) الماوردي ، الشافعي ابو الحسن علي بن محمد البغدادي الاحكام السلطانية القاهرة ١٢٨٦-١٩٦٦ ص ١٤٢-١٤٦ .

(٣) ابن مماتي ، اسعد قوانين الدواوين ، سوربال ١٩٤٣

(٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن جابر ، المقدمة القاهرة ١٣٤٨ / ١٩٢٩

(٥) المقرئ ، شذوذ العقود في ذكر النقود - اخذ عنه الكرمل في كتابه (النقود العربية وعلم النميات) القاهرة ١٩٣٩ .

تحتوي هذه المصادر بعض المعلومات النادرة عن المسكوكات الإسلامية .
غير أن ثلاث مخطوطات - حقت مؤخرا - تضمنت معلومات مهمة وواسعة
عن صناعة المسكوكات في كل من اليمن ومراكش ومصر وهي : -

١ - الهداني . الجوهرين العتيقتين المائعتين الصغرى والبضراء .
(القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) وفيه وصف موسع لصناعة الدراهم
والدرهم في دار الضرب بصنعاء عاصمة اليمن (١٦) .

٢ - الحكيم ، الدوحة المنسوبة في ضوابط دار السكة . (القرن السادس
الهجري / الثاني عشر الميلادي) فيه دراسة مهمة لصناعة المسكوكات في دار
الضرب بمراكش (١٧) .

٣ - ابن بعره . كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية (القرن
السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) يحتوي هذا المخطوط على وصف
مفصل لصناعة المسكوكات الإسلامية بالبحر الأحمر خلال الفترة الأيوبية (١٨) .
وعلى الرغم من وفرة هذه المصادر من معلومات مهمة في صناعة المسكوكات
الإسلامية من دور ضرب خارج القطر بعيدا عن عاصمتها مدينة السلام
أباز حكم الرشيد ، لكن هذه المصادر (اليمن ومراكش ومصر) كانت جزءا
من الخلافة العباسية ، فمن الأرجح أن تكون دار الضرب في مدينة السلام
وما يتبعه من أساليب في صناعة السكة كانت مشابهة لما جاء وصفها في مدن
الضرب الأخرى وهذا ما تؤكد دراسات مسكوكات مدينة السلام عند مقارنتها
بمسكوكات دور الضرب في كل من اليمن ومراكش ومصر .

١٦ - الهداني أبو محمد الحسن بن أحمد الجوهرين المائعتين الصغرى والبضراء .
والبيضاء حطيم كرسنهر بوزن أبعسا / ١٩٦٨ .

١٧ - الحكيم ، أبو الحسن بن يوسف ، الدوحة المنسوبة في ضوابط دار السكة
مراكش .

١٨ - ابن بعره . منصور . كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية بفتح
د . عبد الرحمن فهمي القاهرة ١٩٦٦

واستنادا الى المسكوكات الاسلاميه المتوفره لدينا نستطيع ان تقدم عرضا للاحداث السياسية زمن الخليفة هارون الرشيد وبخاصة في السنوات السبع الاولى من حكمه (١٧٠ - ١٧٦ هـ / ٧٨٦ - ٧٩٢ م) فقد كان عام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م مليئا بالاحداث السياسية . وكان الحكم خلاله مشتركا بين الخيفتين الهادي واخيه هارون الرشيد ، الا ان الخليفة الهادي جعل ولاية العهد لابنه جعفر (وكان عمره انذاك خمس سنوات) بعد ان عزل اخيه هارون وقد سارع كبار قادة الجيش والشرطة ورجال الحاشية بالمبايعه وتأييده على فعلته ، فجاءت المسكوكات من هذه الفترة الحرجه من تاريخ الخلافة العباسية لتعكس هذه الاحداث بدنانير ضربت بهذه المناسبة وهي تحمل اسم جعفر - ولي العهد الجديد ونصوصها كما يلي .

مركز الوجه : لا اله الا	مركز الظهر محمد
الله وحده	رسول
لا شريك له	الله
الطسوق : محمد رسول الله	جعفر
ارسله بالهدى ودين	الطسوق : بسم الله ضرب هذا
الحق ليظهره على	الدينر سنة سبعين
الدين كله	ومئة (٩)

وعلينا ان نذكر هنا بخصوص هذه المسكوكه انها الاولى بين الدنانير الاسلاميه التي حلت اسم ولي العهد ، واعتمدت بشكل رئيسي كوسيلة للاعلام لاشعار عامة الناس بالتغيرات السياسية والتي كانت يندلول هذه المسكوكة عزل هارون من منصب ولاية العهد وتنصب جعفرا بدله ، ولكن اعتب ذلك مباشرة وفاة الخليفة العباسي الهادي في ظروف غامضة ونصب هارون الرشيد خليفه في نفس الليلة التي توفي بها الهادي وكان ذلك في ١٥ ربيع الاول من

(٩) شكل رقم ١ هذا الدينار محفوظ في المتحف البريطاني / مسكوكات الهادي

سنة ١٧٠ هـ . وتنعكس هذه الاحداث بسره على المسكوكات لنقوم بدورها السياسي والاعلامي ، فقد سك الخليفة الجديد هارون الرشيد وفي اواخر ايام حكمه من نفس العام ١٧٠ هـ / ٧٨٩ م دنانير نقش عليها اسمه وعبارة اسير المؤمنين ونصوصها كالآتي : -

لا اله الا	محمد رسول الله
مركز الوجه : الله وحده	مركز الظهر : ما امر به عبد الله
لا شريك له	هارون امير المؤمنين
الطوق : محمد رسول الله ارسله	الطوق : بسم الله ضرب هذا الدين
بالحدي ودين الحق ليظهره على	سنة سبعين ومئة (١٠)
الدين كله	

وهنا يجب ان نذكر بان هذا الدينار هو الاول في الدنانير الاسلاميه التي حملت اسم الخليفة - غير ان الدراهم النبطية كانت قد حملت اسم الخليفة منذ عام ١٥٨ هـ عندما نقش الخليفة المهدي اسمه عليها .

ان الغاية الرئيسية للخليفة هارون الرشيد من وضع اسمه ولقبه كأمير المؤمنين كان لغايتين الاولى سياسية لتأكيد سيطرته كخليفة للمسلمين ، والثانية اعلاميه لاشعار الناس بان الرشيد هو الخليفة الشرعي وليس جعفر بن الهادي الذي نصبه ابيه كولي للعهد بنفس السنة ١٧٠ هـ .

ومن خلال المصادر التاريخية عرفنا مدى العز الذي قدمه البرامكة الى هارون الرشيد وايضاله الى منصب الخلافة ، لذلك احتل يحيى البرمكي اعلى المناصب في الدولة واصبح اولاده الفضل وجعفر من اقرب المقربين للخليفة الرشيد وخاصة الاخير منهما ، فقد ذكر المقرئ عن جعفر البرمكي ما يلي :

فلما سار هارون الرشيد السكك الى جعفر بن يحيى البرمكي كتب اسمه

١ . شكل رقم ٢ هذا الدينار محفوظ في متحف الآثار باستنبول وهو من مجموعة كنز خضر الياس المكتشف عام ١٨٩٦ م في بغداد بجانب الخزائن التي احتوى على ٢٦٩٢ ديناراً ذهبياً . ونقل الى هناك خلال فترة الحكم العثماني العثماني .

بمدينة السلام وبالمحسنة من الري على الدنانير والدرهم وهارون الرشيد اول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدرهم والدنانير . وكان هذا مما نوه باسم جعفر بن يحيى اذ هو شيء لم يتشرف به احد قبله (١١) .

يتبين من هذا النص بان الخلفاء قبل هارون الرشيد كانوا يشرفون على دور الضرب بانفسهم وان الرشيد تنازل الى جعفر البرمكي عن هذا الحق فظهر اسم جعفر على الدنانير والدرهم ولم يظهر اسما لغير الخليفة قبل هذا العهد على رأى المقرئ وتكشف المسكوكات حقيقة تناقض ما جاء به المقرئ فلم يكن جعفر البرمكي اول من ظهر اسمه على المسكوكات منذ سنة (١٧٦هـ / ٧٩٢م وحتى سنة ١٨٦هـ / ٨٠٢م) فقد ظهرت اسماء اخرى على الدنانير قبل جعفر وهذه الاسماء هي علي في سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦ (١٢) ، وموسى في السنوات ١٧١هـ / ٧٨٧م و ١٧٢هـ / ٧٨٨م (١٣) وعمر للسنوات (١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤هـ / ٧٨٩ و ٧٩٠م) (١٤) وداود في سنة ١٧٤هـ / ٧٩٠م (١٥) ، وموسى مرة ثالثة للسنوات ١٧٤ و ١٧٥هـ (١٦) وابراهيم سنة ١٧٦هـ / ٧٩٢م (١٧) واخيرا جعفر للسنوات ١٧٦ ولغاية ١٨٦هـ حيث قتل بداية عام ١٨٧هـ ولم يظهر اسمه على مسكوكات مدينة السلام بعد ذلك التاريخ . وكانت الفكرة السائدة عند الباحثين بان هذه الدنانير سكنت في مصر وليس في مدينة السلام - العاصمة - لان الاسماء الواردة عليها لها تشابهه باسماء امراء مصر في تلك الفترة (١٨) .

(١١) المقرئ ، الكرمل ، التتوود العرسة وعلم النميات القاهرة ١٩٢٩ ص ٤٧-٤٨

(١٢) شكل رقم ٣

(١٣) شكل رقم ٤

(١٤) شكل رقم ٥

(١٥) شكل رقم ٦

(١٦) شكل رقم ٧

(١٧) شكل رقم ٨

(١٨) ابن تمر بردي ، النجوم الزاهرة ج ٢ القاهرة ١٩٢٠ ص ٦١ - ٨٥

ألا ان الحقائق التالية تدحض تلك الفكرة وتؤكد بان هذه الدنانير كانت قد سكّت في مدينة السلام عاصمة العالم الاسلامي آنذاك .
اولا - كان الاشراف المباشر لصناعة المسكوكات وخاصة الدنانير لمخليفه وحده وكانت هذه الدنانير تسك في المكان الذي يقيم فيه الخليفه ؛ فيذكر الطبري (١٩) ان الخليفه العباسي المهدي انتقل سنة ١٦٦ هـ من عاصمته مدينة السلام الى قصر السلام في منطقته عيساباذ احدى ضواحي مدينة السلام وقد اختلف العديد من المؤرخين في تحديد موقعها - وقد سك فيها دراهم ودنانير . وبالفعل فان دراهم المهدي خلال السنوات ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ هـ تحمل اسم قصر السلام كمدينة الضرب وليس مدينة السلام . كما ان دنانير تلك الفترة تختلف بالاسلوب عن الدنانير التي سبقتها وهذا ما يؤكد الاشراف التام للخليفه على ضرب المسكوكات . وان الدينار الذي يحمل اسم جعفر المضروب سنة ١٧٠ هـ والدينار الذي يحمل اسم هرون امير المؤمنين وان كانا لا يحملان اسم مدينة الضرب ؛ لان الدنانير الاسلامية لم تكن تحمل اسم مدينة السك حتى حلول سنة ١٩٨ هـ وهي السنة الاولى من حكم الخليفه العباسي المامون حيث توسعت الدولة الاسلامية فسمح بسك الدنانير خارج العاصمة - مدينة السلام . فظهر بعضها تحمل عبارة « ضرب بمصر » او « بالمغرب » او « بالمشرق » .

ثانيا - السبب الاخر الذي يدعو للاعتقاد بان تلك الدنانير كانت مضروبة بمدينة السلام وليس بمصر هو ما ذكره المؤرخ المقرئ والذي كان على اطلاع كامل بمسكوكات مصر ؛ حيث يشير الى أن اسم جعفر ظهر على المسكوكات حين تنازل الرشيد عن حقه بالاشراف على عيار الدنانير والدراهم في مدينة السلام والمحمدية ولم يذكر مصر ؛ وهذا يزيد في إبعاد مصر من كونها المكان الذي ضربت فيه هذه الدنانير .

(١٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ج ٣ ص ٥٠٢ طبعة برل ١٨٧٩-١٨٨١

ثالثاً - هناك العديد من امراء مصر لم تقتر اسماؤهم على الدنانير امثال مسيلمة بن يحيى الذي تولى الاماره في مصر سنة ١٧٣/٧٨٩م ومحمد بن زهير الازدي والذي تولى الاماره هناك من ٥ شعبان ١٧٣هـ/٧٨٩م وحتى ١٤ محرم ١٧٤هـ/٧٨٠م ، وعبدالله بن المسيب بن زهير بن جليل الضبي من ١٩ رمضان ١٧٦هـ/٧٩٣م وحتى شهر رجب ١٧٧هـ/٧٩٣م . فاذا كان من مستلزمات الاماره ذكر الاسم على المسكوكات فلماذا اُهملت اسماء هؤلاء الامراء .

رابعاً - بالنسبة لبعض الاسماء . فقد ظهرت في اكثر من مكان كما هي الحال مع داود فقد كان داود بن يزيد اميرا على مصر عام ١٧٤هـ وظهر اسم داود على الدنانير الذهبية بنفس السنة ، غير ان الاسم داود ظهر على الدراهم الفضية المضروبه بالمحمديه في ايران سنة ١٧٤هـ ايضا . وظهر اسم جعفر على الدنانير الذهبية وكذلك على الدراهم المضروبه بمدينة السلام سنة ١٧٦ هـ ، وقد ظهر اسم (جعفر بن يحيى) على الدراهم المضروبه بالمحمديه بنفس السنة (٢٠) وليس عندنا اي دليل تاريخي يؤكد ان داود بن يزيد او جعفر البرمكي كانت لهم اية سلطه على المحمديه في ذلك الوقت .

خامساً - يذكر المؤرخ ابن الاثير (٢١) ان جعفر البرمكي لم يذهب الى مصر عند توليته عليها . بل ارسل نائبا عنه وهو عمر ابن مهران في ٢٨ صفر من سنة ١٧٦هـ وحتى ١٥ جمادى الاول من نفس العام في حين نجد ان اسم عمر قد ظهر على الدنانير الذهبية للسنوات (١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ هـ) ولم يكن عمر خلال تلك السنوات في مصر . ولم يظهر اسم عمر على الدنانير المضروبه عام ١٧٦هـ والتي كان فيها فعلا موجودا في مصر .

(٢٠) Miles, Numismatic History of Rayy. New York 1938 P. 90.

(٢١) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٦ ليدن ١٨٦٥ ص ٨٥

لذلك نرجح ان تكون الاسماء السوارد ذكرها على الدنانير الذهبية
لشخصا من كانت لهم وظائف ادارية في دار الضرب بمدينة السلام آهلتهم لأن
نضعوا اسمائهم عليها •

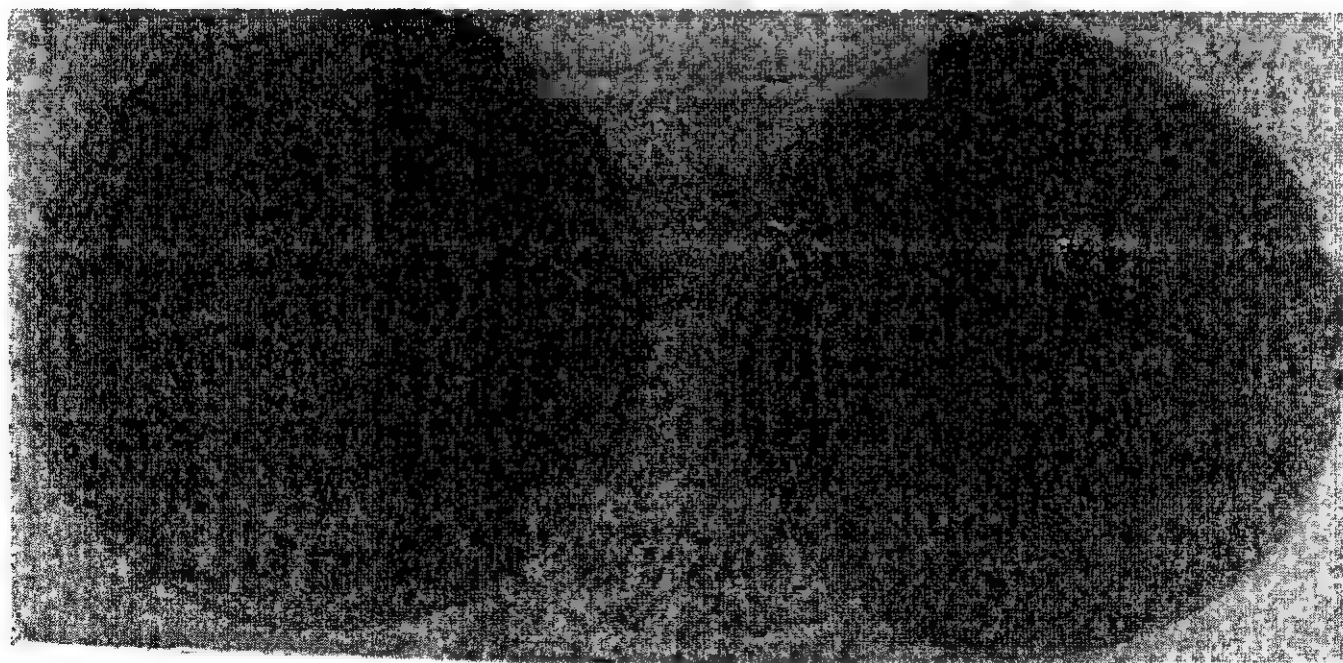
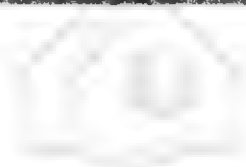
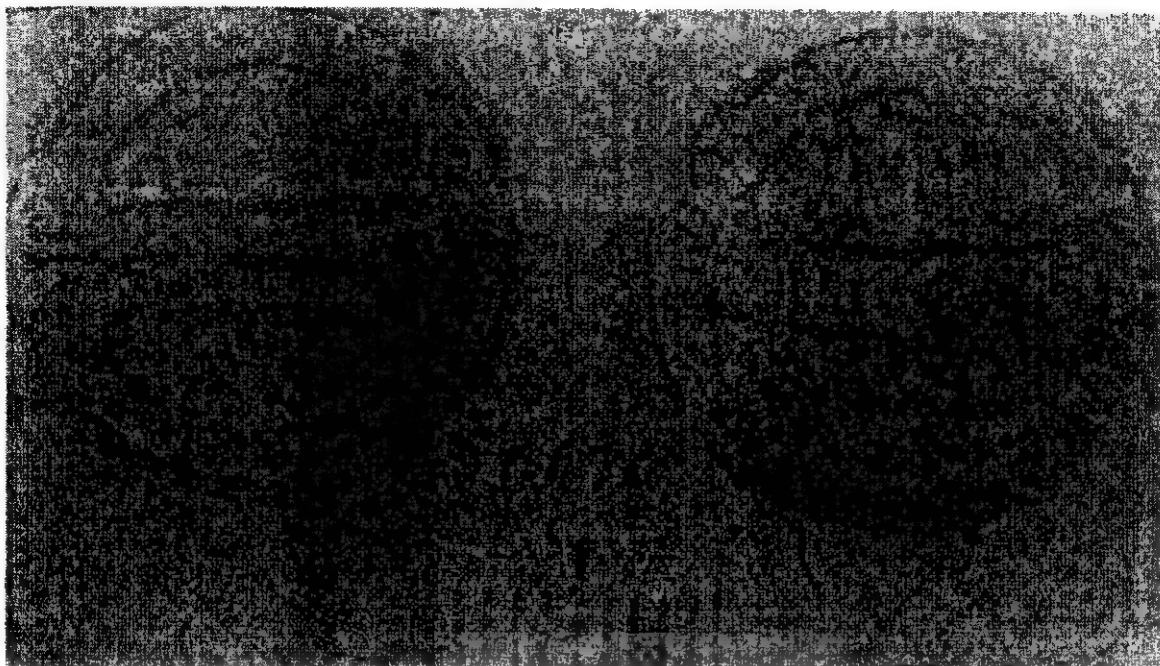
يتبين مما اشرنا اليه اعلاه ما للمسكوكه من اهميه كبيره كوثيقة تاريخية
تتوفر عندها شروط الزمان والمكان والحدث • ولكن نشير في نفس الوقت الى
تبعثر مجاميع المسكوكات في المتاحف الخاصة والعامة في انحاء العالم ، وهي
تقطه جذيره بالاتباه والتوقف عندها •

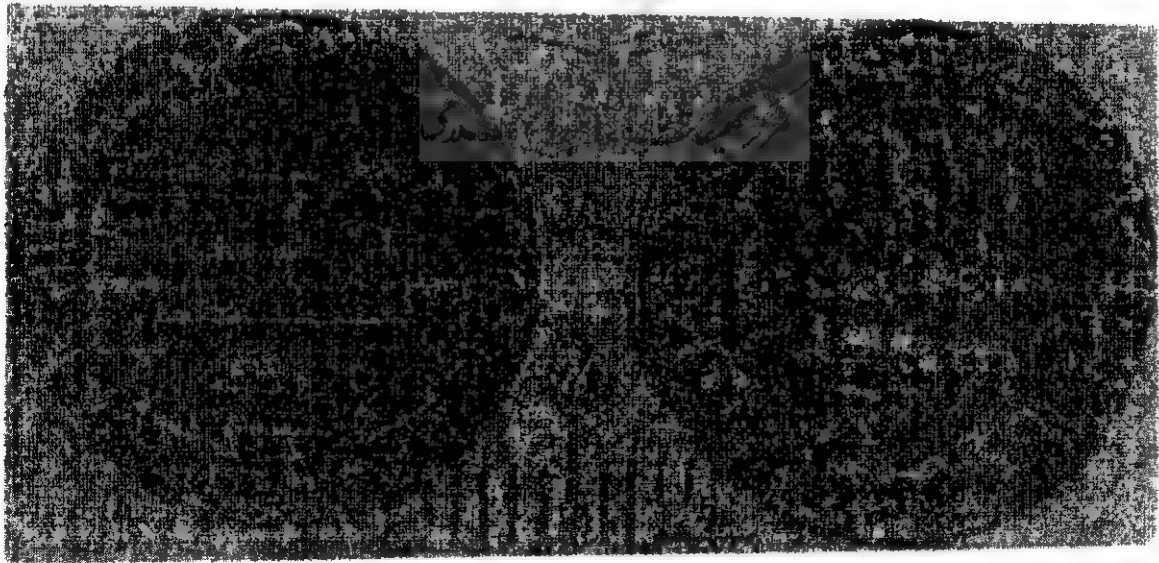
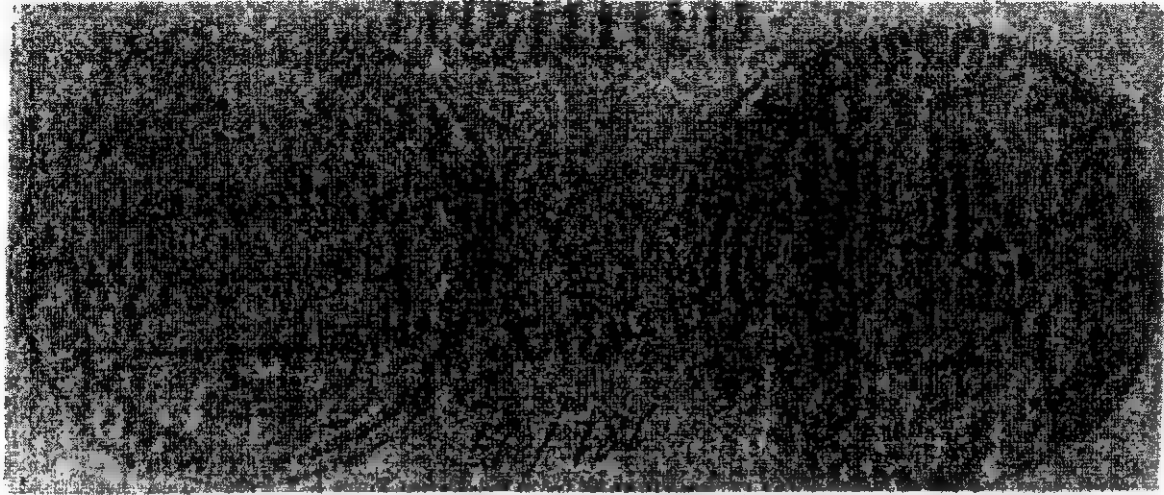
تعرضت المسكوكه العربية الاسلاميه باعتبار ماده صنعها من المعادن
النفيسه الى مخاطر كثيره • فقد سرقت كنوز من المسكوكات من المدن
والخواضر الاسلامية ، ولاتسى في هذا الخصوص الاشارة الى دور الفايكنك
في عمليات النهب الواسعه التي تعرضت لها الكثير من المدن الاسلامية
الساخليه ، والتي كان من بين المواد التي غنمها الفايكنك كميات كبيره من
المسكوكات ، كذلك لعب تجار الاثار والرحاله والسياح وقناصل الدول
الاوربية دورا لا يقل خطوره عن الفايكنك في نقل وتهريب الاف القطع من
المسكوكات العربية الاسلاميه • وكان نصيب المسكوكات في عمليه شراء ونقل
وتهريب الاثار كبيرا بسبب صغر حجمها وسهولة تداولها ونقلها ، يقابل ذلك
جهل اهل المدن باهميتها التاريخية والحضارية والفنية ، وانما كان النظر اليها
نطلق من زاوية قيمتها المعدنية فحسب ، مما ساعد على انتقال المزيد من
المسكوكات الاسلاميه الى العالم الغربي •

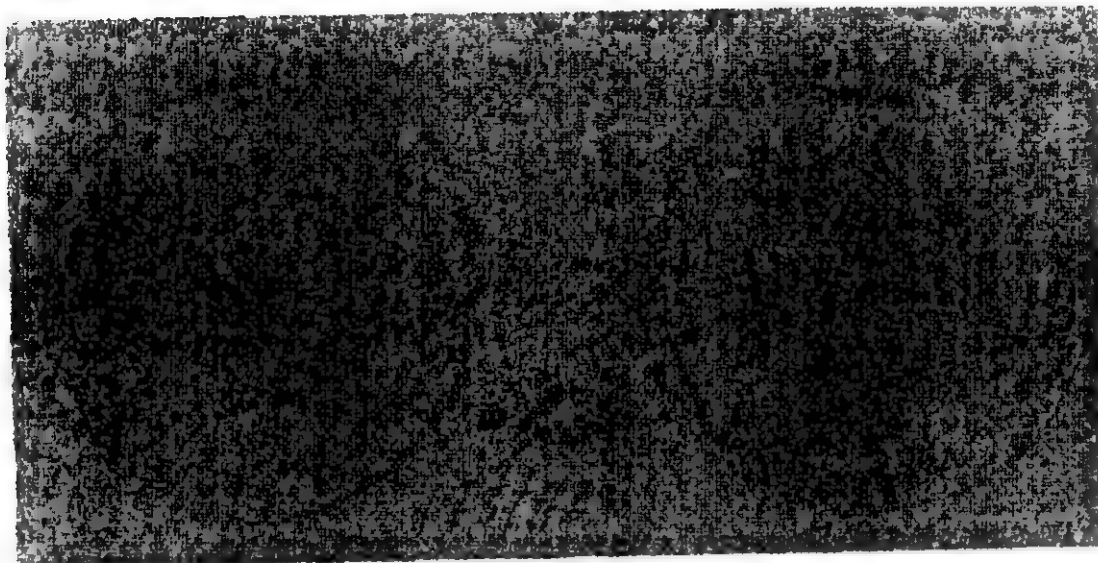
وبالاضافه الى ذلك ، فالمسكوكه العربية الاسلاميه انتقلت بعمل النشاط
التجاري الواسع للعرب المسلمين الى مختلف مناطق العموره • حيث كشفت
سفن التنقيبات في الجزر الاسكندنافية عن كنوز واسعه من هذه المسكوكات

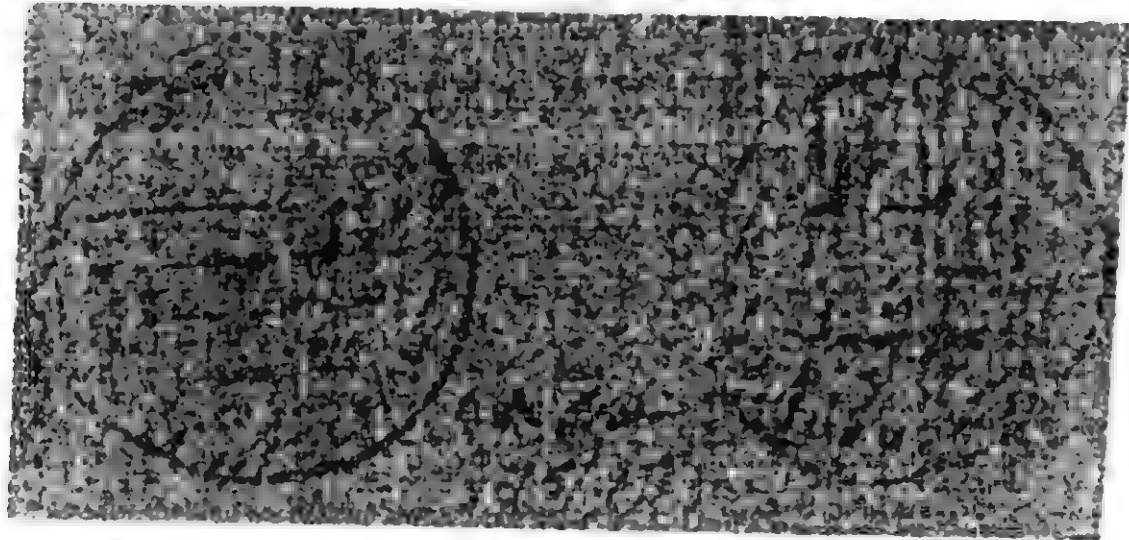
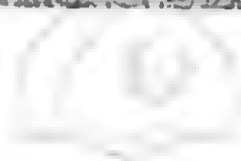
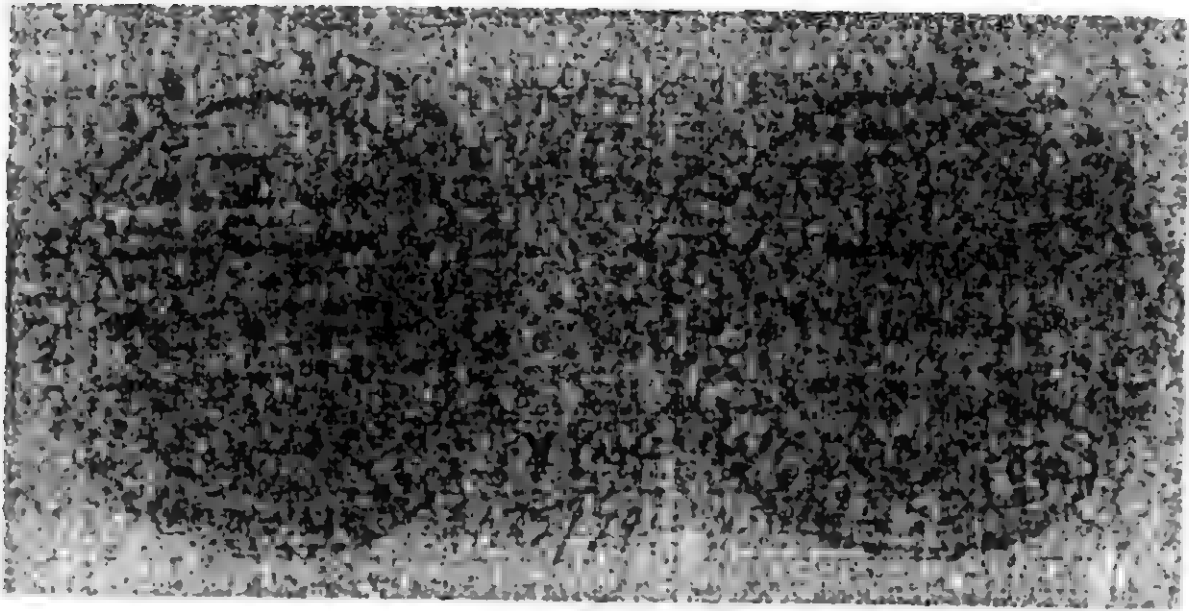
يصل عددها الى ١٣٤ كنزا ، وكان هذامن مكتشفات القرن الماضي فقط ، حيث
اعقبه اكتشاف مجموعه اخرى خلال القرن الحالي . ان هذه المجاميع الكبيره
من المسكوكات العربيه والاسلاميه والتي تتوزع في معظم دول العالم سواء
كانت في متاحفها او ضمن المجموعات الخاصه لبعض الافراد ، تحتاج الى عناية
خاصه من قبل الباحثين ، وبخاصه العرب منهم لانها تس مباشره تاريخهم
وحضارتهم . كما يجدر التنويه بأن اعدادا كبيره من هذه المسكوكات لانعرف
عنها سوى ارقام مجاميعها . وهذا يقتضي - في اعتقادي - السعي بشتى
السبل الممكنة لتصويرها على غرار تصوير المخطوطات لتهيئتها امام الدارسين
في القطر علما بان عملية تصويرها تكلف اقل بكثير من تصوير المخطوطات وما
اثبتته في نهاية هذا المقال انما هي دعوة مخلصه للاهتمام بهذا الجانب المهمل
من تراثنا العربي الاصيل .











ابن عساكر في بغداد : أخذ وعطاء

الدكتور بشار عواد معروف
رئيس قسم التاريخ
كلية الاداب - جامعة بغداد

رحل الحافظ ابن عساكر الى بغداد رحلتين : اولاهما سنة ٥٢٠ هـ وهي الرحلة الرئيسية التي استمرت قرابة الخمس سنين ، وثانيتهما سنة ٥٣٣ هـ عند انتهاء رحلته الى مشرق العالم الاسلامي (١) .

وكانت الدولة العباسية خلال هذه الفترة قد اخذت تستفيق وتحاول إعادة مجدها وبسط سلطانها الذي لم يبق اسلجة منه ما يذكر ، وظهرت بوضوح تلك ايتظاظ ظهور شخصية عباسية عظيمة هي شخصية الخليفة المسترشد بالله ١٢٠١-٥٢٩ هـ (٢) . وكان المسترشد يوم ولي الخلافة في عز قوته : شابا لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره ، فحاول جاهدا الحد من نفوذ المتفلقين على الخلافة كبني مزيد وغيرهم ، وبارز الحروب بنفسه ، ثم أخذ يطلع الى شيء أعظم من ذلك : هو ابعاد النفوذ السلجوقي عن الخلافة العباسية . ولم يكن ذلك بالامر ايسر والاسلجة في عز قوته وسلطانهم المظفر ، بل السطبان مسعود وولده مسعود يسيطرون على دفة الامور . وفي المرة من ان هذا الخليفة العظيم قتل سنة ٥٢٩ هـ نتيجة مؤامرة بسبب

١- ابن عساکر : بغداد ، امانة ١٢٧٧ (نسخة الزهر) . وابن اثير : تاريخ بغداد ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة ١٣٦٦ (كسبرج) . والذهبي : تاريخ الاسلام ، بيروت ، دار الفکر ، الطبعة ١٣٨٧/٢٩١٧ ، وغيرها .

٢- ابن الجوزي : المنظومة ١٩٧/٩ مما بعد . وابن الاثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٠٠ . وابن الجوزي : المنظومة ١٩٧/٩ مما بعد .

البائسة والسلاجقة فانه كان ملائعياً فتح الباب على مصراعيه لمن جاء بعده
 للوقوف بوجه النفوذ السلجوقي . قال مؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبي :
 « كان دأهنة عالية وشهامة واقدام ورأى وهيبة شديدة ، ضبط أمور الخلافة
 ورتبها أحسن ترتيب ، وأحيا رمم الخلافة ونشر عظامها وشيّد أركان الشريعة
 وطرز أكسامها ، وباشر الحروب بنفسه ، وخرج عدة نوب الى الحلة والموصل
 وطريق خراسان » (٢) . ومن أجل كل ذلك كان المسترشد بالله يتقرب الى
 شعبه ويتمسك بدينه فسع الحديث من أبي القاسم ابن بيان وعبد الوهاب بن الله
 السبيي وغيرهما ، بل قرأ عليه المحدث محمد بن عمر بن مكى الاهوازي
 أجزاء الحسن بن عرفة بساعه من ابن بيان ، فكان ابن الاهوازي يقرأ عليه
 والخليفة سائر بقرب المدائن لقتال ديس بن صدفة المتغلب على الحلة (٣) .
 بهذا ابنه الراشد حذوه في الحرب . فحاربه السلطان وخلعه (٤) . وولي
 المقشي لأمر الله سنة ٥٣٠ هـ حيث لزم الصست مدة حتى اذا وجد الفرصة
 موالية بعد ذلك قال : « لا سبر على الضيم بعد اليوم » وطرده الشحنة
 (وكيل السلطان) واستولى على أملاكه وأملاك المؤيدين لسلاجقة ، وباشر
 الحروب بنفسه فقاد الجيوش وملك العراق من أقصى الكوفة الى حلسوان
 ومن تكريت الى عبادان . وعاونته في ذلك وزيره العالم الجليل ابن هبيرة (٥) .

-
- ٣١ تاريخ الاسلام . الورقة ١٩٠ . أحمد الثالث ٢٩١٧/١٤ .
 (٤) ابن الدبشي : ذيل ١٢٠ بتحقيقنا . وابن الجوزي : المسقط ١١٢/٩ .
 وسقطه ٦٧/٨ والذهبي : المختصر المحتاج ٨٢/١ .
 (٥) ابن الجوزي : المنتظم ٥٤/١٠ فيما بعد . وابن الكارروني ١١٦ .
 (٦) ابن الجوزي : المنتظم ٦٠/١ فيما بعد . والسندري : تواريخ آل سلجوق
 ٢٣٤ . وابن الأثير : حوادث ٥٢٠ فيما بعد . وانظر الفهرست ١٢٥٠٠٠٠
 في العراق ٤٣/١ .

وكانت بغداد في مطلع القرن السادس من اعظم المراكز العلمية العربية الإسلامية ولا سيما في العلوم الدينية ، كالحديث والفقه وتواجد كالتاريخ والادب واللغة ، ولا ادل على مكائنها من ذلك العدد الضخم من متعيني الرواة الذين عاشوا فيها أو قصدوها من شتى بقاع العالم الإسلامي ، والذي يظهر من ضخامة الذيل الذي وضعه أبو سعد ابن السمعاني على تاريخ الخطيب ، فعلى الرغم من أن الفترة الزمانية التي تناولها الكتاب لا تزيد على القرن الواحد ٤٦٣ - ٥٦٢ فانه كان بحجم تاريخ الخطيب تقريبا^(٧) .

وبدأت المدارس تنتشر في هذه المدينة منذ منتصف القرن الخامس الهجري انتشارا كبيرا ، متوجة بانشاء المدرسة النظامية سنة ٥٥٩ هـ والتي أصبحت منارا للعلم ومقصدا لطلبتها^(٨) .

ولم تكن بغداد منطقة جذب للعلم بسبب مكائنها العظيمة حسب ، لكنها وهي دار العلم آنذاك ، كانت تقع على طريق الحجاج القادمين من مشرق العالم الإسلامي الزاخر آنذاك بطائفة عظيمة من مشاهير العلماء ، فكان هؤلاء ينهضون هذه الفرصة عند المرور ببغداد للنساع أو التحديث بها ، فيوفر كل ذلك على الطالب القادم إليها تعباً في لقاء هؤلاء الشيوخ^(٩) .

٧١ انظر كتابنا : تواريخ بغداد التراجمية بغداد ١٩٧٤ . ومندتنا لتاريخ ابن ندبيني ١٤/١ . وراجع استخاوي في الاعلان . ص ٦٢٢ .

٨١ انظر التفاصيل في كتاب المرحوم الدكتور جبي معروف : علماء بغداد . بغداد ١٩٧٢ .

٩١ سمع ابن عساكر على حملة من علماء المشرق ببغداد حيث يقول : ...
... صحيح . انظر مثلا : مسجد شيوخه . الورقة ٨٠٧ . ١٣٠٠ . ١٥٠٠ . ١٦٠٠ .
... الخ . وراجع تاريخ الاسلام للذهبي . الورقة ١٥١ . ١٧٦
... ١٣٠١ .

وفد اسهم المحدثون المسلمون خلال تلك العصور في الحفاظ على الوحدة الثقافية بين ارجاء الوطن العربي والعالم الاسلامي برحلاتهم الكثيرة الطويلة وتنقلهم بين مدنه وأقاليمه ، ونشر راية اللغة العربية في ارجائه . وكان المسلمون يعتبرون العالم الاسلامي كله موطناً وداراً لهم ، وبذلك توطدت الصلات بين اجزائه بالرغم من اختلاف حكامه^(١٠) .

وكانت العلاقات الثقافية بين دمشق وبغداد قائمة على قدم وساق منذ أقدم العصور ، لكنها توطدت بشكل أكبر خلال هذه الفترة ، فقد رحل عالم بغداد ومؤرخها الخطيب البغدادي مثلاً الى دمشق غير مرة ومكث فيها فترة طويلة لم يسكنها في مدينة أخرى سوى بغداد ، وكان يعقد مجلسه في الجامع الأموي بدمشق يحدث بصنفااته ومصنفات غيره رغم سيطرة الفاطميين عليها وعدم ارتياحهم من نشاطه العلمي^(١١) .

وكثيراً ما كان الدماشقة يرحلون الى بغداد ، بل ويستوطنها بعضهم ، فالحافظ أبو القاسم ابن السمرقندي ولد بدمشق سنة ٤٥٤ هـ وسمع بها ثم رحل به وبأخيه أبوهما المقرئ أبو بكر أحمد في حدود سنة ٤٦٩ هـ وسكنوها ، وأصبح ابن السمرقندي بعد ذلك من أعظم علماء بغداد في عصره الى حين وفاته سنة ٥٣٦ هـ^(١٢) . وقدم أبو عبدالله الحسين بن الحسن المقدسي الحنفي المقرئ من الشام الى بغداد وهو في السابعة عشر من عمره سنة ٤٧٠ هـ فاستوطنها وتفقها بها وولي أمانة مشهد أبي خنيفة بها^(١٣) :

-
- (١٠) انظر بحثنا : اثر دراسة الحديث في تطور الفكر العربي (بغداد ١٩٧٩) .
 (١١) انظر تفاصيل رحلات الخطيب الى دمشق في كتاب المرحوم يوسف العش الخطيب البغدادي ٣٨-٣٩ ، والعمرى : موارد الخطيب ٤٢-٤٤ وراجع تاريخ الخطيب ٩/٤٠٢ : ١٤/٤٤٧ . والذهبي : تذكرة ١١٢٨ وغيرها .
 (١٢) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤١-٢٤٢ (اباصوفيا ٣٠١٠ .
 السبكي : طبقات الشافعية ٧/٤٦ ، وابن كثير : البداية ١٢/٢١٨ .
 (١٣) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٧١-٢٧٢ (اباصوفيا ٣٠١٠ والعيني : معجم المحققين ١٦/الورقة ١٤٧ .

وكانت علاقته عاتمة الحافظ أبي القاسم ببغداد قوية جدا . فقد رحل
انها جده لأمه القاضي أبو الفضل يحيى بن علي بن عبد العزيز الشريفي
الأموي (٤٤٣ - ٥٣٤ هـ) ، وسمع بها من عبدالله بن طاهر التميمي الفقيه
وغیره ، وتنفقه بها على الفقيه أبي بكر الشاشي ، كما أنه مر بها عند ذهابه
إلى الحج سنة ٥١٠ هـ (١٤) . ورحل إليها خلالا ، بل إن خاله زين القعدة
أبا المكارم سلطان بن يحيى (ت ٥٣٠) صلى التراويح بالنظامية ، ووقف بها ،
وخلع عليه الخليفة هناك (١٥) .

ورحل أخوه الصائغ هبة الله بن الحسن (٤٨٨ - ٥٦٣) إلى بغداد سنة
٥١٠ هـ (١٦) ، وحج سنة ٥١١ هـ ، ورجع إليها وبقي فيها حتى سنة ٥١٤ هـ (١٧) .

وكانت رحلة الحافظ أبي القاسم مع العلم وطلبه قد بدأت منذ طفولته ،
حيث تلقن القرآن الكريم (١٨) ، وأجيز مجالس السماع ، واستجاز له أهله
كبار العلماء إبان طفولته ، ثم أخذ هو يسمع بنفسه . والظاهر أنه كان يتشوق
إلى الرحلة إلى البلدان الأخرى ولا سيما بغداد ، لكن أهله ، كما يبدو ، لم
يسكنوه من ذلك في أول الأمر ، فلما بلغ الحادية والعشرين من عمره سمحت
له أمه بالسفر إلى بغداد ، لكنها اشترطت عليه ألا يرحل إلى مشرق العالم

(١٤) انظر سبط ابن الجوزي ١٧٦/٨ . والذهبي في تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٢٣
(أبا صوفيا ٢٠١٠) ، وانظر ٩٢/٤ ، وانعني : عبد الجبار ١٦٩
/الورقة ١١٩ .

١٥١ . الذهبي : تاريخ الإسلام ، الورقة ١٩٤-١٩٥ . أباصوفيا ٢٠١٠ : ٣٠١ . وانظر
٨٢/٤ ، وابن العماد في الشذرات ٩٥/٤ .

(١٦) انظر في وفیات ابن خلکان إلى : ٥٣٠ .

(١٧) ابن خلکان : وفیات ٣١١/٣ ط . أحمدان عباس . والذهبي : تاريخ
الإسلام . الورقة ٢٩٢ (أحمد الثالث ١٢/٢٩١) . وابن الجوزي : ٢٢٣
والسنوي في صيغ الشافعية ٢١٥/٢-٢١٦ .

(١٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ، الورقة ٢٦٦ (أباصوفيا ٢٠١٠ : ٣٠١) .

الاسلامي (١٩) . ولم يكن الحافظ ابنا عاقا يخالف ارادة امه لا سيما أن آداب طالب العلم تقتضي استئذان الابوين في الرحلة (٢٠) ، ووجوب طاعتها وبرهما وترك الرحلة مع كراهتهما وسخطهما (٢١) .

وكان الحافظ - رحمه الله - في اشد الشوق الى الرحلة الى بغداد ، فقد حكى زين الامناء ابن عساكر لعمر بن الحاجب أن أبا القاسم لما عزم على الرحلة اشترى جملا وتركه بالخان فلما رحل القفل تجهز وخرج فوجد الجمل قد سات ، فقال له الجباعة الذين خرجوا لوداعه : ارجع فما هذا قال مبارك ، وفندوا عزمه ، فذكر لهم أن مثل هذا لا يثني عزمه ، وانه لا بد من الرحلة حتى مشيا على قدميه ، ثم حمل خرجه واكترى من الركب بعيرا (٢٢) .

ومما لا شك فيه أنه وصل بغداد قبل شهر رجب من سنة ٥٢٠ هـ وهو الشهر الذي توفيت فيه شيخته البغدادية فاطمة بنت عبدالقادر ابن السماك ، وقد ذكر الذهبي انها اقدم شيوخه ببغداد وفاة (٢٣) . واذا استثنينا ذهابه الى الحج سنة ٥٢١ هـ وساعه هناك (٢٤) ورجوعه الى دمشق لفترة (٢٥) ، فانه بقي ببغداد حتى سنة ٥٢٥ هـ . ونحن نعلم أيضا أنه كان بدمشق في شوال

-
- (١٩) نفسه . الورقة ٤٢ (أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤) .
(٢٠) الخطيب البغدادي : الجامع لاخلق الراوي وآداب السامع ، الورقة ١٧٠ ، نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ٢٧١١ ج ١ .
(٢١) نفسه . الورقة ١٧١-١٧٥ .
(٢٢) الذهبي : تاريخ الاسلام . الورقة ٤٢ . أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤ .
(٢٣) نفسه . الورقة ١٣٩ ، ياقوتية ١٠ . ٢ .
(٢٤) نفسه . الورقة ٤٠ ، أحمد الثالث ٢٩١٧ / ١٤ . والورقة ١٧٢ .
(٢٥) ياقوتية ١٠ . ٣٢٠ .
(٢٥) ابن خلكان : وفيات ٣ / ٢٠٩ .

سنة ٥٢٥ هـ وهو الشهر الذي توفي فيه شيخه أبو علي الحسن بن سليمان^(٢٦) النهرواني مدرس النظامية^(٢٧) فقال في كتاب (تبين كذب المفترى) : فورد عليّ بعد عودي من بغداد كتاب الشريف أبي المعز المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الانصاري فذكر انه توفي في يوم الاثنين الخامس من شوال سنة خمس وعشرين وخمس مئة^(٢٨) .

أما الرحلة الثانية فكانت رحلة قصيرة من ضمن رحلته العامة الى الشرق التي ابتداها سنة ٥٢٩ هـ فتوقف ببغداد سنة ٥٣٣ هـ وسمع على شيوخها ايضا ، وحدث بها . ثم عاد الى دمشق لبدأ نشاطه العظيم في عطاء علمي عزيز هادف لم ينقطع ميلة حياته .

ويبدو أن أبا القاسم الدمشقي لم يرحل غير هاتين الرحلتين الكبيرتين ، ودلالة ذلك أنه حينما عاد الى دمشق سنة ٥٣٣ هـ كان يأمل أن تصل بعض نسخ مساعده من رفيقه أبي علي ابن الوزير ، وحينما تأخر وصول الشيخ ولم يصل أحد من رفاقه كان يقول : « فلا بد من الرحلة ثالثة » ثم وصلت اليه وفرح بها ولم يرحل^(٢٩) .

وهكذا كانت رحلته الاولى وهي اطول رحلاته مخصصة لعاصمة الثقافة آنذاك بغداد . أما الثانية فكانت غابقتها الرئيسة مشرق العالم الاسلامي ، لكن ببغداد لم تغب عن نفسه فخرج عليها بعد انتهاء رحلته المشرقية .

(٢٦) في تبين كذب المفترى (٣١٨) : « سليمان » محرف .

(٢٧) ابن الجوزي : المنتظم ٢٢/١٠ ، والسبكي : طبقات ٦٢/٧ وذاير النور في الكامل ٢٥٦/١٠ . والذهبي في تاريخ الاسلام . الورقة ١٦٨ . أبا سواد ٣٠١٠ . والتعيني ١٧/١٧ ورقة ٢٤ - ٢٥ .

(٢٨) السبكي ، ص ٣٢٠ .

(٢٩) الذهبي : تاريخ الاسلام . الورقة ٤٠ . أحمد باشا ١٤/٢٩١٧ . تاريخ : رست ١٤٠/٥ . السبكي ٢١٧/٧ .

وحينما وصل أبو القاسم إلى بغداد واظب على حضور الدروس بالمدرسة النظامية وكان شيخه مدرس النظامية الحسن بن سلمان بن عبدالله ابن الفتى النهرواني الاصبهاني ، تزيل بغداد . وقد ولي تدريس النظامية في اول رحلة ابن عساكر إلى بغداد وبقي مدرسا بها إلى حين وفاته في شوال سنة ٥٢٥ هـ . وكان ابن عساكر من المعجبين به ، قال : « ولي تدريس المدرسة النظامية ببغداد اذ كنت بها ، وكان ممن يبلأ العين جمالا والاذن بيانا ويربي على اقرانه في النظر لانه كان أفصحهم لسانا » (٣٠) .

ودرس الخلف ببغداد على الشيخ ابي سعيد اسماعيل بن احمد بن عبد الملك النيسابوري (٤٥١ - ٥٣٣ هـ) (٣١) وكان شيخا ذا رأى وعقل وتدير وفضل وافر (٣٢) ، قال ابن عساكر : « كان اماما في الاصول والفقه حسن النظر مقدما في التذكير ... لقيته ببغداد سنة احدى وعشرين وخمس مئة وسمعت منه » (٣٣) .

الا أن عناية أبي القاسم الدمشقي انصبّت ببغداد ، وبغيرها فيما بعد ، على سماع الحديث ، فانطلق فيه حتى طغى على كل تفكيره ، واستغرق كل حياته بعد ذلك ، فسمع ما لا يحصى كثرة من الكتب والاجزاء ، ولقي ببغداد مئات عديدة من الشيوخ والشيخات ، يدل على ذلك معجم شيوخه ، كما تدل عليه تأليفه ، وأصيب بالشره في سماع الحديث وقراءته حتى كان يسمع من أناس قد لا يرضى عنهم ، فقد سمع مثلا من أبي المعالي ثعلب بن جعفر بن احمد السراج (٣٤) المتوفى سنة ٥٢٤ هـ وهو « عامي لا يدري شيئا انما

(٣٠) تبين كذب المفتري ٣١٩ ، وانظر الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٦٨

(٣١) ياقوت : ارشاد ١٤٠/٥ ، والذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٤ ، احمد الثالث (١٤/٢٩١٧) .

(٣٢) هذا قول السمعاني كما نقله السبكي ٤٥/٧ .

(٣٣) ابن عساكر : تبين ٣٢٥-٣٢٦ .

(٣٤) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٣٧ .

سمعه أبوه بدمشق ... وعاد به الى بغداد»^(٣٥) وسع من أبي الاعز قراتكين ابن الاسعد بن مذكور التركي البغدادي الازجي^(٣٦) المتوفى سنة ٥٢٤ هـ . وقد سئل نه فقال فيه : « ما كان يعرف شيئا »^(٣٧) ، وسمع عبيدالله بن محمد البيهقي الخسروجردي^(٣٨) المتوفى سنة ٥٢٣ هـ ، وقال ابن السمعاني : سألت عنه أبا القاسم الدمشقي ، فقال : ما كان يعرف شيئا^(٣٩) وسمع من أبي السعود أحمد بن علي بن محمد ابن المجلي^(٤٠) المتوفى سنة ٥٢٥ هـ (ولم يكن يعرف شيئا من الحديث ، وكان يعظ ويذكر بجامع القصر)^(٤١) ، وروى عن عبدالله بن محمد بن نجا ابن شاتيل المراتبي الدباس^(٤٢) المتوفى سنة ٥٢٥ هـ أيضا « وكان لا يعرف شيئا »^(٤٣) قال عن شيخه أبي عمرو عثمان بن احمد بن عبيدالله بن دحروج البغدادي النصري^(٤٤) المتوفى سنة ٥٢٧ هـ : « ما كان يفهم شيئا »^(٤٥) ، وقال عن شيخه أبي منصور احمد بن محمد بن احمد بن السلال الوراق الناسخ المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وقد روى عنه في معجم شيوخه^(٤٦) : « كان بشئ الشيخ قليل الصلاة »^(٤٧) وهلم جرا .

-
- (٣٥) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٦ (أياصوفيا ٣٠١) .
 (٣٦) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ١٦٦ .
 (٣٧) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٩ (أياصوفيا ٣٠١) .
 (٣٨) معجم الشيوخ ، الورقة ٩٧ .
 (٣٩) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٢ من النسخة السابقة .
 (٤٠) معجم الشيوخ ، الورقة ١١ .
 (٤١) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٦٧ من نسخة اياصوفيا ٣٠١ .
 (٤٢) معجم الشيوخ ، الورقة ٩٤ .
 (٤٣) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٠ من النسخة اعلاه .
 (٤٤) معجم الشيوخ ، الورقة ١٢٥ .
 (٤٥) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٩ من النسخة اعلاه .
 (٤٦) معجم الشيوخ ، الورقة ١٣ .
 (٤٧) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٢ من مجلد اياصوفيا المذكور .

ان عدد الشيوخ الذين اخذ عنهم أبو القاسم ببغداد يفوق عددهم في أية مدينة أخرى يدل على ذلك معجم شيوخه حيث نجد فيه مئات عديدة ، لكنه أكثر عن بعضهم نظرا لمكاثتهم العلمية وما حصلوا عليه من اسناد عال في الرواية ، قال رفيقه المحدث أبو المواهب الحسن بن هبة الله ابن صصري الربيعي البلدي الاصل الدمشقي الدار والوفاة المتوفى سنة ٥٨٦ هـ (٤٨) :
 أما انا فكنت اذاكره في خلواته عن الحفاظ الذين لقيهم فقال : أما ببغداد فأبو عامر العبدري « (٤٩) » . وكان أبو عامر بن سعدون بن مرجى القرشي العبدري الميورقي نزيل بغداد المتوفى سنة ٥٢٤ هـ أحد الحفاظ المذكورين والعلماء المبرزين ، ومن كبار الفقهاء الظاهرية قال أبو القاسم :
 « كان فقيها على مذهب داود ، وكان احفظ شيخ لقيته » (٥٠) .

وقد أدرك الحافظ ابن عساكر ببغداد مسند العراق العظيم أبا القاسم هبة الله بن محمد ابن الحسين الشيباني الهمداني الاصل البغدادي (٤٣٢-٥٢٥ هـ) ، وكان من الشيوخ الثقات الواسعي الرواية ، وقد نشر برواية مسند الامام احمد ، وأحاديث أبي بكر الشافعي واليشكريات (٥١) .

(٤٨) وفي سماعاته القديمة كان يسمى « نصر الله » انظر : ابن الديبشي : الذيل الورقة ٢٠ (باريس ١٥٩٢١) ، والمندري : التكملة ١/٢٦٤ (بتحقيقنا) والذهبي : سير اعلام النبلاء ١٣/الورقة ٦١ وغيرها .

(٤٩) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٤١ (احمد الثالث ٢٩١٧/١٤) ، والسبكي في الطبقات ٧/٢٢١ .

(٥٠) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٩-١٦٠ .

(٥١) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٢٣٧ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ١/٥٢٤ وابن الاثير ١٠/٢٥٦ ، وابن كثير ١٢/٢٠٣ ، والذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٧٣ (ايا صوفيا ٢٩١٠) ، والعيني ١٧/الورقة ٣٥ .

وسمع بها من أبي العز أحمد بن عبيد الله ابن كادش العكبري البغدادي (٤٣٦-٥٢٦هـ)، وكان آخر الرواة عن أقضى القضاة أبي الحسن المارودي (٤٣١هـ) .
ومن أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابن الفراء البغدادي الحنبلية
المقتول سنة ٥٢٦هـ صاحب طبقات الحنابلة (٤٣) .

واخذ الحافظ عن أبي الحسن علي بن عبيد الله ابن الزاغواني (٤٥٠ - ٥٢٧ هـ) شيخ الحنابلة ببغداد . وكان اماما فقيها . متبحرا في الأصول والفروع ، متفتنا ، واعظا ، مناظرا . ثقة ، مشهورا بالصالح والديانة والورع والصيانة وكثرة التصانيف (٥٤) .

واكثر عن أبي القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر البغدادي الحريري . المقرئ المعروف بابن الطبر (٤٣٥ - ٥٣١ هـ) خال الحافظ عبد الوهاب الأنصاري ، وهو من الشيوخ المعمرين المقرئين الثقات العارفين بالعربية (٥٥) .
واخذ عن أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن زريق الشيباني الفزاري البغدادي الحريري (٥٣ - ٥٣٥) ، وكان قد سمع التاريخ من الخطيب ورواه (٥٦) .

(٥٢) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٩ . والذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٤ (اياصوفيا ٣٠١٠) والمنتظم ٢٨/١٠ وابن الاثير ٢٦٠/١٠ والعيني ١٧/الورقة ٤٥ .

(٥٣) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٢٠٩ ، وابن الاثير ٢٦٠/١٠ . والمنتظم : ٢٩/١٠ وسبط ابن الجوزي ١٤٤/٨ وابن رجب ١٧٧/١ والذهبي في تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٦ (اياصوفيا ٣٠١٠) والنجاشي ٦٩/٤ .
(٥٤) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ١٤٤ ، الذهبي : تاريخ الاسلام . ١٧٩ من المجلد السابق ، والمنتظم ٣٢/١٠ وابن الاثير ١١/٤ . وابن رجب ١٧/الورقة ٥٣ .

(٥٥) ابن عساكر : معجم الشيوخ . الورقة ٢٣٠ ، والذهبي : تاريخ الاسلام . الورقة ٢٠٩ من مجلد اياصوفيا ٣٠١٠ . والمنتظم ٧١/١٠ . وابن الاثير ٢٢/١١ ، والعيني ١٧ / الورقة ٩٥ . وابن كثير ١٢/٢١٢ . وسدرا ٩٧/٤ .

(٥٦) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ١١٠ ، والذهبي : تاريخ الاسلام . الورقة ٢٣٦ (اياصوفيا)

ومن كبار شيوخه البغداديين أيضا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ابن محمد الانصاري البغدادي الحنبلي البزاز المعروف بقاضي المارستان (٤٤٢ - ٥٣٥ هـ) قال الذهبي : « مسند العراق بل مسند الآفاق .. روى عنه خلق لا يحصون منهم من مات في حياته ومنهم من تأخر » (٥٧) .

وسمع الكثير على أبي القاسم اساعيل بن احمد ابن السمرقندي المولود بدمشق سنة ٥٤٤ هـ والمتوفى ببغداد سنة ٥٣٦ هـ الذي كان واحدا من اعظم علماء بغداد (٥٨) بحيث كان الحافظ أبو العلاء العطار الهمداني يقول : ما أعدل بأبي القاسم السمرقندي احدا من شيوخ العراق وخراسان ، وقال ابن عساكر في حقه : كان ثقة مكثرا صاحب اصول ، وكان دلالة في الكتب ... وعاش الى أن خلت بغداد وصار محدثها كثرة واسنادا ، وقد املى في جامع المنصور في ايام الجمع زيادة على ثلاث مئة مجلس (٥٩) .

وسمع ابن عساكر ايضا من الشيخ الحافظ الثقة المتقن الكثير السماع الواسع الرحلة أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الانطاقي (٤٦٢ - ٥٣٨) (٦٠) ، قال ابن السعاني : جمع الفوائد وخرج التخاريج ولعله ما بقي من العالي والنازل جزء الا قرأه وحصل نسخه اما بخطه ، أو بخط غيره . ونسخ الكتب الكبار مثل طبقات ابن سعد وتاريخ الخطيب . وذكره أبو موسى المديني في معجمه ، فقال : حافظ عصره ببغداد (٦١) .

(٥٧) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ١٩٢ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٣٩ (اياصوفيا ٣٠١) ، والمنظم ٦٢/١٠ ، وابن الاثير ١٩/٣٢ .

(٥٨) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٢٧ ، المنظم ٩٨/١٠ ، وسيط ابن الجوزي ١٨١/٨ ، وابن كثير ٢١٨/١٢ .

(٥٩) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٤٢ (اياصوفيا ٣٠١) .

(٦٠) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ١٣٤ ، المنظم ١٠٨/١٠ ، وابن الاثير ٤٠/١١ ، والذهبي في العبر ١٠٤/٤ ، وابن كثير في البداية : ٢١٩/١٢ ، وابن العماد في الشذرات ١١٦/٤ ، والعيني ١٧/ الورقة ١٣٧ .

(٦١) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٥٧ (اياصوفيا ٣٠١) .

ومنهم ايضا : أبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون
البغدادي المقرئ الدباس (٤٥٤ - ٥٣٩ هـ) ، وهو من الشيوخ المعمرين
الثقات البارعين في القراءات . حدث بكتاب النسب للزبير بن بكار عن ابن
المسلمة ، وسمع اكثر تاريخ الخطيب وكان ينسخه ويبيعه (٦٢) .

وروى الحافظ أبو القاسم عن عدد من الشيوخ اللائي التقى بهم
في بغداد وسمع عليهن ، منهن :

فاطمة بنت عبد القادر بن احمد بن الحسين ابن السماك الواعظة وتدعى
المباركة المتوفاة سنة ٥٢٠ هـ . قال الذهبي : « وهي اقدم شيخ توفي له
بغداد » (٦٣) .

وقاطبة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه الرازي ، العالمة المعروفة
ببنت حمزة ، قال الذهبي : « واعظة مشهورة ببغداد متعبدة لها رباط يأوي
اليه النساء . روت عن ابن المسلمة ، وابي بكر الخطيب . روى عنها ابو
القاسم ابن عساكر ، وقال : « توفيت في ربيع الاول » (٦٤) (سنة ٥٢١ هـ) .
وقاطبة بنت أبي الحسن علي بن الحسين بن جند العكبري البغدادية
المتوفاة سنة ٥٢٦ هـ (٦٥) .

وكريمة بنت الحافظ ابي بكر محمد بن احمد ابن الخاضة المتوفاة
سنة ٥٢٧ هـ . روت عن أبي الحسين ابن النقور . قال ابن السمعاني :
رأيت نسخة لتاريخ بغداد كاملة بخطها (٦٦) .

(٦٢) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ١٩٦ ، الذهبي : تاريخ الاسلام ،
الورقة ٢٦٨ (اياصوفيا ٣٠١٠) ، وانظر المنتظم ١١٥/١٠ ، وابن الاثير
٤٢/١١ ، والنجوم الزاهرة ٢٧٦/٦ ، والعيني : ١٧/الورقة ١٤٤ من
مصورة دار الكتب بالقاهرة .

(٦٣) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٢٩ (اياصوفيا ٣٠١٠) .

(٦٤) نفسه ، الورقة ١٤٨ .

(٦٥) نفسه ، الورقة ١٧٦ .

(٦٦) نفسه الورقة ١٨٠ .

وممتاز بت يائس الرومي : أم بشارة البغدادية . سمعت من أبي
جعفر ابن المسلمة « صفة المنافق » . روى عنها أبو المعر الانصارى وابو
عساكر : وتوفيت سنة ٥٣٠ هـ وقد نيفت على التسعين (٦٧) .

اثر بغداد في تكوينه الفكري

كان ابو القاسم طيلة مقامه ببغداد لا يكل من السماع والتحصيل
ولا ينقطع عنها وكان رفقته في الطلب ، ومنهم ابن صصرى « ت ٥٨٦ »
يدركون هذا الحماس في الدراسة والتحصيل ، فكان ابن صصرى يقول :
« ما كنا نسي الشيخ أبا القاسم ببغداد الا شعلة نار من توقده وذكائه وحسن
ادراكه » (٦٨) . فجمع من العلم ما لم يجمعه غيره « ورجع بعلم جم وساعات
كثيرة » (٦٩) ، ولا ادل على ضخامة زاده من بغداد تلك الروايات الكثيرة التي
نقلها عنهم في كتبه ، ففي المجلدة الاولى من تاريخ دمشق نجده يورد اكثر
من مئة وعشرة نصوص عن أبي القاسم ابن السرقندى ، واكثر من خمسين
نصا عن ابن الحصين ، وقرابة الاربعين نصا عن ابن البناء ، والثلاثين نصا
عن محمد بن عبد الباقي الانصارى ، وهلم جرا (٧٠) .

وحل ابن عساكر الى بغداد وهو في مطلع شبابه : في الحادية والعشرين
من عمده وبقي فيها قرابة الخمس سنوات لم ينقطع فيها عن التحصيل
والدراسة ، وهذه النسبة ، في رأينا ، هي التي أثرت تأثيرا عظيما في تكوينه
الفكري وضيعة بطابع أهل بغداد المحبين للحدث وروايته ودراسته حبا شغفهم

(٦٧) مسند : الورقة ٢٠٠ .

(٦٨) انوار : ارشاد ١٤٥/٥ . ومثل ذلك نقل الذهبي هذا القول عن أبي الملاء
السرقندى (تاريخ الاسلام . الورقة ٤١) أحمد الثالث ١٤/٢٩١٧ . انظر
المسند في طبقاته الكبرى ٢١٨/٧ .

(٦٩) الذهبي : تاريخ الاسلام . الورقة ٤٠ . أحمد الثالث ١٤/٢٩١٧ .

(٧٠) انوار : الفهرس الذي صنعه محقق الكتاب الاستاذ الفاضل الدكتور
« صالح الدين المجدد في آخر المجلدة الاولى لسيوخته .

عن كثير من العلوم الاخرى . وفي بغداد كانت المشارب التي اخذ عنها أبو القاسم متنوعة التنوع كله ، ففي شيوخه اشاعرة وسلفية منهم المرن ومنهم المتعصب لعقيدته . وهو لم يترك أحدا استطاع مجالسته والسامع عليه والاخذ عنه . فعلى الرغم من اشعريته التي ورثها عن عائلته ، ودفاعه عن الاشاعرة والذب عنهم ما استطاع الى ذلك سبيلا (كما يتضح من كتاب التبيين) فإنه ما كان ليحجم عن الاخذ من شيوخ كانوا يعادون الاشاعرة ، فقد اخذ مثلا لا حصرا عن القاضي أبي الحسين محمد ابن القاضي أبي يعلى محمد بن القراء الحنبلي البغدادي المتوفى سنة ٥٢٦ هـ صاحب طبقات الحنابلة وقد قال فيه السلفي الحافظ : « كان أبو الحسين متعصبا لمذهبه وكان كثيرا ما يتكلم في الاشاعرة ويقول فيهم وبسمعتهم » (٧١) .

وبسبب اتصال الحافظ أبي القاسم بشيوخ من مشارب مذهبية وعقائدية متنوعة وجهه واحترامه لهم ، وجدناه ينشأ على غاية من النزاهة عن التعصب الذي عرف به كثير من الاشاعرة وخصومهم . ولم يكن تحقيق تلك النزاهة والمرونة في تلك الاعصر من الامور الهيلة والبيئة الدمشقية والبغدادية آنذاك مسحوقة بها .

وعلى الرغم من اشعرية الحافظ ابن عساكر فقد اضل اتصالا هائلا بالحديث والمحدثين يذكرنا باتصال الحنابلة به ، فقد اثنى عمره في سماع الحديث وروايته ، وألف معظم كتبه في هذا المجال الذي اخذ بجساع نفسه . وتتصل قسبة التاريخ عند الحافظ ابن عساكر اتصالا وثيقا بالحديث . وهو امر يعكس مفهومه وفلسفته في الدراسة والعتاء ، فالتاريخ عنده ليس أكثر من معين لمعرفة صحيح الحديث من سقيبه في اغلب الاحيان لذلك وجدته يمسى بالتراجم عناية فائقة ويؤثر المحدثين من المرجعين على من سواهم في كنهه ولا سيما في تاريخه العظيم لمدينة دمشق .

٧١- دمشق : تاريخ الاسلام : ورقة ١٧٦ (أي ص ١٠٠) .

وقد استعمل الحافظ مناهج البحث عند المحدثين في عرض الروايات التاريخية ، فاستعمل الاسناد بشكل كبير في كتبه ولا سيما تاريخ دمشق .
ويعد استعمال الاسانيد عند اهل الحديث من أدق طرق ذكر المصادر ، فبقدر ما نعجب اليوم بالحواشي المرسوسة في البحوث الحديثة ، كانت الاسانيد عند اسلافنا هي هذه الحواشي المرسوسة بل اكثر دقة والتزاما .

كما يتضح اثر الحديث في صياغته للترجمة ونوعية المادة التي يوردها فيها : من اسم ، ونسبة ، ومولد ، ووفاة ، وشيوخ ، وتلاميذ ، وتقويم واحكام ، وهو الاطار الذي وضعه المحدثون ، وهو احدهم ، لعناصر الترجمة التي انتقلت منهم الى غيرهم من المعنيين بالتراجم (٧٢) .

ويذكر ابن خلكان ان ابن عساكر ألف تاريخه لدمشق على نسق تاريخ بغداد للخطيب . ومع اننا لا نريد أن نعقد مقارنة بين الكتابين لنرى مصداق هذا القول ، كما لا نريد الدخول في البحث عن اول من ألف تاريخا تراجيميا لمدينة على نسق الخطيب من سبقه لكن علينا ملاحظة جملة أمور من أبرزها :

١ - ان ابن عساكر سافر الى بغداد وهو في الحادية والعشرين من عمره ولم يكن قد بدأ بجمع مادة تاريخ دمشق جمعا منظما يهدف الى تأليف كتاب عن مدينته .

٢ - ان كتاب الخطيب كان كتابا مرموقا عند المحدثين والمعنيين بالرواية ، فعلى الرغم من ضخامته كان يروى في المجالس ويسمعه الطلبة على الشيوخ ، وقد رأينا بعض ذلك عند كلامنا على شيوخ ابن عساكر البارزين من اهل بغداد واهتمامهم بهذا الكتاب .

(٧٢) قارن عناصر الترجمة عند ابن عساكر بما كتبه عن عناصر الترجمة عند المنذري (ت ٦٥٦ هـ) في كتابنا : المنذري وكتابه التكملة ٢٤٠ ، وانظر الفصل الثالث من الباب الثاني من كتابنا : الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ، ص ٣٥٩ فما بعد حيث فصلنا القول في عناصر الترجمة عند الذهبي .

٣ - ان الهيكل العام للكتابين متشابه فهو يبدأ بمقدمة خطية ويتناول بعد ذلك تراجم اهل المدينة ومن وردھا من أعلام الناس أو حل بها *

٤ - ألف ابن عساكر تاريخه بعد الخطيب ولا ريب انه استفاد بعض طريقته في التنظيم وحسنها بما يتلاءم وتكوينه الفكري وذوقه التاريخي المتصل بالحديث والمحدثين *

من كل ذلك نستطيع القول أن شهرة تاريخ الخطيب ومكانته ودخوله في الكتب المروية قد شجعت الحافظ ابن عساكر على القيام بشروعه العظيم لتاريخ مدينة دمشق في الاقل ، ولا بد أنه أفاد من طريقته سواء أكان ذلك في اتباع بعضها أم في تجنب البعض الآخر أو تحسينه . ولا يشك باحث بأن غزارة مادة ابن عساكر في تاريخ دمشق أعظم من تلك التي في تاريخ بغداد للخطيب ولا سيما في الخطط وسعة التراجم *

المطاء

حينما قدم ابن عساكر إلى بغداد أعجب به البغداديون وقالوا : قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم : الشيخ يوسف الدمشقي ، والصائغ ابو الحسين هبة الله بن الحسن ، وأخوه أبو القاسم^(٧٣) . وقد بدأ عطاؤه ببغداد قبل دمشق ، ففي رحلته الاولى خرج لشيخه أبي غالب احمد بن الحسن بن احمد ابن البناء البغدادي الحنبلي (٤٤٥ - ٥٢٧) مشيخة^(٧٤) ذكر ابن الديلمي انها في نحو عشرة اجزاء تكلم على احاديثها وأحسن^(٧٥) . وسع منه مفيد بغداد أبو بكر المبارك ابن كامل بن أبي غالب الخفاف البغدادي الظفري (٤٩٠ - ٥٤٣ هـ) وهو أسن منه^(٧٦) ، قال ابن الجوزي :

(٧٣) ياقوت : ارشاد ١٤٤/٥ ، والسبكي ٢١٧/٧ .

(٧٤) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٤٠ (احمد الثالث ٢٩١٧/١٤) .

(٧٥) انذيل ، الورقة ١٢٦ من نسخة كيمبرج . وذكر الذهبي في العبر أن مشيخته ابن البناء هذه من المشيخات المروية ٧١/٤

(٧٦) الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٣٠٣ (اياصوفيا ٣٠١٠) .

« انتهت اليه معرفة المنايخ ومقدار ما سعوا والاجازات لكثرة دريته في ذلك » (٧٧) . وتوفي المبارك بن كامل الخفاف قبل أبي محمد مكي بن المسلم ابن علان آخر الرواة عن الحافظ ابن عساكر بسنة سنة وتسع سنين ، فقد كانت وفاة ابن علان في سنة ٦٥٢هـ (٧٨) .

ونظرا للمكانة المرموقة التي احتلها ابن عساكر ببغداد فانه كان يسئل عن الرواة من حيث الجرح والتعديل فتؤخذ اقواله فيهم وتعتبر عندهم أقصى حدود الاعتبار (٧٩) .

وقد أقام الحافظ ابن عساكر بعد رجوعه الى دمشق علاقات وطيدة مع جيلة من علماء بغداد ، فبقي تبادل المعلومات العلمية بينهم قائما (٨٠) ، وكان يحرص على لقاء البغداديين القادمين الى دمشق (٨١) فيسمع عليهم ويذاكرهم أو يسمعون عليه ويذاكرونه .

وما نحن اولاء نرى كيف آمن/ اسلافنا العطاء بالوحدة بين ارجاء الوطن العربي وطبقوها تطبيقا عمليا وعملوها بقاء آتهم المستمرة . واننا على يقين من ان مثل هذه الامور تقدم لنا مثالا رائعا في الايمان بحتمية اللقاء والتوحيد ، لا سيما والامة تسر بظروف عصبية يشعر ابناءؤها بانهم يحاولون دائما الى الوحدة متينة تجمع شملهم بعد طول تفرق ، وتلم شعثهم بعد التمزق الذي كابدوه طيلة عصور التخلف والظلام ، فتزيد في قوتهم اليوم قوة متجددة .

(٧٧) المنتظم ١٠/ ١٣٧ .

(٧٨) العبر ٥/ ٢١٣ .

(٧٩) انظر مثلا الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩٦ الخ . (ابا صوفيا ٣٠١ .)

(٨٠) انظر مثلا : التبيين ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٨١) انظر مثلا تاريخ الاسلام للذهبي ، الورقة ١٧٦ (ابا صوفيا ٣٠١) .

ملحق

ترجمة الحافظ ابن عساكر

في كتب المؤرخين البغداديين غير المنشورة

يتضمن هذا الملحق ثلاث من التراجم غير المنشورة التي وضعها مؤرخون بغداديون للحافظ أبي القاسم ابن عساكر وهم :

١ - الحافظ معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي المعروف بابن نقطة المتوفى سنة ٦٢٩ هـ حيث ترجم له في كتابه « التقييد لمعرفة رواة السنن أو المسانيد » . وقد اعتمدت نسختي المصورة عن النسخة المحفوظة في المكتبة الازهرية تحت رقم ١٣٧ مصطلح الحديث .

٢ - الحافظ جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الديبشي المتوفى سنة ٦٣٧ هـ في تاريخه الذي ذيل به على ذيل ابن السعاني عن تاريخ الخطيب وهو المعروف بـ « ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد » . وتتم ترجمة الحافظ ابن عساكر في المجلد المحفوظ بمكتبة جامعة كمبرج في انكلترا . وقد حققت هذا الكتاب وتبنت وزارة الثقافة والإعلام في العراق طبعه بنفقة فظهر منه المجلد الاول سنة ١٩٧٥ والمجلد الثاني سنة ١٩٨٠ ، وترجمة ابن عساكر من هذا التاريخ لم تنشر حتى الآن .

٣ - الحافظ محب الدين أبو عبدالله محمد بن محسود المعروف بابن النجار البغدادي ، شيخ دار الحديث بالمدرسة المستنصرية المتوفى سنة ٦٤٣هـ في تاريخه الذي دُيِّل به تاريخ الخطيب البغدادي والمعروف بـ « التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الاعلام ومن ورد لها من علماء الانام » وهو تاريخ حافل يقع في ثلاث مئة جزء حديثي ، لكن الزمان قد أتى على معظمه فلم يصل إلينا منه غير مجلدين : المجلد العاشر في دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٤٢ تاريخ) والحادي عشر في دار الكتب الوطنية بباريس (٢١٣١ عربي) وهما من اصل نسخة أظنها تتكون من خمسة عشر مجلدا ، وفي خزانة كتبي نسختان مصورتان لهذين المجلدين . والمفروض أن تقع ترجمة الحافظ ابن عساكر في المجلد الذي بالظاهرية الذي يبدأ في اثناء من اسمه « عبد الملك » ولسوء الحظ فإن نسخة الظاهرية فيها خرم عند هذه الترجمة فأذهب بمعظمها ولم يبق منها الا عجزها في أول الورقة ٢١٣ . لكننا في الوقت نفسه وجدنا مختصر هذه الترجمة في انتقاء للحافظ شهاب الدين أحمد بن أيك الديماطي الحسامي المتوفى سنة ٧٤٩هـ من هذا التاريخ سماه « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » حيث توجد النسخة الفريدة منه بخط المنتقي بدار الكتب المصرية تحمل الرقم ٢٩٦ وفي خزانة كتبي نسخة مصورة عنها . كما نقل قسما من ترجمة ابن النجار للحافظ ابن عساكر ، مؤرخ الاسلام شمس الدين الذهبي في كتبه ولا سيما في كتابه العظيم « تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام » وكتايبه الآخرين « سير أعلام النبلاء » و « تذكرة الحفاظ » ، واقتطف تاج الدين السبكي قليلا منها في « طبقات الشافعية الكبرى » فأفدنا من كل ذلك في إعادة الترجمة بعد المقارنة بين مختصر الديماطي وما وصل إلينا منها في نسخة الظاهرية ، وما اقتطفه المؤرخون منها .

وقد قمت بتحقيق هذه التراجم الثلاث وعلقت عليها تعليقات مختصرة
غايتهما ضبط النص وتدقيقه وتحقيقه ودفع ابهام قد يقع فيه القارئ ،
وتوضيح ابهام قد يتأتى من ورود بعض الاسماء المختصرة .

اولا :

قال ابن نقطة في التقييد : الورقة ١٧٧ - ١٧٨ :

علي بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم بن عساكر الحافظ الدمشقي .
سمع بدمشق من الشريف أبي القاسم^(٨٢) علي بن ابراهيم بن العباس الحسيني
المعروف بابن أبي الجن ، وأبي الوحش سبيع^(٨٣) بن المسلم بن قيراط ، وغيث^(٨٤) بن
علي الأرمناري . وبيغداد من أبي الحسن علي^(٨٥) بن عبد الواحد بن أحمد
الدينوري وأبي نصر أحمد^(٨٦) بن عبدالله بن رضوان ، وأبي القاسم بن
الحسين^(٨٦) ، وأبي الحسين محمد^(٨٨) بن محمد ابن الفراء ، وأبي الاعز
قرا تكين^(٨٩) بن الاسعد بن المذكور ، وأبي العز أحمد^(٩٠) بن عبدالله بن

(٨٢) توفي سنة ٥٠٨ (الذهبي : تاريخ الاسلام ، الورقة ٨٢ من مجلد ايا صوفيا
٣٠١٠ وأصعد نسبه إلى جعفر الصادق . والعبر ١٧/٤ .

(٨٣) توفي سنة ٥٠٨ (الذهبي : العبر ٢٦/٤ .

(٨٤) توفي سنة ٥٠٩ (العبر ١٨/٤ .

(٨٥) توفي سنة ٥٢١ (الذهبي : تاريخ الاسلام الورقة ١٠٣ من المجلد المذكور
اعلاه .

(٨٦) انظر : ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٨ . وذكر الذهبي انه توفي
سنة ٥٢٤ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٥ من المجلد السابق) .

(٨٧) هبة الله بن محمد ابن الحسين الشيباني المتوفى سنة ٥٢٥ وهو مشهور .

(٨٨) صاحب طبقات الحنابلة المتوفى سنة ٥٢٦ (تاريخ الاسلام ، الورقة ٧٦
ايا صوفيا ٣٠١٠ .

(٨٩) توفي سنة ٥٢٤ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٩) .

(٩٠) ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٩ . وذكر الذهبي انه توفي سنة
٥٢٦ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٤) .

كادش . وأبي بكر محمد^(٩١) بن الحسين المزرفي ، في آخرين . وبأصبهان
من أبي الفرج سعيد^(٩٢) بن أبي الرجاء الصيرفي والحسين^(٩٣) بن عبد الملك
الخلال ، وأبي القاسم اسماعيل^(٩٤) بن محمد بن الفضل الحافظ . وبنيسابور
من أبي عبدالله محمد^(٩٥) بن الفضل الفراوى . وأبي محمد عبدالله بن
سهل السبدي^(٩٦) ، وزاهر^(٩٧) بن ماهر الشحامى ، وأخيه وجيه^(٩٨) . وبهرات
ومرو من جماعة .

وحدث بأكثر مسوغاته .

وكان حافظا ثقة في الحديث .

(٩١) توفي سنة ٥٢٧ هـ تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٠ .

(٩٢) توفي سنة ٥٣٢ هـ (الحاجي : الوفيات « بتحقيقنا » رقم ١٠٥ وتعليقنا هناك ؛

(٩٣) ذكر عبدالرحيم الحاجي انه توفي سنة ٥٣٢ هـ (الوفيات رقم ١٠٨) وراجع
ابن نقطة في التقييد : الورقة ٨٢ . واكمال الاكمال ، الورقة ١٤ من نسخة
الظاهرية .

(٩٤) ويعرف بالطلحي . وهو صاحب كتاب « سير السلف الصالحين » المشهور
توفي سنة ٥٣٥ هـ كما ذكر الحاجي في الوفيات رقم ١٢٠ ، وابن نقطة في
التقييد : الورقة ٦٢ .

(٩٥) توفي سنة ٥٢٠ هـ كما في نسب السمعاني واباب ابن الاثير وغيرهما .
ولاجله رحل الحافظ ابن عساكر الى المشرق .

(٩٦) في الاصل : « النسري » . وهو وهم من الناسخ . والصواب ما اثبتنا .
انظر : الذهبي في السير ٩٢/١ وتاريخ الاسلام ، الورقة ٢٢٨ من المجلد
المذكور سابقا ، وابن العماد في السدرات ١٠٣/٤ . وقال ابن عساكر في معجم
سيوخته : اخبرنا عبيدة الله بن سهل بن عمر بن محمد بن الحسين بن محمد
بن الهيثم بن القاسم بن مالك بن ابي الهيثم . ابو محمد . . . البسطامي
بن النسايبوري المعروف بالسبدي الفقيه بفراءته بنيسابور . قال . . .
الورقة ٢٣٦ .

(٩٧) توفي سنة ٥٣٣ هـ ابن الجوزي : المنتظم ٧٩/١٠ . وابن الاثير في الكامل
٣٠/١١ . والعيني في سند الجمان ١٦ / الورقة ١٠٦ من مصور القاهرة .

(٩٨) توفي سنة ٥٤١ هـ المنتظم ١٤٤/١ . والعبر ١١٣/٤ ، وغيرهما .

وصنف كتبها منها : تاريخ دمشق ، وكتاب الاضراف ، وغرائب مالك .
وشيوخ الكتب الستة (٩٩) ، وغير ذلك .

حدث عنه أبو سعد السمعاني ، فقال : هو حافظ متقن ، جمع بين
معرفة المتن والاسانيد ، ورحل في طلب الحديث ، وجمع منه ما لم يجمع
غيره . ورد بغداد سنة عشرين وخمس مئة . مولده في العشر الاخر من
الحرم سنة تسع وتسعين واربع مئة .

قلت : توفي الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ليلة الاثنين حادي عشر
رجب من سنة احدى وسبعين وخمس مئة .

حدثني عبدالله بن أبي الفضل ، قال : سمعت الحافظ عبدالقادر بن
عبدالله الرهاوي يقول : قد رأيت الحافظ أبا طاهر السلفي ، والحافظ أبا
العلاء الهمداني والحافظ أبا موسى باصفهان ، ما رأيت فيهم احفظ ، أو
قال : مثل أبي القاسم ابن عساكر .
ثانيا :

قال جمال الدين ابن الديلمي في الذيل (الورقة ١٣٦) (١٠٠) :

علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين ابن عساكر أبو القاسم
ابن أبي محمد الحافظ .

من أهل دمشق

ممن اشتهر فضله وعلمه ، وشاع ذكره وحفظه ، وعرف اتقانه وصدقه .

١٩٩١ هو كتاب « معجم شيوخ الأئمة السبل » المشهور عند أهل الفن . عندي
منه نسخة بخطي .

(١٠٠) مما تجدر الإشارة اليه أن الحافظ أبا عبدالله الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ
قد اختصر هذه الترجمة في « المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ
أبي عبدالله » ١٢١/٣ - ١٢٢ ثم علق عليها زيادة من عنده . والزيادة هذه
موجودة في تاريخ الاسلام وغيره من كتبه .

سمع الكثير ببلده : والعراق ، والحجاز ، وخراسان . وكتب الكثير ، وحصل ما لم يحصله غيره . ورزقه الله حسن التوفيق فيما صنفه وألفه ، فجمع تاريخنا للشام وبسطه وأجاد في جمعه وحسنه ، وغيره من الكتب في علم الحديث وفنونه .

وقدم بغداد مرتين : أولاها في سنة عشرين وخمس مئة ، وسمع فيهما الكثير من أبي القاسم ابن الحصين ، والبارع أبي عبدالله الدباس^(١٠١) ، وأبي العز ابن كادش ، وأبي غالب ابن البناء وخرج له مشيخه^(١٠٢) في نحو عشرة أجزاء وتكلم على أحاديثها وأحسن ، ومن أبي بكر المزرفي ، وأبي القاسم الشروطي^(١٠٣) ، وأبي القاسم الحريري^(١٠٤) ، وأبي منصور بن زريق^(١٠٥) ، والقاضي أبي بكر الانصاري^(١٠٦) ، واسماعيل^(١٠٧) ابن السمرقندي ، وعبد الوهاب^(١٠٨) الانماطي ، وخلق يطول ذكرهم .

(١٠١) هو الحسين بن محمد المتوفى سنة ٥٢٤ . (الذهبي : تاريخ الاسلام الورقة ١٥٦ - ١٥٧)

(١٠٢) ذكر الذهبي في العبر انها من المشيخات المروية ، وتوفي ابن البناء سنة ٥٢٧ . ابن عساكر : معجم الشيوخ ١٩ ، والذهبي في تاريخ الاسلام ، الورقة ١٧٧ من مجلد ايا صوفيا رقم ٣٠١٠ .

(١٠٣) هو هبة الله بن عبدالله بن أحمد المتوفى سنة ٥٢٨ (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٨٦ من مجلد ايا صوفيا ٣٠٦٠) .

(١٠٤) هبة الله بن احمد بن عمر المقرئ المعروف بابن الطبر المتوفى سنة ٥٣١ (ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ٢٣٠ ، وتاريخ الاسلام ، الورقة ٢٨ من المجلد المذكور) .

(١٠٥) عبدالرحمن بن محمد بن زريق الشيباني القزاز المتوفى سنة ٥٣٥ (ابن عساكر : معجم الشيوخ ، الورقة ١١٠ ، وتاريخ الاسلام ، الورقة ٢٣٦) .

(١٠٦) توفي سنة ٥٣٥ وهو محمد بن عبد الباقي الانصاري المعروف بقاضي المارستان (تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٣٩)

(١٠٧) اسماعيل بن احمد الدمشقي المولد البغدادي الدار . توفي ببغداد سنة ٥٣٦ (ابن عساكر : معجم الشيوخ الورقة ٢٧ ، المنتظم ١٠/١٨/ وغيرهما)

(١٠٨) عبد الوهاب بن المبارك الانماطي المحدث المشهور المتوفى سنة ٥٣٨ (قارن معجم الشيوخ ، الورقة ١٣٤)

وسمع بنيسابور من زاهر الشحامي وأخيه وجيه ، وأبي عبدالله القراوي ،
وغيرهم .

وعاد الى بلده ، وحدث بالكثير ، وسمع الناس منه سنين .
وبنى له نورالدين محمود بن زنكي أمير الشام دار الحديث بدمشق
ووقف عليها وقفا تصرف غلته الى المشتغلين عليه بالحديث فيها .
وكان موفقا في افعاله وتصنيفه .

حدثنا عنه ابو جعفر احمد بن علي القرطبي بمكة ، وغيره .
وذكره تاج الاسلام أبو سعد ابن السمعاني في كتابه الذي كتابنا هذا
مذيل عليه فوصفه بالفضل والحفظ والاتقان ، وروى عنه فيسه الكثير .
وذكرناه نحن لان وفاته تأخرت ~~عن~~ وفاة ابن السمعاني على ما شرطناه .

حدثنا أبو جعفر احمد بن علي بن عتيق المغربي لفظا بالمسجد الحرام
في حجتنا الاولى سنة تسع وسبعين وخمس مئة . قال : اخبرنا الحافظ أبو
القاسم علي بن الحسن ابن عساكر قراءة عليه بدمشق ، قال : اخبرنا ابو الحسن
مكي بن ابي طالب البروجدي بقراءة عليه ببنى (١٠٩) ، قال : اخبرنا أبو
الحسن علي بن أحمد بن محمد الصيدلاني بنيسابور قال : اخبرنا ابو طاهر
محمد بن محمد بن محمش الزيادي ، قال : حدثنا احمد ابن محمد بن يحيى بن
بلال ، قال : حدثنا يحيى بن الربيع المكي ، حدثنا سفيان بن عيينه ، عن أيوب بن
موسى ، عن نبيه بن وهب . عن ابان بن عفان ، عن عفان فبلغ بهذا النسبي
- صلى الله عليه وسلم - قال : « لا ينكح المحرم ولا يخطب » .

(١٠٩) تارن معجم شيوخ ابن عساكر ، الورقة ٢٤٦ . وذكره أبو سعد السمعاني
في التكميل ٣١٢/٢ ، وذكر انه توفي بين سنتي ٥٢٠-٥٢١ كما ذكره في
معجم شيوخه ، الورقة ٢٦٥ .

أبنا أبو المحاسن عمر^(١١٠) بن علي القرشي الدمشقي ، قال : سألت
الحافظ أبو القاسم ابن عساكر عن مولده فقال : في محرم سنة تسع وتسعين
وأربع مئة . وتوفي في حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمس مئة .
وقال غيره : في ليلة الاثنين . وصلي عليه يوم الاثنين ، ودفن عند أبيه
وأهله .

ثالثا :

وقال ابن النجار البغدادي^(١١١) :

علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين ، أبو القاسم ابن أبي
محمد بن أبي الحسين الشافعي ، عرف بابن عساكر .
من أهل دمشق .

هو^(١١٢) امام المحدثين في وقته . ومن انتهت اليه الرئاسة في الحفاظ
والإتقان ، (والمعرفة التامة بعلوم الحديث والثقة والنبل وحسن التصنيف
والتجويد)^(١١٣) وبه ختم هذا الشأن .

(١١٠) كان من رفاق الحافظ ابن عساكر ، وقد توفي سنة ٥٧٥ وهو معروف
جدا .

(١١١) اعتمدت في هذه الترجمة ، خلا القسم الأخير منها ، على ما جاء في انتقاء
أحمد بن إيبك الدمياطي الحسامي من تاريخ ابن النجار ، والذي سماه :
« المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » ، الورقة ٥٥ . وأشارت بعد ذلك إلى
الزيادات التي جاءت في الكتب الأخرى .

(١١٢) هذه اللفظة زيادة من السبكي ٢١٨/٧ .

(١١٣) ما بين الحاصرتين إضافة من طبقات السبكي ٢١٨/٧ . وقد أوردها
الذهبي في تاريخ الإسلام ، الورقة ٤٢ (أحمد الثالث ١٤/٢٩١٧) لكنه
حذف منها قوله : « بعلوم الحديث » ، كما حذف من كلمة « والنبل » إلى
نهاية العبارة .

روى (١١٤) عنه جماعة وهو في الحياة وحدثوا عنه بالاجازة في حياته .

سمع بإفادة أخيه الأكبر في سنة خمس وخمس مئة من أبي الحسن ابن الموازيني (١١٥) ، وأبي القاسم النسيب (١١٦) ، وأبي الوحش سبيع بن قيراط المقرئ ، وأبي طاهر الحنائي (١١٧) وسمع هو بنفسه من والده ، وأبي محمد ابن الأكفاني (١١٨) ، وأبي الحسن بن قبيس (١١٩) وطاهر (١٢٠) بن سهل الأسفرايني .

وحج في سنة إحدى وعشرين ، وسمع بركة أبا محمد عبدالله (١٢١) محمد بن اسماعيل المصري .

(١١٤) من هنا وإلى نهاية السطر إضافة من تاريخ الاسلام ، الورقة ٤٢ من النسخة السابقة .

(١١٥) أبو الحسن السلمي المتوفى سنة ٥١٤ هـ كما في تاريخ الاسلام ، والعبر للذهبي ٢٢/٤

(١١٦) أبو القاسم علي بن إبراهيم بن الهيثم الحسيني المتوفى سنة ٥٠٨ هـ وقد مر التعريف به .

(١١٧) أبو طاهر محمد بن الحسين بن محمد الدمشقي المتوفى سنة ٥١٠ هـ (العبر ٢١/٤) .

(١١٨) هبة الله بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني صاحب كتاب « الوفيات » المتوفى سنة ٥٢٤ هـ (العبر ٦٣/٤) .

(١١٩) علي بن أحمد بن منصور الفسائي . و « قبيس » بضم القاف ، وليس بالفتح كما جاء في العبر من وهم المحقق ، وقد وجدتها مقيدة بالضم بخط الحافظ الذهبي (تاريخ الاسلام ، الورقة ١٩٦ أياصوفيا ٢٠١٠) .

(١٢٠) توفي سنة ٥٢١ هـ كما في العبر ٨٥/٤ وغيره ، وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : « روى عنه الحافظ أبو القاسم وقال : كان شيخا صريحا مع حبه بالحديث وعدم ثقة ، حك اسم أخيه من كتاب الشهاب للقضاء ، وأثبت بدل اسم » الورقة ٢٠٦ من نسخة أياصوفيا رقم ٣٠١٠ .

(١٢١) المعروف بابن العزاز - بالتخفيف - . وقد سمع منه أبو القاسم حدثا واحدا تلقينا لسمع شديد حصل لابن الغزل هذا ، قال الفهرست : « وروى رويناه من طريقه في أربعين البلدانية » المعتمد الثمين ٢٤٢/٥ . توفي سنة ٥٢٤ هـ تاريخ الاسلام ، الورقة ١٥٧ من نسخة أياصوفيا ٣٠١٠ .

ورحل الى العراق في سنة عشرين . وسمع الكثير ببغداد من ابن
الحسين ، وأبي الحسن الدينوري ، وأبي العز بن كادش ، وأبي القاسم
الحريري ، ومحمد بن عبد الباقي الانصاري ، في آخرين . وسمع بالكوفة
الشريف أبا البركات عمر بن ابراهيم (١٢٢) الزيدي .

وعاد الى بغداد فأقام بها يسمع الحديث والفقه والخلاف بالمدرسة
النظامية (١٢٣) ويكتب ويحصل خمس سنين . ثم عاد الى دمشق .

ورحل الى خراسان على طريق اذربيجان ، ودخل نيسابور في سنة تسع
وعشرين ، وسمع أبا عبدالله الفراوي ، وأبا محمد السيدي ، وزاهراً الشحامي ،
وأخاه وجيها ، وبسرو من يوسف بن أيوب الهذاني . وسمع ببسطة ،
ودامغان ، والري ، وزنجان ، وسمنان .

وعاد الى دمشق يسلي ، ويحدث ، ويصنف .

وسمع منه جماعة من شيوخه .

وكان اماماً ، حجة ، ثقة ، نبلاً .

حدث ببغداد ، وروى عنه من اهلها أبو بكر بن كامل ، وكان أسن
منه (١٢٤) .

قال سعد الخير (١٢٥) : ما رأينا في سنن الحافظ أبي القاسم مثله ، وله من
المصنفات : التاريخ . الاشراف على معرفة الاطراف . المعجم ، لاسماء شيوخه .
الموافقات عن شيوخ الائمة الثقات ، اثنان وسبعون جزءاً .

(١٢٢) توفي سنة ٥٣٩ (تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٦-٢٦٧ من النسخة
السابقة) .

(١٢٣) قد يلبس قول ابن النجار هذا فيظن القاريء انه لم يسمع الحديث بغير
المدرسة النظامية ، والواقع ان الحافظ سمع في معظم محال بغداد كما
يتضح من ذكره هذه المحال في معجم شيوخه .

(١٢٤) ولد أبو بكر المبارك بن كامل الخفاف سنة ٤٩٠ وتوفي سنة ٥٤٣ .

(١٢٥) أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الانصاري البليسي الحافظ
المشهور المتوفى سنة ٥٤١ (العبر ١١٢/٤) ، وراجع تعليقنا في هامش
التكملة للمنزدي (٢١٨/١) .

قلت : وأملى أربع مئة مجلسا في جامع دمشق ، وكان يختتمها بأبيات من شعره . ولقد سمعت شيخنا عبدالوهاب^(١٢٦) بن علي الامين يقول^(١٢٧) : كنت يوما مع الحافظ ابي القاسم ابن عساكر وأبي سعد ابن السمعاني فشي في طلب الحديث ولقاء الشيوخ . فلقينا شيخا فاستوقفه ابن السمعاني ليقرأ عليه شيئا ، وطاف على الجزء الذي هو ساعه في خريطته^(١٢٨) فلم يجده . وتناق : فقال^(١٢٩) له ابن عساكر : ما الجزء الذي هو ساعه ؟ فقال : كتاب « البعث والنشور » لابن أبي داود ، سمعه من أبي النصر ابن النرسي^(١٣٠) ، فقال له : لا تحزن . وقرأ عليه من حفظه ، أو بعضه . الشك من شيخنا .

وقرأت^(١٣١) بخط الحافظ معمر بن الفاخر في معجمه : أخبرني ابو القاسم علي بن الحسن الدمشقي الحافظ من لفظه بمنى املاء ، وكان احفظ من رأيت من طلبة الحديث والشبان . وكان شيخنا اسماعيل^(١٣٢) بن محمد يفضل على جميع من لقيناهم من اهل أصبهان وغيرها . قدم أصبهان ، وسمع ،

(١٢٦) تأخرت وفاة عبدالوهاب المعروف بابن سكينه الى سنة ٦٠٧ هـ وهو زاهد العراق المشهور

(١٢٧) نقل هذه الحكاية غير واحدة ، منهم الذهبي والسبكي وغيرها .
(١٢٨) الخريطة : شيء كالحيبة من قماش أو غيره يعلقها المحدث بجسمه ويضع فيها كتبه .

(١٢٩) في المستفاد : « قال » وما اثبتناه من السبكي .
(١٣٠) في طبقات السبكي : « الزيني » محرف ، وهو منسوب الى « نرس » النهر المشهور بالعراق (راجع الانساب للسمعاني) وانظر مشبه الذهبي ٨٣-٨٤ .

(١٣١) من هنا والى نهاية الفقرة نقلها الذهبي عن ابن النجار في تاريخ الاسلام (الورقة ٤٢ من مجلد أحمد الثالث ١٤/٢٩١٧) وفي سير اعلام النبلاء ١٢/الورقة ٢٨٠ وتذكرة الحفاظ ١٣٢٣ مع بعض الحذف . ومعمر بن عبدالواحد هـذا قرشي أصبهاني ولد سنة ٤٩٤ وتوفي سنة ٥٦٤ وكان من الحفاظ المشهورين

(١٣٢) هو المعروف بالطلحي المتوفى سنة ٥٢٥ وقد سبق التعريف به .

ونزل في داري ، وما رأيت شابا أورع ولا اتقن ولا احفظ منه . وكان مع ذلك فقيها سنيا - جزاه الله خيرا وكثر في الاسلام مثله - أفادني في الرحلة الاولى والثانية ببغداد كثيرا وسألته عن تأخره في الرحلة الاولى عن المجي ، إلى اصبهان فقال لم تأذن لي أمي (١٣٣) . (وقال السمعاني : أبو القاسم كثير العلم غزير الفضل حافظ ، ثقة ، متقن ، دين ، خير ، حسن السمات ، جمع بين معرفة المتون والأسانيد ، صحيح القراءة ، متثبت محتاط ، رحل وتعب وبالع في الطلب إلى ان جمع ما لم يجمع غيره ، وأربى على اقراؤه . ودخل نيسابور قبلي بشهر أو نحوه في سنة تسع وعشرين فسع بقراءتي وسعنت بقراءته مدة مقامنا بها ، إلى ان اتفق خروجه إلى هراة وخروجه إلى اصبهان . واجتمعت به ببغداد بعد رجوعه في سنة ثلاث وثلاثين ، وسعنت منه كتاب « المجالسة » بدمشق ومعجم شيوخه . وكان قد شرع في التاريخ الكبير لمدينة دمشق وصنف التصانيف وخرج التخاريج (١٣٤) . وبعد انصرافي إلى خراسان كانت كتبه تصل إليّ وأنفذ إليه جوابها .

كتب إليّ أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، قال : ولد أبي في المحرم سنة تسع وتسعين وأربع مئة . سمعت يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي بحلب يقول : سمعت أبا محمد القاسم بن علي ابن عبدالله الشافعي يقول : توفي والدي ليلة الاثنين ثاني عشر رجب سنة احدى وسبعين وخمس مئة . ودفن ببقايسر باب الصغير .

(١٣٣) ما بين العضادتين اضافة مني نقلتها من تاريخ الاسلام للذهبي لايماني (١٣٣) إلى هنا انتهى قول ابن النجار كما جاء في كتب الذهبي ومنها : تاريخ الاسلام .

(١٣٤) ما بين العضادتين اضافة مني نقلتها من تاريخ الاسلام للذهبي لايماني . ابن النجار نقل هذا القول أو أكثر منه أو أقل عن السمعاني في ذنب تاريخ بغداد . يدل على ذلك ما بقي من نقل عنه في الورقة ٢١٣ من نسخة الظاهرية من تاريخ ابن النجار وهو قوله : وبعد انصرفي إلى خراسان ... الخ . وقد نقلنا ما تبين من الترجمة عن المجلد المحفوظ بالظاهرية برقم ٤٢ وهو آخر ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخ ابن النجار .

دور الخريطة في تدريس مادة الجغرافية في العراق

— بحث ميداني —

الدكتور فلاح شاكر اسود
كلية الاداب — جامعة بغداد

يهدف البحث الى الوقوف على مدى استفادة المدارس في القطر من الخرائط في تدريس مادة الجغرافية باعتبارها احدى الوسائل الايضاحية الضرورية التي يستعين بها المدرس في مختلف المراحل الدراسية . وفي ضوء نتائج هذا البحث انتهى الباحث الى استخلاص بعض المقترحات والتوصيات التي من شأنها تطوير وتحسين الاستفادة من الخرائط كأداة رئيسية في عملية دراسة وتدريس مادة الجغرافية

ولاجل ان نقف على اهمية الخرائط ومدى الاستفادة منها في العملية التدريسية فقد تم الاعتماد على المرحلة المتوسطة في الدراسة . كعينة نموذجية من بين المراحل الدراسية الثلاث (الابتدائية والمتوسطة والثانوية) . ويسكن اجمال اهم المبررات التي حددت الباحث الى حصر نطاق بحثه في هذه المرحلة الى مايلي :

١- ان مادة الجغرافيا في المرحلة المتوسطة من الدراسة تكون اكثر عمقا وتقسما منها في المرحلة الابتدائية . وهي بالتالي تحتاج الى الاستعانة بالخرائط اكثر من احتياجها لها في المرحلة الابتدائية .

٢- أن المرحلة المتوسطة من الدراسة قياساً للمرحلة الإعدادية تعتبر أكثر منطقياً من الدراسة الموضوعية باعتبار أن المرحلة الأخيرة - الإعدادية - تنقسم إلى تخصصات وفروع يكاد ينفرد فرع واحد فيها (الفرع الأدبي) فقط في دراسة الجغرافيا بعمق كمادة منهجية مقررة . لذلك فإن المرحلة المتوسطة تعتبر أكثر شمولاً من لاحقها . حيث تشترك جميع المدارس فيها بتدريس الجغرافيا كمادة منهجية ملزمة لجميع الطلبة .

٣ - اكتمال تأليف الكتب الجغرافية المدرسية للمرحلة المتوسطة ، وتوزيعها على كافة الصفوف ولكافة المدارس ، بينما لازالت المرحلة الثانوية لم تشملها الكتب الجديدة لأنها في مرحلة التأليف .

أما فيما يتصل بادوات البحث وعينته فقد أعد الباحث استبيانات تتضمن أربعة بنود رئيسية تغطي كافة جوانب الموضوع . فالبند الأول يتعلق بالوسائل التعليمية ومشاكلها ، في حين يدرس البند الثاني الكتاب المدرسي ومدى استفادة المدارس بالخرائط الواردة فيه ، بينما يبحث البند الثالث طرق التدريس والاسلوب المتبع في مناقشة الخرائط ومدى مساهمة الطلبة في ذلك من خلال الفعاليات التي يقومون بها . أما البند الرابع من الاستبيان فإنه يتطرق إلى الواجبات والامتحانات ومدى انعكاسها على اهتمام الطلبة بالخرائط ودورها في فهم المعلومات الجغرافية .

وقد تم الاستعانة بمديرية المناهج والوسائل التعليمية في وزارة التربية عند ارسال نسخ الاستبيان وعددها ٧٠٠ نسخة ، إلى مديريات التربية في المحافظات بغية توزيعها على المدرسين المسؤولين بالبحث في مختلف محافظات القطر لتغطية أكبر عدد ممكن من المدارس المتوسطة في العراق . وقد تم فرز الاستمارات الموزعة واعتمده ٢٥٢ استمارة تشمل مختلف محافظات القطر .

وعلى الرغم من ان المجتمع الاحصائي موضوع البحث يعتبر من المجتمعات المتجانسة بحيث يمكن الاستعانة بعينة عشوائية بسيطة نفي بالغرض المطلوب^(*) الا ان الباحث توخى الاستفادة من العلاقة الطردية بين حجم العينة ودقة النتائج وصولا الى تحديد المشاكل والعقبات المشتركة التي تحول دون الاستفادة القصوى من الخريطة على نطاق المدارس بشكل عام . ولعل ذلك كان سببا رئيسيا في عدم حصر العينة في محافظة واحدة ، بل تعدت ذلك لتشمل معظم مدارس القطر .

وفيسا يلي نموذج الاستبيان الذي اعتمد عليه البحث^(١) .

المحافظة القضاء الناحية

عدد المدرسين الذين يقومون بتدريس الجغرافية

متخصص () غير متخصص المجموع

(*) الدكتور عبد الباسط محمد حسن : اصول البحث الاجتماعي ط ٣ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١ ص ٢٥١ .

(١) استند الاستبيان على المصادر التالية

أ - ن ، ف ، سكارف ، مقترحات في تدريس الجغرافية : ترجمة زكي الرشيد ومحمود مرسي ، مطبوعات اليونسكو ، دار مصر للطباعة ، (بدون سنة) .

ب - نعيم يوسف صراف والدكتور محمد حسن ال ياسين ، اصول تدريس الجغرافية لدور المعلمات والمعلمين ، مطبعة دار المعرفة - بغداد ١٩٥٤ .

ج - مرجع اليونسكو تعليم الجغرافية - ترجمة زكي انكرمي - مطبعة حكومية الكويت - الكويت بدون سنة .

د - Gapsill, G. H. The teaching of geography, Robert Maele- hose, Co. Ltd, Glasgow 1967.

هـ - Long, M. Roberson, B. S. Teaching geography Morrison & Gibb London, 1968.

أولاً : الوسائل التعليمية

أ - الخرائط

١ - ماعدد الخرائط الموجودة في المدرسة

الصالحة للاستعمال غير صالحة للاستعمال المجموع

٢ - يرجى ذكر عدد الخرائط غير الصالحة للاستعمال مقابل كل

سبب

مزقة

قديمة

معلومات غير وافية

معلومات غير صحيحة

(سبب آخر يذكر رجاء)

المجموع

٣ - ماهي انواع الخرائط المتوفرة في المدرسة مع ذكر العدد امام كل

نوع

العالم القارات الاقطار المجموع

خرائط اقليمية

خرائط سياسية

خرائط طبيعة

المجموع

٤ - ماهو توزيع الخرائط المتوفرة حسب القارات والاقطار

قارة اسيا قارة امريكا الجنوبية

قارة اوربا استراليا

قارة افريقيا العراق

قارة امريكا الشمالية الوطن العربي

ب - الافلام الجغرافية الخاصة بالخرائط

١ - هل يوجد جهاز عرض للافلام في المدرسة ٨ ملتر ١٦ ملتر لا يوجد

٢ - هل يوجد جهاز عرض للافلام في المدرسة ٨ ملتر ١٦ ملتر لا يوجد

٣ - هل عرضت افلام جغرافية نعم لا

٤ - الجهة التي استعنت بها في عرض الافلام

مديرية الوسائل التعليمية

مركز وسائل الايضاح بالمحافظة

مصدر اخر

ج - التجهيزات

ماهو دور مديرية الوسائل التعليمية في تزويد المدرسة بالخرائط والاشكال
والمجسمات

عدد الخرائط

عدد المجسمات

الكروت الارضية

وسائل اخرى

المجموع *

ثانياً : الكتاب المدرسي

- ١ - هل الخرائط الموجودة في الكتاب المدرسي توضح المعلومات الواردة فيه نعم لا
- ٢ - هل تكفي بهذه الخرائط نعم لا
- ٣ - اذا كان الجواب بـ (لا) فكيف تعوض هذا النقص

ثالثاً : طرق التدريس

- ١ - هل حاولت رسم خرائط على السبورة مع كل درس بعض الاحيان لا استعمل
- ٢ - هل استعملت الطبائير الملون لتوضيح الظواهر على الخارطة المرسومة على السبورة نعم لا
- ٣ - هل خصصت درسا او قسما من درس لقراءة الخريطة وتوضيح مصطلحاتها (نعم) لا
- ٤ - هل يوجد على جدران الصفوف خرائط توضيحية نعم لا
- اذا كان الجواب بنعم يرجى الاجابة على الاسئلة التالية :
- مطبوعة مع ذكر الجهة التي طبعتها العدد موضوع الخريطة
- ساهم الطلاب برسمها
- ساهم المدرس برسمها
- ساهم المدرس والطالب برسمها
- ٥ - هل تحتوي النشرات المدرسية على خرائط توضيحية نعم لا
- ٦ - هل يشترك الطلبة بتعيين الظاهرة على الخارطة الجدارية نعم لا
- ام توضع الخريطة امامهم ويقوم المدرس بالشرح نعم لا

- ٧ - هل تعتمد على خرائط الكتاب ام الخرائط الجدارية ام الاطلس
٨ - اسم الاطلس الموجود في المدرسة العدد اسم الاطلس لغة الاطلس
٩ - هل وزعت هذه الاطلس على الطلبة واستملها اثناء الشرح نعم لا

رابعاً : الواجبات والامتحانات

- ١ - هل يمتلك الطلبة دفتر رسم الخرائط نعم لا
٢ - هل يجري التصحيح للدفتر بانتظام وتوضع عليه الدرجات نعم لا
٣ - هل تحسب الدرجات ضمن المعدلات الفصلية نعم لا
٤ - هل يتحسّس الطلبة عند تكليفهم برسم الخرائط نعم لا
إذا كان الجواب بـ (لا) يرجى وضع علامة امام السبب

نواحي مالية

عدم توفر المواد المطلوبة للرسم في السوق

عدم معرفة الطلاب الرسم

اسباب اخرى (تذكر رجاء)

- ٥ - ماهي الطريقة التي يستعملها الطلاب في رسم الخرائط

الاستنساخ من الاطلس او الكتاب

التكبير والتصغير بواسطة المربعات

الكبير والتصغير الكيفي دون التقيد بقياس الرسم

استعمال جهاز الباتوكراف او الفانوس السحري

- ٦ - ماهو تجاوب ادارة المدرسة لطالب مدرس الجغرافية في توفير

الامكانيات لتهيئة الخرائط جيدة متوسطة ضعيف

٧ - هل لعدم ورود سؤال في الامتحانات الوزارية علاقة باهمال الخرائط نعم لا

٨ - هل اعطيت اسئلة في الامتحانات المدرسية عن الخرائط نعم لا

٩ - ماهي الطريقة التي اتبعتها في اعطاء الخريطة بالامتحانات المدرسية وزعت خرائط صماء

الشرح مع استعمال الخريطة .

طرق اخرى (يرجى ذكرها) .

تحليل نتائج الاستبيان

اتفق من الاستبيان ان عدد المدرسين المتخصصين ١٣٠ متخصصا من اصل ٢٥٢ وان ١٠٣ غير متخصصين و ١٩ لم يذكر شيئا ، وبذلك يلاحظ مايلي

نسبة التخصيص الى المجموع الكلي ٥١.٥٩٪

نسبة غير المتخصصين الى المجموع الكلي ٤٠.٨٧٪

نسبة غير المبين الى المجموع الكلي ٧.٥٤٪

واذا اعتبرنا غير المبين هم غير متخصصين ايضا فتكون نسبة غير المتخصصين الى المجموع الكلي ٤٨.٤١٪ وهذا يوضح بان عدم الالتزام بالاختصاص الدقيق لازال سائدا في مدارسنا ، فرغم عدم احتياجات مديريات التربية في المحافظات الى متخصصين في الجغرافيا لتدريسها ، فان نسبة كبيرة تقارب النصف من القائمين على تدريس المادة من غير الاختصاص ، وهذا يوضح بان توزيع المدرسين غير عادل بين المدارس ، فتركيزهم يتم في بغداد ، ثم في مراكز المحافظات وفي الاعمال الادارية

الوسائل التعليمية

أ - الخرائط التي تملكها المدارس

تبين من الاستبيان ان اغلب الموجود من الخرائط في المدارس هي خرائط غير صالحة للاستعمال حيث احتلت نسبة ٨٧.٥٪ وان سبب عدم صلاحيتها هو

خرائط ممزقة بنسبة ٤٨.٤٪ من مجموع الخرائط غير الصالحة للاستعمال
خرائط قديمة بنسبة ٣٥.٧٪ من مجموع الخرائط غير الصالحة للاستعمال
خرائط معلوماتها غير وافية بنسبة ٥.٤٪ من مجموع الخرائط غير الصالحة للاستعمال

خرائط معلوماتها غير صحيحة بنسبة ٨.٥٪ من مجموع الخرائط غير الصالحة للاستعمال

أسباب أخرى ٢٪ من مجموع الخرائط غير الصالحة للاستعمال

وهذا يوضح النقص الشديد الذي تعانيه مدارسنا من الخرائط ، مما يزيد العبء على مدرسي الجغرافيا في افهام الطلبة المادة النظرية . وبذلك ابتعدت مدارسنا عن التطبيق العملي واقتصرت على الطريقة القائمة على الحفظ والتلقين لمحتوى الكتاب من دون فهم مبصر وتصور واضح له . وهذه الطريقة تبعث السأم والملل في نفوس الطلبة . وتجعل تعلمهم لمادة الجغرافية تعلما لفضيا اليها قصير الاثر .

ورغم ان نسبة الخرائط الصالحة للاستعمال تمثل ١٢.٥٪ فانها موزعة بحسب تخصصها كما يلي :

خرائط طبيعية ٤٨.٦٪

خرائط سياسية ٣١.٦٪

خرائط العالم ١٩.٨٪

اما بالنسبة لخرائط القارات فقد وجدت موزعة كما يلي :

الخرائط الطبيعية ٤٥٪

الخرائط السياسية ٣٧٪

الخرائط الاقليمية ١٨٪

وخرائط الاقطار موزعة كما يلي

الخرائط الطبيعية ٤٤٪

الخرائط الاقليمية ٣٠٪

الخرائط السياسية ٢٦٪

يتضح من ذلك بأن أغلب خرائط القارات المتوفرة لدى المدارس تخص

الجانب الطبيعي ثم الجانب السياسي وأخيراً الجانب الاقليمي .

وقد احتلت الخرائط المسئلة للاقطار المكانة الاولى بين الخرائط

المتوفرة في المدارس ، حيث كومت نسبة ٥٢ر٥٪ ، والخرائط المسئلة للقارات

نسبة ٣٢ر٦٪ وخرائط العالم نسبة ١٤ر٩٪

ولتوزيع الخرائط حسب القارات والاقطار ، يتضح بان خرائط العراق

والوطن العربي احتلت المرتبة الاولى وهي اكثر من نصف الخرائط ، ومابقى

موزع بين القارات الاخرى ،

يوضحه الجدول التالي :

٥٥ر١٪	خرائط العراق الى المجموع الكلي
	خرائط الوطن العربي الى المجموع الكلي
١٠٪	خرائط قارة اسيا الى المجموع الكلي
٩ر٨٪	خرائط قارة افريقية الى المجموع الكلي
٨ر٨٪	خرائط قارة اوربا الى المجموع الكلي
٥ر٦٪	خرائط قارة استراليا الى المجموع الكلي
٥ر٥٪	خرائط قارة امريكا الشمالية الى المجموع الكلي
٥ر٢٪	قارة امريكا الجنوبية الى المجموع الكلي

ولدى الرجوع الى تجهيزات مديرية الوسائل التعليمية للمدارس خلال
لأعوام العشرة الماضية اتضح مايلي (٢)

عنوان الخريطة	العدد الموزع على مدارس العراق السنة	
خريطة العراق الادارية	٦٤٥٠	١٩٦٨
خريطة الوطن العربي	٦٢٥٠	١٩٦٨
توزيع الضغط والرياح لشهر كانون الثاني	١١٠٠	١٩٧١
توزيع الضغط والرياح لشهر تموز	١١٠٠	١٩٧١
خطوط الحرارة المتساوية لشهر كانون ثاني	١١٠٠	١٩٧١
خطوط الحرارة المتساوية لشهر تموز	١١٠٠	١٩٧١
المناخ في الوطن العربي (صيفا وشتاء)	١٥٠٠	١٩٧٣
المعدل السنوي للأمطار في بعض مدن الوطن العربي	١٥٠٠	١٩٧٣
المطبخ العربي	٧٨٠٠	١٩٧٣
سائح العراق	٧٨٠٠	١٩٧٣
بلاد الشام	٩٠٠٠	١٩٧٥
المنطق الطبيعية	١٢٠٠٠	١٩٦٦
الوطن العربي - طبيعية	١٢٠٠٠	١٩٧٦
الوطن العربي ادارية	٨٥٠٠	١٩٧٦
المقر السنوي للوطن العربي	١٥٠٠	١٩٧٦
العراق الادارية - الجديدة	١٢٠٠٠	١٩٦٧
مديرية الشرب	٣٠٠٠	١٩٦٧
أرضي في العراق	٣٠٠٠	١٩٦٧
العالم - طبيعية	١١٥٠٠	١٩٦٨

٢ وزارة التربية المديرية العامة لتجهيز الوسائل التعليمية - سجن
المصورات - شمس مطبوع ١

ومن ملاحظة توزيعات مديرية الوسائل التعليمية ، اتضح بان الخرائط التي تخص الوطن العربي تمثل ٥٠٪ ، وكل من الخرائط التي تخص العراق والعالم ٢٥٪ على التوالي . وان خرائط العالم الخمسة خرائط طبيعية احدهما تمثل التضاريس والاربع الاخرى تمثل عناصر المناخ .

وبعد مقارنة هذه الخرائط مع المنهج الدراسي للصفوف الثلاث ، يتضح بان خرائط العالم يسكن الاستفادة منها في الصفوف الاولى من المدارس المتوسطة حيث يدرس كتاب مبادئ الجغرافيا العامة ، وخرائط الوطن العربي تخص الصف الثاني حيث يدرس كتاب جغرافية الوطن العربي وخرائط العراق تخص الصف الثالث ، حيث يدرس كتاب جغرافية العراق وبعض الاقطار المجاورة .

ب - الافلام التي تتضمن الخرائط

ان عرض الافلام كوسيلة مساعدة في فهم مادة الجغرافيا لايعوض عن استعمال الخارطة وتوفرها ، كما تربط الطالب بالمادة التي يدرسها ويحبها اليه .

وقد تبين من الاستبيان ان ٩٨٫٥٨٪ من مجموع الاجابات بان مدارسهم لاتملك جهاز عرض للافلام ، و ٩١٫٦٪ لاتملك جهاز عرض السلايدات . ونتيجة لذلك فان عرض الافلام سيكون معدوما تقريبا . ومن الاجابات كذلك يتضح بان ٩١٫٤٪ من المدارس لم تعرض الافلام . وان الافلام التي تخص الخرائط محدودة جدا ، حيث بلغت نسبة الاجابة بالنفي ٩٩٪ .

ولدى احصاء عدد الافلام التي تحويها مكتبة مديرية الوسائل التعليمية التابعة الى وزارة التربية تبين انها ٢٠٨١ فلما ، منها ١١٣٤ فلما متحرکا و ٩٤٧ فلما ثابتا . وتمثل الافلام التي تخص الجغرافيا نسبة ١٢٫٦١٪ من

مجموع الافلام المتحركة ، تنخفض النسبة الى ٦٨٧٪ / بالنسبة للافلام المتحركة والثابتة . اما الافلام التي تخص الخرائط فهي اربعة افلام فقط باللغة الانكليزية . وبذلك تحتل هذه الافلام نسبة ٢٧٩٪ / من مجموع الافلام الجغرافية وهذه الافلام هي^(٣)

١ - خطوط الطول والعرض : ١٠ دقائق باللغة الانكليزية ويشمل المبادئ التي تستند عليها خطوط الطول والعرض ودورها في تعيين المواقع المختلفة

٢ - فهم الخريطة : ١١ دقيقة ، ويشمل العلاقة بين الخارطة البسيطة والمساحة الجغرافية التي تمثلها انواع الخرائط .

٣ - الخريطة لعالم متغير : ١١ دقيقة باللغة الانكليزية ويشمل مفهوم خريطة العالم ويشرح الفرق بين الخرائط الكروية والمسطحة .

٤ - ما الخريطة : ١٠ دقائق باللغة الانكليزية ، ويشرح فهم طبيعة الخرائط

ورغم وجود هذه الافلام في مديرية الوسائل التعليمية ، فان الاستفادة منها لازال محدودا ، وقد بلغت نسبة الذين لا يستفيدون من هذه الافلام ٨٤٧٪ /

ولدى تدقيق سجلات استعارة الافلام في مديرية الوسائل التعليمية الى المحافظات خلال السنوات التسع الاخيرة يتضح مايلي^(٤)

(٣) وزارة التربية ، المديرية العامة للمناهج والوسائل التعليمية دليل الافلام التعليمية المتحركة والثابتة والشرائح مطبوعة اوقست الاخلاق ، بغداد بدون سنة .

(٤) وزارة التربية ، المديرية العامة للمناهج والوسائل التعليمية سجلات استعارة الافلام للمحافظات (غير مطبوع) ١٩٧٠ - ١٩٧٨ .

المحافظة	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
دهوك	—	—	—	—	—	—	—	—	٢
اربيل	١	٥	٣	٣	٨	٤	٧	٥	—
السليمانية	٥	٣	٤	٧	٤	٢	٦	٢	—
التاميم	٩	—	—	٥	٥	٢	٢	—	—
نينوى	٧	—	—	٣	٦	—	—	—	—
ديالى	١٢	٨	—	—	—	٦	—	—	—
الأنبار	٣	٣	١	—	٨	٣	٤	—	—
واسط	٣	٥	٢	—	٣	١	١	—	٥
بابل	٢	٢	١	١	٣	٢	٧	—	٢
كربلاء	١٣	٣	٦	٧	٦	٥	٧	٤	١
صلاح الدين	—	—	—	—	—	—	—	—	٢
النجف	—	—	—	—	—	—	—	—	—
ذي قار	—	١	—	—	١	٢	٤	—	—
القادسية	—	٣	—	—	—	—	١	١	—
ميسان	٥	—	—	—	—	—	—	—	٢
المنشي	—	—	—	٣	٤	—	—	١	—
البصرة	١	٣	—	١	٢	١	٢	—	—
بغداد	٢	١٨	٣٣	٥٤	١٣	٢٨	٨٤	٥١	١١٢
المجموع	٦١	٥٤	٥٠	٨٤	٦٣	٥٦	١٢٤	٦٤	١٢٧

يلاحظ من الجدول ما يلي :

- ١ - ان عدد الافلام المستعارة قليل جداً .
- ٢ - ان هناك بعض المحافظات لم تستفد من الافلام اطلاقاً . وان محافظة بغداد استفادت اكثر من غيرها بسبب قربها من مديرية الوسائل

التعليمية ، وكثرة عدد المدارس فيها • ولكن لا يعتبر ذلك ميزة لها ، لأن عدد الأفلام المستعارة من قبلها بحكم موقعها هو عدد ثانوي لا قيمة له

٣ - لقد وزعت وزارة التربية جهازي عرض سينمائي كاملة لكل محافظة وجهاز عرض سلايدات • وإن هذه الأجهزة تحفظ في مراكز المحافظات ، ولا يمكن نقلها إلى الأقضية والنواحي للاستفادة منها ، كما لا يمكن الاستفادة منها حتى في نفس مركز المحافظات لصعوبة نقله إلى المدارس •

ثالث : الكتاب المدرسي

أكدت ٨٣٪ من الاجابات بأن الخرائط التي تحويها الكتب الجديدة توضح المعلومات الواردة فيها ، ولكن رغم ذلك فإن هذه الخرائط لا تعتبر كافية للدرس للاستعانة بها لفهم الطلاب • وقد وضحت ٤٩٪ من الاجابات ذلك ، واعتبرت ان هذه الخرائط لا يمكن الاكتفاء بها •

ومن حصر الخرائط الموجودة في الكتب الدراسية الثلاث وجدنا مايلي

١ - كتاب الصف الاول المتوسط - مبادئ الجغرافية العامة (٥)

يحتوي على ٣٨ خريطة موزعة كمايلي

الباب الاول - الارض ، شكلها حركتها

طبيعة تكوين الكرة الأرضية - اليابس والماء والمناخ / ٢٣ خريطة

١

النبات الطبيعي

٢

السكان

السكران وعين حسين وأحرون ، مبادئ الجغرافية العامة ، طبعته الأولى ١٩٦٨

الباب الثاني التنوع الاقليمي

٦ قارة اوربا ، اسبانيا

٦ قارة امريكا الجنوبية البرازيل

٢ - كتاب الصف الثاني متوسط - جغرافية الوطن العربي^(٦)

يحتوي على ٣٨ خريطة موزعه كما يلي

٣ الباب الاول : مساحته ، شكله ، حدوده ، موقعه

١٠ الخصائص الطبيعية

١٢ الحياة الاقتصادية

٢ السكان

٥ الباب الثاني الدول الافريقية المجاورة للوطن العربي

٣ - كتاب الصف الثالث المتوسط - جغرافية العراق وبعض الاقطار المجاورة^(٧)

يحتوي على ٢٨ خريطة موزعة كما يلي

١٣ الباب الاول : الظروف الطبيعية للعراق

٩ الحياة الاقتصادية في العراق

٣ السكان في العراق

٣ الباب ٠ الثاني تركيا وايران

ورغم ان هذه الكتب تعتبر خطوة جيدة ومتقدمة في هذا الباب بمقارنتها مع الكتب القديمة ، حيث استعملت فيها الخرائط الملونة لأول مرة فانها لازلت عاجزة عن ان تقدم للطالب ما ينبغي ان تقدمه في موضوع الخرائط . فلا زال كثير من الخرائط التي تحويها غير وافية ، وتحتاج الى تبديل او توضيح ، لا يتسع المجال هنا لمناقشة ذلك .

(٦) الدكتور ابراهيم شريف وآخرون ، جغرافية الوطن العربي . مطبعة اوفسيت السعدون ، بغداد ١٩٧٨ .

(٧) الدكتور حسن عليوي خياط وآخرون ، جغرافية القطر العراقي وبعض الدول المجاورة ، مطبعة الشرق الاوسط ، بغداد ١٩٧٨ .

أما عن تعويض النقص فقد أوضح الاستبيان ٦١٪ من المدرسين يستعينون بالرسم على السبورة ، و ١٤٪ يستعينون بالخرائط المرسومة من قبل الطلبة و ١٢٪ يستعملون الخرائط الجدارية ، و ٩٪ يستعملون الاطالس و ١٪ يستعملون وسائل ايضاح اخرى .

ويبدو ان تعويض النقص لم يتم بصورة جيدة ، الا في حالة واحدة هي استعمال الاطالس ، ورغم ذلك فان الاعتماد على الاطالس لازال محدودا وذلك بسبب قلتها لدى المدارس ، وما توفر منها فان نسبة ٩٨٪ هي الاطالس العربية ، وهذا النوع من الاطالس لازال دون المستوى الجيد المطلوب واغلبها اطالس تجارية يلتمس اصحابها الربح السريع .

ثالثا طرق التدريس

لقد حاول البحث معرفة دور المدرس في تأكيده على رسم الخرائط ، فجاءت النتائج حول رسم الخريطة على السبورة ، بان ٥٧٪ يرسم الخرائط بعض الاحيان ، و ٤٢٪ يرسم في كل درس .

وحول توضيح الظواهر المختلفة على الخرائط فان ٨٩٪ من المدرسين يستعملون الطباشير الملون لذلك ، وهذه النسبة جيدة وينبغي تشجيع المدرسين على مواصلة تطبيقها .

وحول تخصيص درس او جزء منه لقراءة الخريطة ، فقد اوضحت الاجابات بان ٨٩٪ منهم يخصص ذلك . ورغم عدم كفاية ذلك ، فانه لازال ١١٪ لم يخصص حتى اقل من درس واحد لقراءة الخريطة وفهمها حتى يستطيع الطالب الاعتماد على الخريطة في البيت .

ووجد من تفاصيل الاجابات بان الخرائط الموجودة على جدران المدرسة والصفوف قليلة العدد ، وقد ساهم في رسم اغلبها المدرس والطالب معا اما المساهمات الفردية للمدرس او الطالب فهي محدودة .

وحول نشاط الطلاب اللاصفي اتضح بان نسبة ٧٨٪ من النشرات المدرسية تحتوي على خرائط توضيحية للمقالات المنشورة فيها ، موجودة هذه الخرائط سوف يعود الطالب على الربط بين المادة الجغرافية والخريطة .

وحول نشاط الطلاب داخل الصف ، فان ٥٨٪ من الاجابات اوضحت اشتراط الطلبة مع المدرس في تعيين الظاهرة على الخريطة التي امامهم . و ٣٩٪ منهم يكتفي المدرس بالشرح لوحده على الخريطة دون اشتراك الطلاب ، ٢٦٪ فقد يكتفي المدرس بوضح الخريطة امامهم . وهذا يوضح بأن الطريقة المتبعة في مدارسنا هي طريقة خاطئة حيث تعلق الخارطة على الجدار أو السبورة امام الطلاب ، ويشير اليها المدرس أثناء الشرح أو لا يشير اليها ، وينظر اليها الطلاب من بعيد بما لا يحقق للطلاب امكانية تحديد مكان الظاهرة أو شكلها بشكل دقيق وصحيح ، وبذلك تفقد قيمتها العلمية .

رابعا : الواجبات والامتحانات

للاواجبات والامتحانات دور كبير في اثارة اهتمام الطلاب في مدارسنا نحو المواد التدريسية . وان تأكيد المدرس في هذين المجالين على الخرائط سوف يزيد من مضاعفة جهود الطلبة وتحسبهم لتعلم رسم الخرائط والاستعانة بها .

ومن الاجابات يتضح بان اغلب المدرسين يقررون على الطلبة امتلاك دفتر للخرائط . حيث بلغت النسبة ٩٩٪ ، ويصحح الدفتر بانتظام ، وتوضع عليه الدرجات ، حيث بلغت النسبة ٩٨٪ . واحتساب الدرجات الموضوعة ضمن المعدلات الفصلية تم بنسبة ٩٥٪ . والنتيجة المتوقعة من هذه النسب الجيدة هو اهتمام الطلاب بهذه الدفاتر . وقد اوضحت ٨٠٪ من الاجابات بان الطلبة يتحمسون عند تكليفهم من قبل المدرس برسم الخرائط .

أما النسبة الباقية التي لا تتحس للرسم فيعود الى اسباب عديدة
توضح كما يلي :

- عدم معرفة الطالب بالرسم بنسبة ٥١٧٪ من ال ٢٠٪
- الناحية المالية ١٣٥٪ من ال ٢٠٪
- عدم توفر المواد المطلوبة في السوق ١٢٤٪ من ال ٢٠٪
- اسباب اخرى ٢٢٤٪ من ال ٢٠٪

وانني اعتقد بان عدم معرفة الطالب الرسم هو الاساس في عدم تحمسه
لرسم الخريطة • لان مجانية التعليم • ورخص المستلزمات التي يتطلبها رسم
الخريطة ، ينفي جميع الاسباب الاخرى •

اما الطريقة التي يستخدمها الطلاب في رسم الخرائط فقد اوضحت الاجابات
بن ٤٠٥٪ هي الاستنساخ من الاناسي و ١٨٦٪ استعمال طريقة المربعات
و ٣٨٧٪ من الطلبة يرسمون الخرائط دون الالتزام بأي طريقة من طرق
رسم الخرائط الصحيحة • و ٢٢٪ استعمال الباتوكراف والفانوس السحري
وهذا يوضح بانه لازالت هناك نسبة عالية من الطلبة تستعمل الطريقة الخاطئة
وهذا ما يستدعي الى تكريس الجهود لاجل انهاء ذلك لما فيه من خطورة كبيرة •

وحول الاسئلة في الامتحانات النهائية او علاقتها برسم الخرائط، اوضح
٩٦٪ من المدرسين بانهم يعطون اسئلة في الامتحانات المدرسية عن الخريطة
والطريقة المثبتة كما يلي :

٦٧١٪ يعطي سؤالاً يطلب فيه الشرح • ثم رسم الخريطة التي توضح
منسوحة

٢٦٤٪ خرائط صماء

٦٥٪ طرق اخرى

أما الامتحان الوزاري للصف الثالث ، فيبدو ان الاسئلة تهمل الخرائط
او حتى التأكيد عليها . منالا يشجع المدرس والطالب على التأكيد على الخرائط
وان ٤٦٥٪ من الاجابات اوضحت بان عدم ورود سؤال في الامتحانات
الوزارية له علاقة باهمال الخريطة .

اما عن تجاوب ادارات المدارس لمطالب مدرس الجغرافية ، فان ٨٣٥٪
اوضحت انها جيدة و ١٥٪ متوسطة و ١٥ غير جيدة وهذا يوضح بان المجال
امام مدرس الجغرافية واسع للعمل طالما ان ٩٨٥٪ من هذه الادارات متجاوبة
معه .

التوصيات والاستنتاجات

١ - التأكيد على ادارات المدارس الالتزام بالتخصص عند توزيع
الدروس ، واعادة النظر في توزيع مدرسي الجغرافية بين المدارس ، وعدم
تركزهم في مراكز المحافظات واشغالهم في الاعمال الادارية .

٢ - لازالت المدارس تفتقر الى الخرائط الكافية التي تسبح للمدرس
التحرك بحرية بما يخدم الموضوع ، ولازال الكادر الذي تعتمد عليه مديرية
الوسائل التعليمية في اعداد الخرائط ، لا يتلائم مع امكانية تحقيق هذا الهدف
ويتطلب ذلك تأليف لجنة يشترك فيها المتخصصون في موضوع رسم الخرائط
من اساتذة الجامعة لوضع خطة لاكثر من سنة لتحديد الخرائط التي ترسم
والتي تحتاجها المدارس . وتقوم بالاشراف العلمي على مايعده كادر وزارة
التربية من الخرائط .

٣ - اعداد مجموعة من الخرائط الصامته لكل مرحلة دراسية توزع
على طلبة المدارس . لان هذه الخرائط تحدد مقدار اتقان الطالب للمادة .
فالطالب الذي يتقن موقع الظاهرة يستطيع ان يضعها بسهولة ودقة .

٤ - تزويد المدارس سنوياً بالحد الأدنى من الاحتياجات الضرورية لأعداد الخرائط كالورق واقلام الرسم والحبر الصيني والالوان المختلفة ، او تخصيص مبالغ الى ادارات المدارس لشراء هذه الاحتياجات ، وخصوصا ان الجهة التي توفر هذه المستلزمات هي مؤسسات القطاع الاشتراكي مما يسهل ذلك .

٥ - الاستعانة بمديرية المساحة العامة لتزويد كافة المدارس بخرائط ذات مقياس كبير تخص العراق والمحافظات ، ويفضل وضع نسخة من هذه الخرائط في مكان بارز من المدرسة ، ويعين عليها موقع المدينة او القرية ، ولو اتسع الامر الى امتلاك خريطة للمدينة يوضع عليها موقع المدرسة ، كي ينظر الطلبة الى الخارطة كوسيلة ايضاح عملية الى جانب الاستفادة منها في السفرات القصيرة .

٦ - تشجيع اقامة المعارض الجغرافية ، في الفصل الثاني من العام الدراسي ، وفي مراكز المحافظات ، يخصص فيها جوائز للدارس الفائزة . لاجل حث مدرسي الجغرافية والادارات على الاهتمام باعداد خرائط تختلف عما تعدده وزارة التربية ، وتشجع الطلاب على الرسم .

٧ - تخصص غرفة خاصة لرسم الجغرافية وعرض الافلام ، مستقلا عن مرسوم التربية الفنية ، وليس تابعا له ، ويفضل انتقال الطلاب اليه خلال الساعات العملية كما ينتقلوا الى غرف المختبرات . حتى لا يضطر المدرس الى نقل كثير من المستلزمات التي يحويها المرسوم .

٨ - زيادة الحصص المخصصة لتدريس مادة الجغرافية من ساعتين اسبوعيا الى ثلاث ساعات ، وتخصص الساعة الاضافية كساعة عملية للتأكيد على رسم ودراسة الخريطة .

٩ - زيادة الوسائل التوضيحية في فهم المادة الجغرافية كعرض الافلام الجغرافية او السلايدات والاستعانة بالكرات الارضية ، واستخدام الاشكال البيانية التوضيحية وغيرها ورغم ان مكتبة مديرية الوسائل التعليمية غنية بالافلام والسلايدات فان الاستعانة بها لازال معدوما ، لان ذلك قد وضع على عاتق المدرس ، مما عطل الاستفادة من هذه الافلام ، وانني ارى ان توضح خطة في مديرية الوسائل التعليمية ومراكزها في المحافظات ، اوعلى ضوءها توزع الافلام على المدارس خلال اشهر السنة لعرضها على الطلبة .

١٠ - التأكيد على مديرية المناهج والكتب بالفصل بين المادة العلمية للكتاب الجغرافي المؤلف والخرائط والاشكال التي يحتويها ، لان اغلب الكتب المؤلفة جيدة من الناحية العلمية ، ولكنها غير جيدة من حيث اعداد الخرائط التي تظلمها ، وغير موفقة في اختيار الاشكال البيانية والرسوم التوضيحية ، بالاضافة الى الاخطاء العلمية التي تحتويها هذه الخرائط سواء في اطارها الفني او العلمي . لذا يقترح عرض خرائط كل مؤلف على المتخصصين برسم الخرائط من اساتذة الجامعة ، او تكليفهم برسم هذه الخرائط وتسليمها جاهزة للطبع وهذا افضل وخصوصا ان المديرية في مرحلة اعادة طبع هذه الكتب الجغرافية الجديدة .

١١ - ادخال موضوع الخرائط ضمن المناهج الدراسية كموضوعا مستقلا توزيع فصوله على الكتب المدرسية المقررة ، حتى يستطيع الطالب ان يلم بالموضوع عن فهم وادراك .

١٢ - التأكيد على مدرس الجغرافية اشراك الطلاب في استعمال الخارطة الصفية عند تحديد الظواهر او المناطق التي يرد اسمها اثناء الدرس ، وبذلك نحقق مشاركة الطالب مع المدرس للاستفادة من الخريطة ، بدلا من اعتبارها صورة معلقة امام الطلاب ينفرد فيها المدرس لوحده بالاشارة اليها او عدم الاشارة .

١٣- استخدام الخريطة في السفرات التي يقوم بها الطلاب ، وبذلك
خلق الطالب ربطاً دراسته النظرية مع دراسته الميدانية .

١٤- اعداد دورات صيفية لمدرسي الجغرافية والقائمين على تدريسها ،
لتدريبهم على طرق رسم الخرائط وقراءتها ، حتى يستطيع المدرس تعويد
الطلاب على استعمال الطرق الصحيحة عند تكليف الطلاب برسم الخرائط .

١٥- التأكيد على المشرفين على طرق التدريس في مادة الجغرافية الذين
يوزعون المدارس في بغداد والمحافظات ، الاهتمام بدور الخريطة كوسيلة
ايضاح ضمن التدريس ، وحث المدرسين على استعمالها باستمرار ، وتقديم
كشف مفصل لاحتياجات المدارس يقدم الى مديرية الوسائل التعليمية للاهتمام
به كسح ميداني عند وضع خطة اعداد الخرائط .

١٦- التأكيد على لجنة وضع الاسئلة الوزارية ، بادخال الخريطة الصماء
ضمن الاسئلة التي تعطى للطلاب - لحث المدرس والطالب على الاهتمام
بالخريطة .

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجلد ناقص بوده است

فصورة الارض الصحراوية الجافة ، شديدة الحرارة ، قليلة النبات والحيوان ، وما يرتبط بها من حياة بدوية لسكانها ، طغت على معظم الدراسات التي تناولت تاريخ العرب القديم ، واعتمدت بشكل كبير في تفسير أحداثه .
وان اعتماد هذه الصورة في تفسير اسباب هجرة سكان الجزيرة العربية القدماء فيما يعرف بالهجرات السامية ليست بعيدة عن الازمان . وذهب بعض الباحثين لأكثر من ذلك عندما ارجعوا النتاجات الحضارية العربية القديمة في مجالي العمارة والفنون الى تأثيرات الاقوام المجاورة ، وانها دخلت ارض جزيرة العرب عن طريق الاحتكاك بين العرب والامم المجاورة وهو الامر الذي حدث متأخرا بسبب الصلات التجارية ، وقد استفاد بعض هؤلاء الباحثين لدعم تفسيراتهم من بعض التشابه القائم بين عناصر حضارية عربية واخرى أفريقية او فارسية ^(١) ولكننا نعرف ان من اساسيات الحضارات المتقدمة شدة تفاعلها مع بعضها البعض اخذا وعطاء .

ومثلما كانت هذه الصورة المرسومة لاحوال البيئة العربية القديمة مشجعة لهؤلاء الباحثين ، كان نقص المعلومات عن مخلفات العرب الاقدمين مؤيدا لاستنتاجاتهم من جانب آخر .

ان اعمال الاستكشاف والتنقيب الاثريين الواسعة التي تشهدها مناطق مختلفة من جزيرة العرب في السنوات الاخيرة كقيلة الى حد بعيد بتغيير هذه الصورة ، او جانب منها ، وهي تواصل تقديم ادلة جديدة عن واقع حضاري متقدم للعرب القدماء على ارضهم في جزيرة العرب وضمن واقع بيئي مغاير لما هو عليه الان تماما .

Gus van Beek : "South Arabian History and Archaeology"

(١)

تعريف بالجزيرة العربية واحوالها البيئية

الجزيرة العربية ارض مترامية الاطراف تبلغ مساحتها زهاء (١٢٠٠٠٠٠٠٠) ميلا مربعا ، وهي تحتل الاقسام الجنوبية الغربية من قارة آسيا ، تحيطها البحار من ثلاث جهات فهي شبه جزيرة ، لكن البلدان العرب المسلمين جوزوا تسميتها « جزيرة العرب » ان ابرز ما يميز ارض جزيرة العرب ثلاثة اشكال من التضاريس :-

١ - الجبال في الاقسام الغربية المتاخمة للبحر الاحمر ، وفي الاقسام الجنوبية ابتداء من مضيق باب المندب وحتى رؤوس الجبال عند مضيق هرمز (رأس مصندام)

٢ - الهضاب • وتغطي معظم اقسام الجزيرة العربية منا يلي مناطق الجبال ، وهي عبارة عن بحار من الرمال الواسعة تتناثر في بعض اقسامها توءات صخرية اعتاد العرب على تسميتها بالجبال ، وهي معالم بارزة يستدل بها في منطقة شاسعة وتشابه في مواصفاتها •

٣ - الواحات ، وتوزع في مناطق متفرقة من ارض الجزيرة ، ولكنها تكثر غالبا على الاطراف وبخاصة الجهات الشرقية ، كما نجدها احيانا في مناطق الوسط •

وعلى الرغم من اختلاف هذه التضاريس فان الطبيعة الصحراوية والارض الرملية تمثلان الصفة البارزة لاكثر من ٤/٥ مساحة جزيرة العرب ، وحتى المناطق الجبلية في جزيرة العرب تبدو غالبيتها جرداء قليلة الغطاء النباتي مما يجعلها تشابه الارض الصحراوية من حيث بيئتها واحوالها •

ومما يزيد من جفاف جزيرة العرب وشدة حرارتها وغلبة الطبيعة الصحراوية عليها انها لاتعرف انهارا كندجلة والفرات والنيل وامطارها قليلة جدا ، حيث تعجز سلسلة جبال تهامة الرياح العكسية الممطرة عن التوغل في

أعماق الأرض العربية ، كذلك تفعل السلاسل الجبلية الجنوبية في حجز الرياح الموسمية . وما يتجاوز هذين الحاجزين من الرياح المحملة ببخار الماء يصادف ضغطاً عالياً بسبب الحرارة الشديدة فتتصاعد عالياً في طبقات الجو وتسير نحو الشرق أو تتلاشى في طبقات الجو العالية وإذا تهيأت الظروف المناخية لاسقاط المطر على ارض الجزيرة العربية وذلك ما يحدث في الشتاء والربيع ، فهو يروي بعض الظمأ ، وقبل ان ترتوي بعض الحشائش والشجيرات العطشى تبتلعها الأرض الرملية وتخزنه في جوفها ليتدفق عبر طبقات صخرية حتى يجد بعض المنافذ عند الواحات في اطراف الجزيرة فيتدفق ليملا الأرض خيراً وعطاءً .

ويكون طبيعياً ان مثل هذه الظروف البيئية تناسب انواعاً معينة من الحيوانات والنباتات التي لها من المواصفات التركيبية ما يناسب مع هذه الخصائص الحياتية ، من ذلك مثلاً الأبل من بين الحيوانات وانواع خاصة من الشجيرات من صنف الشوكيات التي تتناثر هنا وهناك على أرض الجزيرة العربية .

ومن الطبيعي ايضاً الا تتناسب هذه الظروف البيئية مع حياة مستقرة متطورة ، لذلك كانت البداوة سمة الحياة الغالبة على سكان الجزيرة العربية ولكن هذه الصورة لواقع الحياة والبيئة الحديثة لأرض الجزيرة العربية ، تعم خطأ في غالب الاحايين لتشمل الواقع القديم لبلاد العرب .

فأولاً وقبل كل شيء علينا ان نخرج مساحات واسعة من أرض جزيرة العرب خارج إطار هذه الصورة ، وهي تلك الأرضين التي توفر كل شروط الأرض الزراعية الخصبة التي هيأت فرصاً للتطور الحضاري المتقدم في تاريخ العرب القديم والمعاصر ، من ذلك العربية الجنوبية بشكل خاص ومناطق

الواحات الواسعة المتناثرة على أقسام من أرض الجزيرة العربية، كالحجاز وبعض مناطق شرقي الجزيرة العربية على مقربة من سواحل الخليج ومناطق أخرى متفرقة .

ان هذه الاقسام من جزيرة العرب لاتخضع للشروط البيئية العامة التي تتصف بها غالبية ارض الجزيرة في الوقت الحاضر ، لذلك فمثليا كانت هذه الاقسام مراكز حضرية متطورة في تاريخ العرب القديم فهي مناطق كثافة سكانية ملحوظة في الفترات التاريخية اللاحقة وحتى في الوقت الراهن ، ولها من الامكانيات الطبيعية مما يشكل مرتكزا جيدا لبناء حضاري شامخ .

ولكن بعض هذه الاقسام من ارض العرب ، التي لا يختلف اثنان في شروط الحياة المشجعة فيها ، تشير في جملة من الادلة المباشرة وغير مباشرة الى ان اهميتها تضاءلت تدريجيا ، وضعفت قدراتها على النماء ، وانخفضت نسبة الكثافة السكانية فيها . وان من بين الاسباب لهذا التغيير تبدل الاحوال البيئية في عموم ارض الجزيرة العربية والتي شملت بتأثيرها هذه الاقسام ايضا .

وعليه ، يبدو لنا جليا بان دراسة احوال المجتمع واحداث التاريخ والحضارة العربية القديمة لاتستقيم الا من خلال تفهم دقيق وواضح للواقع البيئي القديم الذي كانت عليه ارض الجزيرة العربية .

وتواجهنا في هذه الدراسة صعوبة رسم الحدود الزمانية للبحث . واذا كان ظهور الاسلام يؤشر الحدود النهائية ، لانه بالاضافة الى احداثه تغييرا جذريا في بنية المجتمع العربي واساليب حياته ، فبفضله ايضا وصنتنا ادق التسجيلات عن واقع الحياة والبيئة العربية ، ولكننا بسبب اعتيادنا المخلفات المادية من آلات وادوات وبقايا ابنية ورسوم كثرائن للأوضاع البيئية ، فان قدم هذه المخلفات سترسم الحدود الاولى للبحث .

ان دراسة تاريخ العرب القديم على الرغم من تقدمها الكبير في السنوات الاخيرة ، لاتزال تلمس بدايات الطريق الطويل • كما ان تحديد الفترات التاريخية والحضارية لاتزال تعتمد المقارنة بأدلة الفترات التاريخية والحضارية لمراكز الحضارات المجاورة مثل حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل •

الادلة المعتمدة في الدراسة :

أشرنا فيما سبق اننا سنعتمد الادلة المادية في تحديد تصوراتنا لبيئة الجزيرة العربية القديمة ، فبقايا الابنية والمستوطنات في مناطق من ارض العرب تنعدم فيها حاليا شروط الحياة الانسانية تشير علينا بواقع بيئي مختلف • كما ان صور الحيوانات التي لاتتفق مواصفاتها البايولوجية مع بيئة جزيرة العرب الحالية ، والتي نجدها تتكرر في مناطق مختلفة ، نرى فيها ايضا اشارات ذات دلالات قوية بخصوص الاختلاف في الواقع البيئي ، بخاصة اذا ما وجدت هذه الادلة الاثرية دعما لها في الكتابات القديمة •

ان بقايا خزانات الماء ومشاريع الارواء ودلائل زراعة الارض كلها اشارات الى ظروف بيئية اكثر تشجيعا على الحياة والنماء والتطور في عصور الجزيرة العربية القديمة •

وستكون لنا وقمة مع القرآن الكريم ومبلغ عنايته بما يرتبط بالزراعة واسبابها وذكر انواع النبات والثمار وبعض الحيوانات، وهي معلومات تنجّه جميعا لتأكيد الواقع البيئي المشجع على الزراعة والتحضر والتي شهد الاسلام اواخره • وسنجد لتعليمات القرآن الكريم وعنايته بالزراعة واسبابها ترجمة في الواقع العملي لحياة العرب من مراسلات النبي ص •

واخيرا، سيكون للتفتيش بين ثنايا كتب المؤرخين والبلدانيين العرب فائدة كبيرة في تقصي المعلومات عن آثار العرب الاقدمين وانماط حياتهم وضيعة بلادهم ، بخاصة تلك المعلومات التي تربط روايتها بالجن والعمالقة والاقوام البائدة ، وباختصار الروايات الاسطورية عن الواقع القديم ، الذي يؤكد قدم ذلك الواقع •

الأدلة الأثرية :

١ - رسوم الحيوانات

وغير لنا كتاب « دليل الآثار في المملكة العربية السعودية » صوراً
جغرافية رائعة لمعالم أثرية متفرقة من افحاء مختلفة من جزيرة العرب •
وان من أبرز الصور التي تهمننا في موضوعنا الحالي صور النعام والخنازير
والثيران والماعز والاسود • لقد حُفرت رسوم هذه الحيوانات على الواجيات
الصخرية للتواءات والكتل الصخرية (الجبال) على مفترقات الطرق في
جزيرة العرب •

جائتنا هذه الرسوم من مناطق مختلفة من ارض جزيرة العرب ، منها
في نجد على مقربة من الرياض والمدن القريبة منها ، واخرى قريبة من حائل
وبعضها مجاور لتبوك ، وتكثر صور الاسود في منطقة الحجاز بحيث ان
واجهتي ضريحين او مدفين نحتتا على هيئة اسد •

اما تاريخ هذه الرسوم فأمر غير مؤكد حتى الوقت الحاضر ، ولكنها
قطعا ترجع الى الفترات التي سبقت الاسلام بسبب موقف الاسلام المتشدد
من اعمال الرسم والنحت والتصوير • كما ان بعض الادلة الكتابية القديمة
المنقوشة بجوار هذه الرسوم على الصخور ذاتها ، يستفاد منها في اعطاء
تاريخ تقريبي لهذه الرسوم • فيتأرجح زمنها بسوجب ذلك ما بين ٤٠٠ ق • م
- ٥٥٠ م • (٢)

لقد تم اكتشاف قشور بيض النعام مشكلة على هيئة كؤوس في بعض
قبور البحرين وهي تؤرخ بحدود الالف الثانية ق • م (٣) ولوحظت اواني

١- مقدمة عن اثار المملكة العربية السعودية : ادارة الآثار والمتاحف - وزارة
المعارف المملكة العربية السعودية ١٩٧٥ ص ١٧-١٨

(٢) G. Bibby : Looking for Dilmun, Proof Edition book, 1973, (٢)
P. 33, 77.

مماثلة في قبور منطقة « هجر بن حيد » (حضر موت) ^(٤) تؤرخ بحدود القرن الثاني ق . م . واخيرا فان كؤوسا مماثلة مصنوعة من قشور بيض النعام ومطعمة باصداف واحجار عثر عليها في المقبرة الملكية في أور ، وبعضها من معروضات المتحف العراقي ببغداد .

وهكذا تزداد ادلتنا عن انتشار هذا الحيوان في مناطق واسعة من ارض جزيرة العرب . ويذكر المؤرخ اليوناني زينيفون (٤٠١ ق . م .) الى ان اقليم الجزيرة شرق الفرات كان يعج بافواج من الحيوانات البرية مثل الحمر الوحشية(*) والنعام والحباري وبقر الوحش ، ويتحدث عن طريق صيد هذه الحيوانات ويؤكد صعوبة الامساك بالنعام ^(٥)

ويقتات النعام النبات ولكنه يتناول بعض الاحيان المواد الغذائية الحيوانية ويتحمل النعام العطش لفترة طويلة ، وانقرض هذا الحيوان من سوريا والجزيرة العربية في عام ١٩٤١ م ، ويتنشر الان وباعداد قليلة بشمال افريقيا من المغرب حتى السودان . ^(٦) ان اختفاء الحيوان حاليا من مناطق جزيرة العرب لا يمكن تفسيره الا في ضوء التغيرات البيئية .

Richard Le Baron Bowen and Frank P. Albright, Archaeological Discoveries in South Arabia. Baltimore, 1958, P. 8. (٤)

(*) تشكل عظام الحمر الوحشية اكبر نسبة بين بقية انواع العظام المكتشفة في تل «ام الدباغية» الذي يقع على مقربة من مدينة الحضر ويرجع زمنه الى حدود الالف الخامسة ق.م وعظام الحمر الوحشية بنسبتها العالية ليس لها مثيل في كل مواقع العصر الحجري في الشرق الادنى القديم . انظر (Sandor Bokonyi, "The Fauna of UMM Dabaghiyah" IRAQ, XXXV, (1973) P. 9

F.R.B. Godolphin, The Greek Historians, vol. II, New York, 1942 Xenophon, Anabasis, I - 5 - 1, (407 B.C.) (٥)

The New Encyclopaedia Britannica, (ostrich) London 1974. (٦)

والخنزير حيوان آخر يؤثر الواقع المناخي المتغير للجزيرة العربية ،
مبالأضافة الى ورود ذكره في القرآن الكريم في معرض تحريم اكله ، وهو امر
يشير الى توفره في بلاد العرب واعتياد العرب على صيده وتناول لحمه ، نجده
ايضا مصورا على بعض الواجهات الصخرية ، وهو في شكله المرسوم اقرب
الى شكل الخنازير البرية .

يقتات الخنزير الوحشي بشكل رئيس على البلوط والجذور وثمر
شجرة الزان ، وبذلك فحياته تشير الى ملائمة لمنطقة نفضية معتدلة^(٧) . كذلك
يسكننا اعتماد بيئة القسم الجنوبي من العراق حيث تكون كثرة المستنقعات
الكثيفة بالاحراش وغابات القصب واشجار النخيل بيئة مثالية لحياة
الخننازير الوحشية . فهل كانت بيئة خير وفدك والمدينة والطائف والعلا
ونبهاء وغيرها من مناطق الواحات والمياه الوفيرة بيئة مقاربة الشبه لبيئة العراق
الجنوبية ؟

ونستطيع ان نستنتج من رواية سجلتها كتب التاريخ العربي واقعا يثينا
لخير يتمق كثيرا مع استنتاجاتنا قيروى ان شاعرا فقيرا كثير العيال قصد خير
برغبة التخلص من بعض اولاده بسبب تفشي وباء الملاريا فيها وقال هذين
البيتين :

قت لحسى خير استعدي هناك عيالي فأجهدي وجدي
وباكبرى بصالب وورد أعانك الله على ذا الجند^(٨)
ونكه حم ومات وبقي عياله

I. W. Cornwall, Prehistoric Animals and their Hunters, London 1968, P. 48-49.

١٨ زكريا بن محمد بن محمود القزويني (توفي ١٢٨٣ م) : آثار البلاد واخبار
العباد ، دار صادر بيروت ، ص ٩٢

فانتشار الملاريا ملازم لكثرة المياه الراكدة التي يحتلها كانت
نفيض عن حاجة الاراضي الزراعية لتستقر بعدئذ في اطراف المدينة حيث المنخفضات
الأرضية . وربما يفسر ذلك تقصير سكان خير في الاستفادة الصحيحة
والقصوى من المياه ضمن مشروعات ارواء لاغراض الزراعة ، فادى ذلك
بالمياه الفائضة للتجمع في المنخفضات التي اصبحت بيئة جيدة لمعيشة البعوض
ومها يمكن من اسباب تجمع المياه فهي تشير من جانب اخر الى وفرتها في بيئة
خير . وكانت خير حتى عهد الاسلام الاول مدينة مشهورة بزروعها وبساتين
نخيلها وكثرة ناسها^(٩) وتقدم لنا رسوم الصخور صور الثيران ، التي يظهر
فيها بقرون طويلة واخرى قصيرة . والثيران والابقار عموما تلتصق حياتها
بالمناطق الزراعية الوفيرة المياه ، وهي تفضل مناطق الحشائش المعتدلة ومناطق
الغابات النفضية المكشوفة^(١٠) . واذا كانت بعض الثيران والابقار المدججة قد
نقلت الى مناطق جزيرة العرب من الاطراف او من افريقيا ، فيبقى امر بفر
الوحش الذي يدعونا الى اعادة النظر في امر تواجدها على ارض العرب ،
وقد تردد مرارا ذكر هذا الحيوان بصفته الوحشية في الشعر العربي القديم ،
وكان مضربا للامثال في شعر «الايام» وهو توكيد على صلة وثيقة للعرب بهذا
النوع من الحيوانات^(١١) . ولانجد مناصا من الاقرار ببيئة طبيعية مناسبة لحياة
هذا الحيوان .

اما الاسود فهي تتألف لحد وقتنا الحاضر مع المناخ الحار للاراضي
المعشبة قليلة الاشجار في افريقيا (مناطق السافانا^(١٢)) وتعتاش الاسود
عادة على الحيوانات التي تكثر في مثل هذه المناطق كالضياء والآيل وحر
الوحش والابقار وغيرها .

(٩) القزويني ، المصدر السابق ص ٩٢

Cornwall, op. cit.

(١٠)

(١١) د . عادل جاسم الببائي ايام العرب (القسم الاول) بغداد ١٩٧٦ ص ٢٣٥

Cornwall, op. cit.

(١٢)

ان رسوم الاسود التي وصلتنا تتركز في منطقة الحجاز مما يرجح ان تكون مصادر الزراعة ومصادر المياه وبخاصة العيون اكثر واكبر حجما مما هي عليه الان . ولاتزال المنطقة تشتهر بكثرة واحاتها ووفرة مياهها بالقياس لغيرها من اقسام بلاد العرب . وبسبب هذه الخاصية للمنطقة فقد كانت قديما طريق مرور الشواغل التجارية الرئيسي الذي يربط جنوبي جزيرة العرب بمدن الشام وسواحل البحر المتوسط ، وبخاصة وهي تنحصر بين سلسلة جبال تهامة من الغرب وبين صحراء نجد واطراف الربع الخالي من الشرق .

اما الماعز الجبلي ذو القرون الطويلة فتتكرر رسومه من مناطق مختلفة من جزيرة العرب ، والماعز كبقية الماشية يفضل مناطق الحشائش المعتدلة الوفيرة المياه . ولكن اطلاقه تتيح له حرية الحركة في المناطق الصخرية والجبليية ، لذات نكسر تربيته في الاقسام الجبليية من جزيرة العرب حيث تتوفر مستلزمات حياته من نبات وماء . ولاتزال مناطق العربية الجنوبية تشتهر بتربيته حتى الوقت الحاضر (١٣) .

٢ - مشاريع الارواء القديمة .

وابرز مايلفت الانتباه في المخلفات الاثرية ومن اقسام متعددة من جزيرة العرب ، سعة بقايا الاعمال المتعلقة بالارواء من سدود ومصارف وسواقي وتنوت جوفية (أفلاج) وصهاريج وخزانات . وهي تمثل شواهد حية تتحدث عن جوانب التقدم في حياة العرب القديمة . وليس غريبا ان تصادف معظم هذه المخلفات في مناطق بعيدة عن الحياة الحضرية ويغلب عليها اليوم طابع الصحراوي وتراكم في اطرافها الرمال .

(١٣) بخصوص رسوم الحيوانات المستعرضة انظر (مقدمة عن اثار المملكة العربية السعودية الصفحات : ٢٢ ، ٢٦ - ٧١ - ٨٢ ، ٦٨ ، ٩٨ ، ١٣٥٠ ، ١٢٥٠) .

وانظر ايضا بخصوص نواجد وانتشار هذه الحيوانات (د حواد طلي : المقام في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٥) .

قفي دراسة تاريخية قيمة عن تاريخ الري في وادي حضرموت بجنوبي الجزيرة العربية ، يقدم الباحث لدراسته بهذه الاسطر ذات الدلالة العميقة والتي تهمنا في بحثنا هذا : « في أقليم جغرافي كجزيرة العرب ، واليمن منها خاصة ، تلعب الامطار والسيول وما ينظم للاستفادة منها من صهاريج وسدود ومصارف وسواق ، دورا رئيسيا هاما في مجال الري والزراعة ، قامت عليها حضارات عندما كانت هذه السدود والسواقي قائمة ومعبورة ثم بادت هذه الحضارات عندما خربت وتهدمت (١٤)

كان وادي حضرموت ، الجاف حاليا ، في الفترة الى ما قبل (٢٠٠٠٠٠ - ٢٥٠٠٠ سنة الماضية نهرا عظيما يتدفق نحو الشرق (١٥) ، وتصب فيه روافد لاحصر لها هي تلك الوديان الصغيرة التي تؤدي الى حضرموت (١٦)

(١٤) علي عقيل : « نموذج تاريخي عن الري في وادي حضرموت » مجلة التراث - المجلد الاول العدد الاول مارس ١٩٧٧ ، عدن ص ١٨٨ .

(١٥) ان كثيرا من وديان الجزيرة العربية التي تشهد تدفق الماء فيها موسميا اثر سقوط الامطار في فصلي الشتاء والربيع ، يبدو انها كانت في تاريخ الارض العربية القديم دائمة الجريان ، او تبقى المياه في قيعانها على مدار السنة على اقل تقدير مما دفع بسكنة الجزيرة العربية على تسميتها بالانهار وبقيت هذه التسمية في المتوارث الشفهي حتى فترات التدوين التاريخي من ذلك مثلا تسمية وادي الثرثار الذي يمر بجوار مدينة الحضر بنهر الثرثار ، ويصفه القزويني على الوجه الاتي : « وبجانب المدينة (اي الحضر) نهر الثرثار ، وكان نهرا عظيما عليه جنان بناها الضيزن بن معاوية » (القزويني ، المصدر السابق ص ٣٥٤) وانظر ايضا التعليق على رواية هيرودتس بشأن نهر «كورس» في جزيرة العرب ، ورواية بطليموس بشأن نهر «لار» المصدر التالي (د . جواد علي . المصدر السابق ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٠)

(١٦) علي عقيل : المصدر السابق ص ١٩٠ .

وتذكر جاكين بيرن في تقرير لها عن شبوة عام ١٩٧٥ مايلي « عززت الرؤية الجوية وجود ما كنا قد اشرنا اليه وشاهدناه من قنوات للري على وجه الارض ، وكانت المساحات المزروعة هائلة تتجاوز بدرجة كبيرة الحقول انحالية المحيطة بالمدينة كما انها كانت تمتد حتى منطقة تبدو اليوم صحراء (١٧) »

ان انتظام الري في وادي حضرموت في العهود السالفة كغيره من اودية اليمن بالاستفادة القصوى من هطول الامطار ، والاعداد لمياهها في الاودية القريبة والبعيدة بالسدود والمصارف والسواقي ، وزراعة هذه الادوية بانواع الاشجار وخاصة النخيل وبالفلات الموسمية والخضار والفواكه ، جعل تبعا لذلك . دورة ماء الطبيعة منتظمة ، فتھطل الامطار موسميا ، دون حدوث أي جفاف او محل . كما انه نتيجة لذلك صار اختزان الارض للمياه جوفيا متاحا ومتيسرا بل حتميا ، فكان ذلك عاملا مساعدا في سهولة حفر الابار وقرب مياهها وبسر رفعها دون عناء . الى ذلك فان ارتفاع منسوب المياه الجوفية اعطى التربة الامكانية لدوام التندبة وتغذية جذور الاشجار وخاصة النخيل دون حدوث مثل هذا الجفاف المستمر والنتاج عنه فناء النخيل يوما عن يوم . وفوق هذا فان جبال وادي حضرموت معظمها رسوبية تسمح اذا هطلت الامطار بان تنبت العشب الذي يخفض من حرارة الجبال المؤثرة في تلاشي السحب ، وتعطي بالعكس البرودة الكافية لتكوين السحب وهطولها (١٨) .

وربما يتم التذرع بالاحوال المناخية ونقص المياه طبيعيا مما تترك اثره على عموم المنطقة ووادي حضرموت بالذات ، ولكن الاستاذ علي عقيل يقدم لنا في بحثه قائمة طويلة بالسيول التي شهدتها المنطقة منذ عام ١٢٢٥ م وحتى سنة ١٩١٣ م ، ذكرا اكبر السيول واغزرها في كل قرن ، (١٩) وكان لبعضها

(١٧) علي عقيل : المصدر السابق ص ٢٠١

(١٨) نفس المصدر ص ٢٠٦

(١٩) نفس المصدر ص ٢١٠-٢١٣

أثارا سلبية على المنطقة . لذلك يضطرنّا الباحث الكريم للاتفاق معه بأن سبب خراب المنطقة واندثار معالم العمران والحضارة فيها إنما يرجع إلى تقصير الإنسان وليس الطبيعة (٢٠) .

وفي قسم آخر من أرض جزيرة العرب ، نجحت بعثة أثرية من تتبع بقايا قنوات الري الجوفية ، وكان ذلك في منطقة « صحار » على ساحل خليج عمان . فكانت واسطة الري هذه هي التي تسببت - بالإضافة إلى النشاطات التجارية - في ازدهار مدينة صحار في حدود القرنين التاسع والعاشر الميلاديين وتأكدت البعثة بدليل امتداد هذه القنوات « تعرف محليا باسم الافلاج » أن مساحة الأراضي الزراعية كانت في تلك الفترات تفوق كثيرا مساحتها الحالية (٢١) .

ربما يؤكد اعتماد هذه الطريقة على نطاق واسع وفي أنحاء مختلفة من جزيرة العرب . ما كشفت عنه أعمال البعثة الدانمركية في جزيرة البحرين من بقايا قناة حجرية تأخذ المياه من عيون طبيعية في هضبة عالية في قلب الجزيرة وتسير بها صوب الغرب إلى مجموعة من الحقول والبساتين لاتزال آثار بعضها قائمة لحد يومنا الحاضر . ولكن القناة لم تعد تصرف المياه كسابق عهدها إلى المنطقة الزراعية . ويرى المنقبون الدانمركيون أنها ربما استعادت نشاطها لو خضعت لعملية تنظيف وصيانة واسعتين ، وفي قولهم هذا إشاره إلى تقصير الإنسان أكثر من تقصير الطبيعة (٢٢) .

(٢٠) علي عقيل : المصدر السابق ص ٢١٤

J. J. Wilkinson, "Sohar Ancient Fields project" in the Journal of Oman Studies, vol. I (1975) P. 159 ff. (٢١)

Bibby : op. cit. P. 66-68 (٢٢)

ان طريقة الارواء بواسطة الافلاج ، او القنوات الجوفية ، هي الطريقة المسمى للنري في المناطق الممكن تنفيذها من ارض الجزيرة العربية . فهي تتألف على نظام المياه في منطقة تكثر فيها الرياح الحاملة للاتربة والرمال ، وتحافظ على كيانها من فعل الحرارة الشديد التي تؤدي الى تسرب نسبة عالية من المياه المكتسوفة بسبب التبخر . واخيرا فهي تتحكم في مسير المياه الجوفية صوب مناطق الاستسار الزراعية^(٢٣) لذلك نجد لها واسعة الانتشار في اقسام من جزيرة العرب ، في الحجاز وفي الخرج وفي الاقسام الشرقية ولعل في رواية هيرودتس عن عادة العرب القدماء في صنع قنوات من جلود الحيوانات ينقلون بواسطتها المياه من نهر يسميه هيرودتس نهر «كورس Corys» صوب مناطق بعيدة في قلب الصحراء ويخزنونها في صهاريج خاصة يرتادونها عند تنقلاتهم ، لعل في ذلك اشارة تاريخية قديمة الى اسلوب بناء القنوات الجوفية او الافلاج^(٢٤)

ومن اقصى الجنوب الغربي لجزيرة العرب ، ومن عدن بالذات ، نتعرض الى نموذج اخر من مشاريع الارواء المتقدمة ، حيث تواجهها في هذه المدينة ابنية في غاية المثانة والاتقان نحتت في الصخر على شكل احواض كبيره تتدرج في مستوياتها وتتصل فيما بينها ، يبلغ عددها (١٧) حوضا تقع على وادي الطويلة في مدينة كريت من المحافظة الاولى في جمهورية اليمن الديمقراطية . ووادي الطويلة عباره عن مضيق يبلغ طوله (٧٥٠) قدما يتلقى مياه المطر التي تنزل من اعالي الجبال وتصب في البحر . فمنعاً لتسرب المياه هدرا الى البحر ومنعاً لتجريب السيل اقساماً من مدينة عدن القديمة شيدت هذه الصهاريج اصلاً كخزان لحفظ المياه للشرب . ويرجح ان يكون بناؤها في القرن

(٢٣) رضا جواد انباشمي : « الافلاج » مشاريع الارواء العربية القديمة .
 مجلة الادب - بغداد العدد / ٢٥ / ١٩٧٩ الصفحات ١٥-٤٠ .

Herodotus. III. 7-9

الاول الميلادي على عهد الحسير بين أن لم يكن قبل ذلك التاريخ . وتبلغ
سعة الاستيعاب لهذه الصهاريج مجتسعة حوالي عشرة ملايين غالون ماء . ان
خزانات ماء عدن القديمة تحولت اليوم الى معالم اثرية سياحية بعد ان
افتقدت مصادر مياهها . (٢٥) .

وحيثما تجولنا في اقسام جزيرة العرب واجهتنا بقايا الجهد الانساني
العظيم والذي حول مناطق واسعة من جزيرة العرب الى جنات رغيدة كثيرة
المياة والزروع تسرح في ارجائها ، بحكم هذا الواقع ، العديد من الحيوانات
والماشية التي تصادف بعض رسومها على واجهات الصخور ، كذلك حفظت لنا
المدونات العربية المختلفة صوراً واضحة عنها .

تنتشر بقايا مشاريع الارواء في مناطق غدت اليوم قاحلة وموحشة ، ولم
تكن لتلفت الانتباه لولا بقايا هذه المشاريع الاروائية القديمة ، من ذلك مثلاً
بقايا حوض تجميع المياه شيد سوره الخارجي من الحجر يقع في منطقة فيد
جنوب حائل ، وهو على مقربة من طريق الحج العراقي للديار المقدسة
المعروف باسم طريق زبيدة^(٢٦) وحتى لو كان الحوض من المنشآت الاسلامية
فيبقى على الرغم من تاريخه الحديث نسبياً مؤشراً لنجاح الجهود الانسانية
في تسخير الطبيعة لخدمة الاغراض الانسانية المتعددة .

وفي المنطقة الشمالية للمملكة العربية السعودية وعند « قريات الملح »
يواجهنا بناء على شكل سور مستطيل مشيد بالحجر غير المهندم يشك في كونه
حوض تجميع مياه ، يزيد طولاً عن كيلو متر واحد (٢٧) ولا تزال المنطقة

(٢٥) لجنة مشروع الصهاريج وادارة الآثار والمتاحف . وزارة الثقافة والسياحة
عدن - جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . الطبعة الاولى

(٢٦) مقدمة عن اثار المملكة العربية السعودية ص ٦٦-٦٨ .

(٢٧) نة المصدر ص ٩٥

القريبة من خير والطائف تشهد بقايا أبنية سدود لتجميع المياه لاغراض الشرب والزراعة ، منها سد الحصين جنوب خير^(٢٨) وبركة الخرابة شمال شرقي الطائف مسافة (٩٥ كم)^(٢٩) ، وسد السلقي جنوبي الطائف مسافة (٣٥ كم)^(٣٠) .

وإذا كانت آثار البرك واحواض تجسيع المياه وبقايا قنوات الري واثار الحرث تختفي بفعل حركة الرمال وزحفها صوب الاقسام المعمورة ، فان بقايا المدن والاسوار والحصون المنتشرة في مناطق متعددة من جزيرة العرب تقدم صورة اوضح لمعالم الحياة العربية القديمة في هذا الجزء من المعمور .

والمهم في جملة الابنية الاثرية المكتشفة انها تشير الى جهود انسانية عظيمة ومتقدمة من الناحيتين الفنية والمعمارية ، كذلك تبين منها امكانيات مادية هائلة توفرت على تشييد مثل هذه الابنية . واكثر من ذلك ، فان هذه الابنية تنتشر اليوم في مناطق صحراوية قاحلة ، قلما تتوفر فيها شروط حياتية تناسب مع حجم الابنية القديمة ، مما يدفعنا للشك في وجود ظروف مناخية انسب وجهود انسانية اكبر هيأت فرص الحياة المتطورة في هذه البقاع .

تعد الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي وعلى مسافة حوالي (٧٠٠) كم جنوب غرب الرياض ، بالقرب من ملتقى سلسلة جبال طويق مع وادي الدواسر ، تقوم اطلال مدينة « الفأو » الاثرية القديمة . وقد شهدت المدينة اعمال تنقييات نفذها قسم التاريخ والاثار بكلية الاداب في جامعة الرياض برئاسة الدكتور عبدالرحمن الانصاري في السبعينات ، اسفرت عن اكتشاف العديد من البقايا العمرانية من جملتها مركز سوق كبير يدل على الدور التجاري الهام الذي لعبته المنطقة منذ اكثر من ايام سابقة . ومن خلال ثلاثة مواسم

(٢٨) نفس المصدر ص ١٢٥

(٢٩) نفس المصدر ص ١٥٧

(٣٠) نفس المصدر ص ١٦١ - ١٦٢

نقبيات تهيئها اطلال المدينة . تم الحصول على كسيت كبيرة من التحف والاثار النفيسة مما يتم عن مستوى حضاري متقدم احرزته المدينة ابان عمرائها . منها مقابض ابواب صنعت من البرونز على هيئة اسد واوار فخارية يرجع تاريخها الى حدود القرن الثالث ق م . (٣١) .

ويستدل على هذا التاريخ للمدينة من شكل الاواني الفخارية التي تميز الفترة الحضارية المعروفة بالهلينستية والقرثية (٣٢) .

والنموذج الآخر للابنية الكبيرة الذي تعرضه للقاريء جاءنا من المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية على مقربة من قرية صغيرة تعرف بالثاج تقع الثاج على مسافة نحو (٨٠) كم غرب مدينة جيل على ساحل الخليج العربي ، وهي قرية صغيرة على اطراف سبخة واسعة تعرف بسبخة الثاج . وعلى اطراف هذه السبخة ايضا كشف عن بقايا سور خارجي ضخم يبلغ طوله حوالي (٩٠٠) م شيد من الحجر بسك يبلغ (٨) م . وقد اجرت البعثة الدانيسكية استكشافا اوليا في اطلال هذه المدينة عثرت اثناءه على بعض اللقى الاثرية التي من ابرزها دمي طينية على هيئة اشكال ادمية وحيوانية تنسب بموجب اشكالها الفنية الى العصر الهلنستي في حدود القرن الثالث ق م (٣٣) .

(٣١) مقدمة ، المصدر السابق ص ١٨-٢١

(٣٢) مقدمة ، ص ٢١ . يلاحظ على صورة الاواني الفخارية المنشورة على هذه الصفحة من كتاب « مقدمة » اناء يشبه انومرية كثيرا والتي ذكر على مثال لها في المواقع السلوقية والقرثية في العراق . منها موقع « نل اسود » الذي لقبت فيه هيئة قسم الاثار بجامعة بغداد واثار نل اسود بها . « الزمزمة » معروضة الان في متحف قسم الاثار بكلية الاداب - جامعة بغداد .

Bibby : op. cit. P. 337 ff.

تدلت وجدت في اطلال المدينة نقوش كتبت بالخط المسند يعود تاريخها الى اواسط الالف الاول ق.م * ويرجع تاريخ هذه النقوش تاريخ المدينة الى القرن الثاني * وعموما ، فان بقايا مدينة الشاج كما تكشف عنها الصور الجوية والآثار قليلة المتفرقة التي جاءت منها تؤكد فترة من الازدهار والتقدم الحضري * ولا يمكن تصور مثل ذلك الازدهار دون توفر الشروط الحضرية المناسبة (٢٤) ونشير في هذا المجال ايضا الى مايقال عن بقايا مدينة اخرى «عاصرة للشاج تبعد عنها مسافة (١٥) كم نحو الشمال على مقربة من قرية «الحنا» (٢٥) * والموقعان قريبان من المنطقة التي تنتشر فوقها المستوطنات العبيدية .

تنتشر في المنطقة المحصورة ما بين حدود الكويت الجنوبية شمالا وشبه جزيرة قطر من جانب الساحل وواحة جابر بن من ناحية الارض ، مجموعة من المستوطنات التي ازدهرت في هذه المنطقة في حدود الالف الرابع ق . م . وبسبب الفخار المكتشف في هذه المواقع ، فهي تنسب الى الفترة الحضارية المروية في بلاد وادي الرافدين باسم «حضارة العبيد» نسبة الى اسم موقع احدى هذه المستوطنات «العبيد» يقع في جنوبي العراق غرب مدينة اور مسافة (١٥) كم . وهي بدلت تؤكد الصلات الوثيقة والتقليدية التي ربطت الخليج العربي ببلاد وادي الرافدين . والمهم ان هذه المستوطنات تنتشر على ساحل الخليج العربي شمالا يقيم بعضها في داخل الأرض لمسافة (٧٠) كم من الساحل ، وأنها كانت تمارس نشاطا اقتصاديا يعتمد صيد اللؤلؤ والاسماك ، وربما تصديرها الى بلاد وادي الرافدين . والجدير بالانتباه ان معظم هذه المواقع التي يزيد عدد المكتشف منها على (٢٠) موقعا ، يقع معظمها في مناطق تفتقر لشروط الحياة الأساسية وبرزها المياه العذبة ، مما يؤكد نوعا من التغير المناخي في المنطقة (٢٦) .

٢٤ - المصدر السابق ص ٢٧-٢٨ ، ٥٤-٥٥

٢٥ - نفس المصدر ص ٥٩

٢٦ - جواد الهاشمي : « وحدة العناصر الحضارية في الخليج العربي » في « دراسات في الحضارة العربية » مجلد ١٢٧/١٢٨ العدد ١٢٧/١٢٨

نعتقد ان الادلة المادية المطروحة سابقا تكفي لتركيب اطار عام واضح
للعالم الحياة القديمة في جزيرة العرب . وقد انعكس اثر هذا الواقع واضحا
في كل مانسى الينا من تراث العرب المدون شعرا كان ام نثرا . وفي مقدمة
التسجيلات الموثوقة لحياة العرب القديمة آيات القرآن الكريم وبعض
مراسلات الرسول محمد (ص) والخلفاء الراشدين ، حيث تبين منها صورا
متعددة للنشاطات الزراعية والاروائية التي بقيت الى عهد الاسلام الاول .

فبالاضافة الى الاشارات الواضحة في القرآن الكريم عن اقوام قديمة
عاشت في جزيرة العرب وبادت ، كقوم عاد وثمود ، فان معظم الامثلة
والتشبيهات والاستعارات التي يعتمدها القرآن الكريم انما تخلق انطبعا
واضحا عن بيئة زراعية تتدفق بالخير والعطاء يقابلها سعي متواصل وجهود
كبيرة يبذلها الانسان لاستثمار هذا الخير العسيم : تلقى كل الدعم والتبريك
في تعاليم الاسلام .

وربما يعترض البعض على محاولة استفادتنا من آيات القرآن الكريم في
تتبع الواقع الحياتي للعرب على اساس انه كتاب الله ورسالة سماوية لكل
العالمين ، وعليه فيصبح ان تكون الامثلة التي يوردها لاتتفق مع بيئة العرب
بل مع بيئات اخرى قد تكون في فارس او الهند او الصين .

ولكن بما ان القرآن نزل عريبا ، واللغة حالة تنعكس عليها الحياة
الاجتماعية للناطقين بها^(٣٧) ، وبما ان العرب كانوا لبنة الاسلام الاولى وهم

Montgomery Watt: "The Arabian Background of QUR'AN

(٣٧)

P. 7 First International Symposium on Studies in the
History of ARABIA : Sources of the History of Ara-
bia, University of RIYAD 1977.

المؤمنين حلوا لواء الرسالة الى العالمين ، لذلك يكون ضروريا ان تكون جميع الصور التي يوردها القرآن الكريم تجد لها معنى في لغة العرب . وبالتالي . فهي تعكس واقعا عاشه العرب . وقد لا تكون الشواهد التي يذكرها القرآن الكريم عامة بين جميع العرب وفي كل اقسام بلادهم ولكنها على الرغم من ذلك تبقى شاهدا على واقع زراعي وبيئي وحياتي يذوق كثيرا الواقع الحالي .

فمن الثمار التي ذكرها القرآن الكريم الاغراب والرمان والزيتون والتين والحبوب والتمور ، ومن الحيوانات ورد ذكر الماعز والاغنام والابقار والحير والبغال والخنازير والنحل . ويتردد كثيرا ذكر المفردات ذات العلاقة بعمليات الزرع مثل حرث وحصد وزرع ، وتكرر لفظة قرية وقرى اما الالفاظ التي تتصل بالماء من مطر وغمام ونهر وعين ووادي وشاطئ ، فهي كثيرة الورد ايضا . فقد وعد الله المؤمنين في القرآن الكريم « جنات تجري من تحتها الانهار » .

ويمكننا ان نستعين ببعض آيات القرآن الكريم لمعرفة شدة خصوبة الارض وازدهار المواسم الزراعية كقوله تعالى « كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة » (٢٨)

ومن بين مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، وهي التقارير التي بعث بها الرسول (ص) الى القبائل العربية في اقسام مختلفة من جزيرة العرب ، تتوضح منها اهمية الارض الزراعية وميسر السقي من آبار وعيون في حياة العرب .

(٢٨) سورة البقرة / ٢٦ . ايضا محمد فؤاد عبدالباقي : المعجم المفهرس لالفاظ

القرآن الكريم . مطابع الشعب / ١٣٧٨

فالرسول (ص) والخلفاء الراشدون يؤكدون في رسائلهم هذه موقف الاسلام من الممتلكات الزراعية . وتبرز من خلال ذلك اهمية الزراعة في الاقاليم العربية التالية من جزيرة العرب ، اليمن وعمان والبحرين واليامة . وتجمع (٤٣) رساله من تلك الرسائل على تناول الموضوعات المتعلقة بالارض الزراعية وثمارها ومياهاها ، وتحديد حقوق اصحابها الشرعيين وحقوق الاسلام فيها (٣٩) اما كتب المؤرخين والبلدانيين العرب المسلمين فتجتمتع فيها معلومات ثرية عن واقع بلاد وحياة العرب القديسين ، تتحدث عن غياض واسعة وارض ذات شجر وماء وفيرين ، وعن حيوانات لاتعيش الا خلال تلك البيئة ، ومنها حيوانات بحالة وحشية مثل بقر الوحش وحمار الوحش والاسود والنعام وغير ذلك . وما جنة عدن ومايحوم حولها من اخبار بعيدة عن الازهان ، حيث تنكز بصورتها في « أرم ذات العماد » (٤٠) « وجوف » (٤١)

ان بعض هذه المناطق الخصبة والتي تؤثر احوالا طبيعية مغايرة للواقع المعاصر ، شهد الاسلام بقاءها ، مثل ذلك اقليم اليمامة وهي ناحية بين الحجاز واليمن من احسن بلاد الله واكثرها خيرا ونخلا وشجرا ، وكانت في قديم

(٣٩) محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . دار الارشاد - بيروت ١٩٦٩ . ارقام الوثائق المعتمدة في الدراسة ١٠٢٣ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٦٦ ، ٦٦ / الف ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٥ / الف ٢٤٦ ، هـ ٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥

(٤٠) انقرويني ، المصدر السابق ص ١٥

(٤١) نفس المصدر ص ٤

الزمن من زمن طسم وجديس^(٤٢) وكان أسسها القديم رجوا وسيت بايضا منه نسبة الى اسم المرأة التي كانت تبصر على بعد مسيرة ايام في خير احسان بن بيع فيه شعر وضمنه قصة زرقاء اليمامة . وماراته من غابة متحررة بالتجاء المدينة وحقيقتها ان جيش معاد اقتلع الاشجار ليوهم الزرقاء ويخفي تحركه . فلهذه القصة مدلولها عاما في سياق حديثنا عن الواقع البيئي منطقتة اليمامة فالاشجار من الكثرة اولا مما تساعد على اقتلاع عدد كبير منها دون ان يترك اثرا على صورة المنطقة ، وان الاشجار ثانيا من العلو بحيث انها تخفي ورائها المحاربين .^(٤٣) وهي تذكرنا بصورة القتال في مناطق الغابات والاحراش حيث يخفي المقاتلون انفسهم تحت حزم اغصان الاشجار .

وما يتصل بحرب طسم وجديس اشارة لهجرة قبائل طي الى جبلي أجا وسلمى . اللذان يعرفان بجبلي طي . فطي كانت تسكن الجوف من أرض اليمن . وكان الوادي مسبعة لوهم قليل عددهم ، وكان يسر بهم بمسير في اوقات الخريف من كل سنة دون ان يعرفوا وجهته . فقال سيدهم اسمه بن لؤي : ان هذا البعير يأتينا من بلد ريف وخصب وانا لثري في بعره النسوى فأتبعوه حتى هبط على الجبلين فاصابت طي نخلا غزيرا في الشعاب وهو اشي كثيرة^(٤٤) .

ومما يكن من امر الاحداث الواردة في هذه الروايات ذات الطابع الاسطوري فهي تحلل في ثناياها ذكرى الاراضي الخصبة والناه الواسعة والبحيرات المتدفقة ، وربما عكس بعضه بقايا الواقع القديم للمنطقة اواخر العرب .

٤٢ - القرويني ، المصدر السابق ص ٢٢٠
٤٣ - د . عادل البياتي : ايام العرب . بغداد ١٩٧٦ ص ٢٣٠
٤٤ - المصدر نفسه ص ٢٣١

وتشتهر اليمامة في صدر الاسلام بسلسلة الكذاب وماتناقلته كتب التاريخ عن دعواه وبعض من افعاله واقواله . والذي نستشفه من هذه المعلومات يؤكد ان اليمامة كانت اقليما خصبا واسع الزراعة كثير الخيرات من ذلك مثلا « أن بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من العسل والسمن يعبدونه » (٤٥) ، والعسل والسمن تتاج مرتبط باخصب الاراضي الزراعية والتي يندر ان نجد لها مثيلا في المنطقة ذاتها في الوقت الحاضر . ويمكننا ايضا ان نستنتج نفس الشيء من بعض الكلام المسجوع الذي تثبته كتب التاريخ على انه - كما يدعي مسليمة - مما انزل عليه .

ان الاستطراء في ذكر المواضع الكثيرة جدا في ارض العرب قد يبعدنا عن صلب الموضوع ، وهي لكثرتها تستحق بحثا منهدا يركز على مناطق تواجدها ويحاول ايجاد الصلة فيما بينهما ، لذلك سأترك للقارئ الكريم مهمة الالتفات الى الاشارات الكثيرة بخصوص الاراضي الخصبة والمياه الوفيرة والثمار المختلفة وانواع الحيوانات في التراث العربي المدون ، وهي من جملة الخصائص البيئية التي تفتقد اليها جزيرة العرب في يومها الحاضر . (٤٦)

(٤٥) القزويني ، المصدر السابق ص ١٣٥

(٤٦) تحليل القارئ الى دراسة مسببة عن المدن التاريخية والمعالم الاثرية مستقاة من الشعر العربي القديم انظر (د . عادل جاسم البياتي : « المدن التاريخية والحصون الاثرية في الشعر قبل الاسلام » مجلة الاداب - بغداد ملحق ٢٣ / ١٩٧٨ ص ٤٨ فما بعد

العلم التجريبي عند روجر بيكن

د . قيس هادي احمد

كلية الآداب - جامعة بغداد

مقدمة

ظل العلم في اوربا الغربية متسماً بالشكلية والعمومية والاطلاق ، منصرفاً عن الملاحظة والتجربة العلمية ، الى ان جاء القرن الثالث عشر ، حين بدأ الفكر العربي يتمثل الفكر العربي ، بما فيه من تأكيد على العلم التجريبي . وقد كان روجريكن في ميوله التجريبية في تحصيل العلم ، شبيهاً بالمؤلفين العرب ، الذين اثروا فيه تأثيراً كان ابلغ من تأثيرهم في الكثرة الغالبة من سائر الفلاسفة المسيحيين^(١) .

لم يكن يشتغل بالعلم في العصور الوسطى الاوربية الا رجال الدين ، الذين وجدوا في منطق ارسطو ضالتهم المنشودة ، حيث خيل اليهم ان الطريقة المنطقية القياسية، تكفي وحدها لمعرفة القوانين التي تخضع لها الاشياء في سلوكها ، ولم يضعوا في نظر الاعتبار عيوب هذه الطريقة من الناحية العملية حيث ان الحقائق العلمية لا يمكن الوصول الى معرفتها بالطريقة القياسية وحدها ، بل لا بد من اجراء التجارب والقيام بالملاحظات . وقد كان روجر بيكن اول من اكتشف عيوب الطريقة القياسية في البحث العلمي ، حيث وجه

(١) رابورت (١ + س) مبادئ الفلسفة ص ٢٧ - ٢٨ :

عليها اعتراضات حاسمة وانتقادات منهجية ، قادت الى حد كبير من سيظرتها
على التفكير المدرسي^(٢) .

وود كانت طريقة المدرسين في البحث تنحصر في وضع القانون ، ثم
محاولة تطبيقه على الامور الجزئية ، في حين ان روجر يمكن دعا الى البدء
بالامور الجزئية والارتفاع شيئا فشيئا نحو صياغة القوانين الكلية ، وبهذا
أكد على اهمية البداية التجريبية في البحث العلمي ، وعدم صياغة القوانين
قبل اجراء التجارب ، فاستطاع ان يضع الاساس الصلب للعلم التجريبي
الاوربي الحديث^(٣)

لقد اثنى كثير من الباحثين في العصور الحديثة على روجريكن لانه
اعلى من شأن التجارب العلمية كمصدر اساسي من مصادر المعرفة وليس
من شك في ان اهتماماته ، وطريقة تناوله للموضوعات ، تختلف اختلافا واضحا
عما كان سائدا بين المدرسين ، الذين كانوا لا يجدون الا الطرق العقلية ولم
تكن التجارب مربطة عندهم الا بالشعوذة والسحر^(٤) .

وبالرغم من ان روجر يمكن كان متأثرا بطرق التفكير اللاهوتية الى حد
كبير ، بحيث اتنا لانستطيع ان نشبهه بالتجريبيين الآخرين في العصور
المتقدمة او المتأخرة ، الا ان هذا لا يقلل من اهميته التاريخية على الاطلاق ، بل
اتنا في الواقع لو قسنا فضلة بمقدار ابتعاده عن الآراء الشائعة في بيئته - وهو
المقياس الاكثر انصافا - لكان دفاعه عن العلم التجريبي في تلك المرحلة
التاريخية جديرا بالاعجاب حتى من قبل التجريبيين المعاصرين^(٥) .

The New Encyclopedia Britannica : Vol. 2 Article Roger Bacon. (٢)

Ibid : (٣)

(٤) رسل (برتراند) : تاريخ الفلسفة الغربية (الجزء الثاني) ص ٢٥١ ، ٢٥٤ .

(٥) راشنباخ (هانز) : نشأة الفلسفة العلمية ص ٧٨ .

حياة روجر بيكن وثقافته : -

لا يعرف بالضبط في أي سنة ولد روجريكن ولا في أي سنة توفي إلا أن أغلب المصادر تكاد تجمع على أنه ولد في سنة ١٢١٤م وتوفي في سنة ١٢٩٣م في إنجلترا .

إن حياة روجريكن التي قضى جانباً منها في أوكسفورد وجانباً آخر في باريس لتستوعب تلك الفترة الحيوية من القرن الثالث عشر بأكملها ، مما جعله واحداً من أكثر مفكري القرون الوسطى أثارة للاهتمام لما قدمه إبان حياته الطويلة للعلم والفلسفة من إضافات لا يمكن تجاهلها^(٦) .

بدأ روجر بيكن دراسته في جامعة أوكسفورد ، فأبدى تفوقاً ملحوظاً في المواضيع الأربعة التي كانت تدرس بصورة رئيسية في جامعات القرون الوسطى وهي (الحساب والموسيقى والهندسة وعلم الفلك) . وقد كان يهتم بقراءة مؤلفات أرسطو وسماع المحاضرات التي وكانت تنقى حصول فلسفته . وقد أبدى بيكن منذ تلك المرحلة المبكرة في حياته انكساره رأياً مخالفاً لآراء أساتذته في الجامعة ، وخاصة بالنسبة إلى أرسطو ، فهو بالرغم من أنه كان يحصل له احتراماً عظيماً ، لكنه ليس احتراماً غير محدود . فإرسطو عنده الوحيد الذي اجتمع الحكاء على أنه فيلسوف ، وهو ككل معاصرة تقريباً ، يستعمل كلمة (الفيلسوف) حين يتحدث عن أرسطو ، لكن بيكن ينيئنا (٦) أرسطو لم يبلغ غاية الحكمة الانسانية (٧) .

(٦) لمزيد من الفلسفة المختصرة ص ١٧٧ .

(٧) Copleston History of philosophy : Volume II. pp. 42-43 .

وبعد ان انتهى دراسته في جامعة اوكسفورد في سنة ١٢٤١ م ، ذهب الى جامعة باريس ليلقي المحاضرات هناك ضمن الهيئة التدريسية ، وفي نفس الوقت بدأ دراساته الجديدة في محاولة لبلورة منهجه الخاص . وقد كان معتدا بنفسه للانتقادات المتكررة التي كان يوجهها الى فلسفة ارسطو واساتذة جامعة باريس الذين كانوا خاضعين لهذه الفلسفة خضوعا تاما^(٨) .

وفي سنة ١٢٤٧م عاد روجر بيكن الى انجلترا ، فكرس نفسه حوالي عشرة سنوات للدراسات العلمية ، وقد استحوذت الكيمياء وعلم الفلك على تفكير بيكن بصورة رئيسية ابان هذه الفترة حيث ان هذين العلمين كانا في عصره مختلطين بالشعوذة والسحر ، فعلم الفلك كان يعني العرافة والتنجيم وعلم الكيمياء كان يعني (السيمياء) بمعنى محاولة تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب .

وهكذا كرس بيكن نفسه طيلة عشرة سنوات للنهوض بهذين العلمين من وهدة العرافة والتنجيم والسحر الى رحاب العلم والمعرفة التجريبية . وقد قضى بيكن ثلاث سنوات ظل يعمل خلالها لصنع المراة التي تستطيع ان تحرق من مسافة بعيدة عن طريق عكس وتضخيم اشعة وحرارة الشمس ، وقدم بحثا عن ظاهرة قوس قزح في غاية الدقة . وقد كانت هذه الدراسات تدل بشكل واضح على ان بيكن كان يعد نفسه ليكون الرائد للعلم التجريبي الاوربي الحديث^(٩) .

Ibid : P. 4—44

(٨)

The New Encyclopedia Britannica : Vol. 2. Article : Roger Bacon.

(٩)

اشارت دراسات يكن العلمية التي اجراها في انجلترا النعمة عليه ،
فأبعد الى باريس سنة ١٢٥٧م ليكون اشبه بسجين فيها وحرم عليه النشر
ثم اعيد اليه اعتباره بشروط مشددة ، فأخرج في وقت قصير جدا ثلاثة كتب
هي السفر الاكبر والسفر الاوسط والسفر الاصغر . والظاهر ان هذه الكتب
قد احدثت اثرا طيبا ، حتى لقد ابيح له سنة ١٢٦٨م ان يعود الى انجلترا ليلقي
المحاضرات في جامعة اوكسفورد (١٠) .

ولم يتعظ روجريكن بتجربة نفيه الى باريس ، فقد عاد الى مهاجمة كل
الاساليب غير العلمية التي كان يتبعها معاصروه من العلماء والفلاسفة ورجال
الدين ، ووصف المترجمين عن العربية واليونانية بانهم على درجة بشعة من
العجز ، وفي سنة ١٢٧١م الف كتابا اسماه (مجموعة دراسات فلسفية) هاجم
فيه جهل رجال الدين . وحدث عام ١٢٧٨م ان استنكر (قائد الطائفة الدينية)
كتبه ، وقرر حرقها وتحريم قراءتها ، كما امر بسجن يكن ، فلبث سجينا
اربعة عشر عاما ، ثم اطلق سراحه سنة ١٢٩٣م . لكنه لم يلبث ان اسلم
الروح (١١) .

كان روجر ذا ثقافة واسعة ، يميل بصفة خاصة الى الرياضيات والعلوم
التجريبية ، وقد استعان بالعلم التجريبي عند الفلاسفة والعلماء العرب ، فقد
اعتبر ابن سينا للفلسفة وزعيما لها ، وقد اقتبس منه الشيء الكثير معجبا
به كل الاعجاب ، وخاصة في بحثه لقوس قزح ويتبع يكن رأي ابن رشد في
ان العقل الفعال عنصر مستقل عن الروح والجوهر (١٢)

(١٠) McInerny (Ralph M.) Philosophy from St. Augustine to Ockham : pp. 246 — 247

(١١) رسل (برتراند) : تاريخ الفلسفة الغربية (الجزء الثاني) ص ٢٥١-٢٥٢ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

ويكفي ان نعلم ان روجر بيكن افاد من كتاب الفارابي (احصاء العلوم)
اجل القوائد مما جعله يضع الفارابي الى جانب اعلام الفلسفة واللاهوت
العظام أمثال اقليدس وبطليموس والقديس توما - الاكويني ويشير الى هذا
الكتاب كثيرا في مؤلفاته (١٣) .

لقد كان روجر بيكن ذا نزعة واضحة نحو العلم التجريبي . وقد كان
اول من نادى في العالم الغربي ، بان المقدمة في العلم تكمن في طرح الاسئلة
على الطبيعة وترك الطبيعة نفسها تجيب عن هذه الاسئلة ، وذلك عن طريق
الملاحظة والتجربة العلمية (١٤) .

أعماله :

كان بيكن يعد العدة لوضع موسوعة ضخمة تضم كل العلوم المعروفة ،
يتعاون على وضعها عدد من العلماء والباحثين داخل معهد علمي خاص مزود
بكل المعدات والاجهزة العلمية اللازمة للبحث . وقد حاول بيكن نفسه ان
يساهم في وضع هذه الموسوعة ، فظهرت له عدة دراسات . نشرت فيما بعد
بكراسات صغيرة تحت عناوين مختلفة منها (المباديء العامة للفلسفة الطبيعية
و (المباديء العامة للعلم الرياضي) و (مجموعة دراسات فلسفية) وقد كتبت
هذه الدراسات بين عامي ١٢٦٨م و ١٢٧٢م (١٥) .

غير ان عمل بيكن الرئيسي كان كتاب (السفر الاكبر) ، اما كتاب
(السفر الاوسط) و (السفر الاصغر) ، فهما عبارة عن منقصات وشروح
لمواضيع كان بيكن قد تناولها في كتابه (السفر الاكبر) . ومع ذلك فقد كانت
هامة في بعض الاحيان .

(١٣) رابرت (ا . س) : ساديء الفلسفة ص ١٠٤ .

(١٤) Copleston : History of philosophy : Volume II p. 443

(١٥) The New Encyclopedia Britannica : Volume 2. Article :
Roger Bacon.

لقد كان يمكن موسوعياً في مؤلفاته ، وهو يختلف عن معظم فلاسفة عصره في طريقة تناوله لموضوعاته ولو انه تأثر بهم من حيث ظهور الكثير من الاستطرادات الفلسفية المطولة في كتبه . انه يحاول وضع الآراء السائدة من اجل وضع الطريقة التي ينبغي ان تتبع في تفصي الحقائق وقد أكد مرارا وتكرارا على اهمية الملاحظة والتجربة في هذه الطريقة (١٦) .

وقد كان اهم ما يهتم به في تأليف كتبه ، هو ما كان يحلم به من زعامة سياسة ستؤول الى الغرب ، وهي - عنده - لاتأتي الا عن طريق تقدم العلم والمعرفة . لقد اقتنع تماما بما للدراسة الوضعية والعلمية من اهمية في مجال التطبيق (١٧) .

ما ان ظهرت اعمال روجر بيكن العلمية والفلسفية حتى قامت دعوة جديدة لم تكن مألوفة عند المدرسين قبل القرن الثالث عشر ، هذه الدعوة تتلخص في الاتجاه الى التجربة ، واستقاء العلم من معينها ، وعدم الركون الى الكتب والافراسع ، والثورة على الجهل ، والتبرّد على تحكم السلطات ، والنفور من طريقة الجدال الارسطية ، ومهاجمة الاعتماد على التأمل العقلي وحده . لقد كانت اعمال بيكن تشير بشكل واضح الى انه لا بد من التوحيد بين الاستقراء والاستدلال والاستعانة بهما جنبا الى جنب في عملية البحث العلمي . وبهذا كان بيكن اول من ادرك الاسس السليمة التي يرتكز عليها منهج البحث العلمي (١٨) .

(١٦) Coplston : History of philosophy : Volume 12. p. 444

(١٧) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ١٠٧ .

(١٨) انوسيل : د . ، توفيق ، : قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٩٠ - ٩١

السفر الاكبر : -

كتب روجر بيكن كتاب (السفر الاكبر) في فترة من افضل واخصب فترات حياته الفكرية ، فقد كان خلالها في اوج قوته ، حيث استطاع ان يجري الكثير من البحوث التي جعلته متمكنا في الكثير من العلوم والمعارف ، وقد جاء كتاب (السفر الاكبر) معبرا افضل تعبير عن فلسفة روجر بيكن وجوهر طريقته في البحث^(١٩) .

لقد كان بيكن يعتقد بانه يؤلف هذا الكتاب ليكون مقدمة او برنامج عمل يتم من خلاله تقييم ما تم انجازه وما ينبغي ان ينجز في مجال العلم والمعرفة وقد قسم بيكن الكتاب الى سبعة اقسام ، كتبت كلها باسلوب قوي ومؤثر ومباشر ، وكان روجر يصدر في كتابته عن رغبة شخصية ملحة^(٢٠) .

في القسم الاول من كتاب (السفر الاكبر) عرض بيكن اربعة علل رئيسية تؤدي الى جهل الانسان ، هي اتباع السلطة والاستسلام للعادة ، ومسايرة رأي الجمهور غير المتعلم ، واتباع اناس جهلة يخفون جهلهم وراء ستار من الحكمة الظاهرية . ومن هذه الاربعة الاربعة - كما يسميها بيكن والوباء الرابع اضعها جميعا تنبثق شرور الانسانية^(٢١) .

وفي هذا القسم من الكتاب يؤكد بيكن على ضرورة عدم الاعتماد على حجج اسلافنا من الحكماء لتأييد فكرة او دحضها . فاسلافنا كانوا حكماء في عصرهم ، ولكن حكمتهم لا يمكن ان تكون صالحة لكل العصور ، فالشاب اليافع من هذا العصر ربما كان اعرف بكثير من حكماء العصور السالفة - كما يقول بيكن - .^(٢٢)

McInerny(Ralph M.) : philosophy from St. Augustine to Ockham : P. 248. (١٩)

Ibid : pp. 248, 249. (٢٠)

Ibid : p.p. 248. 249 (٢١)

Ibid : p. 249 (٢٢)

وقد خصص بيكن القسم الثاني من كتاب (السفر الاكبر) للحديث عن العلاقة بين الفلسفة واللاهوت ، وهنا نجد اثر ابن سينا وابن طفيل واضحا فهو بالرغم من تأكيدده على اهمية واسبقية الكتاب المقدس والشرعية الكنسية الا انه لا يرى اي تعارض بين الوصول الى الحقائق عن طريق الكتاب المقدس والشرعية الكنسية او الوصول اليها عن طريق الفلسفة والبحث العلمي . وفي هذا يقول بيكن (ليس كل باحث هو في حاجة دائما للاعتماد على الكتاب المقدس من اجل الوصول الى الحقيقة ، فليست هناك حقيقة تتعارض مع الكتاب المقدس ، لان كل حقيقة يمكن ان تكتشف انما هي تعود الى السيد المسيح) . (٢٣)

وفي القسم الثالث من كتابه تناول بيكن موضوع اللغة ، وقد اكد فيه على الاهمية العملية في الدراسة العلمية للغة ، فاذا لم تكن لدينا معرفة حقيقية باللغة العبرانية واللغة اليونانية تأتي عن طريق الممارسة الفعلية ، فأنال نستطيع تفسيراً وترجمة الكتب المقدسة بصورة صحيحة ، ونحتاج لنفس الشيء اذا ما اردنا الحصول على ترجمات سليمة للفلاسفة الاغريق والعرب (٢٤) .

أما في القسم الرابع فيقدم بيكن دراسة عن الرياضيات من حيث منزلتها وقيمتها واهميتها العلمية ، فيعتبرها من حيث الوظيفة بمثابة الباب او المفتاح لكل العلوم الاخرى . فعلم المنطق وعلم النحو - مثلاً - يعتمدان الى حد كبير على الرياضيات ، وقد اصبح - كما يقول بيكن - من الواضح ان علم الفلك لا يمكن ان يتقدم دون الاستعانة بالرياضيات . ويذكر بيكن امثلة متعددة عن فوائد هذا العلم بالنسبة للعلوم الاخرى (٢٥) .

Ibid : PP. 249 — 250

(٢٣)

Ibid : P. 250

(٢٤)

Arthur Hyman & James J. Walsh : Philosophy in the Middle Ages : PP. 440 — 445

(٢٥)

وفي القسم الخامس عرض يمكن لعلم البصريات ، حيث عالج فيه تركيب العين ، وعناصر حاسة البصر ، وكيفية الرؤية ، والانعكاس ، والانكسار ، واخيرا التطبيق العلمي لعلم البصريات . فقد اقترح وضع مرايا في مكائات مرتفعة بحيث يمكن مراقبة الخطط والتحركات التي تجري داخل معسكرات الاعداء . وعن طريق استخدام ظاهرة الانكسار يمكننا رؤية الاشياء الصغيرة كبيرة جدا ، كما يمكننا رؤية الاجسام البعيدة جدا عنا وكأنها بالقرب منا . وبالرغم من انه لا يوجد دليل قاطع على ان يمكن كان قد اخترع التلسكوب الا انه ليس من المستبعد انه حاول اختراعه او اختراع شيء مشابه له على الاقل (٢٦) .

وفي القسم السادس تناول يمكن العلم التجريبي بالبحث ، فرأى ان الملاحظة هي المقدمة الاولى لاجراز المعرفة ، وان الاستدلال والتجربة هما الوسيلتان الاساسيتان في البحث العلمي ، ولا يمكن الاستغناء عن اي من هاتين الوسيلتين ، فاذا كان الاستدلال يساعد الذهن ويهديه الى النتيجة ، فان هذه النتيجة تبقى موضع شك ما لم يتم التحقق منها عن طريق التجربة .

ويقسم يمكن التجربة الى نوعين رئيسيين : تجربة حسية (وهي التجربة التي نشعر من خلالها شعورا واحدا عندما نحس بما هو موجود في العالم الخارجي) ، وتجربة باطنية (وهي التجربة التي يشعر بها كل فرد على حدة شعورا مختلفا حسب المرحلة التي يمر بها من مراحل تطوره الروحي) وموضوع التجربة الحسية الاشياء الارضية ، بينما يكون موضوع التجربة الباطنية الاشياء الروحية (٢٧) .

Melneray (Ralph M.) : philosophy from St. Augustine to (٢٦)
Ockham : P. 251

Ibid : pp. 251 --- 252 (٢٧)

وبالرغم من هذا التقسيم للتجربة عند بيكن ، الا انه اكد بشكل واضح على ان العلم التجريبي هو الفيصل والحكم الاول والاخير في معرفة الانبياء الارضية ، كما انه اكد على ان التطور الروحي للانسان لا يمكن ان يتم ما لم يتسل ويستوعب تماما كل ما يتعلق بالتجربة الحسية (٢٨).

وفي القسم السابع والاخير من كتاب (السفر الاكبر) يعالج بيكن الفلسفة الاخلاقية ، فيضعها مع الفلسفة والرياضيات والعلم التجريبي من حيث الاهمية . فاذا كانت الفلسفة والرياضيات والعلم التجريبي تختص بدراسة ومعالجة انواع مختلفة من الاعمال ، فالفلسفة الاخلاقية تختص بدراسة ومعالجة الاعمال من حيث كونها صحيحة او غير صحيحة ، كما انها ترشد الانسان وتهذبه وتساعد في توطيد علاقته بالله. (٢٩)

تأثير فلسفة روجر بيكن :-

احتوت كتابات بيكن الفلسفية الكثير من النظريات التي قدمها في كثير من المواضيع مثل الفيزياء وعلم النفس والميتافيزياء وعلم الاخلاق . ان تأثير بيكن الاعظم كان في العلم التجريبي .

لقد كان سبب الاعجاب الذي احرزه روجر بيكن تأكيده على ان المعرفة لا يمكن ان تكتسب . الا عن طريق الملاحظة الحسية واجراء التجارب المختلفة بغية ادراك النظام او القانون الطبيعي الذي تخضع له الظاهرة الطبيعية قيد الدراسة . كل ذلك من اجل السيطرة عليها واخضاعها لمنفعة الانسان . وقد دعا احد معاصريه : (سيد التجريبيين) . كما قال عنه (جورج سارتون) مؤرخ اسم المسهور بعد ان عرض بحثه في الغنطيسية (بانه صاحب المنهج الحي والتريبي من نوعه في العلم التجريبي) . كما اعتبره واحدا من ابرز الذين قاموا في البحث التجريبي طيلة القرون الوسطى. (٣٠)

٢٨ - P. 257

Copulation : History of Philosophy : Volume II. p. 117

Marston (Arnold A) : Medieval Philosophy : PP. 152-154

كان من تأثير دعوة روجر بيكن الى التجربة والاختبار ، ان استجاب لها العلماء والفنانون ونشأت الجمعيات العلمية صدى لهذه الدعوة ومهد هذا لنشأة العلوم الطبيعية على اسس تجريبية ، وبدأت المختبرات الحديثة وانساق الناس الى الكشف الجغرافي التماسا لحقيقة تسفر عنها مشاهداتهم وكان هذا تحت تأثير مؤلفات روجر بيكن الجغرافية ، التي كان كريستوف كولمبس من بين المهتمين بها ، فقد قرأها وتأثر بها (٣١) .

لقد انفق رواد الفكر الجديد — بعد بيكن — على استهجان الكتب القديمة والسلطة الدينية كمصدر لعلمنا بالطبيعة ، مما اتاح ظهور روح النقد ، فأدى ذلك الى رد فعل ضد فلسفة ارسطو . وقد ساعد هذا على ظهور فكرة المنهج القائم على الملاحظة والتجربة بدل الاستدلال العقلي وحده . وبدأ العلماء يتجهون الى الطبيعة يحاولون دراستها ومعرفة قوانينها ، حيث هجرت الفكرة القائلة بوجود الانسان في هذه الطبيعة للتكفير فقط عن خطيئة آدم وما ان حل عصر النهضة واشرق العصر الحديث ، حتى ظهر الترويج لفلسفة روجر بيكن التجريبية واضحا ، فقد تبنى رواد الفكر الحديث معظم آراء بيكن في العلم واخذوا يطورونها ويتوسعون بها ويدافعون عنها ، وقد ظهر هذا بشكل واضح عند خلفه وسميه في الاسم فرانسيس بيكن (٣٢) .

(٣١) رسل (برتراند) : تاريخ الفلسفة الغربية (الجزء الثاني) ص ٢٥٢
Copleston : History of philosophy Vol. II. p. 443

المراجع العربية :

- ١ - انطويل (د. توفيق) : قصة النزاع بين الدين والفلسفة : الطبعة الثانية مكتبة مصر - القاهرة ١٩٥٨ .
- ٢ - رابوبرت (ا . س) : مبادئ الفلسفة : ترجمة احمد امين : الطبعة السادسة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ١٩٦٤ .
- ٣ - رايشنباخ (هانز) : نشأة الفلسفة العلمية . ترجمة د . فؤاد زكريا : دار الكاتب العربي ١٩٦٧ .
- ٤ - رسل (برتراند) : تاريخ الفلسفة الغربية : ترجمة د . زكي نجيب محمود الكتاب الثاني - الطبعة الثانية - لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٨ .

المراجع الاجنبية : -

1. Arthur Hyman & James J. Walsh : Philosophy in the Middle Ages : Harper & Row, Publishers : New York, Evanston, and London : 1967.
2. Copleston (F) : History of Philosophy : Burns Oates & Washbourse Ltd. Publishers to the Holy see : London, 1959.
3. Maurer (Armand A.) : Medieval Philosophy : Random House : New York : 1962.
4. McInerny (Ralph M.) : Philosophy from St. Augustine to Ockham : University of Notre Dame Press : London 1970.

دوائر المعارف : -

- ١ - الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمها فؤاد كامل (وآخران) ، راجعها واشرف عليها واضاف شخصيات اسلامية د. زكي نجيب محمود (الالف كتاب - مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٣) .
2. The New Encyclopedia Britannica : William Benton, Publisher, London, Geneva, 1974.

تدجين الحيوان

استنادا الى الآثار المكتشفة في المواقع الانرية

بقلم : الدكتور تقي الدباغ

استاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد

مقدمة :

اتتهى العصر الحجري القديم الذي كان يعتمد بالدرجة الاولى على صيد الحيوانات والاسماك بتراجع الجليد الى خطوط العرض الحالية وبدأ عصر جديد توسط العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث وتتميز هذا العصر الحجري المتوسط بخصائص تختلف عن خصائص عصور سبته ومع ذلك يعتبر بعض الباحثين هذا العصر امتداداً لعصر السابق او عهد زوال له ولهذا لا يميلون حتى الى مجرد ذكره . والحقيقة هي ان هذا العصر هو عصر تمهيدي بين الاقتصاد المستهلك للطعام المعتمد على صيد الحيوانات والاسماك وعلى جمع الفواكه وبذور وجذور النباتات البرية وبين الاقتصاد المنتج للطعام بالزراعة والرعي ففي هذا العصر اعتدل المناخ ومال الى الدفء والجفاف النسبي بعد ان كان جليديا في بعض المناطق ومطيرا في مناطق اخرى وتغيرت علاقة الانسان بالبيئة بالتدريج واختفت حيوانات الصيد الكبيرة التي اعتاد الصيادون قتلها بتعاون مجسوعات منهم في اكثر المناطق وحلت محلها الحيوانات التي تعيش في الوقت الحاضر وظهرت مجالات جديدة للاستيطان في مواقع منتوحة على شواطئ الانهار ومصباتها وعند العيون والينابيع وفي السهول الرملية بعد ان انتفت الحاجة الى الكهوف والملاجيء الصخرية والغابات وحصل تقدم كبير في صناعة الالات والادوات الحجرية لتلائم الظروف الجديدة

فما أصبحت الآلات شظايا دقيقة الحجم وانصنع وبذلت المحاولات الأولى لزراعة النباتات البرية وتكييف الحيوانات للتدجين في الألف الثاني عشر قبل الميلاد واستمر هذا العصر حتى حل محله في أزمنة مختلفة تختلف باختلاف الأقاليم العصر الحجري الحديث الذي اعتمد على إنتاج الغذاء ففي أقاليم جنوب غرب آسيا تتضح آثار هذا العصر أكثر مما في غيرها من حيث القدم والتطور وخصوصاً في فلسطين والعراق حيث وجدت مخططاته في وادي النطوف في كهف شتية الواقع شمال غرب مدينة القدس كما وجدت في مغارة الوادي بمنطقة الكرمل^(١) وتتميز الآلات الحجرية الصغيرة التي وجدت في هذا الموقع بشكل الهلال ومن المحتمل أن الإنسان استخدم بعضها في صنع المناجل التي تدل على ممارسة نوع من الزراعة البدائية إلى جانب جمع المواد الغذائية والصيد في البر والبحر غير أن هذه المناجل قد لا تكون دليلاً قاطعاً على الزراعة فربما كانت تستخدم لحصد ثمار نباتات برية كما أن المذوت والهاونات الحجرية التي وجدت في بعض مواقع هذا العصر قد لا ترتبط بإنتاج الطحين • وفي العراق يبرز من مواقع العصر كريم شير^(٢) الذي يبعد قليلاً عن مدينة السليمانية والآثار التي استخرجت من هذا الموقع احتوت مناجل ورحى ومقداراً كبيراً من عظام الحيوانات وقد تبين أن نصف تلك العظام يعود لحيوانات مذبحة • وفي إيران وجدت آثار هذا العصر في كهف الحزام^(٣) الذي يقع على السواحل الجنوبية لبحر قزوين وهي على العموم تشبه تلك التي وجدت في فلسطين والعراق ويعود تاريخها حسب اختبار الكربون الرابع عشر إلى ١٠٥٦٠ - ٦١٠٠ سنة مضت وفي مصر وجدت آثار تعود لنفس العصر في حلوان^(٤) •

إن البحوث الفاية التي تناولت طبيعة العصر المكديني والعصر الحجري الحديث لم تسأر بعد عن تعيين الأسباب الكامنة لقيام الزراعة في أقاليم معينة دون سواها • ويشهر أن الصيادين كانوا منذ زمن بعيد سبق العصر الحجري الحديث يستودعون المواقع المجاورة للأنهار في مواسم الفيضانات لاصطياد

الحيوانات الكبيرة واخذ صغارها الراكضة وراء الامهات لتربيتها من اجل لحومها او لمجرد المتعة والاستئناس . وقد لاحظ هؤلاء الصيادون نمو النباتات من بذور ونوى الثمار التي يجمعونها للاكل فيما جاور اماكن سكنهم غير انهم استمروا على جمع المواد الغذائية ولم يتعلموا الزراعة ورعي الحيوانات الا عندما أحدثوا التحسينات على طرق صناعة الآلات الحجرية لقطع الأشجار في الغابات وتحويل الاراضي الى مزارع ولبناء الزرائب لحماية الحيوانات الليفة من الوحوش الضارية ولحفظها من الهرب ولصنع الآلات الخاصة بالزراعة .

لقد بنى اهل العصر الحجري المتوسط جسرا للانتقال من الجمع والصيد القديم الى الاقتصاد الزراعي فيما بعد بعدة طرق وفي مقدمة تلك الطرق تبرز مقدرتهم على تكييف الحيوان والنبات للتدجين وكانت عملية التدجين تدريجية بحيث يصعب تتبعها في مراحلها المبكرة ولكنها ادت بالتالي وبعد مرور عدة قرون الى قيام اقتصاد اصبح الصيد فيه مسألة ثانوية بالمقارنة مع الرعي والزراعة التي اصبحت قاعدة راسخة لاقدم الحضارات في العالم القديم . ان المتأخرين من اهل العصر الحجري المتوسط هم الذين مهدوا لحدوث الانقلاب الاقتصادي الذي برز في الاساس من الاستزراع . ويظهر ان الزراعة والرعي قد حدثت تحت ضغط حالات الجفاف النسبي التي عقيبت الفترة المظيرة الاخيرة . ومن الضروري ان تؤكد بأنه لا يوجد عندنا حتى الان دليل على طبيعة الحبوب الغذائية التي حصدها اهل النطوف في فلسطين ولا نعرف ما اذا كانت تلك الحبوب قد زرعها الانسان ام انها نمت نسوا طبيعيا كما ان مناجل الحصد والمدقات التي تركها اهل النطوف في مستوطناتهم تحبل نقوشا لرؤوس حيوانات على مقابضها مما يدل على ان الصيد كان لا يزال المصدر الرئيسي للطعام . وتؤكد هذه الحقيقة اذا علمنا بعدم وجود عظام حيوانات مستأنسة في انتاض الطبقات السفلى من مواقع عصر النطوف .

التدجين :

ان تاريخ تدجين الحيوان يقدم صوراً مختلفة للتدجين من عدة نواحي وبالرغم من ان الحيوان كان من العناصر الاساسية في الاقتصاد المنتج للطعام في جميع انحاء العالم القديم الا ان تدجينه اخذ وقتاً طويلاً بعكس النباتات التي زرعها الانسان اذ نجد نباتات معينة زرعت بشكل مستقل في منطقة معينة بينما نجد بعض حيوانات العالم القديم دجنت بعيداً عن المنطقة التي ظهر فيها التدجين لقوة انتشار فكرة تدجين الحيوان كما ان عدد الحيوانات التي استأنسها الانسان اقل بكثير من عدد النباتات التي زرعها والحيوانات المدجنة الان تمثل نسبة قليلة جداً في المملكة الحيوانية . وبالرغم من ان الصيادين قد تمكنوا من استئثار الحيوان لاقصى حد من اجل لحومها فقد كان هؤلاء يعتمدون في تدجينهم على جملة امور منها سلوك الحيوان الطبيعي الذي يجعله قابلاً للتكيف في علاقاته مع الانسان والحيوانات القابلة للتدجين هي تلك التي تعيش بشكل طبيعي على هيئة قطعان وقادرة على التناسل والتكاثر وهي في الاسر وهذا الاسر يتطلب الاستقرار ولذلك بقي التدجين مدة طويلة من الزمن ينتظر بلوغ الانسان مستوى معيناً من الاستقرار وقد تضافرت العوامل الحياتية والتدخل المقصود من قبل الانسان على تحقيقه^(٥) .

وتشير الدلائل المتيسرة الى ان الحيوانات التي استأنست كانت في الاصل حيوانات صيد اعتمد الصيادون قنصها في المناطق الخاصة بها وكان الانسان يحفظ اصنافاً منها او من صغارها في منزله كالمعز والاغنام والخنازير الجربية والدافع الرئيسي للاحتفاظ بها كان في بداية الامر اللحم والمنفعة اما فوائدها الأخرى المنسجج والالبان والنقل فقد حصلت فيما بعد .

لم يكن لدى الانسان البدائي في المراحل الاولى من الصيد سلوك تفهمي مقصود تجاه التدجين ويبدو معقولاً ان التدجين بدأ بغرض الاستمتاع بالحيوان فالنساء والاطفال كانوا يحتفظون بصغار الحيوانات الوحشية في منازلهم لمتعة وبرور الزمن ترويضت هذه الحيوانات في الاسر بعد ان كبرت وقد استمرت هذه العملية فترة طويلة من الزمن الى ان حصل التدجين لأغراض اقتصادية في المجتمعات الزراعية التي ظهرت فيها الحياة المستقرة وكثر السكان فالحيوانات التي دجنت في الادوار الاولى من العصر الحجري الحديث كانت متكيفة لبيئة الانسان قبل هذا العصر والعلاقة التي برزت بين الانسان وبين تلك الحيوانات التي سبق لها ان تكيفت للتدجين في ظل تلك الظروف الطبيعية كانت نتيجة الانتخاب الطبيعي . ان الدراسات الحديثة تشير الى التكيف السابق للبيئة قبل التدجين الفعلي فهناك بحوث فيزيولوجية تدل على ان الحيوانات التي تميل الى تكوين علاقة اجتماعية مع الانسان تفرز غدها النخامية مادة الادرنالين اكثر من مادة اللادرنالين بينما الحيوانات الالكة اللحوم التي يصيدها لانسان تفرز مادة اللادرنالين اكثر من مادة الادرنالين^(٦) ان هذه الخلفية البايولوجية تلقي بعض الضوء على منشأ التدجين وان كانت حتى الان غير مجدية للتمييز بين عظام الحيوانات المدجنة وغير المدجنة المستخرجة من المواقع الأثرية .

ان الثورة الزراعية في العصر الحجري الحديث هي من اكثر التحولات الاقتصادية والاجتماعية أهمية في تاريخ تطورات المجتمع البشري القديم ولكنها بنفس الوقت اقل التحولات وضوحاً وقد عسر المعنيون بدراسة الآثار والحضارات القديمة هذا التحول بظهور الاقتصاد المنتج المعتمد على تربية الحيوانات وزراعة النباتات قبل عشرة آلاف سنة أو اكثر بقليل وعلى الباحث في منشأ هذا التدجين الذي كان الاصل الضروري والقاعدة الاساسية للثورة الزراعية ان يعتمد على الدلائل التي تقدمها مختلف الاختصاصات المتعددة

وفي مقدمة تلك الاختصاصات تبرز الاستعانة بعلم دراسة شكل الحيوانات
وبينها (مورفولوجي) وكذلك الدراسات الخاصة بالاصول الوراثية التي
يقدّمها علم الاحياء وأخيرا الدراسات الخاصة بتتابع الازمان وتوزيع الآثار
التي يهتم بها علماء الآثار وكل حقل من هذه الحقول العلمية له طرقه الخاصة
وامتداداته الخاصة ولكنها تتعاونها مع بعضها تستطيع ان تقدم الحقول
لصعوبات ومشاكل عامة لها صلة بشئ التدجين .

ويعرف الحيوان المدجن بأنه الحيوان الذي يربى في الاسر وله فوائد
للانسان كالبقر مثلا وهذا التعريف لا يشمل بعض الحيوانات التي استأنست
لأغراض معينة فانقيل لا يربى في الاسر الا في حدائق الحيوانات ولكنه مفيد
للانسان عند استخدامه له . والتدجين بهذا الاعتبار يمكن التدليل عليه اثارة
من خلال الكشف عن الآلات والادوات التي كان الانسان يستخدمها في علاقته
مع الحيوان ومن خلال أعمال الانسان الفنية التي تمثل الحيوانات المسخرة
لخدمة الانسان في أعمال النحت لبارز والجسم وأخيرا من خلال عظامه التي
بقيت مدفونة في المواقع الأثرية للتدجين حسب المفهوم الأثري يشمل الحيوان
الذي يسيطر عليه الانسان للأفادة من لحسه وجلده وصوفه وشعره ووبره ولبه
وفي خدماته في النقل والركوب . اما التعريف الذي يعتمد على علم العظام
المورفولوجي (الذي يهتم به علماء الحيوان فيعتبر الحيوان مدجنا بعد
أن يربى جيلا بعد جيل تحت رعاية الانسان حتى تظهر منه سلاسة مدجنته
تختلف عن السلالة البرية غير المدجنة الذي انحدرت منه (٢) التدجين
حسب هذا التعريف يوضح على اساس شكل العظام وبينتها ومهم جدا ان
نلاحظ ان هذا الموضوع للتدجين يتبع بالضرورة التطور الحضاري عبر الزمن
والمراد من ان يوجد نوع من التوافق والتوافق بين النقاط التي يتناولها
هذا الموضوع ولاكتنا نجد في كثير من الاحيان ان عالم الحيوان يقول لعالم البشر

ان العظام التي اكتشفها اثناء التنقيبات الاثرية يسكن ان تكون لحيوانات
مدجنة لا على اساس الدلائل العظيمة المكتشفة بل لارتباط تلك العظام بسواد
اثرية من صنع الانسان وعالم الآثار يقبل هذا الرأي ظنا منه انه يستند على
دراسة العظام مع العلم ان وجود عظام الحيوان مع المواد الاثرية المصنوعة
في موقع الآثار لا يسكن اعتباره دليلا على استئناس الحيوان في اغلب الاحوال
ويتضح هذا الامر من سجل التنقيبات الاثرية في مواقع عصور قبل التاريخ
وتصعب معرفة بداية التدجين اذا انعدم وجود الآثار المصنوعة ذات العلاقة
بدرجة كافية واذ كان مرور الوقت الذي يستلزمه تحول الحيوانات من
حالتها الوحشية الى حالتها الليفة غير كاف ايضا .

والطريقة المستخدمة في الوقت الحاضر هي اعتماد الاحصاء اي تسجيل
عدد عظام الحيوانات التي كانت تعيش في زمن معين في الموقع الاثري . وتحليل
مثل هذا الاحصاء يسكن ان يشير الى بعض نقاط التحول من الاعتماد الكامل
على حيوانات الصيد في عصور سبقت التدجين بزمن طويل الى الاعتماد على
حيوانات الصيد التي سبقت التدجين مباشرة اي الحيوانات التي يمكن تدجينها
أو الحيوانات التي دجنت في أزمنة لاحقة . وبهذه الطريقة يمكن تعيين عمر
الحيوانات القابلة للتدجين عند ذبحها فاذا كانت نسبة عظام هذه الحيوانات
القابلة للتدجين نسبة عالية في المجموع العام من العظام المكتشفة فان هذا يعتبر
دليلا معقولا على استنتاج نوع من سيطرة الانسان على الحيوان ومع ذلك
ينبغي استخدام هذه الطريقة بتحفظ وتفضل دراسة نماذج احصائية كثيرة من
العظام المكتشفة في عدد من المواقع في منطقة واسعة بشرط ان تكون النماذج
المعدة للدراسة متوفرة بدرجة كافية في كل حالة .

هناك دراسات كثيرة عن الحيوانات المدجنة وعن اصلها ولكن هناك
قليل من الدراسات الجيدة عن تدجين الحيوان في اقطار الشرق الادنى . ومعظم
الدراسات الموجودة بين ايدينا تعتمد على الدراسات القديمة ومعظم التمييز

لعظام لحيوانات التي وجدت في المواقع الاثرية لم يكن مضبوطا لانه لم ينوفر لدى المختصين سوى القليل من مجموعات العظام للمقارنة وافتقرت تلك الدراسات الى الدقة التي لم تدرك اهميتها في السابق . والتمييز القديم الذي كان يعتبر جيدا لم يعد الان كذلك لان تغييرات كثيرة حدثت في تقنية علم تصنيف الحيوانات . ولا يمكن تمييز عظام الحيوانات على اساس الجنس للتفريق بين المدجنة منها وبين غير المدجنة لان عملية التمييز تدعو الى دراسة تشريحية دقيقة وتتطلب مجموعة كبيرة من العظام تكون موجودة تحت تصرف الخبير للمقارنة هذا اضافة الى ضرورة توفر قدر عالي جدا من الخبرة .

ان معظم المنقبين في المستوطنات الاثرية لم يلتفت الى اهمية عظام الحيوانات ولذلك كانت ترمى بعيدا في انقاض التراب واذا حفظوها للدراسة كانوا يواجهون مشكلة الحصول عن يستطيع تمييزها او يقبل بذلك . ان مهمة باحث الآثار هي توضيح حضارات الماضي وبيان تأثير القديمة منها على الحديثة ولتحقيق هذا الغرض يحتاج باحث الآثار الى خدمات معظم المختصين بالعلوم الطبيعية مثل علماء الحيوان والنبات والبيئة والتربة والمناخ وعلى هؤلاء ان لا ينظروا الى الموضوع من الناحية الاحيائية او الطبيعية فقط بل من ناحية علاقته بالحضارات البشرية القديمة والحديثة . وعالم الاحياء على وجه الخصوص يجب ان يدرس بيئة المنطقة التي تطورت فيها الحضارة ويجب ان يعرف الحيوانات والنباتات التي عاشت في تلك البيئة ويجمع نماذج كثيرة منها لاغراض المقارنة بحيث تساعده في عملية تمييز بقايا الحيوانات والنباتات التي نستخرج من المواقع الاثرية ويجب ان لا يقف واجب الاحيائي عند مجرد تمييز العظام او النباتات بل عليه ان يميز الانواع القديمة المدجنة وغير المدجنة اي ان يفرق بين عظام حيوانات الصيد وعظام حيوانات الرعي وبضع جمولا احصائيا بذلك واذا كان الموقع الاثري سليما من حيث تعاقب طبقات الآثار دون ارتباك فمن الممكن تتبع الاصول الوراثية للحيوانات .

وبما ان تتابع لادوار الحضارية وتاريخ تلك الادوار بعد العصر الحجري المتوسط معروف الى حد كبير في اقطار الشرق الادنى وان تواريخ نفس الادوار في اقطار العالم القديم الاخرى مخمنة بالنسبة الى تواريخ ادوار حضارات اقطار الشرق الادنى فمن الافضل والمعقول ان يكون اهتمامنا منصبا اولاً على اقطار الشرق الادنى . ففي جميع هذه الاقطار نجد في اقدم الطبقات المتعاقبة بقايا عظام اربعة حيوانات ذات فوائد اقتصادية مباشرة هي المعز (CAPRA) والغنم (Ovis) والبقر (BOS) والخنزير (SUS) . اما عظام الكلب التي وجدت في بعض مواقع هذه الاقطار فتعود لتاريخ اقدم .

وجدت بقايا عظام هذه الحيوانات الاربعة في قرية زاوي جمي^(٨) في شمال العراق وفي قرية جرمو^(٩) في شمال العراق ايضا وفي منطقة الفيوم^(١٠) بمصر وفي قرية آناو^(١١) في التركستان الروسية وفي جميع هذه المواقع الاثرية وجدت بقايا عظام الحيوانات مع المناجل المصنوعة من الحجارة ومع حبوب الفصح والنسيع وعثر على اثار ومخلفات مماثلة في تل حسونة^(١٢) في شمال العراق وفي موقع النطوف^(١٣) بلسبطين وفي تل جديدة^(١٤) بمنطقة العمق في سورية عثر على تماثيل لبعض الحيوانات لم تميز انواعها . ووجدت عظام هذه الحيوانات في اربعة^(١٥) في فلسطين وفي قرية تبسة سيالك الاولى^(١٦) في ايران . ان هذه المكتشفات تدل على ممارسة الاقتصاد المنتج المعتمد على الزراعة وعلى هذه الحيوانات الاربعة ابتداء من الالف الثامن قبل الميلاد والامتداد الجغرافي لهذا التدجين في الغرب ظهر في تركيا في طبقات العصر الحجري الحديث في قرية جانل اوبوك^(١٧) وفي طبقات العصر الحجري المعدني في قرية غيشار اوبوك^(١٨) . اما في الشرق فتعد ظهرت في قرية سارابا^(١٩) في الهند .

ويتضح من هذا وجود منطقة سهوب تنمو فيها الحشائش كانت تروى فيها الحيوانات وتنمو النباتات ولكن الدلائل المستقاة من المستوطنات لا تشير الى كون عظام الحيوانات المكتشفة تعود فعلا لحيوانات المدجنة في بعض تلك المستوطنات . واذا صرفنا النظر عن حضارة هارابا المتأخرة في الهند فإن لدينا احصاءات كافية من منطقتين مهنتين الاولى في شمال العراق حيث تم احصاء بقايا عظام الحيوانات المستخرجة من موقع بله كورا الذي يعود تاريخه الى اواخر العصر الحجري القديم الاعلى ومن موقع كريم شهر الذي يعود تاريخه الى العصر الحجري المتوسط ومن قرية جرمو التي يعود تاريخها الى العصر الحجري الحديث وتدل الارقام على تغيير نسبة عظام المعز والاعنام المدجنة من ٣٠٪ الى ٥٠٪ الى ٩٥٪ على التوالي^(٢٠) والمنطقة الثانية هي ايران حيث وجد فوق الطبقة العاشرة في كهف الحزام^(٢١) التي تمثل بداية العصر الحجري الحديث ان نسبة عظام الحيوانات المدجنة الى المجموع العام من عظام الحيوانات هي اكثر من ٥٠٪ وكانت نسبة عظام الاعنام والمعز غير المدجنة ٤٠٪ بينما كانت نسبة عظام الحيوانات المدجنة اسفل الطبقة العاشرة وهي الاقدم زمنا اقل من ٥٠٪ وكانت نسبة عظام المعز والاعنام غير المدجنة في نفس المكان هي ٨٠٪ واذا قورنت هذه النسب بشيلائها في مواقع العصر الحجري الحديث في اوربا^(٢٢) نجد نسبة عالية جدا من عظام الحيوانات غير المدجنة ونسبة عالية من عظام الحيوانات غير المدجنة الى المدجنة ايضا^(٢٣) واذا اخذنا هذه الاحصاءات بنظر الاعتبار يتضح لنا بأنها تشير الى زمن تست فيه سيطرة الانسان على قطعان الحيوانات ذات الاهمية الاقتصادية . ان بداية الاعتماد على الحيوانات الاربعة وهي المعز والغنم والخزير والبقر فُسررت بالاستقرار الزراعي وخير دليل على ذلك نتائج التنقيبات الانثروبولوجية في قرية جرمو اذ تبين من الاحصاءات المنشورة عن نظام الحيوانات المكتشفة في هذه القرية ان نسبة عظام الحيوانات غير المدجنة بلغت ٥٪ فقط ومن الجدير بالذكر ان تاريخ قرية جرمو قد تعدد باختيار الكربون الرابع عشر الاشعاعي وهو ٢٥٠٠ سنة مضت اي حوالي عام ٧٠٠٠ قبل الميلاد .

الكلب :

الكلب هو أول حيوان ألقه الإنسان في العصر الحجري المتوسط ليكون رفيقا في الصيد وربما لاكل لحمه والسلف البري للكلب الأليف قد يكون الذئب أو ابن آوى أو الثعلب وسواء كان هذا أم ذاك فإن أقدم كلب بقيت عظامه في المواقع الأثرية هو الكلب الذي وجدت بقاياها العظيمة في كهف الحزام^(٢٤) في إيران ويستنتج من هيكله العظمي أنه كان كبير الحجم وثقيل العظم وقد حدد الكربون الرابع عشر المشع تاريخه بحدود ١١٤٨٠ ± ٥٠ سنة مضت أن العظام المكتشفة في هذا الموقع الأثري هي بالتأكيد لكلب ولكن حقيقة هذا الكلب الوحشية أو المدجنة تبقى غير مؤكدة إلى أن تتوفر دراسة بقاياها دراسة تشريحية وافية .

أما كلب النطوف^(٢٥) بفلسطين فقد قورنت جمجمته المتحجرة مع جمجمة ابن آوى وجدت في موقع النجوم في مصر وربما كانت تلك الجمجمة المتحجرة لابن آوى كان يعيش آنذاك في فلسطين أيضا وقد صيغت أوصافه بشكل يفهم القارئ منها أن كلب النطوف ربما كان في الواقع ابن آوى . أما الكلب الذي وجدت عظامه في موقع شقبة^(٢٦) بفلسطين فقد ظن أنه مدجن على أساس عظام فكه وأكبر تلك العظام عظمة الفك الأسفل التي لم تكن موجودة بين عظام كلب النطوف في الكرمل ولذلك تتعذر مقارنتها ومن الضروري مقارنة تلك البقايا العظمية بعظام ابن آوى . وفي مغارة الوادي بفلسطين وجدت عظام كثيرة للكلاب ولكن عظام الذئب وابن آوى لم تذكر بينها وبما أن هذين الحيوانين والكلب البري كانت بدون شك تعيش في فلسطين في العصر النطوفي فإن بقايا أي مخلوق يشبه الكلب من تلك الفترة ينبغي أن تنسب لأحد الأنواع البرية المذكورة إلى أن يستدل على كونها عظام الكلب المدجن .

ان أقدم بقايا الكلب الاليف حقيقة في الشرق الادنى وجدت في الطبقات
السكنى في اريحة في تل السلطان وقد تميز هذا الكلب على اساس الاسنان
وبقايا الفك وتبين ان تلك الاسنان وبقايا الفك لا تعود لذئب ولا لابن آوى
بل لكلب بالتاكيد (٣٧) .

وفي جرمو في شمال العراق عثر على بقايا عظام حيوانية وصفت بأنها
قد تكون لكلاب أليفة (٣٨) كما وجدت في هذه القرية عظام الثعلب أو الذئب
ان افضل الدلائل التي تشير الى تدجين الكلب في قرية جرمو هي دلائل ليست
احيائية بل فنية فقد وجدت بين الاصنام المكتشفة في هذا الموقع تماثيل لحيوانات
تبدو وكأنها لكلاب لها ذيول منحنية الى الاعلى مما يدل على انها ليست ذئاب
ولا ثعالب ولا ابن آوى .

اما بدايات تدجين الكلب في مصر فلا تعرف بالرغم من افتراضات كثيرة
تري العكس . ومن المحتمل ان يصعب أمر التمييز بين عظام ابن الآوى الكبير
الذي كان منتشرا في شمال افريقيا وبين عظام الكلب لدى المنقبين . وذكر أن
عظام ثلاثة كلاب وجدت في مرمدة بني سلامة (٣٩) ولكن لا توجد لدينا معلومات
عنها ولا صور ولا اوصاف لها . وهم تدرس عظام الحيوانات التي استخرجت
من طبقات العصر الحجري الحديث في الفيوم ودير طامسة وبداري بمصر
بالفصيل ولم يذكر احد ان عظام الكلب كانت بينها . ان اسم دليل على
تدجين الكلب في مصر عثر عليه في موقع العمرة (٤٠) ويشمل هذا الدليل كما
في جرمو بالاثار الفنية حيث وجدت رسوم لاربعة كلاب مخيفة المنظر ولها انياب
وفكوك مبالغ في كبر حجمها منقوشة على اناء فخاري ولكل كلب ذيل ملتوي
الى الاسفل والكلاب الاربعة تبدو مربوطة بحبل يجره شخص واحد منا
يؤكد حالتها غير المدجنة . وهناك اواني فخارية أخرى مزخرفة برسوم للكلاب
وجدت في موقع العمرة وربما كانت لعهد اقدم . وفي العراق وجدت
جصية كلب سلوكي مدجن في موقع تبة كورا (٤١) ويعود تاريخ هذا الكلب
الى عصر المبيد . ويظهر مما تقدم ان علينا ان نتحفظ تجاه المعلومات المنشورة

عن تدجين الكلب في جنوب غرب آسيا وشمال افريقيا حتى تنشر تقارير
منفصلة اخرى عن عظام حيوانات فصيلة الكلب التي وجدت في كهف الحزام
بايران وعن كهوف جبل الكرمل بفلسطين * ان القول بان الكلب هو اول
حيوان ألقه الانسان يبدو أكيدا بالنسبة الى سكان أقطار غرب اوربا ويبدو هذا
القول معقولا في اي مكان اخر ايضا * وفي الشرق الادنى دجن الكلب بالتاكيد
في اريحة بالاردن وربما كان تدجينه قد حدث بعد ثلاثة آلاف أو اربعة آلاف
سنة من تاريخ تدجينه لأول مرة * ولو كانت عظام الكلب المستخرجة من
المواقع الاثرية محفوظة من قبل المتقنين ومدروسة دراسة جيدة من قبل
المختصين لكان موضوع منشأ تدجين الكلب وتاريخه اوضح بكثير مما هو
عليه الان *

المعز :

ان صعوبة التمييز بين الهيكل العظمي للمعز والغنم هي اهم معوقات دراسة
منشأ وانتشار الانواع المدجنة للمعز في عصور قبل التاريخ فعظام الحيوانات
متشابهة تشابها كبيرا جدا باستثناء بعض الفروق في عظام سلاميات الاقدام
واقسام من الجرجمة ولباب القرون * وفي كثير من الاحيان يخلط معها عظام
حيوانات أخرى كالوعول والغزلان * ان عظام تيس الجبل IBEX يمكن تمييزها
عن عظام المعز المدجن من الجرجمة والقرون اما تمييز عظام هذا الحيوان عن
الغنم المغربي Barbary Sheep الذي كان يتجول في معظم جبال وهضاب شمال
افريقيا من المحيط الاطلسي الى البحر الاحمر في العصور التاريخية المبكرة
فصعب جدا ولما كان تمييز السلالات اساسا عملية معقدة فان الصعوبات تشتد
عند تمييز الانواع البرية عن الانواع المدجنة وخصوصا اذا توفر القليل
من العظام المكسورة التي يجدها منقب الآثار في المستوطنات القديمة * وفضل
مايستطيع باحث الآثار فعله في حالة عدم العثور على الجساجم والقرون هو حفظ
مايتيسر جمعه من عظام الغنم والماعز لقديسها الى احد المختصين بعلم الحيوان
لتشريق بينها ولتمييز الانواع البرية والمدجنة *

ان الماعز هو ثاني حيوان دجنه الانسان بعد الكلب وهناك من يعتقد ان الماعز الفارسي غير الاليف وماعز وسط آسيا غير الاليف هو السلف الوحشي للماعز المدجن^(٣٣) المعروف Capra Hircus وهناك من يرى ان كل معزى مدجنة في جنوب آسيا انحدرت من سلالة واحدة من الماعز البري المعروف Pasang و Bezoar ولا يوجد دليل على تدجين الماعز المعروف Capra Ibex الذي عاش في جنوب غرب آسيا أيضا. وافترض ان بقايا العظام التي وجدت في الطبقة الثالثة والرابعة من موقع الخيام في وادي الخريطم القريب من بيت لحم هي لاقدم معز مدجن غير ان هذا الافتراض لم يستند على العظام نفسها بل على حقيقة ظهور هذه البقايا العظيمة فجأة في النطوف اذ لم يعثر عليها قبل هذا الوقت في اي مكان اخر وبظهر ان هذا المعز دخل هذه المنطقة مدجنا لانه لم يعثر على عظام الماعز البري في هذه المنطقة ولذلك فان المعلومات القليلة المتوفرة عن توزيع الماعز المدجن والماعز البري في فلسطين في الزمن النطوفي لا تصلح لتكون أساسا للجدل. أما عظام الماعز التي وجدت في اريحة في الطبقات التي سبقت صناعة الفخار فهي بلا شك تعود لنوع مدجن ويستند هذا الجزم على شكل لب القرن الذي يبدو لوزيا في مقطعه العرضي^(٣٤) أما بقايا عظام الماعز التي وجدت في قرية جرمو بشمال العراق فان معظمها يعود للنوع المدجن ويستند هذا الاستنتاج على دراسة القرون التي تبدو في مقطعيها العرضي اللوزي الشكل مسائلة لتلك التي وجدت في اريحة ويضاف الى ذلك ان السطوح الداخلية لقرون هذا المعز مستوية وتشبه مثيلاتها في قرون المعز الكردي الحديث المدجن^(٣٥) كما ان كثيرا من قرون المعز انسي وجدت في جرمو مبرومة مما يدل على انها تعود لانواع اليقة لان هذه الصفة لا تظهر في قرون المعز البري عادة. وفي كهف انحرام الواقع في النهاية الجنوبية لبحر قزوين في ايران وجدت عظام لمعز يحتمل أن يكون من النوع المدجن^(٣٥) وقد عرف تاريخه بحساب الكربون الرابع عشر الاشعاعي بحوالي

٧٧٩٠ = ٣٣٠ سنة مضت (٣٦) ووجدت عظام المعز المدجن في بوس سرده في علي
كوش بإيران ويعود تاريخه لنفس الفترة (٣٧) ووجدت عظام الماعز المدجن في
تل مفش (٣٨) في سورية في زمن متأخر يعود الى عصر حلف .

اما في شمال افريقيا فقد وجدت عظام المعز في مواقع العصور التي سبقت
العصر الحجري الحديث وتبدو تلك العظام قريبة من عظام المعز غير المدجن
او عظام الوعول الصغيرة وهذا التفسير يشير الى ان المعز المدجن دخل اقطار
شمال افريقيا من الخارج في العصر الحجري الحديث . ان استيراد المعز والغنم
الى شمال افريقيا وعدم تعيين بداية العصر الحجري الحديث في هذه المنطقة
لاتشجع اعتبار هذه المنطقة منشأ للتدجين فاختبارات الكربون الرابع عشر
الاشعاعي تؤرخ اثار العصر الحجري الحديث القفصية في تونس بحدود ٢٨٩٨
قبل الميلاد (٣٩) مما يجعلها احدث عهدا من مثيلاتها في الشرق الادنى وخاصة
العراق حيث كان المعز المدجن يعيش في جرمو في الالف الثامن قبل الميلاد
كما كان يعيش في اريجة بنسطين في نفس هذا الوقت ولكن لا يعرف متى و اين
دجن الماعز لأول مرة ولا يمكن العلم بذلك في الوقت الحاضر .

الغنم :

ان اقدم الاغنام المدجنة في الشرق الادنى كان لها صوف غزير ووجدت
نساذجها الاولى في العراق (٤٠) ومصر (٤١) وتكشف الاثار الفنية في جنوب
العراق من عصر فجر الكتابة في اواخر الالف الرابع قبل الميلاد عن نوعين من
الاغنام النوع الاول له صوف غزير والثاني له الية وقد دخل النوع الاول الى
مصر في عهد المملكة الحديثة كما ان النوع الثاني استورد الى القارة الافريقية
اما الغنم غير المدجن فقد وجدت بقايا عظامه في منطقتين الاولى الى الشرق من
نهر الجيخون في شمال سبريا واواسط آسيا والثاني الى الغرب من نهري
الجيخون في ايران وتركيا وقبرص وكورسيكا وسردينيا . وفي قرية اناو (٤٢)

في التركستان الروسية وجدت عظام نوع وسط يربط بين غنم الاهوار
Ovis Palustris المدجن والغنم البري *Ovis Viegenei* وافترض بأن النوع
المدجن انحدر من النوع البري وهناك من يرى ان غنم الاهوار المدجن انحدر
من الغنم الشرقي *Ovis Orientales* . والرأي القائل ان الغنم غير الالف
من نوع *Ovis Viegenei* هو سلف الغنم المدجن الذي ظهر شرق ايران وشمال
غرب ايران يدعاه اكتشاف عظامه في هارابا (٤٣) وراانا غندي (٤٤) في الهند
والقرية لاولى في تبة سيالك (٤٥) في ايران والقرية الاولى في اناو (٤٦) في
التركستان . وعلى كل حال يبدو ان اقدم الاغنام المدجنة ظهرت في الشرق
الادنى .

ولا يوجد دليل احيائي او فني يستشف منه ان عظام الاغنام النسي
اكتشفت في قرية جرمو هي لانواع مدجنة فالعظام التي اشير اليها في تقارير
المنقبين وصفت بعظام الغنم او الماعز المدجن واغلب الظن انها تعود للماض
المدجن بدليل وفرة قرون الماعز بالنسبة الى العدد القليل من قرون الاغنام
وحتى هذه القرون والعظام القليلة التي تعود للاغنام يسكن ان تكون لانواع
برية غير اليقة وبتوهم الكثيرون بان الاغنام البرية هي حيوانات جبلية وان
عظام الاغنام التي يعثر عليها في القرى المجاورة للجبال هي لانواع اليقة بينما نجد
في الواقع عدة اصناف من الاغنام البرية عاشت في سهول وهضاب اسب ولا تزال
هناك اغنام ومعز برية تعيش قريبا من قلعة جرمو وتعود لصنف الغنم الشرقي
المعروف *Ovis Orientalis* وهي آخذة في الانقراض في الوقت الحاضر
ولكنها كانت تقرب من قرية جرمو قبل ٩٠٠٠ سنة . ومما لاشك فيه ان
الغنم قد تم في اسيا لان الغنم البري لم يكن معروفا آنذاك في افريقية بعينه

عصر البلايستوسين أما في أوروبا فكان وجوده مقتصرًا على سردينيا وكورسيكا وفي شمال إفريقيا دخل الغنم المدجن مع الماعز المدجن من اقطار الشرق الأدنى في العصر الحجري الحديث وفي المناطق الممتدة في جنوب الصحراء دخل الغنم المدجن مع الأبقار والماعز المدجنة من وادي النيل أو من شبه جزيرة العرب •

الخنزير :

يعتقد الكثيرون أن الخنزير البري في العالم القديم كان يعيش في الأهوار والمستنقعات غير أننا في الواقع نجد هذا الخنزير يعيش في مناطق الغابات النفضية والسهوب والهضبات ذات الأعشاب والأشجار الصغيرة وفي المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية حيث تتوفر العيون والجداول • والخنزير البري هو من الحيوانات التي يسهل تدجينها فإذا ربي في الأسر وقدم له الطعام فسيكون بالتأكيد مهينًا للتدجين مثل باقي الحيوانات الوحشية • إن هذا الاستعداد الكامن في الخنزير للتدجين وانتشاره الواسع في مناطق متعددة توحي بأن الخنزير دجن عدة مرات وفي أقسام مختلفة من مناطق إريتريا وتواجه الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في الرأي الشائع بأن كل الخنازير المدجنة قد انحدرت من أصل بري واحد^(٧) هو *Sus Scrofa Vittatus* الذي كان يعيش في جنوب آسيا وإذا كان هذا الرأي صحيحًا فإن التدجين ينبغي أن يكون أقدم عهدًا من الدلائل التي تشير إليها الآثار المكتشفة في الوقت الحاضر • ويرى البعض أن الخنزير أتجه من غرب آسيا غربًا نحو مصر في عصور قبل التاريخ عبر صحراء سيناء أو حضرموت وبما أن الخنزير البري كان يعيش آنذاك في مستنقعات النيل فمن المعقول أن نفترض أن الخنازير الأليفة قدر انحدرت من أصل بري محلي في هذه المنطقة ذات المستنقعات •

ان الغموض يكتنف اصل تدجين الخنزير ولا يوجد دليل واضح لتعيين زمان ومكان اقدم تدجين له بسبب اقبال المنقبين للعظام التي استخرجوها من مواطن الآثار والاحصاءات الوحيدة الموجودة لدينا هي من العراف وتشير الارقام الى ان ١٪ فقط من العظام التي اكتشفت في موقع كربم شهر ١٠٪ فقط من عظام الحيوانات التي استخرجت من قرية جرمو في العراو هي عظام تعود للخنزير^(٤٨) والمعروف ان الموقع الاول يعود تاريخه الى العصر الحجري المتوسط او الى بداية العصر الحجري الحديث والموقع الثاني هو من مواقع العهد الزراعي في العصر الحجري الحديث وبالرغم من ان عظام الخنزير المكتشفة في جرمو كانت اكثر من عظام الابقار الا انه لم يعثر على دليل مقنع على كونها تعود لنوع اليف واطافة الى ذلك فان كبر حجم العظام يشير الى وجود الخنزير البري^(٤٩) .

وفي تل حسونة^(٥٠) وفي فينوم^(٥١) (طبقات عصر حسونة وعصر حلف) وفي تل اسود^(٥٢) وبانا هلك^(٥٣) وكلها مواقع عراقية عثر على كيات لابس بها من عظام الخنزير ولكن المعلومات المذكورة في تقارير التنقيب لا يستتج منها أية حالة للتدجين^(٥٤) ولم يعثر على دليل احيائي على تدجين الخنزير في العراق في عصر العبيد اما الدليل الفني المتمثل بتماثيل الحيوانات التي وجدت في مواقع هذا العصر فهو غير مقنع ويفهم من هذا ان الاستدلال على تدجين الخنزير في العراق في عصر العبيد ليس قويا مثلما هو في حالة تدجين الكلاب والمز والاعنسام ولكن هذا لا يعني ان الخنزير المدجن لم يكن موجودا في هذا الوقت فان كانت عظام هذا الحيوان المكتشفة في مواقع الآثار قد درست دراسة وافية من الناحية التشريحية لالقت ضوءا واضحا على موضوع التدجين .

ان ما وجد من بقايا عظام الخنزير في موقع الخيام في وادي النطوف
بفلسطين لم يكن سوى سلامة قدم واحدة^(٥٥) وهذه العظمة لانكفي لتكون
دليلا على تدجين الخنزير في هذه المنطقة كما ان بقايا عظام الخنزير لم يعثر
عليها في طبقات النطوف المبكرة وازافة الى ذلك فان الخنزير البري كان
يعيش على بعد عدة أميال في غابات الهضاب المجاورة .

وفي ايران عثر على بقايا عظام الخنزير في القرية الثالثة في تبة سيالك^(٥٦)
ولكن لا توجد اشارة اكيدة على تدجينه .

ان الدليل على اقدم حالة تدجين للخنزير يتضح من بقايا عظام هذا
الحيوان التي وجدت في طبقات المرحلة الاولى من وادي العمق بسورية
ويرجع تاريخ هذه المرحلة الى سنة ٥٧٥٠ قبل الميلاد^(٥٧) والمعروف ان هذه
المرحلة توازي عصر حشونة في العراق .

ويظهر ان الخنازير المدجنة كانت تعيش في القرية الثانية في انساو
بتركستان والمعروف ان تاريخ هذه القرية يوازي عصر الوركاء في العراق
تقريبا وفي القرية الثالثة في شادته^(٥٨) بايران وجدت عظام الخنزير الاليف ويظهر
ان هذا الخنزير انحدر من نوع محلي كان يعيش في جنوب آسيا ويقترب
تاريخ هذه القرية بتاريخ القرية الثانية في آناو أي في عصر الوركاء .

وسيا تقدم نستطيع ان نقول ان تربية الخنازير بدأت في الشرق الادنى
في الالف السادس قبل الميلاد وانها كانت منتشرة في جنوب آسيا في النصف
الثاني من الالف الرابع قبل الميلاد .

اما في مصر فقد وجدت كميات كبيرة من عظام الخنزير في مرمدة بني
سلامة^(٥٩) ومعادي^(٦٠) في مصر السنلى في طبقات الازمان التي سبقت عصر
السلالات بالمقارنة مع ندرة وجود عظامه في طبقات المواقع الاثرية في الازمان
اللاحقة لان الخنزير اعتبر حيوانا غير نظيف في عبادة الاله حوريس وبالنظر
لكثرة المستنقعات المنتشرة في منطقة الدلتا التي تعتبر بيئة نموذجية صالحة

لنواجهد الخنزير فمن الصعب افتراض حالة برية للخنزير هنا غير انه لا يوجد دليل على تدجينه اذ لا يعرف عدد العظام المكتشفة ولا عمر الحيوانات التي تعود لها تلك العظام ولا تتوفر دراسة تشريحية عنها • اما مصر العليا فكانت في هذا الوقت تفتقر الى تربية الخنازير •

ويظهر مما تقدم ان الخنازير الاليفة ربما كانت تربي في مصر في عصور قبل التاريخ ولكن الادلة المتوفرة على تدجينها هي تلك التي ذكرتها السجلات المكتوبة في عهد السلالة الثالثة (٦١) •

اما في الهند فقد وجدت عظام كثيرة لنوع من الخنزير ربما كان مدجنا يعرف Sus Cristatus في موهنجودارو (٦٢) • أما عظام الخنزير التي وجدت في هارابا (٦٣) فهي بالتأكيد لنوع أليف بدليل وجودها مع مخلفات حضارية •

البقر :

في عصور قبل التاريخ كانت البقر البرية ذات القرون الطويلة منشرة في غابات أوروبا وجنوب آسيا وشمال افريقية وكانت موجودة في وادي النيل في اواخر عصر البلايستوسين (٦٤) اما الابقار البرية ذات القرون القصيرة التي عاشت في هذه المناطق فكانت اناة لتلك الثيران •

وفي العراق وجدت عظام لابقار برية صغيرة الحجم تعود لاواخر عصر البلايستوسين في مواقع المنطقة الجبلية في شمال القطر وكان اهل كهف شانيدر يصيدونها ولسوء الحظ لم تكشف التنقيبات (٦٥) عن جمجم او قرون تلك الابقار ولم يعثر في كهف شانيدر على عظام ابقار كبيرة الحجم ومن المحتمل ان تكون هذه الابقار الوحشية السلف الذي انحدرت منه الابقار المدجنة فيما بعد •

ان تنسب عظام الابقار الكبيرة الحجم التي تستخرج من المواقع الابدية لاصواع برية وتنسب العظام الصغيرة الحجم لانواع مدجنة رأى مرفوض من الناحية الوراثية كما ان مبدأ تخصيص القرون الطويلة لابقار غير مدجنة والقرون القصيرة لانواع مدجنة او بالعكس غير مقبول ايضا •

وفي قرية جرمو وهي من قرى العصر الحجري الحديث بشمال العراق وجدت بقايا عظام ابقار كبيرة الحجم ولكن خلافا لما ذكره المنقب^(٦٦) كانت قليلة العدد فمن بين مئات الالوف من عظام مختلف الحيوانات وجد عدد قليل جدا من العظام التي تعود لابقار غير مدجنة . وفي تل حسونة^(٦٧) وهو من مواقع العصر الحجري الحديث بشمال العراق ايضا وجد عدد قليل من اسنان الابقار وتبين انها لا تعود لنوع أليف . وكانت الثيران بالتأكيد مهمة في حياة اهل عصر حلف من الناحية الدينية بدليل وجود رسوماتها في فنونهم^(٦٨) ولكن الدلائل التشريحية على تدجينها ليست واضحة وما يؤسف له أن عظام الحيوانات التي استخرجت من تل حلف لم تحفظ . وفي طبقات عصر حلف في نينوى^(٦٩) وجد قرن واحد لثور مع قليل من عظام الخنزير ولكن هذه البقايا العظمية لم تحسب ولم ترسم ولم توصف ولم تذكر لها قياسات . وفي تل اسود^(٧٠) وجدت عظام لثيران وابقار ولكن لا يوجد دليل على تدجينها . ان احسن دليل على الابقار المدجنة في العراق في عصر حلف يمثل برأس حيوان ربما كان لبقرة عثر عليه في تل اربجية^(٧١) وتبدو القرون في الصورة الواضحة لهذا الرأس قصيرة ومنحنية الى الامام مثل قرون الابقار المدجنة في الوقت الحاضر . وفي فلسطين عثر على عظام لابقار كبيرة الحجم في المغارة الكبيرة^(٧٢) التي يرجع تاريخها الى العصر الحجري المتوسط مما يدل على انها لا تعود لنوع اليف وكان الاعتقاد سائدا حتى وقت قريب ان اقدم تدجين للابقار قد حدث في موقع الخيام بوادي النطوف بفلسطين وذلك استنادا الى قطعة واحدة من الفك الاسفل والى سنين لبنين والظاهر ان هذا الاكتشاف لا يكفي ليكون دليلا على التدجين حتى لو ثبت ان هذه البقايا العظمية تعود فعلا لبقرة .^(٧٣)

وفي سورية وجدت بقايا عظام الابقار البرية في مواقع المرحلة الاولى من الادوار الاثريّة في وادي انعمق^(٧٤) من زمن يعود تاريخه الى سنة ٦٥٠٠ قبل الميلاد .

وفي ايران عشر على سنين فقط لبقرة في القرية الاولى في تبة سيالك^(٧٥) وعلى هذا الاساس ظن ان تربية الابقار كانت ممارسة في هذا المكان غير ان هذا الاساس نفسه يدل على ندرة الابقار وبلاضافة الى ذلك لم يكشف عن عظام الابقار في الطبقات العليا من هذا المستوطن مما يدل على ان التدجين لم يستمر في العهود اللاحقة وليس من العقول ان يآلف سكان المنطقة تربية الابقار ثم يتوقعون عن ذلك فيما بعد . اما عظام الابقار التي وجدت في الطبقة الخامسة من كهف الحزام^(٧٦) بشمال ايران فلم يتبين منها أي أثر للتدجين وخصوصا اذا علمنا ان الابقار والثيران البرية كانت تعيش منذ زمن بعيد في هذه المنطقة . ووجدت عظام الابقار ذات القرون القصيرة بنوعها البري والاليف في القرية الثالثة بشاه تبة^(٧٧) في ايران ويعود تاريخ النوع المدجن منها الى نهاية الالف الربع قبل الميلاد ووجدت بقايا هذا النوع المدجن في حدود نفس الزمن في عlishar اويوك^(٧٨) في اسيا الصغرى .

وفي مصر تتعدد مشاكل البحث عن عظام الابقار المدجنة في عصور قبل التاريخ بسبب اختلاطها بعظام الجاموس ففي طبقات عصر البلايستوسين العليا في موقع الطوخ اكتشفت عظام نوع من الجاموس الافريقي الجنوبي كما وجدت عظام نوع آخر من الجاموس في السودان^(٧٩) ووجدت ايضا عظام لابقار ذات قرون طويلة وابقار ذات قرون قصيرة مع آلات حجرية سبيلية الطراز في وادي النيل في طبقات اواخر عصر البلايستوسين^(٨٠) وبما أن الثور البري كان يعيش في مصر منذ اواخر عصر البلايستوسين وحتى العهود التاريخية الاولى فان مجرد ادراك وجود عظام الابقار في التجمعات السكنية المبكرة لا يعتبر دليلا على التدجين الا اذا توفرت دراسة تشرحية تثبت عكس ذلك فعظام الابقار التي وجدت في مواقع عصور قبل التاريخ^(٨١) في اعمرة وطوخ وممرمة بني حسن ومعادي وبداري والنقاد والمحسنة لا تست الى التدجين بصفة .

وفي السودان وجدت عظام الابقار ذات القرون الطويلة في كوم امبو
في انقاص العصر الحجري الحديث . اما المنطقة الممتدة الى الجنوب من
الصحراء الافريقية فقد وصلت الابقار المدجنة من وادي النيل او من شبه
جزيرة العرب .

اما الابقار ذات السنام فغير معروفة لا في حالتها الوحشية ولا في حالتها
المتحجرة ويعتقد ان تدجينها تم خارج الهند^(٨٢) وادخلت الى الهند مدجنة
اذ وجدت عظام أنواعها المدجنة في هارابا^(٨٣) وموهنجودارو^(٨٤) والقريسة
الاولى في رانا غندي^(٨٥) . ووجدت الابقار ذات السنام والقرون بين
التسائيل التي عثر عليها في العراق في مواقع عصر حلف وعصر العبيد^(٨٦)
ووجدت عظام هذه الابقار في مصر في مواقع السلالة الثامنة عشرة فصورة
الثور ذو السنام المنقوشة على جذران معبد رمسيس الثاني في ابيدوس^(٨٧)
تدل على وجود هذا الحيوان في مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد
ولكن تاريخ دخوله الى مصر غير معروف .

يظهر مما تقدم ان الادلة المتوفرة لدينا لا توحي باستنتاجات واضحة
الا من حيث توفر الابقار الكبيرة والصغيرة وذات القرون الطويلة والقصيرة
وذات السنام والعديمة السنام في أقطار الشرق الادنى أثناء العصر الحجري
الحديث كما يظهر ان تعيين زمان ومكان تربية الابقار لأول مرة لاغراض
اقتصادية أمر صعب تحديده بسبب اهمال المنقبين الذين لم يحتفظوا بعظام
الحيوانات التي استخرجوها ومن المحتمل أن يكون الانسان قد بدأ يهتم
بتدجين الابقار في الالفين أو الثلاثة آلاف سنة التي سبقت الدليل الذي
نعرفه الان على تدجينها أي قبل ٨٠٠٠ سنة مضت . ونستطيع القول على
وجه التأكيد ان تربية الابقار كانت واسعة الانتشار في حدود سنة ٣٥٠٠

من ميلاد في شمال العراق وفي إيران وحتى تركستان الروسية .
إن نقوش الاحتام الاستوانية من الوركاء ومن المدن السومرية
المبكرة تشهد على أهمية دور البقرة وكذلك الغنم والماعز في حضارات
العراق القديم كما أن آثار القرية الثانية في آنو في تركستان
والقرية الثالثة في شاه تبة في إيران تثبت صحة تدجين الأبقار
في هذه المناطق . وبعد مرور خمسمائة سنة على تاريخ تدجين البقرة في أقطار
الشرق الأدنى بدأ التدجين في مصر وعند قيام السلالات الحاكمة في مصر
كانت تربية الأبقار ممارسة ولكن الدلائل الأحيائية على هذا التدجين قليلة
بسبب أهوال المنقبين للعظام التي استخرجوها من مواطن الآثار .

وهناك عدة فرضيات تفسر تدجين الأبقار إذ يرى البعض أنها دجنت
لتكون مصدر ثروة ويرى آخرون أنها دجنت لأغراض الطقوس والاحتفالات
الدينية أولاً ثم استخدمت لأغراض اقتصادية في مناطق معينة ومن الممكن
الافتراض بأن الأبقار الوحشية صيدت وأسرت وحفظت لأغراض دينية مدة
من الزمن ضعفت مقاومتها أثناء ذلك ودجنت والرموز الدينية ذات علاقة
بالثور التي وجدت في بعض مواقع أقطار الشرق الأدنى والجزر الأيحية قد
تفسر هذا الغرض الديني وهناك من يرى أن الحقول الزراعية استقطبت
الأبقار الوحشية فدجنت في الأسر . والرأي الأخير يفترض أن البقرة مثل
باني الحيوانات كانت حيوان صيد دجنتها الإنسان من أجل لحومها أول الأمر
وبسرور الزمن استفيد من لبنها وجلدها وخدماتها في حمل الأثقال وجبر
العربات وأحرث . ويظهر أن جميع الأبقار المدجنة انحدرت من سلالة
واحدة أو أكثر للثور البري المعروف بالارخص الذي كان منتشراً في أوروبا
وآسيا .

الخيول

ان عظام الحيوانات الاربعة ذات الاهمية الاقتصادية التي سبق ذكرها غالبا ما كان يعثر عليها في المواقع الاثرية مع عظام الحصان Equus من نوع الاخدر Onager في فلسطين وجدت عظام نوع من الاخدر الكبير الحجم في كهف شقبة ووادي الشباعي وام انقطافة^(٨٨) والمنغارة الكبيرة^(٨٩) وكلها تعود للعصر الحجري القديم أو العصر الحجري المتوسط كما وجدت في طبقات العصر الحجري المعدني في مجيدو^(٩٠) . وفي العراق وجدت عظام الاخدر في جرمو^(٩١) وفي سورية وجدت في طبقات عصر العبيد في تل مفش^(٩٢) وفي مصر وجدت في انقاض موقع بداري^(٩٣) ومعادي^(٩٤) التي تعود لعصور قبل السلالات . وفي تركستان وجدت عظام الاخدر في القرية الاولى باناو^(٩٥) . وفي ايران وجدت في كهف الحزام^(٩٦) وفي القرية الثانية في تبة سيالك^(٩٧) والقرية الثالثة في شاه تبه^(٩٨) وفي الهند وجدت في هارابا^(٩٩) وموهنجودارو^(١٠٠) . وهناك شبه اتفاق بين الباحثين على انه لا يوجد دليل على تدجين الحصان الحقيقي قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد^(١٠١) ولذلك يمكن الاستنتاج بأن الحيوان الذي كان يجز العربات ذات العجلات في انوركاء وجدت نصر هو الاخدر^(١٠٢) وتكشف لثان فنون العراق القديم عن استخدام نوع من السروج صمم اصلا للشيران ولم يعرف اللجام الحقيقي الا في عهد الكاشيين في الالف الثاني قبل الميلاد .

وفي مصر لم يظهر الحصان الحقيقي المدجن الا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد^(١٠٣) غير ان العربات الحربية كانت معروفة بعد جيل أو جيلين من غزوة الهكسوس^(١٠٤) وفي منطقة الجزر الايجية وجدت عظام الحمير في مدينة طروادة الرابعة بينما وجدت عظام الحصان الحقيقي في مدينة طروادة السادسة^(١٠٥) ويشير كلارك الى اضافة نوع صغير ورشيق من الخيول المدجنة

بين عظام الحيوانات التي اكتشفت في مواقع نهاية العصر الحجري الحديث في انكيترا آي في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد (١١٦) وهو الوقت الذي ظهر فيه تدجين الخيول في طروادة السادسة . ولم تكن الخيول المدجنة كثيرة في عدها قبل العصر البرونزي الاخير في منتصف الالف الاول قبل الميلاد .

يظهر مما تقدم ان الخيول الحقيقية دجنت في سهول شمال اوروبا ووسط اسيا في بداية الالف الثاني قبل الميلاد ويعتقد بانها دجنت من اجل لحومها في جنوب هذه المنطقة . ودخلت هذه الخيول المدجنة اقطار الشرق الادنى في الالف الثاني قبل الميلاد وكانت تستخدم لحمل الاثقال وجر المحراث في اول الامر وبسرور الزمن برزت اهميتها الحقيقية في الحروب وقد احدثت العربات التي تجرها الخيول ثورة في الشؤون الحربية لسرعة حركتها ولا يوجد دليل على استخدام الخيل للركوب قبل منتصف الالف الثاني قبل الميلاد وكان من نتائج استخدامها للركوب في السهول الاوراسية الشمالية ظهور الفرسان المحاربين الذين حلوا محل العربات الحربية في القتال ولذلك كانت الخيول في كثير من الاحيان تربك توازن القوى الحربية وظلت كذلك الى ان حلت محلها الاسلحة النارية الحديثة .

الجمال :

ان الموطن الاصلي للجمال غير المدجن بنوعيه ذي السنام وذو السنامين هو امريكا الشمالية ومن هذه القارة دخل الجمل الى شمال شرق القارة الاسوية التي لم تكن منفصلة عن قارة امريكا الشمالية في معظم الزمن الجيولوجي الحديث لوجود جسر ارضي كان يحل محل مضيق بيرنج ومن هناك وجد الجمل طريقه الى الهند حيث وجدت عظامه المتحجرة التي لا تعود لنوع مدجن في هارابا (١١٧) . ومن الهند دخل الجمل الى جنوب غرب آسيا حيث عثر على بقايا هيكله العظمي في شمال شبه جزيرة العرب .

من العصر الحجري المتوسط الذي شهد المحاولات الاولى في تدجين
الحيوان وزراعة النبات وصلنا أقدم رسم لهذا الحيوان من كلوة^(١٠٨) في
جبل الطويق في الحدود الجنوبية الشرقية لشرق الاردن ولا يثبت هذا الرسم
تدجين الجمل بل يشير الى حالة وحشية لان الجمل يظهر في هذا النقش
يسير خلف وعمل *

وفي سورية وجدت بقايا الهيكل العظمي للجمل في طبقات العصر
الحجري الحديث من موقع الشعار^(١٠٩) بهضبة انجولان ولكن لا توجد
لدينا دراسة تشريحية تثبت ان العظام المكتشفة تعود لجمل مدجن *
وفي العراق عثر على تسال من الطين المشوي لرأس جمل في الوركاء^(١١٠)
يعود زمنه الى عصر العبيد ولا يتضح من هذا الدليل الثاني أي شيء يتعلق
بالتدجين *

وعثرت بعثة دانركية في جزيرة أم النار الواقعة في أقصى جنوب الخليج
العربي في الزاوية الجنوبية الشرقية لجزيرة ابوضبي على بقايا عظام حيوانات
منها عظام مواشي وأبل وغزلان ولكن البعثة لم تستطع تشخيص عظام
الأبل المدجنة ومع ذلك فهي ترجح ان تكون هذه الاقسام من شبه جزيرة
العرب من مناطق التدجين الاولى^(١١١) ولا يبدو هذا الترجيح مستندا على
اساس قوى لان الدليل الاحيائي غير موجود *

أما عظام الجمل التي اكتشفت بصر في موقع النيوم^(١١٢) والتي يرجع
تاريخها للفترة ما بين ٢٤٠٠ - ٢٠٠٠ قبل الميلاد وكذلك رسوم وتسائيل
الجمل التي عثر عليها في ابيدوس^(١١٣) من عهد السلالة الاولى للمملكة
القديمة فلا يتبين منها انها جمل داجنة *

ان اقدم دليل يؤكد وجود الجمل كحيوان للحمل في الشرق الادنى
وجد في جبل^(١١٣) حيث عثر على تسائيل مصرية صغيرة من عهد المملكة القديمة
تعود لمنتصف الالف الثالث قبل الميلاد وتعتبر هذه التسائيل دليلا واضحا
على الافادة من الجمل لاغراض اقتصادية اخرى غير اللحم *

والدليل الآخر الذي يشير الى تدجين الجمل يتمثل بالنقش البارز في
الطين المشوي الذي عثرت عليه بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو في طبقات
أور الثالثة في تل أسمر^(١١٤) بمنطقة ديالى . ان هذا النقش يشل رجلا راكبا
على ظهر جمل ويرجع تاريخه لسنة ٢١٠٠ قبل الميلاد . ويتضح من هذا
الرسم رغم التلف الذي اصاب اقسامه العلوية ان الجمل اصبح يستخدم في
اواخر الالف الثالث قبل الميلاد للركوب ونقل المسافرين بعد ان كان حيوان
صيد في العصور الحجرية ثم حيوان نقل بعد ذلك بزمان طويل .

وتبدو حالة تدجين الجمل اكثر وضوحا من تمثال رجل يركب جبلا وجد
في تل تعنق^(١١٥) بفلسطين ويعود زمن هذا التمثال لمطلع الالف الثاني قبل
الميلاد .

اما قلب الجزيرة العربية فيخلو تماما من اي اثر لمتحجرات الابل سواء
كانت وحشية ام داجنة غير ان رسوم الجمل وجدت منقوشة مع كتابات
سودية في مواقع كثيرة مثل جبل برمّة الذي يقع شرق الرياض وجبل المليحة
في الحائل وروافدة بالقرب من تبوك وهي على العموم تعود لازمان تسبق
التاريخ الميلادي بقرون قليلة^(١١٦) .

يتضح مما تقدم وبضوء الدلائل الاثرية المكتشفة المتيرة لدينا في
الوقت الحاضر ان الجمل انتقل من حالته الوحشية في مرحلة الصيد الى
حالته المدجنة في اطراف شبه جزيرة العرب ثم ادخل مدجنا الى قلب الجزيرة
العربية . وتبقى هذه الحقيقة ماثلة امامنا الى ان تتوفر ادلة احيائية او فنية
تثبت عكس ذلك . غير اننا نعلم ان مناطق شبه الجزيرة العربية الداخلية
عنى عكس الانتشار العربية في الهلال الخصيب لم تتناولها التنقيبات الاثرية
بدرجة كافية ومن المحتمل ان يكون العكس هو الصحيح أي ان
الجمل نجى في المناطق الداخلية من شبه جزيرة العرب وادخل مدجنا مع الامم
التي هاجرت من شبه الجزيرة واستوطنت العراق وسورية والاردن وفلسطين

وانسار الافريقي ومن المحتمل ان تكون هناك مواقع اثرية كثيرة لاتزال
نتظر معاول المتقبن بحثا عن الاسرار التي تخفيها في بطونها عن بدايات تلك
الاقوام الجزيرية . ومن المؤمل ان تتولى الجامعات والمؤسسات الآثارية
وخصوصا تلك التي تأسست حديثا في شبه جزيرة العرب مهمة هذا الكشف
بيذل المزيد من الاهتمام بالاثار والتراث .

ويظهر من الدلائل المتوفرة لدينا الان ان اقتصاد العصر الحجري
الحديث المنتج المعتمد على الرزاعة وتدجين الحيوان قد تطور لأول مرة في
اقطار الشرق الادنى منذ الالف الثامن قبل الميلاد ومن هذه المنطقة انتشرت
تجربة التدجين الى بقية انحاء العالم القديم كفكرة طبقت على الحيوانات البرية
القريبة من الحيوانات التي سبق تدجينها كالماعز والاغنام والابقار والخنازير
وكحركة للحيوانات الى مناطق لم تسكنها من قبل مثل جنوب افريقيا او الى
مناطق كان يسكنها اقرباؤها غير المدجنين مثل اوربا وقد حدث في الحالة
الثانية تهجين مع الاصناف المحلية وقد وجدت نتيجة لهذه العملية تنوعات
مختلفة للحيوانات بتأثير البيئة الطبيعية المختلفة .

ولا يصح القول بان جميع الحيوانات الداجنة في العالم القديم قد
انحدرت من اسلافها في اقطار الشرق الادنى بصورة مباشرة او غير مباشرة
فالجاموس دجن في الشرق الاقصى ومن المحتمل ان يكون الحصان الحقيقي
قد دجن أصلا في وسط آسيا أو شرق اوربا ولا يسكن رفض اعتبار شمال
أفريقية مركزا مبكرا آخر لتدجين الحيوانات ما لم يثبت تاريخ العصر الحجري
الحديث في هذه المنطقة بوضوح .

الهوامش والمصادر

- Garrod, D. A New Mesolithic Industry : The Natufian of Palestine, Journal of Royal Anthropological Institute of Great Britain, Vol. LXII, 1932. p. 2161 — 265; Garrod, D. and Bate, D. The Stone Age of Mount Carmel, Vol. I, Oxford, 1937, p. 9 — 16, 175 — 177. (١)
- Braidwood, R. From Cave to Village in Prehistoric Iraq, American School of Oriental Research Bulletin No. 124, 1951, P. 13 — 15. (٢)
- Coon, C. Cave Exploration in Iran 1949, Philadelphia, 1951, P. 20 — 32, 69 — 76. (٣)
- Clark, G. World Prehistory, Cambridge, 1962, p. 64. (٤)
- Chard, C. Man in Prehistory, New York, 1975, P. 226 - 231. (٥)
- Reed, C. A Review of the Archaeological Evidence on Ancient Domestication in the Prehistoric Near East, in Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, Chicago, 1960, P. 124. (٦)
- Thevenin, R. Origins des Animaux Domestiques, Paris. 1947, P. 7. (٧)
- Braidwood, R. and Howe, B. Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, Chicago, 1960, P. 47 — 170. (٨)
- Braidwood, R. The Near East and the Foundations for Civilization, Oregon, 1952, P. 30. (٩)
- Caton Thompson, G. and Gardner, E. The Desert Fayum, The Royal Anthropological Institute, London, 1934, P. 34. (١٠)

- Pumpelly, R. Exploration in Turkestan, Expedition of 1904, Carnegie Institution Publication, No. 73, 1908, p. 38, 341, 342. (11)
- Lloyed, S. and Safar, F. Tell Hassuna, JNES, Vol. 4, 1945, P. 255 — 289. (12)
- Garrod, D. and Bate, D. The Stone Age of Mount Carmel, Vol. I, Oxford, 1937, P. 152. (13)
- Braidwood, R. Prehistoric Men, Chicago Natural History Museum Popular Series. Anthropology, No. 37, 1948, P. 93. (14)
- Garstang, J. The Story of Jericho, London, 1940. P. 49, 50; Kenyon, K., Early Jericho, Antiquity, Vol. 26, 1952, P. 116 — 122. (15)
- Ghirshman, R. Fouilles de Sialk pres de Kashan, 1933, 1934, 1937, Paris, 1938, P. 146, 17. (16)
- Macqueen, J. The Hittites and their Contemporaries in Asia Minor, London, 1975, P. 103; Chard, 1975. P. 226 — 231. (17)
- Von der Osten, H. The Alishar Huyuk, 1930 — 32, Part II, OIP, No. 30, 1937, P. 249. (18)
- Prashad, B. The Animal Remains from Harapa. Memiors of The Archaeological Survey of India, No. 51, Delhi, 1936. (19)
- Braidwood, R. The Near East and the Foundations for Civilization, 1952, P. 26, 30, Fig. 14. (20)
- Coon, C. Cave Exploration in Iran, 1949. Philadelphia, 1951, P. 43. (21)
- Clark G. Prehistoric Europe. Economic Basis, London, 1951, P. 125. (22)
- Ibid, P. 50. (23)
- Coon, 1951, P. 44. (24)

- Garrod, D. and Bate, D. The Stone Age Mount Carmel, I. 1937. (20)
- Bate, D. The Fossil Mammals of Shukbah. Prehistoric Society Proceedings, Vol. I. VIII, 1942, 15 — 20. (21)
- Zeuner, F. Dog and Cat in Neolithic Jericho. Palestine Exploration Quarterly, 1958, P. 52 — 55. (22)
- Braidwood, 1952, P. 26 — 31. (23)
- Reed, 1960. P. 129. (24)
- Ibid, P. 129. (25)
- Tobler, A. Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Philadelphia, 1950, PL. XXXVII, b. (26)
- Reed, 1960, P 130 — 131. (27)
- Reed, 1960, P 131 — 132. (28)
- Reed, 1960, P. 131. (29)
- Coon, 1951, P. 20 — 21, 44. (30)
- Ralph, E. University of Pennsylvania Radio-Carbon Date I. Science CXXI, 1955, P. 149 — 151. (31)
- Chard, 1975, P. 226 — 231. (32)
- Mallowan, M. Excavations in the Balikh Valley, 1938. Iraq, Vol. 8, 1946 P. 111 — 159. (33)
- Kulp, J. et al. Lamont Natural Radiocarbon Measurements II, Science, No. 116, 1952 P. 409 — 414. (34)
- Hilzheimer, M. Sheep, Antiquity, Vol. 10, 1936 P. 195-206. (35)
- Mond, R. Cemeteries of Armat I, London, 1937, P. 256. (36)
- Furphy, R. Exploration in Turkestan. Expedition of 1904. Carnegie Institution Publication, No. 73, 1908, P. 374. (37)
- Pernold, 1936, P. 3, 46. (38)
- Piggot, S. Prehistoric India, Middlesex, 1950, P. 121. (39)

Ghirshman, 1938, P. 146.	(٤٥)
Pumpelly, 1908, P. 375.	(٤٦)
Reed, 1960, P. 137.	(٤٧)
Braidwood, 1952, P. 26, 30.	(٤٨)
Reed, 1960, P. 139.	(٤٩)
Lloyd and Safar, 1945, P. 284.	(٥٠)
Malowan, M. The Prehistoric Scndage of Nineveh, 1931 - 1932, LAAA, XX, 1933, P. 178.	(٥١)
Mallowan, M. Excavations in the Ba'ikh Valley, 1938, Iraq, Vol. VIII, 1946, P. 124.	(٥٢)
Reed, 1960, P. 140.	(٥٣)
Reed, 1960, P. 140.	(٥٤)
Reed, 1960, P. 139..	(٥٥)
Ghirshman, 1938, P. 198.	(٥٦)
Reed, 1960, P. 140.	(٥٧)
Reed, 1960, P. 139.	(٥٨)
Mond, 1937, P. 258.	(٥٩)
Menghin, O. and Amer, M. The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site of Ma'adi, First Priliminary Report (Season 1930 — 1931), Egyp- tion University Publications, No. 19, 1932, P. 58.	(٦٠)
Reed, 1960, P. 141.	(٦١)
Marshall, J. Mohenjo-Daro and the Indus Civilization, London, 1931, P. 669.	(٦٢)
Prashad, 1936, P. 9, 54.	(٦٣)
Reed, 1960, P. 141.	(٦٤)
Solecki, R. Shanidar Cave, A Palaeolithic Site in Northern Iraq, Smithsonian Institution. Annual Report, 1954, P. 389 — 425.	(٦٥)

- Braidwood, 1952, P. 26 — 30. (17)
- Lloyd and Safar, 1945, P. 284. (18)
- Mallowan, M. and Rose, J. Excavations at Tell Arpachiyah, (19)
- 1933, Iraq, Vol. II, 1935, P. 1 — 178.
- Mallowan, 1933, P. 127 — 186. (20)
- Mallowan, 1946, P. 111 — 149. (21)
- Mallowan and Rose, 1935, Pl. VIa : 895B. (22)
- Bate, D. A Note on the Fauna of the Athilt Caves, Journal (23)
- of the Royal Anthropological Institute, No. 26,
- 1932, P. 277.
- Reed, 1960, P. 141. (24)
- Reed, 1960, P. 143. (25)
- Ghirshman, R. Iran from the Earliest Times to the Islamic (26)
- Conquest, London, 1954, P. 29.
- Coon, 1951, P. 49. (27)
- Arne, T. Excavations at Shah Tepe, Iran. Expedition 27, (28)
- Stockholm, 1945.
- Von der Osten, H. The Alisher Huyuk, 1930 — 32. Part II, (29)
- OIP. No. 30, 1937.
- Reed, 1960, P. 141 — 142. (30)
- Reed, 1960, P. 141. (31)
- Reed, 1960, P. 144. (32)
- Marshall, 1931, P. 658. (33)
- Prashad, 1936, P. 8, 34. (34)
- Marshall, 1931, P. 28, 29, 654. (35)
- Piggot, S. Prehistoric India, Middlesex, 1937, P. 121. (36)
- Van Buron, E. The Fauna of Ancient Mesopotamia as (37)
- Represented in Art, Rome, 1939, P. 74 — 76.

- Mackay, E. Further Excavations at Mohenjo Daro, Delhi, 1939, P. 278. (AY)
- Bate, 1928, P. 20. (AA)
- Bate, 1932, P. 277 — 278. (A9)
- Guy, P. and Engbur, R. Megiddo Tombs. OIP, No. 33, 1938, P. 210. A.)
- Braidwood and Howe, 1960, P. 47 — 48. (11)
- Mallowan, 1945, P. 128. (12)
- Brunton, G. and Caton-Thompson, G. The Badarian Civilization London, 1928, P. 38. (13)
- Mond, 1937, P. 255. (14)
- Pumpelly, 1908, P. 38, 42, 341, 342 (15)
- Coon, 1951, P. 44. (16)
- Ghirsman, 1938, P. 210. (17)
- Arne, 1945, P. 325. (18)
- Prashad, 1936, P. 8, 28. (19)
- Marshall, 1931, P. 654, 666. (1..)
- Hitzheimer, M. The Evolution of Domestic Horse, Antiquity, Vol. 9, 1935, P. 133 — 139. (1.1)
- Frankfort, H. Cylinder Seals, London, 1939, P. 32 (1.2)
- Chard, T. An Early Horse Skeleton. Journal of Heredity, No. 28, 1937, P. 317 — 319. (1.2)
- Clark, G. Horses and Battle Axes. Antiquity, Vol. 15, 1941, P. 57. (1.3)
- Gajval, N. The Fauna of the Successive Settlements of Troy. Secod Report, 1938 — 39, 1939, P. 1-18. (1.5)
- Clark, G. Prehistoric Europe. The Economic Bases, London, 1952, P. 121. (1.6)

- Prashad, 1936, P. 9, 58. (١٠٧)
- Horsefield, A. Journey to Kilwah, the Geographical Journal, Vol. cii, 1943, P. 71 — 77. (١٠٨)
- Stekelis, M. A New Neolithic Industry. The Yarmukian of Palestine, 1951, P. 5, 17. (١٠٩)
- Van Buren, 1934, P. 36. (١١٠)
- Bibby, G. Looking for Dilmun, 1973, P. 320 — 231. (١١١)
- Free, J. Abraham's Camels, Journal of Near Eastern Studies, Vol. 3, 1944, P. 188 — 190. (١١٢)
- حتي . فليب : تاريخ سورية وفلسطين ج ١/ ترجمة جورج حداد بيروت . ص ٥٦ (١١٣)
- Frankfort, H.; Lloyd, S.; and Jacobsen, Th. The Gimilsin Temple, OIP, No. XLIII, 1940, P. 212, Fig. 126F. (١١٤)
- Dostal, W. The Development of Bedouin Life in Arabia as Seen from the Archaeological Materials, A Lecture Delivered at the First International Symposium on Studies in the History of Arabia : Sources of the History of Arabia, University of Riyadh, Saudi Arabia, 1976. (١١٥)
- الهاسمي . رضا : تاريخ الابل في ضوء المخطفات الانثارية والكتابات القديمة . مجلة الاداب . جامعة بغداد . اصدار خاص . العدد ٢٢ ملحق سنة ١٩٧٨ ص ١٨٥ — ٢٢٢ . (١١٦)

ملابس الخلفاء في الآثار الإسلامية

الدكتور عبدالعزيز حميد

كلية الآداب - جامعة بغداد

لم يتميز خلفاء رسول الله (ص) الاوائل عن سائر المسلمين في شيء ان لم يكونوا اكثر تواضعا واشتظف عيشا واخشن ملبسا ، حتى ليذكر ان احدهم كان « يلبس الثوب من الكرباس الغليظ ^(١) وفي رجله نعلان من ليف وحمال سيفه ليف ويمشي في الاسواق كبقية الرعية » ^(٢).

وبروي ان ابا بكر الصديق (ر) (١١-١٣ هـ / ٦٣٢-٦٣٤ م) كان ازهد الناس واشدهم تواضعا في لباسه فلم يكن يرتدي وهو خليفة « الا الشنة والعباءة » ^(٣) . وكان في بعض الاحيان يجسع طرفي عباءته في صدره فيخلها بخال من عود او حديدة كي لا تسقط ^(٤) . ويروي المسعودي انه قدم عليه زعماء العرب واشرافهم وملوك اليمن وهو خليفة وعليهم التيجان والثياب المثقلة بالذهب « فلما شاهدوا ما عليه من اللباس والزهة ... ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كان عليهم » ^(٥).

-
١. انكرباس : هو ثوب من القطن الابيض سمى عن الفارسية : انكروز انادي . باب السين فصل الكتاب .
 ٢. ابن طباطبا . الفخري . ص ٣٧ .
 ٣. اليعقوبي . مشاكله الناس لزمانهم . ص ١٠ .
 - المسعودي . مروج الذهب . ج ٢ . ص ٣٠٥ .
 ٤. ابن الجوزي . معجم الصحابة . ج ١ . ص ٢٤٩ .
 ٥. المسعودي . المصدر السابق . ج ٢ . ص ٣٠٥ .

أما عن عمر بن الخطاب (ر) (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٣م) فقد كان عو
 الآخر متواضعا خشن الملبس اذ لبس الجبة الصوف وتشبّل مثل سلفه
 بأعباءه^(٦) . كما روي انه شوهّد يخطب وعليه قميص فيه اثنتا عشرة رقعة^(٧) .
 ويذكر انس ابن مالك رحمه الله انه شاهد عمر (ر) وهو خليفة وقد رفع بين كتفيه
 برقع ثلاث لبد بعضها فوق بعض^(٨) .

ويروى عن ولاته في الامصار انهم تشبهوا به فلبسوا غلاظ الثياب^(٩) .
 من هؤلاء أبو عبيدة بن الجراح عامله على الشام الذي كان يقتصر في لباسه
 على الصوف الخشن . كذلك سلمان الفارسي الذي كان يلبس الصوف
 ويركب الحمار . أما عامله سعيد بن عامر فقد كان لا يخرج يوما واحدا في الشهر
 الى الناس وذلك ليغسل فيه قميصه الوحيد ويجففه^(١٠) .

ومما يؤسف له انه ليس بين ايدينا معلومات وافية عما كان يرتديه
 الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ر) (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٣-٦٥٥م) فاذا
 استثنين التيسير الشهير الذي قتل فيه وارسل ملطخا بدمائه الى الشام ليعلق
 على منبر مسجد جامع فان الاشارات التاريخية الى ما كان يرتديه قليلة
 جدا . ومن الاشارات التاريخية القليلة التي وصلتنا انه كان احيانا يلبس
 اخيصة^(١١) . والخيصة كما جاء في المعاجم القديمة ثوب مربع اسود مزين

(٦) اليقوي ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٧) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، ج ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٨) الليثي ، موطأ الامام مالك ، ص ٦٥٨ .

(٩) اليقوي ، المصدر السابق ، ص ١١ .

ومما يذكر بهذا الخصوص ما يرويه زياد بن ابيه عن مقابلة له مع عمر
 ابن الخطاب (ر) قوله : فاتيته وعلي ثياب كتان وخفان ساذجان . واني
 بده مخصره (عصا) على رأسها حديدة فغمزها في خفي حتى حرته . .
 فلما كان من العذر رجعت اليه في خفين غليظين . وعلي ثياب من ممو .
 فلما راني قال هكذا يا زياد هكذا يا زياد . ثم قال / انك استأثرت بول
 الخفين لا قلب بواف / سر يد درعما واقما . فاعطاني درعما بول اسر .
 سلما . الجهنجاري . الوزراء والكتاب ، ص ١١٩ .

المسعودي . المصدر السابق . ج ٢ . ص ٢١٨ - ٢١٥ .

بحاشيتين مختلفتي اللون . وقد ترك رسول الله (ص) فيما ترك حين وفاته واحدة منها^(١٢) . ويبدو ان الخبيصة كانت لباسا ثينا بدليل الحديث النبوي الشريف « تعس عبد الدينار والدرهم وعبد القطينة والخبيصة »^(١٣) . وقد كان للخليفة أيضا مطرف^(١٤) خز قوم ثمنه بمئة دينار^(١٥) . ويبدو ان عثمان لم يسر على نهج الخليفتين الاولين في الزهد والتواضع في حياة الدنيا اذ يذكر في هذا الشأن ان داره التي بناها في المدينة كانت دارا مترفة حقا فقد « شيدها بالحجر والكلس ، وجعل ابوابها من الساج والععر^(١٦) واقتنى أموالا وقيانا وعبونا بالمدينة »^(١٧) ويذكر انه ترك عند وفاته مئة ألف دينار ومليون درهم عدا الضياع والقرى والخيول والابل^(١٨) .

اما بالنسبة للخليفة الرابع الامام علي بن ابي طالب (ر) (٣٥-٤٠هـ / ٦٥٥-٦٦٠ م) فلم يكن يختلف عن الخليفتين الاولين في الزهد والتواضع سواء كان ذلك في مأكله ام في ملبسه . فقد شوهد هو الآخر وهو يرتدي القمصان والازر المرقعة والاكسية الخليفة وما شابه^(١٩) . ويذكر المسعودي انه لم يلبس في ايام خلافته ثوبا جديدا ولا اقتنى ضيعة ولا ربعا^(٢٠) وتوفي ولم يترك الا سبعمائة درهم^(٢١) .

-
- (١١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ، ص ١ .
(١٢) دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ص ١٣٢ .
(١٣) البخاري ، كتاب الجهاد ، ص ٧٠ .
(١٤) المطرف : رداء خز مربع ذو اعلام (الفيروز ابادي ، فصل الطاء بالفاء) .
(١٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٥ ، ص ٣ .
(١٦) الععر ضرب من ضروب الخشب الجيد .
(١٧) المسعودي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
(١٨) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(١٩) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٨ .
(٢٠) المسعودي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢١ .
(٢١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٦ .

وما أن انتهى العصر الراشدي وانتقلت الخلافة الى بني امية حتى تغيرت الامور ، فاقبل بنو امية على الترف بجميع اشكاله فلبسوا الحرير بأنواعه . واقبلوا منذ عصر سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٤-٧١٧ م) على الوشي (٢٢) من الثياب اقبالا عظيما ، وان كان هذا لا يعني انهم لم يعرفوا تلك الثياب قبل عصر سليمان (٢٣) .

ومع ذلك فقد كانت للخلفاء الامويين رغبة صادقة في الحفاظ على الاصالة العربية . فظلوا يلبسون العسائم ويلقون السيوف على العواتق ، وهما عادتان عربيتان اصيلتان في الملبس ، حتى انه روى عن الاحنف بن قيس وهو سيد من سادات العرب المخضرمين قوله « لا تزال العرب عربا ما لبست العسائم وتقلدت السيوف » (٢٤) .

ومن غرلة النصوص التاريخية يمكننا القول ان (الجبة) كانت لباسا رئيسا للخلفاء الامويين في الشتاء (٢٥) . كما ان الرداء والازار ، كان لباس الصيف الرئيس عندهم . وبالإضافة الى هذين اللباسين مال الامويون الى القصص باختلاف انواعها كما عرف عنهم الميل الى استعمال الملائة المعطره بكثرة (٢٦) ، وقد بلغ الترف ببعضهم انهم كانوا يعطرونها بسخلف انواع العطور (٢٧) .

ويمكننا القول بشكل عام ان خلفاء بني امية لم يميزوا انفسهم عن غيرهم في الملبس اللهم الا في نقاستها وكثرتها . حتى ليروي ان ابا حزة - الخارجي عندما دخل المدينة خطب في اهلها يذم يزيد الثالث ويصفه بأنه « يأكل الحرام ويلبس الحرام ويلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على اهلها »

٢٢ هي الثياب المطرزة بالذهب وغيره .

٢٣ ان بكر . حمزة انساب شريش . ص ٢٧٧ .

٢٤ السرد . الكامل . ص ١٠٠ .

٢٥ المسعودي . المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

٢٦ الملائة : من لباس الرجال يتشبه المعطف اليوم وفرب من الحبل المزدوج .

٢٧ دوزي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

٢٨ الاستيعاني . الأغاني . ج ١ . ص ٥٢ .

بألف دينار» (٢٨). كما يروى انه كان لهشام بن عبد الملك (١٠١-١٢٤ هـ / ٧١٩-٧٤٣ م) اثنا عشر ألف قميص اضافة الى قطع الملابس الاخرى (٢٩). ولا شك ان ما يذكره الجاحظ، ان صحت روايته ، في ان «عبد الملك بن مروان كان اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد من الخلق خفا اصفر حتى ينزعه» (٣٠) كان ذلك يقتصر على من يحضر مجلس عبد الملك من الناس ولم يكن لينطبق على غيرهم. بالاضافة الى ان المنع كان ينحصر في المجلس الذي كان يتعل فيه الخليفة خفه الاصفر وليس في المجالس التي كان يستعمل فيها ألوانا أخرى من الخفاف. ومن ذلك القليل أيضا ما يذكره لنا القاضي الرشيد في ان «هشام بن عبد الملك وبني مروان كلهم عندما كانوا يكسبون الناس الخز يحتفظون بالاصفر والاحمر منه لانفسهم ويكسبون ما سوى ذلك من الالوان غيرهم» (٣١). وبديهي ا هذا لا يعني انه قد حرم على الناس استعمال ذينك اللونين من الخز وانما كان مقتصرًا على ما كان يجلب او يشتري مه لخزاة الكسوة لغرض لاستعمال الشخصي او لتقديسه في شكل خلع .

ومن الخلفاء الامويين من كان لا يلبس القميص اكثر من مرة واحدة الا اذا كان الثوب نادرا معجبا وغريبا ، ومن هؤلاء يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد (٣٢). ولا يستثنى من خلفاء بني امية في الاسراف في الملابس غير عمر بن عبدالعزيز (٣٣). حتى يذكر ان ثيابه وهو خليفة قد قومت باثني عشر درهما فقط وقد كانت قميصا وخفا وعمامة (٣٤).

-
- (٢٨) المصدر السابق . ج ٢٠ ، ص ١٠٦ .
 (٢٩) ابن الزبير . التآخي الرشيد . الذخائر والتحف . ص ١١ .
 (٣٠) الجاحظ . المصدر السابق . ص ١١ .
 (٣١) ابن الزبير . المصدر السابق . ص ٢١١ .
 (٣٢) الجاحظ . المصدر السابق . ص ١٥٦ - ١٥٧ .
 ومن الخلفاء العباسيين الذين انصفوا بتلك الصفة المهدي وانهادي والرسيد والمنصم والواق . نفس المصدر والصفحة .
 (٣٣) ويروى عنه انه كان يشتري له قبل الخلافة الحلة بالالف دينار فاذا لبسها استخسناها ، وعندما اتته الخلافة كان يشري له القميص بعشرة دراهم فاذا لبسه استلانه . (المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٩٦) .
 (٣٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز . ص ٤٨ .

وليس بين أيدينا من النصوص ما يؤيد أن الشعار الرسمي للخلفاء الأمويين كان لباس البياض فهناك كثير من الروايات التاريخية تتبين منها أن الخلفاء استعملوا الألوان المختلفة ولم يقتصروا على البياض في لباسهم (٣٥) . وربما جاء ذلك بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية والتي كان شعارها السواد وذلك على يد بعض الثوار الأمويين . من ذلك ما يكتبه لنا الطبري في حوادث سنة ١٣٢ هجرية (٧٤٩ م) عندما خلع أبو الورد أبا العباس السفاح بنفسه ، فبيض وبيضوا معه . وكان أبو الورد من أصحاب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وقائدا من قواده وفارسا من فرسانه (٣٦) .

وإذا تركنا النصوص التاريخية وانتقلنا إلى فحص ودراسة المخلفات الأثرية فلا نجد بين أيدينا إلا النثر اليسير والذي لا يمكننا الركون إليه باطمئنان . من ذلك رسم بالألوان المائية وجد بين عشرات الرسوم الجدارية التي كانت تزين الجدران الداخلية لقطر أموي صغير شيد للاستحمام والصيد والتزهة ربما على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك وذلك بين عامي ٩٦ و ٩٢ هجرية (٧١٠ - ٧١٤ م) . وتسمى خرائبه اليوم بقصر عمره والتي تقع على بعد خمسين ميلا شرقي عمان (٣٧) . وقوام هذا الرسم شخص يعتقد الكثير من المختصين في الآثار الإسلامية أنه ربما يمثل الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك نفسه (٨٦ - ٩٦ م / ٧٠٥ - ٧١٤ م) أو أمير آخر من الأمراء الأمويين (٣٨) . ونجد في الرسم الخليفة أو الأمير جالسا على عرشه وحول

٣٥. الاصبهاني . المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٦ .

وبذكر أيضا أن معاوية بن أبي سفيان كان يخرج للناس في ملابس مختلفة الألوان منها مطرف حز أخضر (ابن عبد ربه . العقد الفريد . ج ٦ . ص ١٣٣) .

٣٦. الطبري . ج ٩ . ص ٤٤٣ .

٣٧. وكان الفضل في الكشف على هذا البناء للمستشرق النمساوي ألونج موزيل سنة ١٨٩٨ .

٣٨. أحمد تيمور . التصوير عند العرب ، التعليقات . ص ٣٤ .

رأسه هالة وفوقه مظلة يحملها عمودان حلزونيان ويحلف به شخصان :
 أحدهما يقف الى يمينه ويحمل عصا او صولجانا او مذبة والثاني سيدة وهي
 تقف الى يساره . ومما يؤسف له ان اجزاء كبيرة من الرسم تلفت نتيجة
 العوامل الطبيعية او البشرية حتى لم يبق شيء واضح من الملابس ما يمكننا
 الاستفادة منه في هذا البحث^(٣٩).

غير انه توجد في المخطفات الاثرية من العصر الاموي دراهم ضربت
 سنة ٧٥ (٦٩٤ م) منها درهم تزين مركز الوجه فيه صورة للملك قبل الاسلام .
 بينما يحمل الوجه الثاني من المسكوكة صورة للخليفة عبد الملك بن مروان .
 لقد مثل الخليفة بهيئة وقوف متقلدا سيفا مستقيما^(٤٠) . والى يسار الصور كتابة
 تقرأ « أمير المؤمنين » . والى يمينها عبارة « خلفت الله » . وفي الجهة الثانية من
 المسكوكة توجد كتابة تقرأ « ضرب في سنة خمس وسبعين » . ونحن نعلم
 ان سنة خمس وسبعين تقع ضمن حكم الخليفة عبد الملك بن مروان . ويلاحظ
 في الصورة ان الخليفة ملتج يضع على رأسه كوفية تتدلى الى كتفيه ربطت الى
 رأسه بما يشبه العقال . وهو يرتدي جبة مفتوحة الوسط تحتها قميص ظاهر
 وتلويل يصل اخمص القدمين وله طيات وتعرجات مما يدل انه قد خيط من
 قماش رقيق ربما كان من الحرير أو الخز (شكل ١)^(٤١) .

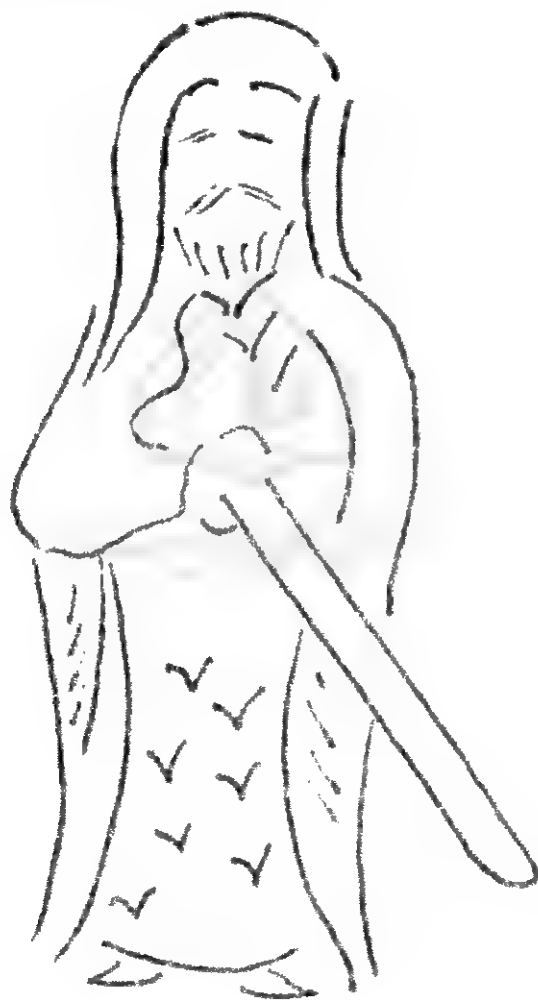
وهناك ايضا مجموعة من المسكوكات النحاسية اكتشف بعضها في
 الحفائر الاثرية التي قامت بها دائرة الآثار في المملكة الاردنية الهاشمية في
 وسط مدينة عمان . لقد ضربت تلك المسكوكات قبيل الزمن الذي عرفت فيه
 السكة الاسلامية تعرييا كاملا فلا يزال يظهر عليها ما يقربها الى النمط البيزنطي
 في الضرب . ويلاحظ في وجه هذه القلوس النحاسية صورة للخليفة عبد الملك

٣٩ . زكي محمد حسن . اطللس العيون الزخرفية . شكل ٨٠٢ .

٤٠ . عيسى سلمان . اقدم درهم معرب للخليفة عبد الملك بن مروان . معاد
 سرور ، مجلد ٢٧ . سنة ١٩٧١ ، ص ١٥٠ .

٤١ . مصدر انساب . السكر ٢ - ب .

بن مروان يبدو فيها منتصب القامة قابضا بيده على سيفه مرتديا جبة موشاة
 زئبق على رأسه كوفية • وقد نقشت في تلك المسكوكات عبارة « لعبدالله
 عبدالمك ائير المؤمنين » (٤٢) • ومما يؤكد ان - الصورة تمثل الخليفة فعلا
 هو ما يذكره المفريزي في كتابه « شذور العقود في ذكر النقود » من ان
 معاوية بن أبي سفيان كان قد ضرب دنانير عليها تشابه متقلدا سيفا • ففي
 ذلك السارء واضحه الى ان المقصود بذلك الصور هم الخلفاء فعلا •



شكل رقم (١)

١٠ - عثمان الحيدري • فوس بحاسه اميرة من عمان • مجله المسكوكات
 العدد ٦ • ١٩٧٥ • ص ٤٠ - ٤١ •

وإذا ما تركنا العصر الأموي وانتقلنا إلى العصر العباسي نجد أن
 الآثار التاريخية إلى ملابس الخلفاء تزداد إلى درجة كبيرة ، حتى أنه لا
 نجد خليفة من خلفاء بني العباس تقريبا إلا وهناك إشارات إلى ما كان يرتديه
 في بعض المناسبات وذلك ابتداء من خلافة أبي العباس السفاح (١٣٢هـ -
 ١٣٦هـ / ٧٥٠-٧٥٤ م) الذي شوهد عندما أخذت له البيعة في الكوفة بسكن
 عني أنه يرتدي ثيابا موشاة قوامها جبة ورداء لم ير صاحب الخبر
 « أحسن منها قط » (٤٣) .

ويظهر لنا بشكل عام أن خلفاء بني العباس قد اقبلوا اقبالا كبيرا على
 الملابس الفاخرة الثمينة ، ولا يستثنى من ذلك إلا خليفتان ، الأول أبو جعفر
 المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٤ م) الذي روى أنه كان « يلبس الخشن
 من الثياب وربما رقع قميصه » (٤٤) . ولم يكن المراد بذلك اضماء طابع التقشف
 عليه من باب الورع ، وإنما أرادوا التعرض لبخله وهي صفة عرف بها وتابود
 عليها (٤٥) .

وكان المنصور قبل أن ينزل الخلافة قد عرف « بصاحب القباء
 الأسمر » . وذلك بسبب قباء معين كان يكتم من ارتدائه (٤٦) .

أما الخليفة الثاني فهو المهتدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ / ٨٦٨-٨٦٩ م)
 الذي عرف أثناء فترة خلافته القصيرة بالتقشف والورع الشديدين ، حتى
 يقال أنه وجد له عند وفاته سبطا فيه جبة صوف وكساء كان يلبسهما في
 الليل ويصلي فيهما (٤٧) .

-
- (٤٣) المسعودي . المصدر السابق . ج ٢ . ص ٢٧٣ .
 (٤٤) ربما يزيد هذا الرأي ما كتبه الطبري من أنه أسرى له رعين لبس ...
 عشرين وثمة درهم ... فسقط أحدهما فذهبوا وجعل الآخر رداء ...
 لبس القميص خمسة عشر يوما لم يلبس غيره . الطبري . ج ١٠ ، ص ٩٠٠ - ٩٠٩ .
 (٤٥) الطبري . ص ٢٢٢ .
 (٤٦) الأربلي . خلاصة المذهب الشيعي . ص ٢٣١ .

وبعد منا ورد في النصوص التاريخية ان خلفاء بني العباس قد فاقوا
 السلاف الامويين في الاكثار من الثياب الفاخرة وربما حدث ذلك بسبب
 تدريجي . ففي الوقت الذي خلف فيه أبو العباس السفاح بعد وفاته تسع
 جباب وخمسة سراويل - وأربعة طياله وثلاثة مطارف خز (٤٨) ، نجد انه
 وجد في خزان الثياب عند وفاة الرشيد في سنة ١٩٣ هجرية (٨٠٨ م) الاف
 من قطع الملابس النفيسة (٤٩) ، فكان من جراء اقبال الخلفاء على اقتناء
 الثياب وكثرتها ان اصبح لها موظف خاص يدعى (صاحب الكسوة) تنحصر
 مهمته في اخراج وتسجيل كل ما يرد الى قصور الخلفاء من اللباس (٥٠) .

ومع كل ذلك فلم يكن للخلفاء في بادئ الامر ثياب تميز بشيء ما عن
 ملابس المومنين من الناس . ليس هذا فقد نستنتج ما بين ايدينا من
 نصوص ان بعض الاوائل منهم كانوا يميلون الى ان يشاركهم المقربون لهم في
 ارتداء ملابس مشابهة لما كانوا يرتدون ومن هؤلاء المنصور الذي مال الى لبس
 القلائس الطوائف ثم فرسب على فراد حاشيته والمقربين له حتى ليذكر ان
 الشعر ابا دلامه قد هزأ بها وشبهها بالدخان . وفان في ذلك .

وكنا نرجى من امام زيادة

فجاد بطول زيادة في القلائس

١٧١/٦ - مصري

كانت السراويل الخمسة ما وجد في خزان الخلافة له حيث الزمن لم
 حيا ، راحلوا : أربعة الاف جيب خز مبطن بسور وسك وسائر
 القبر ، سبعة الاف قميص وثلاثة وسبعة الاف خفطان والفس سراويل من
 الصوف الجباب وأربعة الاف حمامة والفس طيلسان والفس رداء مع اذنان
 اللباس وخمسة الاف مبدل : الدخائر والتحف . س ٢١٩ - ٢١٥ .

١٧١/٦ - مصري . الفرج بوند السعد . ج ١ . ص ٨١ .

تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس^(٥١)

وعلى الرغم مما جاء في بعض المصادر العربية من ان هذا الخليفة قد ابطل لبس تلك القلائس فيما بعد فيبدو ان استخدامها ظل حتى اواخر عصر المنصور نفسه. اذ يكتب الطبري انه عند وفاته في (عين ميسون) عند حاجبه اربع « فالبسه الطويلة والدراعة وسنده واوهم الناس انه حي ... »^(٥٢) ويذكر ايضا ان هرون الرشيد (١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦-٨٠٨ م) كان اول خليفة يرتدي ضربا معينا منها وهي القلنسوة المعروفة بالطويلة الرصافية^(٥٣). كما يذكر ايضا ان الامين ثم المأمون قد ساراً على نهج والدهما في ذلك^(٥٤).

وعلى الرغم مما يذكر من ان المستعين بالله (٢٤٨-٥٥٢ هـ / ٨٦٢-٨٦٦ م) احدث تغييرا اساسيا في الزي كان منها تصغير القلائس وتقصيرها^(٥٥). فانه يبدو ان القلائس الطويلة ظلت قيد الاستعمال من قبل الخلفاء العباسيين لامتد طويل بعد ذلك التاريخ^(٥٦). ربما حتى نهاية عصر تلك الاسرة في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)^(٥٧).

(٥١) الاغانى ، ج ٩ ، ص ١٦٤ .
ولاشك في انه اشتق من الدنان تسمية (الدنية) وهي ضرب من القلائس الضخمة والتي كان يرتديها القضاة بشكل خاص في العصر العباسي . وهي محدودة الاطراف طولها نحو شبرين تتخذ من الورق وتلف على قصب تغشى بالسواد وقد أصبحت الدنية وكأنها جزء لا ينفصل عن القاضى حتى بات يضرب المثل في الامور التي لا تجوز « مثل قاضى بلا دنية » (ميخائيل عواد . دنية القاضى في العصر العباسي ، الرسالة : ١٩٤٢ ، العدد ٤٨٦ . ص ٩٧٩ - ٩٨١) .

- (٥٢) الطبري ، ج ٨ ، ص ١١٤ .
- (٥٣) مشاكلة الناس ، ص ٥٦ .
- (٥٤) الطبري ، ج ٨ ، ص ٤٨٢ .
- (٥٥) مشاكلة الناس ، ص ٣٤ .
- (٥٦) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
- (٥٧) الحنبل ، رسوم دار الخلافة ، ص ٨١ .

ومما تجدر الإشارة اليه ان احمد بن طولون عندما استقل بافليب قد نقل استعمال القلائس الطسوال اليها حيث لبسها هو نفسه ايام زيج والاعباد (٥٨) .

ومع كثرة استعمالها في العصر العباسي يظهر ان القلائس الطسوال تكن من ابتكار العباسيين أنفسهم اذ يكتب البلاذري انها دخلت الى العالم العربي من الهند ايام حكم الاسرة الاموية على يد القائد العربي عباد بن زياد الذي وجد عند فتحه لمدينة قندهار ان قلائس اهلها كانت طويلة فراقته انت القلائس فلبس على شاكلتها فسيت بالعبادية (٥٩) . ويذكر أيضا ان الحجاج بن يوسف الثقفي كان يستعملها أحيانا عند جلوسه للناس أيام ولايته على العراق (٦٠) .

وعلى اية حال فانه لم تصل الينا رسوم لخلفاء او امراء او سلاطين يتزينون بالقلائس الطويلة . غير ان هناك الكثير من الصور لاشخاص عديدين بلبس اصحابها من تلك القلائس . منها واحدة مزينة بسايتبه الوشي على رأس رجب في منسنة من منسنيات مخطوطة النجوم الثابتة للصوفي والمحفوطة في مكتبة (بودليان) في اكسفورد (شكل ٢) (٦١) .

ومن المعروف أيضا ان القلائس الطسوال لم تكن الضرب الوحيد من كانت يستعمل في مجالس الخلفاء (٦٢) . ومن القلائس أيضا ما هو مصنوع من الفراء الثمين . وخاصة من فراء السور . وهو نوع من انواع الثعالب الشديدة

٥٨ . البهوي . سيرة احمد بن طولون . ص ٢١٧ .

٥٩ . البلاذري . فتوح البلدان . ج ٥ ص ٦١ .

٦٠ . يرى ان الحجاج بن يوسف كان ادا ونسج على راسه المنسنة الطويلة . يرى احمد بن حنبل ان يدخل عليه وعلى راسه منسنة الحجاج . المرجع . ص ٥٦ .

٦١ .

٦٢ . المجالس . سائر القلوب . ص ١٩٢ .

الصغيرة الحجم^(٦٣) . ولا تسك في أن قلانس السور والتي كانت غالبيتها
تصنع وفراءها الى الدانتل . ولو ان بعضها كانت تطوق من الخارج بالسور
والتي عرفت قديما بالقلانس المحددة^(٦٤) . منها واحدة لاحظها الرحالة ابن جبير
على رأس الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٦-٦٢٢ هـ / ١١٨٠-١٢٢٥ م) عند زيارته
لبغداد في سنة ٥٩٠ هجرية فقد شاهده ساعدا في زورق بدجلة « وعلى رأسه



شكّل رقم (٢)

- ٦٣١ يقول فيه التويمي انه « حيوان بري يشبه ابن عرس لكنه اكبر منه لون
احمر مائل الى السواد . ومنه ما يكون اسود لماعا . يتخذ من جلده فراء
ثمين : ناج العروس . باب الفراء فصل السين) .
٦٣٢ مروج الذهب . ج ٤ . ص ٢٥٥ .

قلنسوة مذهبة مطوقسة بوبر اسود من الاوبار الغالية المتخذة للباس الملوك... (٦٥)

واذا ما انتقلنا الى المخلفات الاثرية فالتا نجد عددا لا يستهان به من القلائس ذوات الفراء في رسوم منسومات مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي وربما من أهمها غرة مخطوطة مقامات الحريري التي نسخها وزوق منسوماتها يحيى بن محمود الواسطي في سنة ٦٣٤هـ (١٢٠٧م) محفوظة في المكتبة الوطنية في باريس . ففي غرة هذا الكتاب صورة (٦٦) تمثل رجل يعتلي عرشا ، يرتدى جبة وقباء مطرزا وعلى رأسه قلنسوة فراء داكنة اللون تتصدرها لؤلؤة او جوهر ذو كبيرة . قد رسم بخجم اكبر من الاشخاص المحيطين به في المنسمة . ومما يؤسف له ان الطمس والتشويه قد لحق ببعض اجزاءها دون غيرها من منسومات المخطوطة (٦٧) . ويضفي الدكتور ثروت عكاشة اهمية كبيرة على هذه المنسمة والتي تليها في المخطوطة فهو يرجح ان المقصود بالشخص الرئيس فيها هو السلطان بدر الدين لؤلؤ (٦١٥-٦٥٨هـ / ١٢١٨-١٢٥٩م) صاحب الموصل (٦٨) . في حين يرى ان الشخص الرئيس في المنسمة الثانية هو الخليفة نفسه . اي المستنصر بالله (٦٠٣-٦٤٠هـ / ١٢٢٦-١٢٤٢م) والذي يلاحظ ان الشخص في المنسمة يتربع على عرش لا يختلف في شيء عن العرش الظاهر في المنسمة الاولى ويحيط به كذلك عدد من الاتباع (٦٩) . ومما لاشك فيه ان الذي حمل الدكتور عكاشة على هذا الاعتقاد هو ان الشخص الرئيس في المنسمة الاولى حلق الوجه يضع على رأسه قلنسوة في حين ان الثاني ملتج ومعتم بعامة بيضاء وتحيط برأسه هالة (٧٠) .

٦٥ . ابن حبيب . ص ٢٢٨ .

٦٦ . رسمه في ظهير الورقة الاولى من المخطوط .

٦٧ . رزق عكاسه . فن الواسطي . ظهير الورقة (١) . ص ٢٢ .

٦٨ . نفس المصدر . ص ٢٢ .

٦٩ . صور الورقة ٢١ من المخطوطة .

٨٠ . Fitzingbanson, R., Arab Painting, p. 58.

ومن المخطوطات المزوقة الأخرى التي تتميز برسوم أشخاص يضعون على رؤوسهم قلانس سمور نسخة ناقصة من مخطوطة كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني وصلتنا منها خمسة أجزاء فقط ، ثلاثة محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة واثان في مكتبة فيض الله باستانبول . ان أهمية تلك النسخة من المخطوطة تتجلى في انه تنصدر كل جزء من أجزائها الخمسة منسمة فريدة موضوعها منظر ملكي قوامه رجل ذي هبة واجلال يحيط به من جوانبه المختلفة عدد من الاتباع يظهرون بحجم اصغر . ويرى معظم اخصائي التصوير الاسلامي انها تمثل السلطان بدر الدين لؤلؤ يحيط به بعض افراد حاشيته ، وذلك بسبب الشريط الكتابي الذي يحيط بأعلى كية في اثنتين من تلك المنمنات والتين وتقرآن : (عبدالله لؤلؤ)^(٧١) . وما تجدر ملاحظته ان قلنسوة بدرالدين لؤلؤ في كل واحدة من تلك المنمنات محددة بالقراء على النمط نفسه الذي يلاحظ في القلنسوة الظاهرة في غرة مخطوطة مقامات الحريري سابقة الذكر .

وفي منظر آخر تباهو عليه الابهة الملكية وهو ما نجده في مخطوطة كتاب (الترياق) المنسوب الى جالينوس والمؤرخ من سنة ٥٩٥ هجرية (١١٩٩ م) المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس . يلاحظ ان الملك او الامير الذي تحف به مجموعة من التابعين والجواري يضع على رأسه قلنسوة محددة تشبه تماما القلانس الملكية في غرر الأجزاء الخمسة لمخطوطة كتاب الأغاني التي تطرقنا اليها قبل قليل^(٧٢) . ونجد كذلك قلنسوة قراء مشابهة في منظر ملكي مثل في منسمة من منمنات نسخة ثابئة من مخطوط (الترياق) يرتقي تاريخ نسخه ونزويقه

٧١ . ركي محمد حسن . اثنس الفنون الزخرفية . الاشكال ٨٦٨ و ٨٦٩ و

الى منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وهو محفوظ في
المكتبة الوطنية بفينا (شكل ٣) (٧٣) * ولما كان كلاً المخطوطين منسوبين الى
الموصل والى الفترة الزمنية التي كان يحكم فيها السلطان بدر الدين لؤلؤ فار
هناك احتمال كبير في ان المقصود بالشخص الرئيس السني بتوسط تلك
الرسوم والذي يحيط به دوما عدد من الاتباع والجواري هو بدر الدين لؤلؤ
نفسه *



شكل رقم (٣)

وإذا تركنا القلائس وانتقلنا إلى العمائم فليس بين أيدينا من الإشارات التاريخية ما يدل أنه كان للخلفاء عمائم خاصة متميزة ، اللهم تلك الإشارة المتخفية والتي جاءت بها الجاحظ وهي أنه كان للخلفاء عمه مصنفة متميزة^(٧٤) . وربما المقصود بذلك ما كتبه الجاحظ نفسه في موضوع آخر من مصنفيه (البيان والتبيين) هو أن الخلفاء العباسيين كانوا يتميزون بشد العمائم على القلائس^(٧٥) . ونحن لا ندري أن لم يشارك المواطنون حقاً الخلفاء في تلك الصفة أبان عصر الجاحظ إلا أنه من دراسة المخططات الأثرية ، خاصة تصاوير المخطوطات ، يبدو أن قليلاً من الناس في القرن السادس أو السابع للهجرة (١٢-١٣١٣ م) كانوا يشدون العمائم على القلائس . ويسكن ببساطة أن تتحقق من ذلك إذا ما قمنا برسوم الجسود البشرية التي مثلهم لنا في منمنماته يحيى بن محمود الواسطي وغيره من أساتذة مدرسة بغداد العربية في التصوير (شكل ٤)^(٧٦) . غير أنه يمكن القول بشكل عام أن العمائم كانت تشد في العادة على (شاشية) أو (عرقية) وهي طاقية خفيفة لحماية العمامة من الاتساخ بالعرق ، والتي تسمى في إيران - اليوم (العرقجين) وتعريبها (مصاصة العرق)^(٧٧) . وقد تلبس الشاشية من غير عمامة أو منديل خاصة

٧٤ . البيان والتبيين ، ج ٢ ص ١١٤ .

٧٥ . نفس المصدر والجزء والصفحة .

وربما يفسر لنا نصاً للجيشياري وصف فيه مجلساً عاماً لهرون الرشيد قبيل وفاته بأنه كانت على رأسه قلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء (الوزراق والكتاب ، ص ٢٧٤) .

٧٦ . ثروت عكاشة . المصدر السابق ، ظهر الورقتين ٣ ، ٣١ .

٧٧ . ومما يؤيد أن الشاشية كانت تلبس تحت العمامة ما يكتبه الرحالة ابن بطوطة : ضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كبيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فانكروا عليه لباسه .

١ دوزي . المعجم المعصل بأسماء الملابس عند العرب . ص ٢٠١ .



شکل رقم (۴)

أيام الصيف القافض ، وهو امر لا يزال شائعاً في شبه جزيرة العرب واليمن وبعض مناطق العراق . ويروى ان المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٢٣-٨٤٢ م) استعمل أحياناً شاشية من غير عمامة حيث يذكر انه لبس واحدة ذات شكل مربع «نسبت اليه وسميت بالشاش المعتصمية فلبسها الناس تشبهاً به» (٧٨) .

ومن العنائم التي وردت اشارات اليها ضمن لباس الخلفاء ، عنائم خز كانت تستعمل عادة في المجالس العامة (٧٩) . أما في المجالس الخاصة فكانوا يرتدون عنائم وشي مذهبة (٨٠) وتزيوا في الشتاء أحياناً بعنائم مصنوعة من جلد السور . كما عرفنا عن المعتصم بالله انه استعمل عند غزوة لعمورية عمامة خاصة بالغزو لم يتطرق المؤرخون الى وصفها وباعتقادي انها كانت من النوع الخفيف تثبت على الرأس بطريقة التحنك ، اي مد طرف منها من تحت الحنك ليرتبط بالعمامة من جهتها الثانية .

واذا تركنا لباس الرأس جانباً وانتقلنا الى ملابس البدن نجد انه لم يكن هناك ملابس مميزة للخلفاء ومع ذلك فيمكن القول ان الخلفاء كانوا يميلون الى استعمال ضروب معينة من الملابس أكثر من غيرها . من ذلك كثرة استعمالهم للدراعة خاصة الاوائل منهم . والدراعة ، كما يصفها دوزي تشبه الجبة غير انها مشفوقة المقدم اي انها مفتوحة من جهتها الامامية حتى اعلى القلب ومزودة بأزرار (٨١) . لقد لبس الخلفاء الدراعة في مناسبات مختلفة سواء كان ذلك في اوقات العمل الرسمي او في ساعات اللهو والراحة . وقد عرف عن الرشيد انه كان يرتدي في مجالسه العامة دراعة خز مبطنه بالفراء (٨٢) . كما يذكر ايضا ان الرشيد كان يحج سنة ويفزو في سنة تالية وكان يلبس دراعة عند غزوه وحجه كتب من خلفها (حاج) ومن امامها (غاز) (٨٣) .

٧٨) . اليعقوبي . مسالك الناس . ص ٢٢ .

٧٩) . السنوخي . الفرج بعد الشدة . ص ٢٥٧ .

٨٠) . البيهقي . المحاسن والاصداد . ج ٢ . ص ٣٦١ .

٨١) . دوري . المصدر السابق . ص .

٨٢) . الطبري . ج ٧ . ص ١٩٨ .

٨٣) . المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٢٧ .

ويذكر المؤرخون عند تفرقهم لحصار بغداد ان الامين (١٩٣-١٩٦هـ / ٨٨١-٩٠٨ م) كان يلبس ثياب الخلافة وهي دراعة وقلنسوة وطلسان (٨٥) وبروي ايضا ان المعتصم بالله عندما خرج لفتح عسورية كانت عليه دراعة صوف .

ومع ذلك فلم يحصر الخلفاء لبس الدرايع بانفسهم اذ شاركهم في لبسها الشعراء والظرفاء والشيوخ والقضاة (٨٥) .

في العصر العباسي الثاني أصبح القباء من قطع الملابس الرسمية للخلفاء . والقباء ، كما هو معروف ، رداء طويل ذي ازرار مفتوح من الامام ومتور عند الرقبة (٨٦) . كان يلبس في العادة فوق القميص . وما يؤكد أهمية القباء عند خلفاء بني العباس في عصرهم الثاني ما يرويه ابن الجوزي عند تفرقه لسيرة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠١م) انه انسحب من مجلس سرور ليحسم قضية عاجلة فلبس قباء واخذ بيده حربة قبل ان يجلس في مجلس عام (٨٧) . ومع كل ذلك فقد شارك الوزراء وكبار رجال الدولة والموظفون العسوميين الخلفاء في لبس القباء .

لقد غلب على لبوس الخلفاء العباسيين في الشتاء البطئات كالجباب البطنة بالبراء والاقبية البطنة وغيره . كما غلب على لبوسهم في الصيف الاقبية الرقيقة والقص والدرايع والمطارف والطيالس .

اما عن شكل تلك الملابس فلم تكن تختلف في شيء عن ملابس بقية الناس ليس هذا فقط بل حتى ان الخاصة من الناس كانت تقلد الخلفاء في بعض من الاحيان فيما كانوا يرتدونه ، فنجد انه عندما ضيق المعتصم بالله اكمام الثياب ضيق الناس اكمامهم (٨٨) وعندما وسعها المستعين فجعلها ثلاثة اسيار او نحوها حذى الناس في ذلك حذوه .

١. الخطيب البغدادي . ج ١٠ . ص ١٩٨ .

٢. المسعودي . مروج الذهب . ج ٢ . ص ٦٠ .

٣. درزي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

٤. ابن الجوزي . ج ٥ . ص ١٢٩ .

٥. مسالك الناس . ص ٣١ .

ولم يتخرج الخلفاء عن استخدام الالوان المتنوعة فيما كانوا يرتدونه من ملابس في مجالسهم الخاصة : فقد عرف عن المهدي مثلا انه كان يلبس الثياب الموردة (٨٩) ، كذلك ارتدى المتوكل الدرايع الحمر (٩٠) . غير أن لباسهم في المجالس الرسمية والعامة ، باستثناء حالات قليلة ونادرة ، كان هو السواد (٩١) . لقد جرت العادة ان يرتدي الخلفاء قباء أسود أو جبة سوداء وعبامة او قلنسوة سوداء . وكانت الجبة والقلنسوة السوداء اخر ما لبسه الخليفة هرون الرشيد عندما جلس اخر جلوس عام للناس قبل وفاته (٩٢) . وقد كتب بعض المؤرخين القدامى من العرب انه كان من المستحسن جدا ان يرتدي الخليفة المصمت من الثياب اى ذو لون شديد السواد لا يخالطه لون اخر ، او لونا مولدا اى الثوب ذى اللون القريب جدا من السواد ، وان لا يظهر في المجالس العامة بالملابس الجريبة كالديباج والسقلاطون او الملابس المنقوشة (٩٣) .

(٨٩) الجهشيارى ، ص ١٦٠ .

(٩٠) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .

(٩١) ان من تلك الحالات النادرة انه شوهد المعتضد بالله لما خرج الى غار وصيف الخادم عليه قباء اصفر (التنوخى ، تسوان المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨) كذلك نجد ان المعتدى بامر الله لما يوبع بالخلافة سنة ٢٦٧ : بحرية جلس في دار الشجرة يقميضي ابيض وعمامة لطيفة بيضاء وطرحه تحت درية (المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٩٢) . وشاهد الرحالة ابن جسر الطبيعة الناصر لدين الله عند زيارته لبغداد لابسا ثوبا ايضا شبه النجم برسم ذهب فيه (رحلة ابن جبر ، ص ٢٢٨) .

(٩٢) الجهشيارى ، ص ٢٧٤ .

(٩٣) السقلاطون نسج من حرير مطبوع بفصول الذهب (الفهرست ابادى ، حرف اللون باب السمن) .

لقد أصبح من الأمور التقليدية جدا بالنسبة للخلفاء في العصر العباسي الثاني أن يتقلد في مجلسه العام سيف النبي صلى الله عليه وسلم وأن يجعل بين مخطتي الدست عن يساره سيفاً آخر ، وأن يجعل على كتفيه وصدره وظهره بردة النبي (ص) وأن يسك بقضيبه . البردة والقضيب قد أصبحا شعار الخلفاء العباسيين الذين لا يتازعهم فيه أحد (٩٤) .

والواقع أن السواد من اللباس فوقه البردة كان الزي الذي لم يشارك الخلفاء العباسيين فيه أحد من الناس .

والبردة ، كما هو معروف ، هي تلك التي وهبها الرسول الكريم إلى الشاعر المخضرم كعب بن زهير بعيدة فتح مكة ، وذلك عندما آمنه النبي الكريم بعد جفوه فأنشده قصيدته المشهورة التي مطلعها :

يا نبت سعاد فقلبي اليوم مقبول

ميسم أثرها لم يغد مكبول

ومن المعروف أن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٧٩ م) قد اشتراها من ورثته بعشرين ألف درهم وبقيت في خزائن الأمويين ثم الت بعد ذلك إلى العباسيين في سنة ١٣٢ هجرية (٧٤٩ م) . وهناك رواية ثانية هي أن بردة النبي التي انتقلت إلى الأسرة العباسية هي غير البردة التي اشتراها معاوية ، بل بردة أخرى لرسول الله اشتراها أبو العباس السفاح من أهل (آبله) بفلسطين وكان رسول الله (ص) قد أعطاها لهم مع كتابه الذي تمنهم فيه (٩٥) . ومهما يكن من أمر فإن البردة أو البرد ، كما جاء في أمثاله

٩٤ . آدم سر . الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري . ج ١ . ص ٢٥٥ .

٩٥ . ابن الأثير . الكامل ، ج ٧ ، ص ١٩٥ .

العربية القديمة ، كساء من نسيج صوفي مخطط مربع الشكل او مستطيل^(٩٦) ،
كان شائع الاستعمال الى درجة كبيرة عند عرب شبه الجزيرة قبيل الاسلام .
كان كثير منها ينسج في اليمن وفي حضرموت ثم يصدر الى مدن وقبائل شبه
الجزيرة .

لقد كان الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على اكتافهم في المواكب جلوسا
وركوبا ، وبات الخليفة يضعها على كتفه في اليوم الاول من ايام عيد الفطر .
كما كانوا يستعملونها عند خروجهم للحروب وفي الازمات المختلفة من ذنب
ما يذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٢٥١ هجرية من ان المستعين بالله
(٢٤٨-٢٥٢هـ / ٨٦٢-٨٦٦ م) قد خرج الى سطح دار العامة وعليه البردة
فكلم الناس واقسم عليهم بحق صاحب البردة ان ينصرفوا^(٩٧) ويذكر ايضا
ان البردة كانت على كتف المقتدر بالله حين قتل في سنة ٣٣٩ هجرية (٩٥٠ م)
قتلوث بالدم . ويكتب ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٥٠ هجرية (١٠٥٨ م)
ان الخليفة القائم بامر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ / ١٠٣٠-١٠٧٤ م) خرج لابسا
السواد على كتفه البردة وعلى رأسه اللواء ويده سيف مجرد وحوله زمرة
الهاشيين^(٩٨) وذلك عندما اضطربت الاحوال ببغداد نتيجة عصيان القائل
الباسيري في تلك السنة .

وفي الرسوم على بعض المخططات الاثرية التي ترجع الى العصر العباسي
صورتان للبردة . الاولى ظاهرة في رسم للتوكل على الله على مسكوكة صه
فضية محفوظة في متحف تاريخ الفن بفينا^(٩٩) . والمسكوكة هذه قد ضربت على

(٩٦) الفروز ابادي ، القاموس المحيط ، (برد) .

(٩٧) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٦٢ .

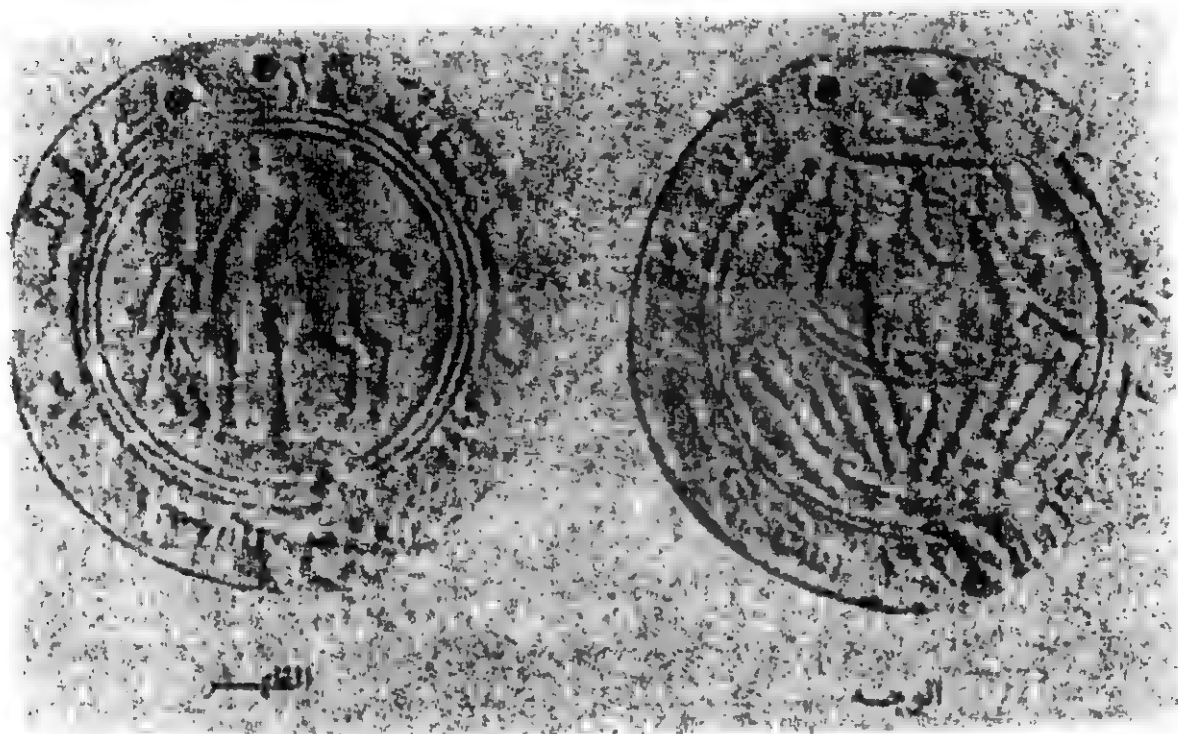
(٩٨) ابن الجوزي ، المنتقى ، ج ٨ ، ص ١٩٢ .

Arnold, T. W., Painting in Islam, p. 125.

(٩٩)

الأرجح لتؤرخ لتتصارا مها للمسلمين على مجئوعة من القبائل الحامية
كانت تسكن مصر العليا أخذت تغير على ارض مصر أيام خلافة المتوكل على
الله (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) (١) .

وتبدو والبردة الظاهرة على كتف المتوكل انها من قطعة واحدة من
قماش سبك السيج يغطي كتيه وصدره وقد جمع في الجهة الامامية
بواسطة خال من معدن او خشب او عظم (شكل ٥) .



شكل رقم (٥)

والصورة الثانية البردة ناهرة على كتف المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٠٨ هـ /
٩٠٨ - ٩٣٢ م) في مسكوكة صلة يحتفظ المتحف العراقي بنسختين منها (١١) .

١١.٠٠ ناهض عبدالرزاق دفتري . رأى جلد لمسكوكه المتوكل على الله . مجلة
المستشرقات . العدد ٧ . ١٩٧٦ . ص ١٠١ .

١١.٠١ أول تحت رقم ٩٢٨ من . والمالية من مجموعة من النسخ
التي ألفها رقم ٢٨٨

ويلاحظ في صورة المقتدر بالله (١٠٣) ، انه يستطي جواده ، كامل اللباس يسك بيده اليمنى لجام جواده ويضع يده اليسرى على قبضة سيفه المتدلي ويضع على كتفه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم (شكل ٦) .

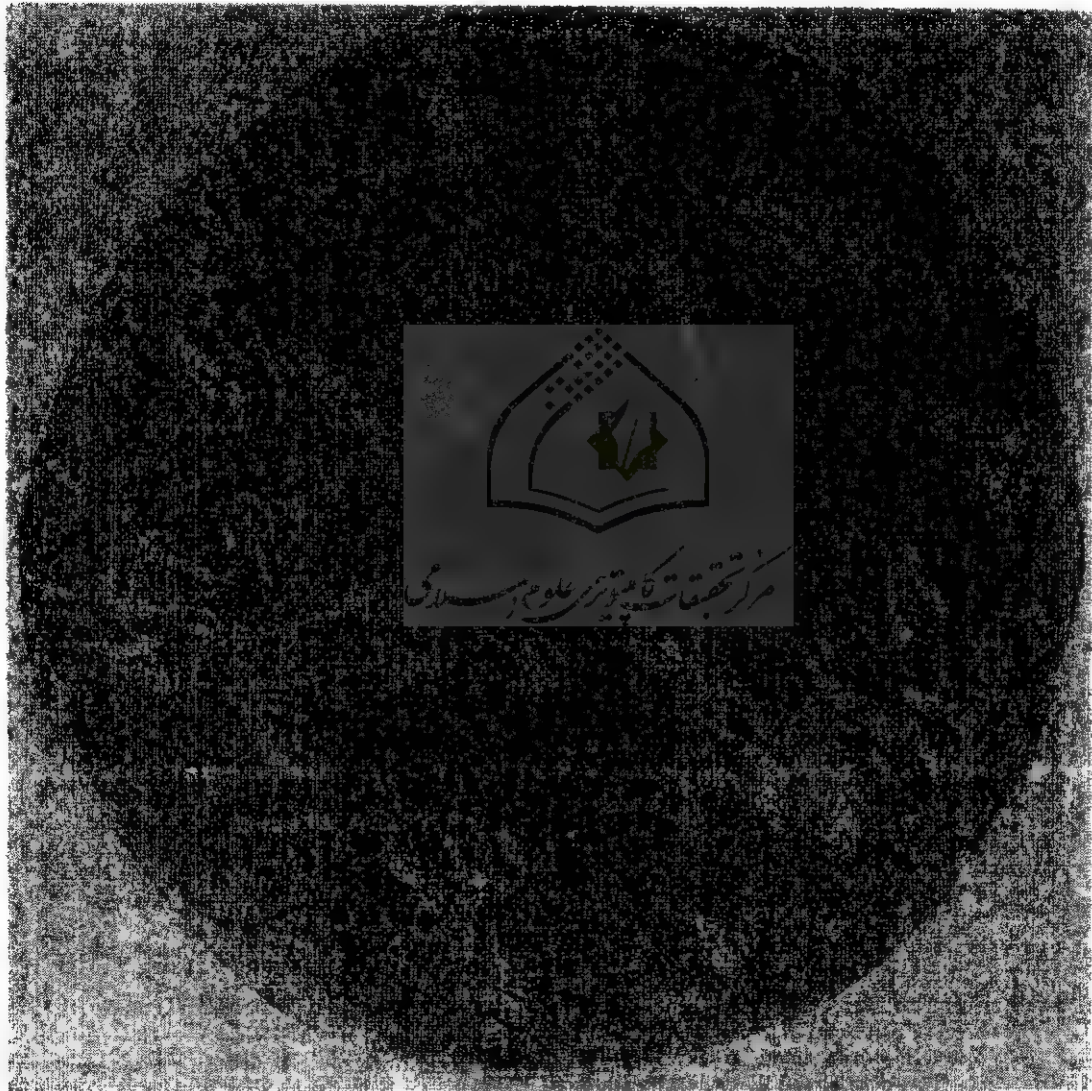


شكل رقم (٦)

ويبدو من وصف عريب له عند خروجه لقتال مؤنس المظفر سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢ م) انه هذا الخليفة كان يرتدي مثل هذا الزي عند خروجه في مهام عسكرية فقد كتب : اخبرني جماعة من اهل بغداد ممن عاين المقتدر خارجا من داره وقد شق المدينة يريد رقعة الشاسية فقالوا كان عليه خمتان فضي تستري وعليه عمامة سوداء مصت والبردة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم على كتفيه وصدره ونهره وهو متقلد بذى الفقار سيف رسول الله (ص) وحائله ادم احمر وفي يده اليمنى الخاتم والقضيب وتحت الفرس

١٠٢١ . تسمى سليمان . صور من حياة الخليفة العباسي المقتدر بالله . مجلة
المسكوكات العدد ١ . ١٩٢٣ . ص ٢ .

المعروف بالاقبال ويعرف بالتابوس لأن ابا قابوس اخذاه ابيه وشي خرس
 مرج مغربي احمر بخلية جديدة ونحت فخذة الايسر سبف به اذبح آله
 ويلاحظ في البردة التي تغطي كتف وسدر مقتدر بالله في المسكوكة
 انها مخططة بما يشبه المربعات * والواقع ان الصورة بشكل عام سيزجج
 من التحوير ، فهي بعيدة بعض الشيء عن صدق تشييع الطبيعة في النسب
 والتشريح (شكل ٧) *



شكل رقم (٧)

(١٠٣) : غريب بن سعد القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ، ص ٢٤٠ ، ص ٢٤١
 (المأخوذة ١٩٣٦) : غريب سلمان ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

ولا شك ان البردة قد مثلت في عدد اخر من مسكوكات الصلة والدعاية
الخاصة بالخلفاء العباسيين غير ان ما وصلنا منها ، كما هو معروف ، قليل
نادر .

ومهما يكن من امر فقد ظلت البردة رمزا للخلافة العباسية وشعارا لهم
لا ينازعهم فيه منازع . فكانوا يتوارثونها متبركين بها وبقيت في حوزتهم
حتى نهاية عصرهم في سنة ٦٥٦ هجرية (١٢٥٨ م) . وهناك قول في انها
نقلت بعد ذلك الى مصر في عصور دولة المماليك ، ثم الى اسطنبول ايام
الدولة العثمانية . ويقال ان اجزاء منها محفوظة اليوم في بعض متاحف
اسطنبول والله اعلم .



ثبت بمصادر البحث

١. ابن بكار : الزبير . جمهرة نسب قريش واخبارها . لبنان ١٩٦٦ .
٢. ابن جبير . محمد بن احمد : رحلة ابن جبير ، لايدن ١٩٠٧ .
٣. ابن الجوزي - صفة الصفوة ، حلب ١٩٦٩ - ١٩٧٣ .
٤. ابن الجوزي - المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، حيدرآباد ، الهند ١٣٥٧ هـ .
٥. ابن الزبير ، القاضي الرشيد ، الدخائر والتحف ، الكويت ١٩٥٩ .
٦. ابن سعد ، الطبقات الكبير ، طبعة بريل ١٩١٢ .
٧. ابن طباطبا ، الفخري في الاداب السلطانية او الدول الاسلامية ، طبع شالون ١٨٩٤ م .
٨. ابن عبدالحكم ، عبدالله ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، مصر ١٩٢٧ .
٩. احمد تيمور ، التصوير عند العرب ، القاهرة ، ١٩٤٢ .
١٠. آدم متر ، الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده .
١١. الاربلي ، عبد الرحمن ، خلاصة الذهب المسبوك ، بغداد ١٩٦٤ .
١٢. البلاذري ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، دار النشر للجامعيين ١٩٥٧ .
١٣. البلوي . محمد بن محمد ، سيرة احمد بن طولون ، دمشق ١٣٥٨ هـ .
١٤. البيهقي ، المحاسن والاضداد ، مصر ١٩٦٧ .
١٥. التنوخي ، القاضي ابو علي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٢ .
١٦. التنوخي ، الفرغ بعد الشدة .
١٧. تروت عكاشة ، فن الواسطي ، مصر ١٩٧٤ .
١٨. الذهبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مصر ١٩٦٥ .
١٩. الجاحظ ، البيان والتبيين ، مصر ١٩٤٨ .
٢٠. الجاحظ ، الناج في اخلاق الملوك ، لبنان ١٩٧٠ .
٢١. الجوسيارى ، محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتائب ، القاهرة ١٩٢٨ .
٢٢. الجندري ، عدنان ، فلوس نحاسية اموية من عمان ، مجلة المسكوكات العدد ٦ سنة ١٩٧٥ .

- (٢٣) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، تاريخ بغداد ، مصر ١٩٦٥ .
- (٢٤) دوزي ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل بغداد ١٩٧١ .
- (٢٥) زكي محمد حسن ، أطلس الفنون والتصاوير الإسلامية ، بغداد ١٩٥٦ .
- (٢٦) الراغب الأصبهاني ، حسين بن محمد ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء بيروت ١٩٦١ .
- (٢٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٣ - ١٩٦٨ .
- (٢٨) الصابي ، هلال بن محسن ، رسوم دار الخلافة بغداد ١٩٦٤ .
- (٢٩) حرب ، بن سعد القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ، القاهرة ١٩٣٩ .
- (٣٠) عيسى سلمان ، أقدم درهم معرب للخليفة عبد الملك بن مروان ، مجلة سومر ، م ٢٧ سنة ١٩٧١ .
- (٣١) صور من حياة الخليفة العباسي المقتدر بالله ، مجلة المسكوكات ، العدد سنة ١٩٧٣ .
- (٣٢) الليني ، يحيى بن يحيى ، موطأ مالك ، شرح أحمد راتب عرموش ، بيروت ١٩٧٠ .
- (٣٣) السعودي ، علي عبد الحسين ، مروح الذهب ومعادن الجواهر ، مصر ١٩٥٨ .
- (٣٤) ناهض عبدالرزاق ، رأي جديد لمسكوكاة الصلة للخليفة العباسي المتوكل على الله ، مجلة المسكوكات ، العدد ٧ سنة ١٩٧٦ .
- (٣٥) اليعقوبي ، أحمد بن إسحق ، معشاة الناس لزمانهم ، بيروت ١٩٦٢ .
- (٣٦) Arnold, T.W. Painting in Islam, New York, 1965.
- (٣٧) Eltinghausen, E., Arab Painting, Skira, 1962.

اسباب ونتائج التصنيع في العراق

الدكتور احسان محمد الحسن

مدرس علم الاجتماع في كلية الاداب بجامعة بغداد

ان مفهوم التصنيع هو من المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية الدائمة الصيت والمتداولة بكثرة في الابحاث والدراسات الاجتماعية والطبيعية والتطبيقية على حد سواء . فقد يعني توسع القاعدة الصناعية وزيادة الانتاج الصناعي في مجتمع كان بالاساس يعتمد على المهنة الزراعية ، وما يترتب على هذا التوسع والنمو الصناعي من تحولات مادية واجتماعية وحضارية وفكرية تنساب بنية المجتمع ومؤسساته الوظيفية . لذا فالتصنيع الذي هو عامل اقتصادي فعال غالبا ما يؤثر في بناء المجتمع التوقي ويترك آثاره وأنعكاساته عليه وهذا بالتالي سينقل المجتمع برمته الى مرحلة حضارية واجتماعية متطورة ونامية تختلف عن المرحلة السابقة التي كان بها قبل تحوله الصناعي .

وهذه الحقيقة يمكن لمسها ومشاهدتها في المجتمعات النامية التي في طريقها نحو التصنيع والانقلاب الصناعي .

وقد يستعمل مفهوم التصنيع احيانا في وصف تبدل انماط الانتاج الصناعي كتحول الصناعات الخفيفة الى صناعات ثقيلة معقدة تعتمد عملياتها الانتاجية والتكنولوجية على استثمار رؤوس الاموال الكبيرة ، الخبرات العلمية والتكنيكية ، تقسيم العمل والتخصص فيه ، الانتاج الموحد والانتاج الكبير^(١) .

غير ان مفهوم التصنيع هذا يختلف عن مفهوم الثورة الصناعية ، اذ قد تكون الثورة او لا تكون السبب المباشر في ظهور التصنيع ، في حين لا يمكن اعتبار التصنيع سببا من اسباب قيام الثورة الصناعية نظرا لكونه مظهرا مهما من مظاهرها . لكن ظهور الثورة الصناعية يعتمد على مجموعة عوامل معقدة اهمها الحاجة المتزايدة للاتاج الصناعي الكبير بعد زيادة الطلب على السلع الصناعية ، وجود الجو الاجتماعي والسياسي المشجع لأرساء قواعد الاتاج والتنظيم الصناعي ، توفر رؤوس الاموال والمواد الاولية والخبرات اللازمة لتحويل مكونات الطبيعة من اشياء غير نافعة الى اشياء نافعة ، وأخيرا وجود الرغبة والارادة الصادقة في بناء اسس الصناعة الحديثة .

والثورة الصناعية بمعناها العلي هي ذلك التغيير الاقتصادي والتكنولوجي الذي يتتاب اسس وعمليات الاتاج ويترك آثاره العميقة في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والادولوجية للمجتمع الذي يتعرض لتياريه وفاعليته .

بينما التصنيع هو تعميم وتطبيق قواعد الاتاج الصناعي الحديث على جميع المؤسسات الاتاجية في المجتمع وبناء مؤسسات صناعية حديثة تكفل زيادة حجم الاتاج الصناعي المطلوب .

ولقياس درجة تصنيع المجتمع ينبغي علينا النظر الى معدل نمو مدنه ، ومدى استفادته من الكفاءات والخبرات التكنولوجية التي تعرفها المجتمعات الصناعية ، درجة تحديثه الشامل ونسبة العمال العاملين في القطاع الصناعي الى نسبة العمال العاملين في القطاعات الاتاجية الاخرى .

لذا فالتصنيع هو ظاهرة اقتصادية عقلانية لها نتائجها الاجتماعية والحضارية . وتعتمد على مبدأ تقسيم العمل والتخصص فيه ، استعمال امكنن الالية ، والاعتماد على الطاقة الميكانيكية والفنون العلمية والتنظيمية . والعاية الرئيسية من اعتماد برامج التصنيع تكمن في خفض تكاليف الانتاج لنوات المنتج من البضائع والخدمات اذ ان انخفاض تكاليف الانتاج يعتمد على مبدأ الانتاج الكبير الذي لا يمكن تحقيقه دون انتاج القواعد التكنولوجية للتصنيع^(٢) . والانتاج الكبير يوفر البضائع للمستهلكين ويرفع من نوعيتها ويسكن المواطنين من ذوي الدخول الواطئة والمحدودة من الحصول عليها بأسعار واطئة .

وهذا ما يؤثر في مستواهم المعاشي والاجتماعي تأثيرا ايجابيا ويسدل المنويات المادية والحضارية لمجتمعهم .

وظاهرة التصنيع التي شهدتها العراق منذ عام ١٩٥٥ تنسب الى حد كبير لواهر التصنيع التي شهدتها المجتمعات الصناعية الحديثة كاليابان والاتحاد السوفيتي وجيكوسلوفاكيا والمجتمعات شبه الصناعية كالهند ومصر وايران وهونك كونك والصين الشعبية . . . الخ غير ان ظروف واسباب ومشاكل التصنيع لهذه المجتمعات تختلف بعضها عن البعض الاخر نظرا لباين مراحلها التاريخية وبيئاتها الجغرافية ومستوياتها الحضارية . وتشابه تجارب هذه المجتمعات في ميادين التصنيع تنعكس في مرورها في نفس المراحل التصنيعية وشروعها في نفس الصناعات ومجابهتها لنفس المشاكل والتحديات . فاول صناعة اعتدتها هذه المجتمعات هي صناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، ثم بعد استقرار هذه الصناعة اتجهت نحو تطوير نظام مواصلاتها السلكية واللاسلكية الذي يساعدها في بناء صناعتها الثقيلة .

وبعد تطوير طرق مواصلاتها اخذت بتأسيس المشاريع الكبيرة للصناعات المعدنية والكيمياوية والكهربائية . وفي الوقت الذي انشغلت فيه هذه المجتمعات بتشديد مشاريعها الصناعية الكبيرة التفتت نحو زيادة حجم انتاجها الزراعي وتوسع حجم تبادلها التجاري مع الدول الاخرى ، ومسيرة هذه المجتمعات باتجاه تطوير انتاجيتها الزراعية وحجم تبادلها التجاري تحت ظروف التصنيع الشامل كانت ترجع الى وجود عاملين اساسيين هما : زيادة الحجم الكلي للسكان وتركز السكان في البيئات والاقاليم الحضرية خصوصا المدن الكبيرة .

الادلة الموضوعية التي تشير الى تصنيع العراق :-

منذ عام ١٩٥٥(*) لاحت في الافق عدة ادلة ومؤشرات موضوعية توضح درجة تصنيع العراق ومدى اهتمام شعبه بمظاهره وآثاره الايجابية والسلبية . وهذه الادلة والمؤشرات تنعكس في النمو السريع للمشاريع الصناعية والقوى العاملة التي تشتغل فيها ، مكننة الزراعة ، زيادة حجم التجارة الداخلية والخارجية بفضل تقدم طرق المواصلات وتوفير الاسواق التجارية ، استعمال الاجهزة والمكائن التكنولوجية في الدوائر البيروقراطية وبيوت العوائل التي سهلت العمل لعمال الياقات البيض وربات البيوت . وأخيرا النمو المطرد للسكان وأزدحام السكان في المدن (التحضر) ومن الضروري هنا شرح هذه الظواهر التي سيطرت على العراق واثرت في تاريخه الاقتصادي والاجتماعي المعاصر .

(*) اعتبر الباحث سنة ١٩٥٥ سنة اساس (Base Year) لتصنيع العراق وذلك بعد تأسيس وزارة الاعداد العراقية في عام ١٩٥٠ وتنفيذ الخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بعد تأسيس الوزارة وللحصول على معلومات اكثر حول هذا الموضوع ارجع الى اسباب التصنيع في هذا البحث .

بعد قيام الدولة بتخطيط الاطر العريضة لهيكل الصناعة في العراق
ونشيد مختلف المشاريع الصناعية استطاع القطر انتاج شتى انواع السلع
الصناعية كالمنسوجات القطنية والصوفية ، المكائن الثقيلة ، وسائل النقل
والمواصلات كالوريات والساحبات مثلاً ، الثلاجات ، المبردات اجهزة الراديو
والستريون ... الخ .

وانشاء مثل هذه المشاريع ساعد في زيادة نسبة الايدى العاملة التي
تشتغل في القطاع الصناعي ، فقد ازدادت الايدى العاملة في هذا القطاع من
٥٪ في عام ١٩٥٥ الى اكثر من ١٨٪ في عام ١٩٧٥ (٣) .

كما ارتفعت كمية رؤوس الاموال والاستثمارات الحكومية التي
خصصتها الدولة للقطاع الصناعي ، اذ ارتفعت من ٤٠ مليون دينار في عام
١٩٥٥ الى اكثر من ٤٠٠ مليون دينار في عام ١٩٧٥ (٤) .

ومنذ عام ١٩٦٥ استطاعت وزارة الصناعة انشاء (٤٠) مصنعا كانت
كلفتها حوالي (٥٠٠) مليون دينار ، وهناك (٦٢) مصنع تحت الانشاء
والتميز تبغ قيمتها الكلية حوالي (٦٥٠) مليون دينار . ومن بين هذه
المصانع مصنع الفولاذ في البصرة ومصنع منسوجات الغزل والنسيج الكردي
في دهوك ومحطة توليد الغاز في النجف ، ومصنع السمنت في الفلوجة .
ومصنع الخشب المضغوط في القادسية ، ومصنع القطع الكونكريتية في
بغداد ، ومصنع الانابيب الكونكريتية في ابي غريب ، ومصنع المصاييح
الكهربائية في التاجي ومصنع الكابلات الكهربائية في البصرة . وفي عام
١٩٧٥ بدأ العمل بأثناء (٣٦) مصنعا في كافة ارجاء البلاد لصناعة مختلف
البضائع الصناعية الخفيفة والثقيلة . ومن اهم هذه المشاريع الصناعية مصنع
الورق في العمارة ، ومصنع البتروكيمياويات في بغداد ، ومصنع السمنت في
السليمانية وهناك العديد من المشاريع السكنية ومحطات توليد الطاقة الكهربائية
ومصافي النفط ...

وبجانب اهتمام العراق المتزايد في تنمية واستقرار الصناعة يولي اهتمامه ويكرس جهوده وأمكانياته نحو تطوير الزراعة والانتقال بها الى المستويات الرفيعة . فقد تغيرت مهنة الزراعة من مهنة تقليدية متخلفة تعتمد على وسائل الانتاج البدائية والطرق غير العلمية الى مهنة متطورة تعتمد على المكننة الحديثة والطرق العلمية في كافة مراحل الانتاج الزراعي .

ومما ساعد على التغيير السريع في انماط ووسائل الزراعة وقاياتها على الانتاج الكبير لمختلف المحصولات الزراعية والحقلية الغاء النظام الاقطاعي للملكية الاراضي وما صاحبه من علاقات اجتماعية اقطاعية غير متكافئة بين الشيوخ الاقطاعيين والفلاحين^(١) .

فشيوخ الاقطاع قبل صدور قانون الاصلاح الزراعي التي شرعتها ثورة يمتلكوا الاراضي فحسب بل امتلكوا جميع وسائل الانتاج في حين لم يمتلك الفلاحون اى شيء ماعدا الجهود والطاقات البشرية التي كانوا يعرضونها للشيوخ بأجور واطنة جدا لا تتناسب مع قيمة عملهم . ولكن بعد قوانين الاصلاح الزراعي لعام ١٩٥٨ وقوانين الاصلاح الزراعي التي شرعتها ثورته السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ تمت اراضي الشيوخ وقسمت الى اراضي زراعية صغيرة ثم وزعت على الفلاحين الصغار اما مجانا او بأسعار واطنة جدا .

لذا أصبح الفلاح في عهد الثورة يمتلك ارضه الزراعية ويملك وسائل الانتاج وهذا ما شجعه على مضاعفة الجهود وبذل الطاقات المتيسرة لاستغلال الارض ، استغلالا كاملا . وفي نفس الوقت قامت الدولة باصلاح ملايين الايكارات من الاراضي وجعلها صالحة للزراعة بعد توصيل المياه لها عن طريق فتح العديد من مشاريع الري او بعد غسل املاحها والنخلص من صبوختها عن طريق مشاريع البزل^(٢) .

وقد حولت الاراضي المستصلحة الى مزارع حكومية او مزارع جماعية وتعاونية نظرا لسياسة الدولة الحالية المشجعة لتكوين المزارع الحكومية والجماعية والتعاونية . ان تشجيع الدولة لمزارع القطاع العام وعدم تشجيعها لمزارع القطاع الخاص يرجع الى حقيقة تبني مزارع القطاع العام مسألة توفير المنتجات الزراعية للسكان بأسعار واطنة او معقولة وأهتمامها بزيادة طاقتها الانتاجية طيلة فصول السنة وعدم مبالاتها بالارباح .

في حين تهتم المزارع الخاصة بجني اكبر كمية من الارباح وأحتكار الاسواق التجارية واستغلال المواطنين وعدم اهتمامها بمسألة توفير المسواد الغذائية للمستهلكين بالكمية المطلوبة وبالسعر المعتدل .

وتحولت الزراعة في العراق الى زراعة آلية ميكانيكية خصوصا بعد توقف المزارع الحكومية والتجريبية وحتى المزارع الخاصة عن اعتماد الطرق والاساليب البدائية وتطبيق الطرق والاساليب الحديثة والعلمية . فقد استعملت المكنائن والآليات المنظورة في جميع مراحل العملية الزراعية وأنهجت الخبر والتجارب الزراعية الحديثة في معالجة سليات ومشاكل الانتاج الزراعي وهذا ما ساعد على زيادة انتاجية الارض من المحاصيل الزراعية والحقلية . وعين الخبراء الزراعيون والمفتشون الفنيون في مديريات وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي ليزودوا الفلاحين بمعلومات تتعلق بالمحاصيل الزراعية المطلوب زراعتها ، مواعيد البذر ، مواعيد الحصاد ، مكافحة امراض التربة والمحاصيل الزراعية والعناية بالانتاج الزراعي .

كما عين موظفو الخدمة الاجتماعية لتطوير الحياة الاجتماعية في المجتمع الريفي وتهيئة سبل العيش السعيد لابناء المجتمعات القروية . فقد تولي هؤلاء الموظفون مسؤولية توجيه العوائل الفلاحية حول اساليب تربية اطفالهم وإزالة الامية عنهم وتقوية علاقاتهم الاجتماعية بأقاربهم وحشهم على العمل المتواصل لزيادة طاقة انتاجيتهم ، وتوصيتهم بحاربة مشاكلهم وأمراضهم الاجتماعية الموروثة كالعصية القبلية ، الثار ، المنازعات العشائرية ، الغر ، السرقة ، الطائفية ... الخ .

أما التجارة الداخلية التي تطورت ونمت بعد دخول العراق في مراحل التصنيع الأولى فقد ساهمت مساهمة فعالة في انجاح مشاريع التصنيع التي قدم العراق عليها وفي توطيد أركان القاعدة الصناعية التي اعتمدها القطر في تحوله الاقتصادي والمادي . وتظهر الإحصائيات التجارية التي أصدرها المصرف المركزي العراقي بأن ميزان التبادل التجاري خلال الفترة (١٩٥٩ - ١٩٧٥) كان في صالح العراق أي أن صادرات القطر المنظورة وغير المنظورة كانت أكثر من وارداته . وتحسن وضع ميزان المدفوعات هذا قد أثر تأثيراً كبيراً في تطوير أسس التجارة الداخلية وتنمية حجم التجارة الخارجية . فمجموع قيم صادرات القطر خلال الفترة ١٩٥٩ - ١٩٧٥ كانت حوالي ١٠٥٠٠ مليون ديناراً بينما بلغت مجموع قيم وارداته خلال الفترة ذاتها حوالي ٥٢٠٠ مليون دينار والفرق بين مجموع الصادرات والواردات كان ٥٣٠٠ مليون دينار .

وقد استغل معظم هذا المبلغ في تطوير اقتصاد القطر بصورة عامة وتطوير التجارة ذاتها بصورة خاصة^(٨) .

ألا أن سبب زيادة الصادرات على الواردات يرجع إلى الزيادة المستمرة في تصدير البترول إلى الدول الأجنبية خصوصاً بعد قيام الدولة بتأميم البترول من الشركات الاحتكارية في عام ١٩٧٢ .

فخلال الفترة اللاحقة الذكر بلغت قيمة صادرات العراق من البترول الخام حوالي ٨١٠٠ مليون ديناراً بينما لم تتجاوز قيمة واردات العراق خلال الفترة ذاتها عن ٥٣٠٠ مليون دينار .

ومن الضروري أن نشير هنا بأنه لولا صادرات العراق من البترول لكان ميزان التبادل التجاري ضد العراق أي زيادة قيمة وارداته على صادراته .

وقد بلغت نسبة صادرات العراق من البترول خلال الفترة تحت الدراسة ٨٩٪ من مجموع صادراته ، بينما بلغت نسبة صادرات البضائع الأخرى عدا البترول ١١٪^(٩) . أما السلع التي يصدرها العراق للخارج فهي المواد الأولية ، منتجات الصناعات الخفيفة ، المنتجات الكيماوية والمواد الغذائية .

وهناك أدلة أخرى تشير الى تصنيع العراق وهي انتشار استعمال
المكننة الحديثة في الدوائر البيروقراطية وفي البيوت ، هذه المكننة التي تهدف
الى توفير الجهود والطاقات البشرية المبذولة في اداء الاعمال التي تحتاجها
هذه المنظمات . ولا يسكن استعمال هذه المكنائن الموقرة للجهود والطاقات
البشرية الا اذا كان القطر يتسع بقسط وافر من الرفاهية الاقتصادية ودرجات
عالية من الثقافة والتعليم .

ان اغلب الدوائر الحكومية والخاصة التي تعتمد اداراتها على المبادئ
والتعاليم البيروقراطية تستعمل في الوقت الحاضر مكائن العمل
"Business Machines" في تنظيم شؤونها الادارية والفنية .

وقد ارتفعت اهمية مكائن العمل كالحاسبات الالكترونية ، الآت
الطابعة الكهربائية ، السجلات الاتوماتيكية ، العدادات والمفرقات ... الخ
بالنسبة لعمال الياقات البيض (White-Collar Workers) بحيث اصبح
جزء لا يتجزأ من حياتهم المهنية . اذ لا يستطيعون تأدية وظائفهم اليومية
دون استعمالها والاعتماد على خدماتها .

ولعبت هذه المكنائن والاجهزة ايضا الدور الكبير في توطيد الدور المهني
والاخصائي الذي يشغله عامل الياقة البيضاء وساهمت في رفع منزلته
الاجتماعية وتسهيل مهمة اداء عمله^(١٠) .

ودخلت مكائن توفير العمل (Labour Saving Devices)
في البيوت وانتشر استعمالها بسرعة فائقة بحيث اصبحت شيئا ضروريا لا يمكن
الاستغناء عنه بأية صورة من الصور .

وسهنت مكائن توفير العمل مثل الغسالة ، المنظفة الكهربائية ، طباخ
الغاز ، سيارة العائلة ، المبردة ، المدفئة الكهربائية ، التلاقيح والمجفد ... الخ
مهمة اداء الاعمال المنزلية لربات البيوت كافة وساعدنهن على توفير وقتهن
المشروف على اداء واجباتهن المنزلية بحيث اتسع لهن الوقت الكافي لرعاية
والعناية بأطفالهن او الانغماس في أنشطة الفراغ والترفيه وهذا ما ساعد في
تطوير نوعية العائلة ورفع كمائتها الاجتماعية والترفيهية^(١١) .

تشير احصائيات الجهاز المركزي للإحصاء بأن في العوائل العراقية تستعمل شئ الاقل ثلاثة انواع من مكائن توفير العمل المذكورة اعلاه .

ومن الادلة والمستمسكات الموضوعية الاخرى التي تشير الى تصنيع العراق زيادة عدد نفوسه ونمو مدنه خصوصا بعد الهجرات السكانية من الارياف الى المدن .

شهد سكان العراق زيادة مستمرة منذ عام ١٩٥٠ ، فقد ازداد حجم السكان من (٥) ملايين نسمة في عام ١٩٥٠ الى اكثر من ١١ مليون نسمة في عام ١٩٧٥ .

وهذه الزيادة السكانية ترجع الى عاملين رئيسيين هما :

١ - ارتفاع معدلات الولادات .

٢ - انخفاض معدلات الوفيات .

ان ارتفاع معدلات الولادات منذ عام ١٩٥٠ كان يعزى الى عوامل جوهرية اهمها تقدم المجتمع في العلوم والمعارف الطبية خصوصا علم الولادة ، استقرار وانتشار مؤسسات الخدمة الاجتماعية كخدمات الضمان الاجتماعي والضمان الصحي وخدمات التقاعد ... الخ ، وامتناع العوائل العمالية والفلاحية عن استعمال طرق تحديد النسل ووجود المواقف الاجتماعية المشجعة على انجاب الاطفال الكثيرين .

اما انخفاض معدلات الوفيات فكان يرجع الى العوامل التالية :-

تطور العلوم الطبية ومشاريع الصحة العامة ، تقدم الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية ، وانتشار الثقافة والتعليم بين الجماهير (١٢) .

وظاهرة زيادة السكان قد رافقتها ظاهرة اخرى وهي تحضر السكان فقد كان في سكان العراق في عام ١٩٥٠ متحضرا ، غير ان نسبة السكان المتحضرين ارتفعت الى في مجموع السكان في عام ١٩٧٥ .

وما تضخم سكان مدن العراق الكبيرة مثل بغداد ، الموصل ، كركوك ، البصرة ، كربلاء ، والنجف الا دليلا ملموسا على استفحال ظاهرة الهجرة الى العراق . وأزدحام السكان في المدن هو وليد العوامل المغرية المتواجدة في المدينة والتي تشجع سكان الارياف على الهجرة اليها كوجود فرص العمل والربح المادي ، توفر الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية ، استنباب الامن والنظام ... الخ . كما انه وليد العوامل البيئية السلبية التي كانت تسيطر على الريف العراقي قبل الثورة الزراعية والاصلاح الزراعي كعدم وجود فرص العمل والكسب المادي لتردى الاحوال الزراعية وعدم مقدرة الفلاح على استغلال الارض زراعيا ، عدم توفر الخدمات الثقافية والصحية والاجتماعية وأخيرا وجود المنازعات العشائرية والقبلية بين سكان الارياف (١٣) فجميع هذه العوامل ازدادت وتعاقت موجات الهجرة السكانية من القرى والارياف الى المدن بحيث ارتفعت كثافة سكان المدن وانخفضت كثافة سكان الارياف الى درجة خطيرة (١٤) .

فهم تتمكن الارياف من الحصول على الايدي العاملة الكافية لاستغلال الارض استغلالا زراعيا ولهذا اضطرت الحكومة الى اسسيراد الملاحين المصريين لتلبي العجز في الايدي العاملة .

وفي نفس الوقت تضاعفت نسبة السكان الحضري في العراق وازداد سكان المدن زيادة لم يشهدها العراق في تاريخه المعاصر ولم يشهدها حتى المدن الصناعية الكبيرة في اوربا التي تضخم سكانها خلال القرن التاسع عشر .

قد ارتفع حجم سكان مدينة بغداد من (٨١٧٢٠٥) نسمة في عام ١٩٤٧ الى حوالي (٣٥٢٤٠٠٠) نسمة في عام ١٩٧٥ وارتفع سكان مدينة كركوك من (٢٨٢٠٠٠٥) نسمة في عام ١٩٤٧ الى (٦٠٠٠٠٠٠) نسمة في عام ١٩٧٥ وارتفع سكان مدينة البصرة من (٣٦٨٧٩٩) في عام ١٩٤٧ الى حوالي (٩٤٧٠٠٠٠) نسمة في عام ١٩٧٥ .

ان توسع سكان هذه المدن يرجع بالاساس الى عوامل الهجرة السكانية من الارياف الى المدن (١٥) .

غير ان هناك عوامل اخرى تشترك في تضخم سكان هذه المدن كتوسع المدينة افقيا على حساب الاقاليم الريفية والزيادة الطبيعية لسكان المدن اى زيادة معدل الولادات على معدل الوفيات .

اسباب التصنيع :-

ان العوامل التي تساعد على التصنيع وتضمن نجاحه وأستمراريته هي كثيرة ومعقدة اهمها توفر الايدي العاملة الفنية وغير الفنية ، توفر الاسواق التجارية الداخلية والخارجية التي تتمص البضائع المصنعة والجاهزة ، وجود المواد الاولية المحلية أو المستوردة من الخارج ، توفر رؤوس الاموال ومصادر الاستثمارات المالية . وأخيرا وجود الخبرات العلمية والتكنولوجية التي تساعد على بناء المشاريع الصناعية وتضمن تسخيرها في عمليات الانتاج الصناعي .

اضافة الى توفر العوامل الاقتصادية والتكنولوجية يجب ان تتوفر ايضا العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تساعد عمليات التصنيع في وضع الاسس الايدولوجية والقيمية والسيكولوجية التي يحتاجها .

فالبيئة الطبيعية التي يخلقها التصنيع ويصب قالبها تحتاج الى فهم ومقاييس ومعتقدات وأيدولوجية جديدة تنسجم معها وتتفاعل مع ظروفها ، وأذا ما فشل المجتمع في تحضير مثل هذه القيم والمقاييس والمعتقدات التي تتلاءم مع الايكولوجية الصناعية فإن هذا سيؤثر تأثيرا سلبيا على طبيعتها وسير عملها وفاعليتها بحيث لا تنجح عمليات التصنيع والانتقال الصناعي في المجتمع .

اما العوامل التي ساعدت العراق في بدأ ثورته الصناعية والمضي قدما نحو المراحل الاولى للتصنيع فيمكن تقسيمها الى صنفين رئيسيين هما :-

١ - صنف العوامل الطبيعية والاقتصادية والمساعدة على التصنيع كتوفر المواد الأولية مثل البترول والكبريت وبقية المحاصيل الزراعية الداخلة في الصناعة ، وتوفر رؤوس الاموال الانتاجية والنقدية خصوصا بعد انتاج وتسويق كميات كبيرة من البترول الخام الى الدول الصناعية .
اضافة الى ترفر الاسواق التجارية المحلية والاجنبية لامتناس البضائع الصناعية الجاهزة وتأمين المواد الأولية التي تحتاجها المصانع (١٦) .

واخيرا توفر ورخص الايدى العاملة وامكانية استخدام العناصر الخيرة والمتدربة على اصناف الخبرات العلمية والتكنولوجية .

٢ - صنف العوامل الحضارية غير المادية التي تنعكس في عامل الهدوء والاستقرار السياسي واستتباب الامن والنظام في الداخل خصوصا بعد ثورة السابع عشر من تموز عام ١٩٦٨ .

وعامل رغبة الدولة وابناء الشعب على حد سواء في تصنيع الفطر بأسرع وقت ممكن خصوصا بعد انتشار الافكار والمفاهيم الاشتراكية والتقدمية التي تحبذ قيام التصنيع وسيطرته على الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

اما المفاهيم الاشتراكية التي تبنها المجتمع واعتمدتها الدولة في مسيرتها نحو تصنيع المجتمع فتهدف الى نقل ملكية وسائل الانتاج من القطاع الخاص الى القطاع الاشتراكي ، تطوير وتحسين مستوى الانتاج في جميع القطاعات الاقتصادية ، محاربة الاحتكار والاستغلال الاقتصادي والاجتماعي في جميع موره وأشكاله ، تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية من خلال تطبيق مبدأ تقسيم العمل بين المتعاون الاقتصادي مع الاقطار العربية الأخرى أو تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية (١٧) .

وبجانب العوامل السياسية هذه هناك العوامل الاجتماعية والقيمية المشجعة على التصنيع ، فأغلب أبناء الشعب يعتقدون بأن تصنيع البلاد هو علامة تشير الى التقدم والتطور في الميادين المادية وغير المادية وان العراق يجب ان يصنع نفسه ويقطع اشواطاً كبيرة في عمليات التحول الصناعي لكي يلحق بركب الدول المتقدمة صناعياً وعلمياً .

ومثل هذه المعتقدات والقيم التي يحملها الشعب تشجع حكومته على التعاون معه في سبيل المضي قدماً نحو توفير مستلزمات الانقلاب الصناعي والتقدم الاقتصادي .

هذه هي العوامل العريضة والعامة التي مهدت لتصنيع العراق وتقدمه الاقتصادي .

وقد تكون هذه العوامل ذاتها أو قسم منها مسؤولة عن نجاح عمليات التصنيع التي شهدتها المجتمعات الصناعية وتشهدها الآن المجتمعات النامية التي في طريقها نحو التصنيع . غير ان ظروف ومشاكل المجتمعات تختلف بعضها عن البعض الآخر . وهذا ما يستوجب ظهور بعض العوامل الخاصة التي تمهد لقيام التصنيع فيها . فقد وجدت بعض العوامل والمسببات الخاصة التي ساعدت العراق في الانطلاق نحو التصنيع ومن هذه العوامل ما يلي :-

- ١ - تأسيس وزارة الاعمار في عام ١٩٥٠ التي تولت مهام كثيرة منها تصميم وتنفيذ المشاريع الصناعية الحديثة وتهيئة المشاريع المساعدة لبناء القاعدة الصناعية التي يحتاجها تصنيع القطر كتأسيس الطرق والجسور والقنوات بناء السدود المولدة للطاقة الكهربائية ، تطوير طرق المواصلات بأنواعها المختلفة وانشاء المصارف والمؤسسات المالية وشركات التأمين^(١٨) .

٣ - زيادة مدخولات البترول المصدر للخارج ساعدت القطر في انحصار
على الاموال الكافية لشراء المصانع والمكائن والمواد الاولية واستخدام
الايدي العاملة على اختلاف انواعها ودرجاتها . كما ان البترول
المستخرج من باطن الارض بكميات كبيرة ساعد على توفير الطاقة
الحركة للمصانع والمؤسسات الانتاجية الوطنية .

٣ - المنافسة السريعة والعادة بين القطاعين العام والخاص في تأسيس
المشاريع الصناعية المختلفة الحجم مكنت القطر من انتاج مختلف
البضائع الصناعية التي كانت سابقا تستورد من الخارج . فقد اصبحت
الان مصانع السمنت والنسيج والسكر والصابون والخشب والمعادن
والطابوق والورق والجلود والمطاط والعقاقير الطبية تسد اكثر من
نصف احتياجات الاسواق المحلية .

٤ - توفر نسبة كبيرة من الايدي العاملة الخيرة والفنية خصوصا بعد
رجوع عدد كبير من طلبة البعثات الذين ارسلتهم الدولة الى دول اورب
للتدريب والتخصص في مختلف المواضيع الهندسية والفنية والتكنولوجية
الى الوطن وبعد قيام الدولة بالاستعانة بالخبراء الاجانب في حقل
الصناعة والهندسة والزراعة والطب والتكنولوجيا .

٥ - ادخال برامج الخطط الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية التي
شاركت مشاركة فعالة في بناء القاعدة الصناعية لعراق . وقد حسنت
الاموال الطائلة لتنفيذ هذه الخطط علما بان اغلبها كان يستهدف انشاء
المشاريع الصناعية الانتاجية التي يحتاجها القطر في تقدمه الاقتصادي
والمادي . وفي عام ١٩٧٥ استطاعت هذه الخطط انهاء الاعتماد
الكبير من المشاريع الصناعية ذات الطاقة الانتاجية الكبيرة في جميع
ارحاء القطر . وتعمل الان هذه المشاريع بكامل طاقتها الانتاجية لتسد
حاجات القطر من البضائع الصناعية .

نتائج التصنيع : -

ان نتائج وانعكاسات التصنيع البعيدة والقصيرة الامد على المجتمع العراقي يمكن ان تقسم الى قسمين اساسيين هما النتائج الايجابية والنتائج السلبية .

بالتأثير الايجابية نعني الفوائد والارباح التي يجنيها الافراد والمجتمع من التحولات الاقتصادية والمادية التي تطرأ على المجتمع نتيجة تصنيعه .

فسن النتائج الايجابية المهمة لظاهرة التصنيع تحسن الوضع المعاشي والمادي للافراد ، اذ ان الانتاج الصناعي الذي يعتمد على الطرق العلمية والتكنولوجية الحديثة يسبب زيادة انتاجية العمل^(١٩) . وزيادة انتاجية العمل تعني ارتفاع كمية العرض للسلع الصناعية ثم انخفاض اسعارها . ثم ان انخفاض اسعار السلع يساعد الطبقات العمالية وفئات الدخل المحدودة من الحصول عليها الامر الذي يقود الى رفاهيتها وتحسين احوالها المعاشية والاجتماعية . وارتفاع معدل دخل الفرد الواحد في العراق من ٦٠ دينار في عام ١٩٥٠ الى ٣٠٠ دينار في عام ١٩٧٥ هو مؤشر من مؤشرات التقدم الاقتصادي الذي احرزه القطر بعد استغلال ثرواته المعدنية والزراعية استغلالا علميا وتكنولوجيا .

وساعد التصنيع في تسريع عملية التحضر التي شهدتها العراق منذ عام ١٩٥٠ والتحضر هو ظاهرة اجتماعية تنعكس في عملية الانتقال الجغرافي لسكان القرى والارياف من الاقاليم الريفية الى الاقاليم الحضرية خصوصا المدن الكبيرة بغية استغلال الفرص الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية الموجودة هناك ثم الاستقرار والتطبع بالعادات والتقاليد والقيم والمقاييس وأسلوب الحياة لسكان المدن^(٢٠) .

ومن الاسباب المهمة التي ساعدت سكان الارياف على الهجرة الى المدن توفر الاعمال الاقتصادية المربحة خصوصا بعد حاجتها الماسة للايدي العاملة وذلك لزيادة كمية الاعمال والمصالح فيها .

ولما هاجر سكان الارياف بأعداد كبيرة الى المدن لاشغال هذه الاعمال والمصالح تضخم سكان المدن الى درجة مخيفة ادت الى ظهور حالة عدم التوازن السكاني في المجتمع .

ومع هذا لم تخل الهجرة السكانية من الارياف الى المدن من بعض الفوائد التي ظهرت في قدرة المدينة على الحصول على الايدي العاملة التي احتاجتها مصانعها ومؤسساتها الوظيفية ، وفي استعمال هذه الايدي في بناء ضواحيها وتوسعها الافقي (٢١) .

كما ان تركيز السكان في المدن ساعد على زيادة الطلب الفعال على البضائع والخدمات وهذا ما شجع رجال الصناعة والاعمال على توسيع اطاقات الانتاجية لمؤسساتهم الصناعية او بناء المزيد منها لمقابلة حجم الطلب .

وجميع هذه الاجراءات طورت الاقتصاد القومي تطورا لم يشهده مجتمع من قبل وسببت الرفاهية لمجموع السكان .

ومن الجدير بالاشارة هنا ان انتشار التصنيع واستمرار عمليات التحضر وسيطرتها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان قد سببت اختفاء الخط التقليدي الذي كان يفصل المدينة عن الريف خصوصا بعد توغل ضواحي المدن مسافات كبيرة داخل الارياف والتقاء ضواحي المدن الكبيرة والضواحي بالآخرى وظهور المدن الصغيرة هنا وهناك واختلاط سكان الارياف بسكان المدن .

ومما ساعد على تقليل الفوارق بين المدينة والريف قيام الدولة بآتتصاح سياسة نقل اماكن العمل الى العمال اى بناء وتشيد المصانع في الاماكن التي يزدحم فيها السكان ، ولما كان عدد كبير من السكان يزدحم في المناطق الريفية والقروية فإن الدولة قامت ببناء مشاريعها الصناعية هناك .

وهذا مادفع بعدد كبير من سكان المدن الى التوجه نحو الاقاليم الريفية للعمل فيها وساعد ايضا سكان الارياف على الدخول الى المصانع التي شيدت في مناطقهم(*) . وهناك استطاع سكان المدن من الاختلاط والتمازج مع سكان الارياف بحيث تقلصت الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والحضرية بينهم واستطاع القطر ان يخفف من ظاهرة ازدحام السكان في المدن الى درجة معينة .

اذن التوسع الافقي للمدن اضافة الى ميل الحكومة في تشيد المصانع الحديثة في المناطق الريفية قد خفف من تفاقم مشكلة عدم التوازن السكاني وانتقد الريف من مشكلة الفقر والحرمان الاقتصادي . غير ان سياسة تصنيع الريف التي انتهجتها الحكومة مؤخرا لم تطبق في الوقت الحاضر الا على اجزاء محدودة من العراق ، وبالمستقبل ربما سوف تطبق على اجزاء متعددة من القطر .

ومن الفوائد الاخرى لتصنيع زيادة حجم التجارة القومية والدولية (٢٢) .

ان خبرات المجتمعات الصناعية تشير الى ان تصنيعها ساعد على تضخم وارداتها للمواد الاولية التي تدخل في سلعها المصنعة ولما كانت هذه المجتمعات تستورد مواردها الاولية من المجتمعات غير المصنعة (الدول النامية) فإن صادرات المجتمعات الاخيرة من المواد الاولية ازدادت زيادة مطردة وأرتفعت

(٢١) من أهم المصانع التي شيدت في الاقاليم الريفية من العراق والتي جذبت اليها بعض سكان المدن والارياف على حد سواء مصنع السمنت في انكوفة ومصنع الورق في العمارة ومصنع منسوجات الغزل والنسيج في دهوك ومصنع السجاد في الكوت ومصنع العقاقير الطبية في سامراء ومصنع النسيج في الاسكندرية ... الخ .

معدلات مدخولاتها السنوية . وعندما تزداد الموارد القومية للدول غير المصنعة نتيجة تصديرها لمواردها الأولية فأن قابليتها على استيراد البضائع الجاهزة من الدول الصناعية تأخذ بالزيادة .

وهنا يتضاعف حجم التجارة الدولية ويزداد نشاطها .

ان تصنيع العراق سبب في تنشيط عمليات تجارته الداخلية والخارجية ، فتكوين رؤوس الاموال الانتاجية (المصانع ، وسائل النقل والمواصلات ، المواد الأولية) وخلق البضائع الصناعية الجاهزة يتطلب الحصول على الماكائن والمعدات الانتاجية التي غالبا ما تستورد من الخارج . كما ان البضائع الصناعية الفائضة عن الحاجة المحلية يجب تصديرها الى الاماكن والاسواق التي تحتاجها في داخل وخارج القطر ، وهنا تظهر الحاجة للتنشيط عن الاسواق التجارية التي يكون بمقدورها امتصاص السلع الجاهزة .

لذا يسبب التصنيع زيادة عمليات التبادل التجاري بين العراق والدول الاجنبية الاخرى وهذا ما يؤثر تأثيرا ايجابيا في انتعاش التجارة العالمية .

وأخيرا استطاع العراق من خلال تصنيعه ونجاحه في بناء العديد من المشاريع الصناعية الكبيرة من القضاء على الاحتكارات الامبريالية التي سيطرت على اقتصاده لفترة طويلة من الزمن حاولت خلالها عرقلة تصنيعه وتطور اقتصاده واستغلال خيرات وموارده الطبيعية بنفسه .

ان تصنيع العراق يعني قدرته على سد حاجاته بنفسه من البضائع الصناعية التي يحتاجها ، خلق العمل وعرضه على السكان ، التوفيق بين بيع المواد الأولية الى الدول الصناعية بأسعار واطنة وهذه المظاهر جميعها تنافس مع مصالح الامبريالية وتتحدى نوايا ومخططات الشركات الاحتكارية والاستغلالية^(٣٣) . لهذا لم تستطع الشركات الرأسمالية الاحتكارية ومن وراءها الدول الاستعمارية بعد تصنيع العراق من شراء المواد الأولية بأسعار رخيصة وبيع منتجاتها الصناعية في الاسواق العراقية بالاسعار العالية التي ترفضها حتى المستهلكين .

ومن هنا تتبلور الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يجلبها التصنيع للقطر .

ولكن في نفس الوقت يترك الانقلاب الصناعي والتحول الاقتصادي المعتمد على التصنيع آثاره السلبية في الافراد والجماعات والمجتمع . وفي هذا البحث سنشير الى بعض آثار التصنيع السلبية في البناء الاجتماعي والطبقي ، الاستقرار الاسرى والتوازن السكاني للمجتمع العراقي .

كما وضحنا سابقا بأن التصنيع دائما ما يقود الى التحضر ، والتحضر السريع لا يخلو من الاضرار والسلبيات التي تؤثر في فاعلية وتطور المدينة والريف .

فالتحضر هو النقلة الجغرافية لقسم من سكان الارياف الى المدن وتكييف هؤلاء مع اسلوب الحياة وطرز المعيشة لابتداء المدن .

لكن دافع الهجرة لسكان الارياف الى المدن هو دافع اقتصادي بالدرجة الاولى اذ يتجلى في رغبة سكان الارياف الهجرة الى المدينة لاستغلال فرص العمل الموجودة هناك .

الا ان هجرة السكان من الارياف الى المدن غالبا ما تسبب ظاهرة ازدهام السكان في المدن ، هذه الظاهرة التي تضر بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية للقطر بالرغم من فوائدها القصيرة الامد .

فهجرة السكان من الارياف الى المدن تسبب قلة الايدي العاملة الزراعية التي تستطيع استغلال الارض وهذا ما يعرض الانتاج الزراعي الى الهبوط المستمر كما حدث في العراق خلال الفترة ١٩٦٠ - ١٩٧٤ عندما اضطر القطر الى استيراد المواد الغذائية التي يحتاجها السكان من الخارج ودفع قيمتها بالعملات الصعبة .

ومن جهة أخرى تسبب الهجرة السكانية من الارياف الى المدن زحام السكان في المدن ، هذه الظاهرة التي ينتج عنها عواقب اقتصادية واجتماعية خطيرة اهمها ارتفاع الاسعار وشحة المواد الاستهلاكية وظهور مشاكل الاسكان والمواصلات مع استفحال معضلة الاحياء المختلفة وما يصاحبها من ازمت اجتماعية واخلاقية لسكان المدن .

وتتعرض ايضا الخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية والامنية في المدن الى التردى وعدم القابلية على تأدية واجباتها وأعمالها نتيجة زيادة الطلب عليها وعدم مقدرتها على التوسع السريع (٢٤) .

فمعظم هذه الخدمات صممت لمقابلة متطلبات نسبة معينة من السكان ولكن عندما تضاعف حجم سكان المدن نتيجة الهجرات السكانية من الارياف اصبحت غير قادرة على مقابلة الطاب عليها وهنا تعرضت كفاءتها وأمكاناتها الوظيفية الى الهبوط والضعف .

ويسبب التصنيع تعقد الاختلافات والفوارق الطبقة بين ابناء الشعب ويزيد من عدد المراكز والدرجات الاجتماعية المنباعدة من ناحية الادوار التي تشغلها والامتيازات التي تستحقها .

فهناك المدراء والموظفون ، المخترعون والمنفذون ، العمال واصحاب العمل ، الحاكمون والمحكومون ... الخ .

وهؤلاء يختلفون الواحد عن الآخر بواجباتهم وإعمالهم ومنسبهم مدخولاتهم ودرجة قوتهم ونفوذهم الاجتماعي . غير ان الاختلافات والفوارق في الامتيازات المادية والاجتماعية التي يتستعون بها غالبا ما تسبب ظهور الوعي الطبقي والتضارب في الاهداف والمصالح خصوصا اذا كان المجتمع بمرسدا من تطبيق الفلسفة الاشتراكية وهذا ما يقود الى اضطراب المجتمع وتعرضه الى التناقضات والانقسامات الفكرية والادبولوجية الخطيرة (٢٥) .

وتسبب زيادة عدد المهن والاختصاصات الوظيفية المختلفة التي يختب
التصنيع انقسامات خطيرة بين الطبقة الاجتماعية الواحدة كتقسيم الطبقة
المتوسطة الى ثلاث طبقات فرعية او تقسيم الطبقة العمالية الى ثلاث طبقات
فرعية هي الطبقة العمالية العليا والطبقة العمالية المتوسطة والطبقة العمالية
الواضحة .

وهذا ما يزيد حدة الاختلافات والتناقضات الفكرية بين الافراد
والجماعات ويشق الوحدة الوطنية للمجتمع ويعرض افراده للانقسامات
الجانبية التي لاتخدم مصلحة تحقيق اهدافه القومية والمصرية .

وتظهر الآثار السلبية للتصنيع جلية في نظم العائلة والقراية وذلك
للفروق بين العوائل التقليدية (العوائل المستدة) التي تتميز بتماسك علاقاتها
العائلية والقراية ووحدة اديولوجيتها والعوائل الصناعية (العوائل
الانوية) التي تتميز بتفكيك وضعف علاقات افرادها وتبعثر اديولوجيتهم .

فالتصنيع دائما ما يضعف العلاقات الاجتماعية والقراية للعائلة ويعرضها
الى الاضطراب وعدم الاستقرار حيث ان تيارات التصنيع تفقد العائلة علاقاتها
التماسكة مع اقاربها نتيجة اتفائها الجغرافي او المهني او الاجتماعي وتعرض
اديولوجيتها الى الضعف وعدم التماسك وذلك لتعرض افرادها لعوامل
بيئية واقتصادية وثقافية مختلفة (٢٦) .

وهذه العوامل مجتمعة تسبب ضعف علاقة افرادها الواحد بالآخر
وضعف علاقتها بأقاربها خصوصا بعد تحولها من عائلة ممتدة الى عائلة
انوية (٢٧) .

ولكن ضعف علاقات افراد العائلة وتعرض العائلة لتبار الصراعات
الفكرية والاديولوجية لم تصب العائلة العسرافية بقدر ما اصابت العوائل
الاوربية التي تقطن البيئات الصناعية نظرا لعدم ترسيخ واستقرار التصنيع في
المجتمع العراقي بقدر ترسيخه وأستقرار في المجتمعات الاوربية .

العلاقات الاجتماعية والفرايية بين افراد العوائل العسالية في العراق
الآن قوينة ومتساسة ، وأنها لازالت مسيطرة على عدد كبير من العوائل
المتوسطة بالرغم من مزاوله افرادها المن والاعمال المختلفة وبالرسم من تبين
خيراتهم وتجاربهم الثقافية والبيئية .

الا ان علاقات العائلة تتعرض للضعف والنفكك وتتأفض افكارها
وايديولوجيتها عندما ينتقل ابناءؤها اجتماعيا الى الطبقات الاخرى كما في
حالة انتقال بعض افراد العوائل العسالية الى الطبقة المتوسطة بعد انجازاتهم
الأكاديمية او الاقتصادية او عندما ينتقل افرادها جغرافيا كما في حالة هجرة
ابناء العوائل الفلاحية الى المدن لاستغلال فرص العمل الموجودة هناك .

اذن غالبا ما يسبب التصنيع للعائلة ضعف روابطها الاجتماعية والقرايية
وتناقض ايدولوجيتها وتغيير تركيبها ووظائفها وعدم استقرارها .

كما يترك التصنيع اثاره السلبية والمخربة في الجماعات التقليدية ذات
العلاقات المتساسة كالقرى والارياف والمجتمعات المحلية .

فقد تتغير قيم ومقاييل وممارسات الجماعات التقليدية من قيم ومقاييل
وممارسات جماعية تعتمد على روح الألفة والمحبة والايثار والوداعة الى قيم
ومقاييل وممارسات فردية تعتمد على المصالح الذاتية والتطلعات الانانية
والرغبة الجامحة في الكسب المادي (٢٨) .

ويشاهد المرء بأن التصنيع سبب للمجتمعات المحلية في العراق ضعف
ارادتها الطبيعية ، هذه الارادة التي لعبت الدور الكبير في وحدتها وتماسكها
وتعاونها . وبعد ضعف الارادة الطبيعية ظهرت الارادة العقلانية التي اعتمدت
على مبدأ التعاقد والتضامن الشخصي بين الافراد والمجتمعات لتحقيق طموحات
ومطالب الفرد في المجتمع .

وتظهر الارادة العقلانية المعتمدة على الروح التعاقدية جلية في ابيئات
والاقليم الحضري التي تتميز بعلاقاتها الاجتماعية الرسمية ، بتعب البعض
والحكمة على سلوكية افرادها وتقدمها في المجالات العلمية والتكنولوجيا
وأستادها مبدأ تفهيم العمل والتخصص فيه (٢٩) .

ومن الجدير بالاشارة هنا ان التصنيع ساعد في تحول الحياة الاجتماعية للمجتمع العراقي من حياة ريفية تقليدية زراعية الى حياة تتميز بالطابع الحضري والصناعي والديمقراطي .

وخلال تحول المجتمع هذا ظهرت عدة مشاكل اجتماعية وحضارية نتيجة لعدم انسجام تقدم الحياة الاقتصادية مع الحياة المثالية للمجتمع وعدم مقدرة عدد كبير من ابنائه بتكيف ارائهم وقيهم ومقاييسهم مع متطلبات وحاجات البيئة الاقتصادية المتغيرة .

ومشاكل التصنيع الاجتماعية والحضرية التي يمر فيها العراق نتيجة تحوله المادي والتكنولوجي من مرحلة الى مرحلة أخرى يفسرها البروفسور فيردنانز توينز (Tonnies) تفسيراً منطقياً عندما يقول في كتابه المجتمع المحلي والمنظمة (Community & Association) تمر مدينتنا الصناعية (المجتمع البشري) من سيطرة وجبروت المجتمع المحلي (المجتمع الريفي) الذي يتميز بالارادة الطبيعية الى سيطرة وجبروت المنظمة (المجتمع الحضري) الذي يتميز بالارادة العقلانية ، وجسيع مشاكلنا الحضرية التي نلمسها في الوقت الحاضر ترجع الى هذا التحول التاريخي^(٣٠) .

وأخيراً لابد من دراسة العلاقة بين التصنيع وظهور المشاكل الاجتماعية في المجتمع ، فقد شهد العراق خلال المراحل الاولى من تصنيعه جلة مشاكل اجتماعية معقدة هددت رفاهية وطمأنينة الفرد والمجتمع .

ومن هذه المشاكل مشكلة ازدحام السكان في المدن ، جنوح الاحداث ، الجرائم ، تناول المسكرات ، الطلاق ، الانتحار ، عدم استقرار الاسرة ... الخ . ولكل من هذه المشاكل اسبابها وتاثيراتها وعلاجها . غير ان تشخيص اسباب هذه المشاكل لا يمكن ان يتم الا عن طريق اجراء البحوث الميدانية والنظرية التي تستهدف جمع الحقائق والمعلومات عن العوامل والمتغيرات التي تسبب نشوؤها وبلورتها ثم سيطرتها على البيئة الاجتماعية التي تتواجد فيها .

وتهتم معظم العلوم الاجتماعية بدراسة المشكلات الاجتماعية ،
فالاقتصاديون والنفسيون والاجتماعيون يهتمون بدراسة البطالة والجريمة
والبغاء والاحياء الاجتماعية المختلفة والطلاق وغيرها (٢١) .

ويعتبر علم الاجتماع من اهم العلوم التي تهتم بدراسة المشكلات
الاجتماعية سواء في الماضي حيث كان المشتغلون بعلم الاجتماع اسبق من
غيرهم في الاهتمام بها او في الوقت الحاضر حيث تولي البحوث الاجتماعية
اهتماما بالغا بدراسة المشكلات الاجتماعية في البيئات المختلفة وخاصة البيئات
الحضرية منها .

وليس معنى ذلك ان علم الاجتماع هو علم المشكلات الاجتماعية كما
يظن البعض احيانا ، ولكن عالم الاجتماع يتعرض لهذه المشكلات باعتبارها
من الظواهر الاجتماعية الوثيقة الصلة بالثقافة عامة والنظم الاجتماعية
خاصة (٢٢) . فهدف علم الاجتماع ومنهجه يحدان عليه ان يتجه في دراسة
المشكلات الاجتماعية فيقوم بوصفها وتحليلها ودراسة اسبابها وعلاجها ونتائجها
تماما كما يفعل العلم الفلكي او الكيمائي او السبيعي في دراسته للظواهر
الطبيعية التي يهتم بهن .

وهناك تفسيرات مختلفة لظهور المشكلات الاجتماعية في المجتمع اهتمها
التفسير الاجتماعي والتفسير التاريخي والتفسير السيكولوجي . لكن التفسير
التاريخي للمشكلة الاجتماعية سينيدنا هنا في شرح طبيعة التحولات المادية
والمثالية التي يشهدها المجتمع خلال فترة زمنية محددة ، هذه التحولات التي
ينجم عنها ظهور مشاكل اجتماعية معقدة يجب دراستها وتشخيصها اولاً ثم
اتخاذ الاجراءات النظامية والعلمية لحلها والقضاء عليها ثانياً .

ينص التفسير التاريخي للمشكلة الاجتماعية بأن المجتمع الانساني هو
كائن متغير وغير مسنن .

فهو قد يتغير من مجتمع رأسمالي الى مجتمع اشتراكي (٢٣) ، او يتغير
من مجتمع عسكري الى مجتمع صناعي او يتغير من مجتمع ريفي الى مجتمع
حضري (٢٤) .

وتغير المجتمع يعني تحوله من الناحية الفكرية والمثالية الى تحول عدائه وتقاليد وقية ومقاييسه ، وتحوله من الناحية المادية والصناعية والتكنولوجية^(٣٥) . ومثل هذا التحول في المجالين المثالي والمادى لا بد ان يسبب مشاكل اجتماعية للمجتمع .

فعند تحول المجتمع من مجتمع بدائي بسيط الى مجتمع نام تظهر فيه مجموعة مشاكل اجتماعية تسمى بالافات الخمسة وهي الجهل والفقر والمرض والامية وأزدحام السكان في المدن .

وعند تحول المجتمع من مجتمع نام الى مجتمع متقدم تظهر فيه مجموعة اخرى من المشاكل الاجتماعية كالطلاق والانتحار والتحلل الاجتماعي والخلقي وجنوح الاحداث والبغاء والجريمة كالقتل والسرقة والاعتصاب والعش^(٣٦) .

اذن كلما تقدم المجتمع من النواحي الصناعية والمادية والتكنولوجية كلما ازدادت وتعمدت فيه المشاكل الاجتماعية وكلما اصبح المجتمع بحاجة ماسة الى جهود جماعية ومنظمة للقضاء على مشاكله التي تتحدى كيانه ووجوده .

ان التغير الاجتماعي كما ذكرنا اعلاه هو تبدل المجتمع من النواحي المادية والعلمية والتكنولوجية وتبدله ايضا في النواحي المثالية والحضارية والفكرية . لكن هناك حقيقة شائعة تتعلق بطبيعة انماط هذا التغير .

لتغير المجتمع ماديا يكون اسرع من تغيره فكريا وحضاريا . اى ان المجتمع يتغير بسرعة في النواحي الاقتصادية والتكنولوجية ويتغير ببطء في النواحي الثقافية والفكرية^(٣٧) .

وسرعة التغير المادى على التغير الفكرى تسبب مشاكل اجتماعية وحضارية كثيرة للمجتمع ، هذه المشاكل التي تعمق ونمنع تطوره وتقدمه في نتي المجالات والميادين الحياتية^(٣٨) .

ففي حالة المجتمع العراقي مثلا استطاع هذا المجتمع احراز التقدم الكبير والسريع في النواحي الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية منذ عام ١٩٥٠ . ولكنه لم يحرز نفس الدرجة من التقدم في النواحي الفكرية والأخلاقية والقيمية . فقد استطاع المجتمع بناء المصانع والمستشفيات والمدارس والثكنات والجامعات ، واستعمال الاجهزة العلمية والمختبرية الحديثة ، التقدم في المجالات التخطيطية والادارية والاقتصادية ، الا انه لم يتقدم تقدما سريعا في المجالات المثالية والروحية والقيمية .

فلا تزال بعض الفئات والعناصر السكانية تتمسك بالعصبية القبلية وتعتقد باستعمال اسلوب الواسطات في حسم وأنهاء القضايا والامور الشخصية ، ولا تقدم الاحترام الكافي للعامل والفلاح والكاسب ولا تحترم المرأة ولا تعتقد بأهمية مساواتها مع الرجل .

عماد بن حكومة الثورة في العراق بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي حققت منذ عام ١٩٦٨ مكاسب واتجاهات كثيرة للطبقة العمالية الكادحة ولسرأة العراقية من اجل القضاء على السليبيات والامراض الاجتماعية التي ورثها المجتمع من العهود الاستعمارية والرجعية والديكتاتورية التي مر بها .

ومع هذا لا تزال الرواسب والمخلفات التاريخية للامراض الاجتماعية والحضارية باقية اذ يستغرق اختفاؤها وزوالها وقتا طويلا (٢١) .

وأهمور اجتماعية وحضارية معقدة كهذه لا بد ان تؤثر تأثيرا كبيرا في مسيرة المجتمع وتقدمه الاقتصادي والتكنولوجي والحضاري وتضع أمامه سنى انواع الصعاب والاختطار والتحديات (٢٢) .

ومن عبود السلطة الثورية في العراق التي تبذل في شتى المجالات والميادين المادية وغير المادية ستعني هذه السليبيات والمعوقات عجزا ماحلا .

الا اننا نستطيع القول في هذا البحث بأن المجتمع العراقي يستطيع احراز التقدم في شتى المجالات الحضارية والمادية والتكنولوجية فيما اذا نجح في تغيير قيمه وممارساته الضيقة والمتحيزة والرجعية خصوصا ما يتعلق منها بالمشكلات الانسانية والحضارية التي تواجه المجتمع في الوقت الحاضر . كما ينبغي على المجتمع العراقي تشريع المزيد من القوانين الاجتماعية الجديدة التي تتلاءم مع روح العصر وروح الثورة والتحول الاجتماعي ومع اديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي المتمثلة بأهداف الوحدة والحرية والاشتراكية .

وهذه القوانين والتشريعات ينبغي ان تعالج المسائل الجوهرية التالية :-

- التخلص من اسلوب الواسطات
- منح المرأة حقوقها كاملة
- احترام الطبقة الكادحة
- القضاء على الاقلية والتعصب بجميع اشكاله ومظاهره
- قبول واعتماد مظاهر التقدم والتحضر والتصنيع والتحديث الشامل ... الخ
- وتشريعات كهذه لا بد ان تغير القيم والمقاييس الاجتماعية والحضارية عند الافراد على اختلاف خلفياتهم الاجتماعية والطبقية
- ونشر القيم والممارسات الانسانية والاشتراكية وترسيخها في نفوس الافراد لا بد ان يعجل عملية تغيير العامل الفكري والقيمي في المجتمع بحيث يصبح تقدمه منسجما مع تقدم العامل المادي والتكنولوجي ، وهنا يستطيع المجتمع العراقي التخلص من الهوة او الفجوة الحضارية (Cultural Gap) بين التقدم المادي والتكنولوجي والتقدم المثالي والقيمي
- هذه الفجوة التي يمكن ان تكون مسؤولة عن معظم المشكلات الانسانية والحضارية التي تواجه المجتمعات النامية في الوقت الحاضر بضمنها العراق

(المصادر المستعملة في البحث)

Bibliography

- (1) Gould, J. and Kolb, W. A Dictionary of the Social Sciences, New York, 1964, p. 328.
- (2) Unesco, The Social Implications of Industrialization and Urbanization, Calcutta, Unesco Research Centre, 1956, p. 4.
- (3) The Annual Abstract of Statistics, Central Statistical Organization, The Iraqi Ministry of Planning, 1975, pp. 221-2.
- (4) The Monthly Bulletin of the Iraqi Central Bank, Nov. 1975
- (5) Iraq Today, A Journal Issued by the Iraqi Ministry of Information (The Industrial Sector).
- (6) Grunwald, K. Industrialization in the Middle East, New York, 1960, p. 20.
- (7) Iraq Today, A Journal Issled by the Iraqi Ministry of Information Vol. 11 No. 29, Nov. 1976, p. 23.
- (8) Ismael, B. K. The Position of Iraqi Trade, An Article written in the Iraqi Economist Journal, No. 1, 1st year, March, p. 15.
- (9) Ibid., p. 16.
- (10) Marshall, T.H. Citizenship and Social Class, London, 1950, see the Ch. on "The Recent History of Professionalism".
- (11) Vochalov, B.M. Man and His Requirements Under Socialism, Moscow, 1973, p. 132.
- (12) Al-Hassan, Hasan M. Lectures on Arabic Society. Baghdad, 1973, p. 89.

- (13) Weitz, R. Urbanization and the Developing Countries, New York, 1973, p. 14.
- (14) Ibid., p. 16.
- (15) Kohli, K. L. The Nature of Urbanization in Iraq, Baghdad, 1975, p. 12.
- (16) Hanson, J.L. A Textbook of Economics, 5th Edition, London, 1970, p. 127.
- (17) The Political Report of the 8th Regional Conference of the Arab Baath Socialist Party, 1974, p. 117.
- (18) Moore, W.E. International Encyclopedia of the Social Sciences, edited by D. L. Sills, vol. 7, New York, pp. 266-267.
- (19) The Economic Development of Iraq, A Report Written for Reconstruction and Development, on the request of the Iraqi Government, The John Hopkins Press 1952, p. 10.
- (20) Johnson, H. Sociology : A Systematic Introduction, London, 1961, p. 235.
- (21) Mann, P. An Approach to Urban Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1968, p. 71.
- (22) Al-Hassan, Ihsan M. Social Structure and Family Change in Iraq under Conditions of Industrialization, A Ph. D. Thesis in Sociology of the Hungarian Academy of Sciences, Budapest, 1977, pp. 45-46.
- (23) Aisa, M.T. The Philosophy of Planned Change, Cairo, 1967, p. 176.
- (24) The Third World and Scientific and Technical Progress, Published by a Group of Soviet Scientists in the Soviet Academy of Sciences, Moscow, 1976, pp. 44-45.
- (25) Wirth, L. Cities and Society, New York, The Free Press, 1957, pp. 52-3.
- (26) Bottomore, T. B. Elites and Society, A Pelican Book, Middlesex, England, p. 25.

- (21) Burgess, E., Locke and Thomas. *The Family from Tradition to Companionship*, 4th edition, New York, 1971, p. 63.
- (28) Goode, W. J. *World Revolution and Family Patterns*, The Free Press of Glencoe, 1963, p. 125.
- (29) Tonnies, F. *Community and Association*, Translated by Charles P. Loomis, London, Routledge and Kegan Paul, 1955, p. 40.
- (30) *Ibid.*, p. 43.
- (31) *Ibid.*, op. cit., p. 3.
- (32) Merton, R. and Nisbet, R. *Contemporary Social Problems*, New York, 1961, p. 4.
- (33) Al-Hassan, Ihsan M. *Sociology : A Systematic Study*, Baghdad, 1976, p. 311.
- (34) Marx, K. *Selected Writings in Sociology and Social Philosophy*, Edited by T. B. Bottomore and M. Rubel, A Pelican Book, Middlesex, England, 1967, p. 137.
- (35) Spence, Herbert. *Principles of Sociology*. London, 1892, see the Introduction.
- (36) Abraham, J. H. *Origin and Growth of Sociology*. A Pelican Book, Middlesex, England, 1973, see the section on Ibn Khaldoun.
- (37) Bebel, August, *Society of the Future*, Moscow, 1976, pp. 17-19.
- (38) Merton, R. and Nisbet, R. *Contemporary Social Problems*, pp. 8-11.
- (39) Hinkle, R. *The Development of Modern Sociology*, Random House, New York, 1963, p. 39.
- (40) *Ibid.*, p. 40.

نشوء واثـر الطبقة الوسطى في عملية البناء السياسي للمجتمع العراقي

الدكتور صبيح عبدالمنعم احمد
قسم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة بغداد

مفهوم الطبقة الاجتماعية :

لقد اختلف الباحثون والمشتغلون في ميادين العلوم الاجتماعية بدراساتهم
لظاهرة الطبقة الاجتماعية في المجتمع . ويرجع السبب الى طبيعة الدراسات
النظرية والميدانية التي اجراها الكتاب بخصوص هذه الظاهرة ، والمدارس
الفكرية التي ينتمون اليها . فلقد ذهب كل واحد منهم في تفسيرها بطريقة
تكاد تختلف عن الآخرين او قد تلتقي هذه الدراسات في بعض الاحيان في بعض
التفسيرات لها ، ولـاجل توضيح هذه الاختلافات بين الباحثين لمفهوم الطبقة
نود ان نشير الى ابرزها وخاصة الاجتماعيون منهم ، لان الطبقة ظاهرة تعلق
فيها المصلحون الاجتماعيون ، والسياسيون والاقتصاديون وغيرهم قديما
وحديثا . فلها دور مهم - في معظم المجتمعات في عملية التحول والبناء
لمجتمع من حيث مساهمتها في هذه العملية بصورة مباشرة او غير مباشرة .
والمجتمع العراقي كغيره من المجتمعات الاخرى ضم قديما ويضم حديثا فئات
واسرائع اجتماعية مختلفة لعبت ادوارا : ومارست وظائف مختلفة عبر تاريخه
الاجتماعي وحتى ثورة ١٧-٣٠ تموز سنة ١٩٦٨ التي قادها حزب البعث
العربي الاشتراكي . وسوف لن نتطرق الى ما بعد هذه الفترة لان المجتمع

العراقي يسر بمرحلة تكاد تختلف عن بقية المراحل التاريخية السابقة من حيث ان لحزب البعث العربي الاشتراكي نظرية خاصة في البناء والتحول الاجتماعي وخاصة في معالجته للطبقات وقد بدأ الحزب يطبق نظريته منذ تسلمه السلطة والى الوقت الحاضر .

لقد درج قسم كبير من الكتاب في تقسيم المجتمع الى ثلاث طبقات رئيسية ، وهي الطبقة الغنية جدا ، والطبقة الفقيرة جدا ، والطبقة الوسطى التي تحتل مكانا بينهما .^(١) اما البعض الاخر فحاول ان يقسم المجتمع الى طبقات فرعية اخرى بالاضافة الى هذه التقسيمات كالطبقة دون العليا وفوق الوسطى ودون الوسطى وفوق الدنيا وذلك كل حسب اجتهاده . وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر هذه بين جبهة الكتاب في التقسيم الطبقي الا اننا نجد في البحوث التي اجراها علماء الاجتماع شبه اجماع بينهم على وجود ثلاث طبقات رئيسية في المجتمعات وخاصة المعاصرة منها والتي انصبت معظم بحوثهم عليها وهذه هي : الطبقة العليا ، والوسطى ، والدنيا ، ولو انهم اختلفوا في تحديد طبيعة هذه التقسيمات . ان هذا الاختلاف بينهم قد لا يشكل خطورة بقدر الخطورة المتعلقة باختلافهم حول مفهوم الطبقة نفسها ومحاولة تحديده لاجل ان لا يلتبس مع المفاهيم الاخرى التي قد تقترب منه . فهناك مصطلحات تداخلت معه كالمنزلة الاجتماعية Social Status والمكانة الاجتماعية Social Rank والطائفة Caste ، والفصيلة Category والطبقة الاجتماعية Social Stratification الى غير

(1) Aristotele, 'Theories of class structure: A classical view', (1974) ed., Bendix, Reinhard & Lipset, Seymour Martin., in class status and power., Routledge & Kegan Paul., London., p. 1.

ذلك من المفاهيم الأخرى • أن الطبقة تشير إلى الأفراد الذين يربطهم إطار مجتمع أو مجتمع محلي ولديهم نفس القوة power والدخل والثروة والهيبة Prestige. (١) فالبحث في مضمون الطبقة يتعلق بصورة جوهرية بطبيعة الاختلافات الاجتماعية للجماعات • فقد تميزت المجتمعات في العصور القديمة باختلافات الأفراد فيما بينهم في المنزل والمكانة كما وارتبطت العضوية بالجماعة والمجتمع في الامتيازات التي يحصل عليها الأفراد في ضوء القانون العام Public Law والخاص Private Law (٢) • فالمجتمعات البشرية عبر تاريخها اعطت امتيازات معينة لفئات اجتماعية خاصة دون أخرى وذلك لطبيعة الأدوار التي احتلتها هذه الطبقات والوظائف التي مارسها داخل المجتمع • لذا نستطيع القول أن لكل طبقة اجتماعية وفي كل مرحلة زمنية كان للطبقة دور ووظيفة تؤديها بصرف النظر عن الامتيازات التي تستمتع بها •

فالتبقة تعني بصورة عامة جماعة من الناس لها مميزات خاصة ومشاركة (٣) تختلف عن بقية الفئات الاجتماعية الأخرى في المجتمع • وينطبق هذا المفهوم أيضا على الوضعيات المتدرجة في النظام الاجتماعي Social Order والتوزيعات المختلفة للمنزلة التي بدورها تعتمد على الوضعيات الاجتماعية كما وينطوي مفهوم الطبقة الاجتماعية أيضا على النقلة الاجتماعية من الأعلى

Gould, Julius & Kolb, William L., (1964) A dictionary of (١)
the Social Sciences, The Free-Press, N. Y., p. 643.

Seligman, Edwin R. A. & Johnson, Alvin (1959) Encyclo- (٢)
paedia of the social sciences, The Macmillan Company,
N. Y., pj. 531-532.

Ibid., p. 532. (٣)

الى الاسفل او العكس^(١) . وهذا يعكس الطائفة التي تستار بالجمود والجمود
 نقلة الافراد من وضع الى اخر او تغيير مكافاتهم الاجتماعية فيها . والطبقة
 ظاهرة اجتماعية لها شخصية اجتماعية Social Entity مميزة يمكن ملاحظتها
 في المجتمع ، كما ولها تركيب اجتماعي عضوي Social Organism ومستوى
 معاشي معين . وتمثيل فعلي داخل المجتمع . وقد يعاني افرادها نتيجة لوضعهم
 الفئسي وبنفس الوقت هم بحاجة الى فهم^(٢) من قبل الآخرين . وبعبارة
 اخرى ان الطبقة الاجتماعية ما هي الا جزءا مميزا من المجتمع بواسطة المكانة^(٣)
 والمنزلة والهيبة التي يمتلكها الافراد داخل المجتمع والامتيازات التي يحصلون
 عليها بالمقارنة مع بقية الفئات الاجتماعية الاخرى .

وغني عن البيان ان الكتاب النظريين بصورة خاصة قد اختلفوا في وجهات
 نظرهم حول مفهوم الطبقة الاجتماعية وذلك بسبب اختلاف بناءها عبر العصور
 التاريخية . فالتحولات التي مرت بها الطبقة تاريخيا كانت ذات طبائع خاصة
 ومختلفة^(٤) قد تتباين عن المرحلة التي بعدها او المرحلة التي قبلها . فكل
 باحث حاول التركيز على عامل معين واجتهد بطريقته الخاصة على بناء ايديولوجية
 او تأكيد خاص للبرهنة عليه دون العامل الاخر . و التأكيد عليه في فترة
 زمنية معينة دون الاخرى لذا فان معظم هذه البحوث جاءت قاصرة في بعض
 الاحيان في تفسير هذه الظاهرة الاجتماعية فهي — تستاز بالنظرة السوسيولوجية
 والعنومية .

Coser, Lewis A. & Rosenberg, Bernard, (1966) Sociological
 Theory; A book of readings. Second edition. The
 MacMillan Company, N. Y.

Chapier, J., The problem of classes) in Bendix, Reinhard
 & Lipst, Seymour Martin, (1974), Op. Cit., p. 42.

Culter, John R. (1951) Sociology, Second edition, The Mac-
 Millan Company, N. Y. p. 160

Seashan, Edwin R. A. & Johnson, Alvin, (1959) Op. Cit.
 p. 332.

ان الباحث في موضوع الطبقة لا يستطيع ان يعمل الكتابات التي جاء بها كارل ماركس Karl Marx بالنظر لاهميتها وقيمتها العلمية التي انتشرت في اوساط علمية واسعة ، وراجت في فترات زمنية مختلفة . اضافة الى ان اراءه في الطبقة اتخذها بعض الكتاب - ممن تأثروا بالمذهب الماركسي اساسا لتفسير التحولات التي تصيب المجتمع . ان كارل ماركس حاول ان يبنى نظريته على التغير التاريخي للمجتمعات ، مستوحيا اراءه من هيغل Hegel وريكاردو Ricardo بالدرجة الاولى (١) . وهذه المراحل على حد رايه ذات طبيعة تطويرية تبدأ بالحضارات القديمة Ancient Civilization ثم النظام الاقطاعي Feudalism ، ومن ثم النظام الرأسمالي Capitalism ولقد تميزت كل مرحلة من هذه المراحل بسيادة نمط معين من الانتاج يعتمد على بناء طبقي يتضمن الطبقة الحاكمة ، والطبقة المضطهدة . والصراع الطبقي بين هاتين الطبقتين يعتمد على العلاقة بينهما من حيث سيطرة الطبقة الحاكمة على وسائل الانتاج ، ويرى ان القانون والحكومة ، والفن ، والادب ، والعلم ، والنسفة ، كلها في خدمة الطبقة الحاكمة (٢) .

ان ماركس يرى ان الطبقة اي حشد من الناس يقومون بوظيفة واحدة في العملية الانتاجية . فهناك جماعة مهيمنة وجماعة مهيمنة عليها وتتميز كل طبقة عن غيرها باختلاف وضعها الاقتصادي وكلما كان الفرق شاسعا بين هاتين الطبقتين كلما اشتد الصراع الطبقي بينهما .

(١) Kahl, Joseph A., (1967) 'The American class structure, Holt, Reinhart and Winston, N. Y. p. 2.

(٢) Bendix & Lipset, Karl Marx's theory of social classes, in Bendix, Reinhard & Lipset, Seymour Martin (1974), Op. Cit., p. 6.

اما ماكس فيبر Max Weber فهو الآخر الذي خصص من حياته الى دراسة البحوث التاريخية في السنوات الاولى للقرن العشرين مركزا على العامل الايديولوجي ، والبناء الاجتماعي ، والعمليات الاجتماعية ، وحاول ان يعرّف تمييزا حاسما بين الطبقة والمكانة والحزب^(١) ، وسعى الى بناء نظرية لتفسير ودراسة الطبقة الاجتماعية . فقد اعتبر ماكس فيبر Max Weber الطبقة الاجتماعية جماعة من الناس متشابهة في مصادر الدخل ، ويرى ايضا ان الاتجاه الاقتصادي Economic Interests له تأثير كبير على خلق اتجاه ايديولوجي مشترك بين الجماعة ، بالاضافة الى زيادة الشعور بالتماسك بين افرادها^(٢) . فانطبقة من وجهة نظره هي ليست مجتمع محلي وانما تعتمد على فعل مشترك Communal Action وهذا الوضع الطبقي يستند على خصائص رئيسية وهي

- ١ - مجموعة من السكان لهم خصائص متميزة ومشاركة تؤلف حياتهم .
- ٢ - ان هذه الخصائص والسيرات المشتركة في الاعمال الاغلب تشمل في طموحاتهم الاقتصادية .
- ٣ - كما وان هذه الخصائص التي يشتركون بها تعتمد على اوضاع حاكمة سوى العمل^(٣) .

فالطبقة عند ماكس فيبر Max Weber جماعة من الناس يشاركون في حياة متشابهة ينظر اليها من وجهة نظر السوق^(٤) . اما التقسيم الطبقي فنفسه

Joseph A. (1967). Op. Cit., p. 56.

Seligman, Edwin R. A. & Johnson, Alven (1959). Op. Cit., (٢)
p. 532.

(Weber, Max, Class, Status and party) in Bendix & Lipset.
Op. Cit., p. 6.

Karl, Joseph A. , Op. Cit., p. 3. (٣)

يعتمد على ثلاثة خصائص مهمة ورئيسية وهي الثروة Wealth ، والهيبة Prestige ، والقوة Power . (١)

ومما لا شك فيه ان ماكس فيبر قد اكد على الجانب الاقتصادي كثيرا في دراسته للطبقة ، واعتبره مهما لانه يخلق اتجاهات فكرية بين الجماعة كما وله قوة داخل المجتمع وقدرة على خلق روح التماسك بين افراد الجماعة فالطبقة تعني اي جماعة من الاشخاص يشغلون نفس المكانة الطبقية Class status وان ما يميز الطبقة عن المكانة الطبقية هو الاختلاف او التشابه في الوضعية التي يحصل عليها الافراد من خلال الاتجاهات التي يشاركون فيها . (٢)

من هذا العرض السريع لبعض الاراء الاجتماعية لمفهوم الطبقة الاجتماعية نجد ان هناك اختلافا واضحا وفي بعض الاحيان كبيرا بين الباحثين . وهناك بحوث كثيرة ومختلفة نظرية وتطبيقية ، ركزت اهتماماتها حول الطبقة ، وقد استخدم اصحابها متغيرات متنوعة لاجل فهم وقياس الطبقة الاجتماعية . فمن هذه البحوث من اعتمدت على الهيبة الشخصية Personal Prestige كقياس للطبقة في المجتمع وخاصة المجتمعات المحلية او الصغيرة على اساس ان لها علاقة في توجيه سلوك الافراد . ويرى البعض الاخر من الباحثين ان الحرفة Occupation هي الاساس المهم في البناء الطبقي فالناس ينظرون الى بعض الحرف بطريقة اعلى من بقية الحرف الاخرى ، وقد

Goldthorpe, J. E., (1974) An Introduction to sociology, (١)
Second edition, Cambridge University Press London, p.
133.

Weber, Max, (1947), The theory of social and economic or- (٢)
ganization, The Free Press., N. Y. p. 424.

سكون اهم من غيرها بالاضافة الى ان المجتمع في كثير من الاحيان يسمي
هبة الى مهنة معينة دون اخرى ، وذهب الفريق الاخر ينظر الى الحيازة
possession وما يمتلكه الفرد عامل مهم في فهم وتفسير البعدان
الطبقي اما التسم الاخر فقد وجد في درجة الشعور الطبقي degree of class
consciousness ودرجة الانتماء اساسا مهما في فهم الطبقة (١) .

ان هذا الاختلاف بين وجهات نظر الباحثين في موضوع الطبقة ربما
يرجع الى طبيعة المجتمعات التي تناولوها في دراساتهم او الى تباين المراحل
الزمنية التي درسوا فيها هذه الظاهرة اضافة الى تعدد المدارس الفكرية التي
ينتمي اليها هؤلاء الباحثون ، واهداف دراساتهم التي وضعوها من حيث
توجيهها او دعائها لمدرسة معينة دون اخرى .

ان الظواهر الاجتماعية تتمتع بالنسبة المكانية والزمانية ، والطبيعية
لانستثنى من هذا المعيار . فهي ظاهرة لازمت المجتمعات البشرية في جميع
المراحل التطورية لتاريخها . والمجتمع العراقي كبقية المجتمعات الاخرى
لا يخلو من التفاوت الاجتماعي بين الجماعات الاجتماعية التي يضمها اي مجتمع
قديما وحديثا . لذا فان الاعتماد على مدرسة دون اخرى او تفسير الطبقة
بعامل دون الرجوع الى العوامل الاخرى قد لا ينسجم مع الموضوعية العلمية
المسوخاة من الباحث ان الطبقة الاجتماعية في المجتمع العراقي تأثرت وتأثر
في وقتنا الحاضر بعوامل متعددة تكمن في بنية المجتمع ومرتبطة بالعديد من
السياسي - الاقتصادي - الاجتماعي المختلفة التي توجهها او لها تأثير كبير في تحديد
التغير ككل .

ان دراستنا هذه اتخذت من الطبقة الوسطى موضوعا للبحث والاستقصاء على اعتبارها شريحة مهمة في المجتمع لعبت دورا كبيرا في عملية التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع وقد لا يختلف دورها عن بقية الطبقات الاخرى التي لها دور مهم واهم في بعض الاحيان من هذه الطبقة . ولكن اردنا في هذا البحث ان نعرف القاري بالدور المهم الذي لعبته هذه الطبقة في مسيرة المجتمع التاريخية . ان المجتمع العراقي ذو طابع ثقافي يختلف عن بقية المجتمعات الاخرى فالبداءة وتأثيرها على المجتمع ، والثقافة الجديدة وانتشار التعليم وزيادة التحضر ، وزيادة شدة الاتصال الثقافي ، وتنوع وسائل الاتصال وانتشارها في المجتمع كلها لعبت دورا مهما في تطور حياة المجتمع العراقي .

ماهية الطبقة الوسطى :

على الرغم من اختلاف وجهات نظر الكتاب في اعطاء مفهوم محدد للطبقة الوسطى middle class الا اننا نجد بعض التعاريف التي تعتبر اكثر قبولاً لدى الباحثين . فقد تعني الطبقة الوسطى جماعة من الناس تتشابه من الناحية الاجتماعية والاقتصادية التي يسكن ان تميزها عن بقية الشرائح الاجتماعية الاخرى وتعتمد بدرجة الاولى على الحرفة occupation والمكانة status ، وهذه الطبقة تضم الجماعات المهنية والادارية والفئات الاخرى التي تعتمد على رواتبها في معيشتها .^(١) ان المجتمع عندما يضم الطبقة الوسطى من المواطنين فهو عملية طبيعية تسيج الدولة وقد تحص هذه الطبقة بالطبائنة في وجود الدولة . والاعتقاد السائد ان وظيفة هذه الطبقة هي باستطاعتها

Huther, Patrick (1976), The Decline and Fall of the Middle Class and how it can fight back, Associated Business programmes, London, p. 3. (1)

ان تمنح أي طبقة من الطبقات الأخرى من السيطرة على المجتمع^(١) . وعلى هذا الأساس فقد ينظر البعض الى ان هذه الطبقة هي توفيقية وانتهازية لأنها تحاول ان توفق بين مصالحها ومصالح الطبقة الحاكمة .

كما وان كارل ماركس يعتقد ان الطبقة الوسطى تحاول ان تلقي ثقلها على الطبقة العاملة في الوقت الذي تدعم فيه امن الطبقة العليا وقوتها^(٢) . بهذا فان هذه الطبقة لا يمكن ان تعطي الثقة الكاملة لأنها لا تريد الا ان تدعم مصالحها وتثبت اركانها داخل المجتمع ولا يمكن الاعتماد عليها في كبحها بجانب الطبقة المحرومة . والاكثر من ذلك ان هذه الفئة من السكان تسعى في الوصول الى مراكز القوى واشغال المواقع العليا لمراكز القوى بعد تفويض الطبقة الحاكمة وتثبيت مصالحها في المجتمع .

ان بحثنا هذا يهدف الى اظهار دور شريحة واحدة من الطبقة الوسطى الا وهي الطبقة المهنية Professional class التي اعتاد بعض الباحثين اطلاق لفظ الطبقة الوسطى عليها . فقد كُفّي بهذه الفئة الجماعة التي ينشوي تحتها فروع التعليم المختلفة من الحرفيين الذين تميزوا بخصائص معينة^(٣) جعلتهم يختلفون عن بقية الفئات الاجتماعية الأخرى في المجتمع . فالمتبع لتاريخ الفكر الاجتماعي يجد ان علماء الاجتماع لم يحاولوا ان يعطوا في دراساتهم كل المهن professions بالرغم من ان البعض منهم حاول ان يدرسها من زاوية معينة قد تختلف عن الآخرين وخاصة الدور الذي لعبته في عملية التحول

(1) (Aristotle, Theories of class structure: A classical view) (1971) Op. cit., p. 1.

(2) برنومور . تبهيد في علم الاجتماع ، ترجمة د . محمد الجوهري ، الخرس دار الكتب الجامعية الاسكندرية ١٩٧٣ ، صفحة ٣١٦ .

(3) Ben-David, Joseph. (1964) Professions in the class system of present day societies, Current sociology, (1963-64), p 247.

الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وفي هذا المجال نود ان نشير الى الدراسة التي قام بها ماكس فيبر التي تناولت وظائف وشرعية المهن ، والبحوث التي قام بها ماركيز Marquis وكذلك شابمان Chapman والتي تركزت على الاسل الاجتماعي للملكي واداري "صناعة القطن في انكلترا"^(١) . الى غير ذلك من البحوث الاخرى التي اجريت حول هذه الفئة الاجتماعية .

ولقد اعتقد مارشال Marshall بان المهن تشكل طبقة متميزة في المجتمع واطلق عليها الطبقة المهنية التي تميزت بطموحات جديدة تختلف عن الفئات الاجتماعية الاخرى من حيث انها تفردت في اعتمادها على الكفاءة الاجتماعية Social efficiency واصبح في استطاعتها ان تجد الحلول للمشكلات التي يعاني منها افراد المجتمع^(٢) . اما كارل مانهايم Karl Mannheim فقد حدد مفهوم هذه الطبقة بالمجموعة التي تشكل جماعة مميزة في البناء الطبقي . لها خصائصها التي جعلتها تختلف عن الطبقات الاخرى .

هذا و اشار بعض العلماء بصورة مسهبة في مجالات بحوثهم الى التبنية المهنية مثل « ميد » G. H. Mead وميرتن Metron واضرابهم من علماء الاجتماع . واول دراسة منهجية اجريت في هذا الميدان هي دراسة كارسندرز Carr-saunders ودراسة « ولسن » Wilson وكذلك فنكسر Flexner^(٣) حيث حاولوا في بحوثهم هذه دراسة المهن في اطار نظري وابرار دورها في حركة المجتمع .

Ibid., p. 247.

(١)

Ibid., p. 248.

(٢)

Ibid., p. 249.

(٣)

فالبحوث التي قام بها علماء الاجتماع للمهن كانت بصورة او باخرى قد عالجت هذه الفئة من ناحية ان الافراد او الجماعات الذين يؤدون مهنة معينة يشتركون بخصائص ويدخلون في روابط متميزة اذا ما قورنوا بالفئات الاجتماعية الاخرى . وان المؤشر لوجود هذا الوضع الطبقي هو المشاركة الفعلية بين الافراد من خلال التعبير عن المساواة وبالتالي . وما تجدر الاشارة اليه ان هذا المفهوم ينسجم مع ما جاء به « مارشان » حيث نظر الى الطبقة بانها مزية الافراد الذين يعاملون بواسطتها اتباعهم وبالمقابل الطريقة التي يعاملونهم بها^(١) . فعلى هذا الاساس يجوز لنا استخدام الطبقة المهنية بدلا من استعمالنا لاصطلاح الطبقة الوسطى . وتعتبر هذه الفئة الاجتماعية الشريحة المهمة من الطبقة الوسطى لانها اعتادت العلم والمعرفة والمهارة والكفاءة اساسا لبناءها . ان تركيزنا على هذه الفئة جاء من اعتقادنا في ان نمو المهن في المجتمع العراقي ادى الى نشوء الطبقة الوسطى التي لعبت دورا مهما في عملية التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي عبر تاريخه القديم والحديث . وامتد هذا النمو الى تغيير النظام الحرفي *Occupational system* نفسه حيث نشأت مهن جديدة وب نفس الوقت اصبحت دور بعض المهن الاخرى ، اضافة الى بروز تفكير جديد بين الجماعة التي تنضوي تحت مهنة واحدة ويعتقد « بارسنز » Parsons بان المهني هو شخص لا راسالي ولا عامل ولا هو كليا موظف حكومي او اداري او عضو في الجهاز الاداري وانما^(٢) هو شخص يشتمل بنوع من الاستقلال الجزئي او الكلي وتعتمد درجة الاستقلال هذه على طبيعة التدريب والتلقين التي حصل عليها من خلال العملية التربوية لهذا السبب يستطيع المهني التعبير عن رايه وممارسة النشاط على اختلاف وجوهه اكثر من غيره في المجتمع .

Ibid., p. 250.

Barber, Bernard, (1957), Social Stratification: A Comparative analysis of structure and process, Harcourt, Brace and world, N. Y. p. 121.

ان تأكيدنا على دور هذه الطبقة في عمليات التغير التي شهدتها المجتمع المراقبي جاء من اعتقادنا في أن المهنيين لهم عقائد وقيم وتقاليد ومعايير سلوكية ، وتعبيرات عاطفية في بعض الاحيان .^(١) لا يشترك معهم غيرهم من السكان بنفس الدرجة لان هذه المميزات استندت على اساس تكس في خاصية هذه الجساعة وتبلورت نتيجة مرورهم بوضعيات وعمليات اجساعية مختلفة انفردت بها هذه الجسوعة او تلك ، ونتيجة لعملية التنشئة هذه خلقت منهم فئة مميزة في المجتمع . كما وان طبيعة التدريب والتعليم لهذه الفصيلة اوجد نمطا معيناً من العلاقات الاجساعية المتناسكة بين افرادها ، كما واعطاها سلطة وقوة لدخول النظام الاجتماعي Social order^(٢) فالهين بطبيعتها ترغب من ممارسة سلطة مهنية مستندة على اساس تكنيكية من اجل تأكيد هويتها وايجاد مستوى معين من التدريب لها لخلق الثقة بها واخفاء صفة التفرد والاصالة عليها ، وهذا واضح في بناء موديلات الى التهن ومحاولة تطبيعها في وجهة نظر العوام والجساعة^(٣) . بغية اعطاء تصورات جسيمة وانطباعات خاصة لاجل تثبيت مركزها في المجتمع .

ولقد اثبتت البحوث الاجساعية ان الجساعات البشرية تتغير وتتطور وان تفاوتت سرعة عملية التحول من حيث تأثرها بعوامل مختلفة ، فقد يسرع جزء في عملية التغير دون الآخر ويترك الاجزاء الاخرى الى جانبه . الا ان العملية هذه موجودة في طبيعة تكوين المجتمع . وعلى العموم ان البناء

(١) Parsons, T., (1968) Profession, I. E. S. S., Free Press, Vol. 2. N. Y. p. 536.

(٢) Bendix & Lipset, Vertical Mobility) (1974) ed. Bendix & Lipset., Op. Cit., p. 562.

(٣) Ibid., p. 563.

الاجتماعي يتعرض الى الخلخلة حيث تسرع بعض اقسامه في عملية التغير اكثر من غيرها ولو ان المجتمع يحاول توزيع اعضائه في مواقع اجتماعية وحتمهم على انجاز واجبات لهذه المواقع^(١) . لاجل المحافظة على عملية التوازن والانسجام بين اجزائه .

ان نمو وتطور التعليم في العراق وبخاصة الحقول المتخصصة منه ادى الى نمو المهن وبلورة طبقة جديدة في المجتمع العراقي هذه الطبقة التي ندعوها بالطبقة المهنية او الطبقة الوسطى . وفي الحقيقة ان هذه الطبقة لم تكن مميزة وواضحة في المجتمع العراقي لاني دورها الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي منذ وقوع العراق تحت الاحتلال العثماني . ولقد كان للدليم دورا مهما في تكوينها والذي بدأت معالته تظهر في المجتمع منذ اوائل تكوين الدولة العراقية . ان دور الطبقة لايسكن اماله مهما اختلف تقييم الباحثين ، لان في اعتقادنا ان لهذه الطبقة نظرة الى المستقبل في المرحلة التاريخية التي تباورت بها تختلف عن الفئات الاجتماعية الاخرى وهي تختلف عن الطبقة الوسطى التقليدية التي تعتمد على ثروتها او انحدارها العائلي او غير ذلك من الاعتبارات الاخرى . فهي اعتمدت بالدرجة الاولى على تدريبها وتعليمها الذي اصبح اساسا مهما لكفاحها وديمومتها هذه هي الطبقة المتعلمة او المثورة او طبقة اصحاب الرواتب ، وقد لا يقل دور واهمية هذه الفئة عن بقية الطبقات الاخرى في مرحلة تاريخية ولاجل ان لا يهمل هذا الدور اردنا ان نلقي الضوء عليه عبر حقب زمنية معينة من حياة مجتمعنا المعاصر .

(Davis & Moore, Some Principles of stratification) (1974)

ed. Bendix & Lipset, Op. Cit., p. 47.

وضع الطبقة الوسطى في العهد العثماني :

قبل نمو الطبقة الوسطى المهنية كان السكان في العراق وخاصة سكان المدن يقسمون الى طبقتين، الطبقة الثرية وهي الحاكمة والطبقة العامة الفقيرة وكانت الفجوة بينها واسعة جدا وذلك بسبب غياب الطبقة الوسطى^(١)، او انها كانت صغيرة جدا وليس لها تأثير ملموس على حركة المجتمع وتعتمد بالدرجة الاولى على الملكية الصغيرة . لذا نستطيع القول بان نمو الطبقة الوسطى في العراق بدأ بعدما اعتت الدولة في تنسية التعليم وتوسيع قاعدته في المجتمع .

فالتعليم خلال الفترة العثمانية — على العموم — كان خاضعا للنظام الديني وكانت العلوم الدينية هي المسيطرة على مناهج التعليم . وقد اولت الدولة العثمانية اهتماما ملحوظا للمدارس في سنة ١٨٦٠ الا ان مناهجها بقيت مركزة على الدراسات الدينية . وكان وضع هذه المدارس لا يقل شأنا عن المدارس التي تأسست في القرن الثالث عشر وفشل الحكم العثماني في توحيد الشعب المتشتت من خلال توصيله للتعليم^(٢)، فسيطرة الدين على المؤسسات التربوية لاثير استغرابا لدينا لان البنية الاجتماعية للمجتمع العثماني كانت تعتمد على الدين الاسلامي لذا نجدهم قد ركزوا على توجيه المناهج بطريقة تخدم الاطار الايديولوجي الديني الذي اهتموا فيه في تلك الفترة .

(١) Khadduri, Majid, (1951), Independent Iraq; A study in Iraqi Politics since 1932, Oxford University Press, London, p. 11.

(٢) Lerner, Daniel (1958), The passing of traditional society Modernizing.

وبقي العراق خاليا من وجود اي مؤسسة تربوية حديثة ذات تعليم عال حتى سنة ١٩٠٨ حيث تأسس اول معهدين للدراسة العالية وهما كلية الامام الاعظم الذي تدرس فيه العلوم الدينية والاداب ، ومكتب الحقوق وتدرس فيه العلوم القانونية الحديثة التي ادخلت ايام حكم ناظم باشا (١) واستمر هذين المعهدين في تزويد احتياجات الدولة من المؤهلين في هذه الحقول الى ان تأسس اول قسم للتعليم ومستقل في العراق في سنة ١٩٢٠ وبعد ذلك ادمج هذا القسم مع وزارة الصحة ومن ثم فصل عنها (٢) واصبح مستقلا مرة ثانية . وكان هدف هذا المعهد هو تطوير التعليم بصورة عامة في العراق . ولكن قد نجد ان هذين المعهدين قد لايتناسبان مع حجم السكان انذاك وسد احتياجات الدولة من المتخصصين والكوادر الفنية الاخرى التي بدأت الدولة تحس باهميتها . اضافة الى ان هذين المعهدين لم يسدوا طلبات السكان الذي اصبح طموحا في الدخول الى المراكز التعليمية وخاصة العالية منها .

ان البناء السياسي للدولة العثمانية كان ذا طابع ديني واضح ونقطة الافراد الى البناء الفوقي كانت محددة ومستحيلة في معظم الاحيان ، وعلى العكس من الناحية النظرية هناك ثلاثة مؤهلات رئيسية للذين لهم طموحات في المساهمة بالسلطة ، الاول منها هو ان يكون الشخص عضوا في الطبقة الحاكمة . وثانيهما ان يكون مواليا للسلطان ودولته وان يخصص حياته لخدمتهم . وثالثهما ان يكون ممارسا للدين الاسلامي ونظامه ، فضلا عن ممارسة الفرد

(١) الهلالي ، عبد الرزاق . (١٩٣٩) . تاريخ التعليم في العراق خلال العصور العثمانية ١٩١٧-١٩٣٨ ، الدار القومية للطباعة والنشر بغداد . صفحته ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) Iraq, Government of., (1932) Report on the educational inquiry commission survey directed and report, Paul Monroe, Baghdad. p. 83.

للنظام المعتقد والسلوك واللغة بالطريقة العثمانية^(١) . فالفرد الذي يطمح في النقلة الاجتماعية وخاصة السياسية وجب عليه ان يكون ملماً بتدريب وخبرة في العلوم الدينية والادارية بما فيها المالية والسكرتارية ، والقانون العثماني لم يميز بين المسجد والدولة حيث كانت الشريعة الاسلامية هي الاساس^(٢) . وعلى هذا الاساس فان تغيير المكانة الاجتماعية في ظل النظام العثماني محددة وذلك لقساوة القوانين التي حددت فيها النقلة الاجتماعية . والبناء الاجتماعي للمجتمع العراقي لا يختلف عن نظيره العثماني لانه جزء منه والدولة واحدة . اما التعليم الذي تميز بالطابع الديني فقد كان بطيئاً في نموه لان الدولة العثمانية لم تشجع زيادة عدد المدارس في العراق اضافة الى انها لم تعط تسهيلات للطلبة وخاصة لابناء الطبقة العامة التي تشكل غالبية المجتمع العراقي آنذاك . اما البناء الطبقي فقد كان يشل على الطبقة الحاكمة القليلة العدد والطبقة المحكومة الكثيرة العدد ، ولقد كان الاستغلال للفئة الاخيرة واضحاً في استخدامها كاداة للاتاج وتحقيق رغبات الطبقة الحاكمة . لهذا كانت الحكومة العثمانية في العراق غير شعبية فضلاً عن انها غير كفوءة^(٣) في تنظيم وادارة الدولة والمجتمع على حد سواء . فالفساد كان منتشراً ، والجهل والمرض كان متفشياً والفقر والجوع ضارباً في الريف

(١) (Show, Steanford Jay, Some aspects of the aims and achievement of the nineteenth century Ottoman reform) (1968), ed. Poik, William R. & Chambers, Richard L., in Beginings of Modernization in the Middle East, University of Chicago Press, Chicago.

(٢) (Parry, Vernon J., Elite elements in the Ottoman Empire) (1969), ed. Wilkinson, Rupert, in Governing elites studies in training and selection, Oxford University Press, N. Y. p. 54.

(٣) Somervell, D. C., (1945), The British Empire, Sixth edition Christophers, p. 334.

والمدينة والمجتمع العراقي كان ساكناً ومتخلفاً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية^(١) ولم تترك الدولة العثمانية شيئاً يستحق الذكر في العراق لانها كانت منصرفة الى جمع الضرائب اكثر من اهتمامها بالتقدم الاقتصادي . أما هيكل النظام في هذه الفترة فكان اقطاعياً^(٢) .

والى نهاية هذه الحقبة الزمنية لم تكن هناك طبقة وسطى مهيبة لها دور ملحوظ في حركة المجتمع . ويسكن ان يرجع السبب الى التخلف الذي كان سائداً ، وعدم الاهتمام بالتعليم الحديث ، وطغيان الطابع الديني على مناهج التعليم ، وتخلف الطريقة التعليمية التي كان يلقي بها طلبة المدارس . كما وان الدولة العثمانية نفسها لم تكن راغبة في تعليم السكان خوفاً من زيادة الوعي بين صفوف المجتمع او خلق طبقة متعلمة واعية قد تخلق جواً معرقلاً الى الطبقة الحاكمة وبالتالي قد تخلق اضطراباً وخلخلة للنظام والدولة العثمانية .

اوضاع الطبقة الوسطى في ظل العهد الملكي

لقد كان العراق قبل الحرب العالمية الاولى جزءاً من الدولة العثمانية ونصيبه من التخلف في اوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لا يقل شأناً عن بقية الدول العربية الاخرى التي كانت تحت ظل هذه الدولة . وفي سنة ١٩١٦ عندما حدثت الثورة العربية ضد الحكم العثماني ساندتها الانكليز لانهم كانوا يريدون استغلالها وبنفس الوقت كانوا يهدفون الى تهديم الدولة العثمانية التي كانت تدعى بالرجل المريض . وقد رحب العرب بهذه الخطوة

Mansfield, Peter, (1973). The Ottoman Empire and its successors, Hazell Watson and Vincy, Great Britain pp. 17-18. (١)

Abboushi, W. F. (1974), The Angry Arabs, Philadelphia Westmenister Press, N. Y. p. 100. (٢)

اعتقاداً منهم ان هذه المساعدة سوف تمكنهم من الاستقلال^(١) وتكوين دولتهم المنشودة والتخلص من السيطرة العثمانية . وفي ابريل عام ١٩٣٠ ، وبسوجب معاهدت سانت ريمو التي عقدت في ايطاليا اصبح العراق تحت الانتداب البريطاني^(٢) . وظل هذا الانتداب تحت وطأة التآزمات النفسية بين العراق والانكليز الى ان اجريت مفاوضات بين الجانبين وحصل العراق على الاستقلال سنة ١٩٣٢^(٣) واصبح بعد ذلك عضواً في عصبة الامم League of Nations^(٤) الا ان هناك انتفاضات وطنية قد وقعت بعد هذه الفترة من قبل ابناء الشعب وبمساندة بعض روءساء القبائل لان الشعب ادرك ان هذا الاستقلال اسماً وليس فعلياً حيث ظل الانكليز محتفظين بقسم كبير من امتيازاتهم ولهم دور في ادارة شؤءون البلاد . والطبقة الوسطى المهنية لم تنبلور بعد ولا زالت صغيرة لان التعليم بقي بطيء النمو في هذه الفترة . ولقد نشط التعليم العالي في العراق بعدما ازدادت احتياجات البلاد الى كادر مؤهل لتسيير شؤءون الدولة لذا ارادت الحكومة في تلك الفترة ان تدرب جهازاً ادارياً كفؤاً من ابناء الشعب ويحصل ثقافة جديدة وحديثة غير الثقافة التركية ولقد ازداد الطلب على التعليم من ابناء الشعب لانه وسيلة مهمة للنقلة الاجتماعية وتغيير مكانات الافراد . والجدير بالذكر ان الاسرة العراقية تمتاز بالتماسك والتكاتف كما وانها من النوع الكبير لذا فان نقلة اي فرد منها بعد حصوله على التعليم الى موقع طبقي جديد سوف يؤثر على جميع ابناء الاسرة الواحدة . ولقد كان للاحداث التي شهدتها العراق

Ibid., p. 101.

Mosley, Leonard, (1973), Power play; the tumultuous world of Middle East Oil 1890-1973, Weidenfeld and Nicholson, London., p. 34.

Abboushi, W. F. Op. Cit., p. 123.

Somervell, D. C., Op. Cit., pp. 335-336.

خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها من انتفاضات ونشاطات سياسية واحداث دولية هامة حافظا مهما في زيادة وعي الناس في التعليم

فالتعليم العالي بدأ ينمو ويتطور ، ففي سنة ١٩٢١ تأسست او كلية عصريه للحقوق ، وفي سنة ١٩٢٣ انشأت كلية التربية وبعدها باربع سنوات افتتحت كلية الطب^(١) وفي سنة ١٩٣٠ تأسست كلية الصيدلة والكيمياء وفي سنة ١٩٥٠ كلية الهندسة . وكلية الملكة عالية (كلية البنات) ، وكلية العلوم والاداب ، والتجارة والاقتصاد^(٢) وتبعها كلية طب الاسنان سنة ١٩٥٢ . وكلية الطب البيطري في سنة ١٩٥٥ وعلى هذا الاساس نجد ان خلال فترة الحكم الملكي قدنمت حقول جديدة من المعرفة والتدريب حيث اصبح الفرد باستطاعته ان يحصل على مؤهل علمي ومهني يؤهله من ممارسة نشاطه داخل المجتمع وان يغير مكاتته ووضع الاجتساعي ويصبح عضوا في طبقة جديدة هي الطبقة الوسطى المهنية . ان هذه المؤسسات التربوية تختلف في طبيعة علومها ومعارفها عن المؤسسات التعليمية التقليدية التي نمت تحت الحكم العثماني . ان هذه المؤسسات بدأت تجهز المجتمع بجماعات تختلف في تفكيرها ومعارفها عن الطبقة التقليدية التي ورثت الزعامة وتدرت على القيادة في العهد العثماني وثبتت كيانها في العهد الملكي فالبنية السياسية للعهد الملكي وبخاصة في بدايته كانت امتدادا للبنية السياسية للعهد العثماني ، فبعدها كان السلطان هو الذي يختار الافراد ويفرضهم في مراكز القوى اصبح الملك هو الذي يختار الجماعات الذين يراهم ملائنين له ليلعبوا الدور في عملية التحول

(١) Qubain, F. L., (1966), Education and Science in the Arab World Baltimore, John Hopkins Press, p. 223.

(٢) Badre, Albert Y. & Siksek, Simon G., Manpower and oil in Arab Countries American University of Beirut, 1959, p. 125.

الاجتماعي والسياسي^(١) . وفي احيان أخرى كان الملك نفسه يجتهد ليصبح القوة الاساسية في عملية التحضر أو انه يستطيع ان يستخدم قوته في تأسيس اطار سياسي الى الآخرين المسؤولين عن القرار السياسي^(٢) . الا أن هذا الاختيار كان يكاد محصور في أَسْر معينة قليلة العدد او في الجماعات التي تحاول التقرب من السلطة او الى العائلة المالكة . وعلى العموم ان الطبقة الوسطى بدأت تنمو وتتطور وتتسع قاعدتها في المجتمع هذه الطبقة كانت لا تريد الدفاع عن مصالحها بقدر ما كانت تريد ان تدافع عن مصالح الطبقات الاخرى التي مادونها في السلم الهرمي للمجتمع . وكانت مدفوعة بعوامل عدة منها انها تنتمي في اصولها الاجتماعية الى الطبقات الفقيرة ، ولهذا فهي تدافع عن مصالح هذه الفئة واتخذتها مادة لكفاحها . هذه الطبقة بدأت تدرك ان طموحاتها لا يمكن ان تتحقق في ظل بناء سياسي يعتمد في اختيار رجاله على اسر محددة ووفق اسس لا تنسجم مع تطلعاتها .

الصراع بين الطبقة الوسطى والسلطة الحاكمة

لقد اكدنا على ان التعليم العالي بدأ ينمو ويتطور في العراق وكنيجة لذلك بدأت تنمو الطبقة البيروقراطية التي يرتكز عليها البناء السياسي للمجتمع . ان هذه الطبقة اصبحت لاتقل اهمية عن الحكومة نفسها حيث اصبحت منها المدراء والاداريون ، والمهندسون والصحفيون ، والمدرسون والأطباء والمحامون وآخرون متخصصون بفروع المعرفة الاخرى^(٣) . وقد

(١) Halpern, Manfred; (1963). The politics of social change in the Middle East and North Africa, Princeton University Press, New Jersey, p. 41.

(٢) Ibid., p. 43.

(٣) Ibid., p. 52.

تختلف الجذور الاجتماعية لافراد هذه الطبقة ولكن في الاعم الاغلب يمكن ان نقرر ان اصولها ترجع الى الطبقة الدنيا وذلك لغياب الطبقة الوسطى او صغر حجمها - على وجه الدقة - في المجتمع العراقي . كما وان الطبقة العليا التقليدية كانت هي الاخرى صغيرة في حجمها لاتستطيع تجهيز البناء الاداري وفي بعض الاحيان السياسي للبلاد . وان تسد الفراغ الذي يحدث في هذا البناء نتيجة لتوسع اجهزة الدولة .

ولهذه الطبقة (المهنية) الجديدة دور مهم في توجيه كفاح وطموحات الفئة المتعلسة من المجتمع . فهي تنظر الى الطبقة العليا الحاكمة على انها جماعة صغيرة لاتزيد على عشرين او ثلاثين اسرة من الذين يحكمون البلد فعلياً ومرتبطين مع بعضهم البعض الاخر بروابط قرى او مصاهرة او صداقة قوية لغرض المشاركة في المنافع . ولقد كان لصغر هذه الفئة ميل قوي للتوحيد والتساند لتنفيذ اغراضهم في تقاسم مراكز القوى^(١) . وبالمقابل بدأت الطبقة المهنية تسيل الى التوحيد والتعاون وهذا واضح في مطالبتهم بانشاء الجمعيات المهنية والنوادي الخاصة بهم ومطالبتهم من خلال هذه التنظيمات بحقوق مهنية بغية تأكيد حقهم في المجتمع والاعتراف بثقلهم الاجتماعي الذي بدأوا يشكلونه بعد زيادة الاعداد المتخرجة من الجامعات .

ان الطبقة الحاكمة بدأت تدرك خطورة الطبقة الجديدة المتنامية والمتصاعدة الا انها لم تستطع دائماً من كبح جماح مطالبيها لانها اصبحت ذات قاعدة واسعة في المجتمع ولها وزن اجتماعي وسياسي . والواقع ان هناك صراعا قائماً بين هذه الطبقة والطبقة الحاكمة ذلك ان كل منهما له ثقافته وتعليمه وتدريبه . ان هذا الصراع يشل جماعتين الاولى تلقت علومها وتدريبها تحت

Harris, George L., (1958), Iraq its people its society its culture; Hraf Press, p. 306. (١)

مثل العهد العثماني في (استانبول) وبين جماعة تلت ثقافة مختلفة^(١) تعتمد على العلوم الحديثة ومتأثرة بالتيارات الفكرية العربية والعالمية ولقد كان هذا الصراع يشل جيلين الاول محافظ يميل الى ادامة واستمرارية الوضع القائم والنظر الى عملية التغير نظرة تخريبية لبنية المجتمع ، وبين جيل هدفه عملية التغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لانه يعتقد بان النظام القائم لا يتناسب مع طموحاته . فهو صراع بين فئة تريد المحافظة على مراكزها التي ورثتها من العهد العثماني واقراها العهد الملكي وبين جماعة جديدة تريد ان تثبت كيانها ومركزها داخل السلطة والمجتمع .

ان الطبقة الوسطى المهنية بدأت تنظر الى الطبقة العليا الحاكمة كجماعة لا تستطيع ان تقود عملية التحول والتغير وليس باستطاعتها بناء دولة عصرية وذلك بحكم المناخ الاجتماعي والسياسي الذي خلقت فيه ، لذا فان الطبقة الوسطى بدأت تطالب هذه الطبقة بالتخلي عن مسؤوليتها التي هي ليست اهل لها . ان النخبة الحاكمة في العراق فشلت في بلورة النقلة الجديدة التي شهدتها المجتمع للطبقة الوسطى فهي لم تستطع من أن تؤلف بين طموحات الجيل الجديد وبين طموحاتهم ، هذا ما شجع الطبقة المهنية على البحث عن قنوات جديدة ووفق تصميماتهم لانها كانت تريد ربط المستقبل مع التحول الحضاري الذي لا يمكن اهماله .^(٢)

ولقد اخذ دور الطبقة الوسطى المهنية يتعاظم واصبحت تشكل قسوة لا يستهان بها في المجتمع وخاصة بعدما اصبحت جزءا مهما من بناء الدولة

Scoto-Williams, M. V. (1948), Britain and the Arab States; (١)
A survey of Anglo-Arab relations 1920-1948. London, p.
36.

Lerner, Daniel; (1958), Op. Cit., p. 410. (٢)

وجهازها الإداري . والأداة المهمة في شئنا شؤون البلاد . ونرى ارجح من ان النخبة الحاكمة كانت متأثرة بأفكار الغرب التي اعتبرتها وسائل مهمة لتنشيط التطور وخاصة النظام القانوني الذي يعتمد عليه النظام السياسي الا ان التوجيه هذا كان غير منفصلا عن تيار القومية العربية^(١) الذي تأثرت به كثيرا هذه الطبقة والذي أصبح فيما بعد يشكل محور كفاحها ونشاطها في المجتمع .

ان هذه الطبقة كانت تطمح في تغيير النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي بصورة جذرية لانها كانت تعتقد بعدم صلاحية البنيان القائم فمن الناحية السياسية ان مراكز القوى كانت مسيطر عليها من قبل فئة قليلة ، ومن الناحية الاقتصادية كان هناك تفاوت طبقي كبير بين هذه الطبقة والطبقة الغنية ، واجتماعيا كانت الالقاء والانحدار العائلي والرباط القرابي له دور كبير في الحصول على المناصب والمراكز في البنيان الإداري للدولة بالإضافة الى ان العهد الملكي اعطى نصيبا اوفر الى التسيخ والاقطاعيين ودعم قوتهم في السلطة اكثر مما اعطته لهم الدولة العثمانية .^(٢)

ولقد حاول العهد الملكي من ان يحفظ تريبومته بامتصاص بعض افراد هذه الطبقة . فحاول ان يقيم احزابا سياسية موجهة من قبله وان يشجع الشباب والمثقفين في الدخول اليها ، وبنفس الوقت منعت الاحزاب التي لم تكن موالية اليه من مزاوله النشاط السياسي^(٣) . الا ان هذه الاحزاب

(١) Harris, George L.; (1958), Op. Cit., p. 306.

(٢) Warriner, Doreen, Land and poverty in the Middle East, Royal Institute of International Affairs, London, 1948. p. 23.

(٣) Molansky, Olesm S. Qasim and the Iraqi communist party; A study in Arab politics (1972), in man, State, and Society in the contemporary Middle East, ed. London, Jacob M, Praeger publishers, N. Y. p. 152.

لم تلق ترحيباً قوياً من الطبقة المهنية لان هذه الطبقة شعرت بان ليس بإمكانها ان تساهم في السلطة وعملية التغيير داخل المجتمع الا بتغيير الهيكل السياسي فمن الواضح ان النخبة الحاكمة التي تقلدت مراكز القوى من سنة ١٩٣٠ - ١٩٥٨ قد تغيرت ٥٨ وزارة وكانت هذه التغيرات تضم رجال الدين والاقطاعيين والسيوخ وكبار ملاكي الاراضي^(١) ولم تفسح الطبقة الحاكمة المجال للطبقة الوسطى المهنية لتساهم في البناء السياسي الا بعض المهنيين ممن تربطهم علاقة وثيقة بهم .

كما ان لبرامج التنمية التي بدأت تنشط في هذه الفترة اثر فعال في عملية التغيير الاجتماعي وهذا واضح في خلق فرص جديدة للطبقة الوسطى والتي لم يكن لها موقع فعلي من قبل فقد اصبح منهم المدراء ومالكي الالة كما ومنت علاقات جديدة امتدت الى الريف . فالطبقة الوسطى الحضرية كانت صغيرة وان خلال عملية التصنيع وحيث الفرص الاقتصادية الجديدة سهل على هذه الطبقة من الحصول على مكانات اجتماعية وبالتالي زيادة نقلة الافراد الرأسية والعمودية كما وان معظم المثقفين من الشباب كانوا مركزين على المستقبل ومنشغلين في حل مشاكل المجتمع ومعظمهم متعلق بتأسيس وتشييد نوع جديد من المجتمع يساعدهم في الوصول الى معيشة افضل وملائمة للقرن العشرين^(٢) .

وكنتيجة للضغوط التي بدأت تعانيها الطبقة الوسطى المهنية بدأت تضاعف نشاطها السياسي وبخاصة في اواسط واواخر العهد الملكي في المدن الرئيسية ومنها بغداد التي كانت محلاً ملائماً وخصباً لنمو الافكار والاحزاب السياسية

(١) Ellis, Howard S. (1970), Private enterprise and socialism in the Middle East, American Enterprise Institute for public policy, Washington, p. 27.

(٢) Qubain, Fahim I. (1958), The Reconstruction of Iraq 1950-1957. Atlantic Books, Stevens & Son, London pp. 259-260.

وبالرغم من ان وسائل الاتصال الرئيسية كالصحف والمجلات والاذاعة كانت موجهة من قبل الحكومة (١) . الا ان هذه الطبقة ساهمت مساهمة كبيرة في بناء الاحزاب السرية التي نشطت في تنبيه الناس على فساد الوضع القائم وتأكيد الدعوة الى تغيير هيكل المجتمع . والجدير بالذكر أن النشاط السياسي لهذه الطبقة يرجع امتداده الى المؤسسات التربوية التي تعلموا ودرسوا فيها حيث كانت الجامعات والمدارس مسرحا لنشيطا للحركات السياسية وتبادل الآراء حول الوضع القائم واصبح شبه اجماع عندها لتغيير النظام .

تبلور الطبقة الوسطى كاداة للثورة :

لقد بدأت الطبقة الوسطى المهنية تزداد وعيا في بلورة اهدافها والتعبير عنها سواء من خلال مساهمتها بالاحزاب السياسية السرية او من خلال تنظيماتها المهنية والنقابية في توجيه النقد الى الهيكل العام للمجتمع وتركيبه والتركيز على عيوبه وفساده . ان هذه الفئة بدأت تتدخل في عملية التحضر والتبدل وتدعى ان لها دورا اضافيا في المجتمع . فلقد نشأت وترعرت على التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت تحدث في المجتمع العربي، ولم تعتمد في كفاحها هذا على التجانس الاجتماعي والاقتصادي بل انها كانت علمانية لها قوتها وبدأت تتوجه نحو مراكز القوى في المجتمع (٢) . ولقد كان للتعليم الذي حصلت عليه عاملا مهما في ترسيخ هذا الاعتقاد لديها . ان هذه الفئة من المجتمع لاتشبه في تركيبها الطبقة الحاكمة التقليدية من اصحاب الاقطاعات كما لاتشبه البرجوازيين التجاريين بل انها كانت اول طبقة تشغل في عملية تحول المجتمع وهي مملوءة بالقوة وشاعرة بنفسها ان

(١) Atiyyah, H. (1973), The Iraqi Development Board 1950-58, unpublsh M. A. thesis, American University of Beirut, Beirut p. 4.

(٢) Halpern, Manfred, (1963) Op. Cit., p. 58.

لها واجب رئيسي هو اعادة بناء المجتمع^(١) على اسس تحفظ بها عدالة المجتمع وتضمن حقوق جميع الفئات الاجتماعية . ان الطبقة الوسطى المهنية لا تشبه الطبقة الوسطى التقليدية التي تداخلت مصالحها مع الاقطاع والتي كانت تملك الاراضي وتمارس الربا في الريف والمدينة وتلعب دورا استغلالياً وطفيلياً في المجتمع^(٢) . كما وان الطبقة المهنية لا تشبه الطبقة البرجوازية التقليدية التي لعبت دورا كبيرا في التجارة الداخلية والخارجية في العهد الملكي والتي تميزت بالنزعة الاستهلاكية^(٣) . اكثر من النزعة نحو الانتاج . وانما كانت تريد ان تساهم في عملية تطوير الاقتصاد بمساهمتها في تعليمها وتدريبها في العملية الانتاجية .

الطبقة الوسطى وثورة تموز ١٩٥٨ :

لقد سعت الطبقة الحاكمة الى فرض قوتها على الطبقة الوسطى المهنية وذلك بكبح جماح افرادها وعرقلة مساعيهم بالمساهمة في السلطة واعطائهم نصيبا يتناسب مع حجم هذه المجموعة وكنتيجة لذلك بدأت هذه الفئة تزداد قوة في اواخر العهد الملكي وخاصة بعدما كسبت الى جانبها تأييدا من الطبقة الكادحة والتي تشكل الطبقة الاكثر عددا في المجتمع والتي هي الاخرى بدأ يتعاظم نموها وخطرهما على الكيان القائم وخاصة بعد حركة التصنيع التي شهدتها القطر في العقد الاخير من العهد الملكي وبعد تأسيس مجلس الاعمار ولقد كان للفساد القائم عامل محفز لهذه الفئات وتجميع قواها مع بعضها البعض لتحقيق الثورة وتغيير البنيان القائم .

Ibid., p. 58.

(١)

(٢) التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي - قطر العراقي ، كانون الثاني ١٩٧٤ صفحة ١٠٤

(٣) المرجع السابق صفحة ١٠٥ .

فبعد عملية التغيير التكنولوجي التي بدأت واضحة المعالم في المدن ونمو الطبقة الوسطى المهنية والعاملة ، ارادت النخبة الحاكمة ruling elite ان تختبر قوتها في السيطرة على هذه المهارات الجديدة وذلك بتشغيلهم لاغراضهم الاجتماعية والسياسية ، الا ان رغبات العمال بدأت تنمو باتجاه مغاير عما تريده النخبة الحاكمة التقليدية^(١) . فبدأت نزعة العمال نحو التنظيم المهني والنقابي تقوى وتشتد مطالبة في تنظيم انفسهم وتشكيل منظمات تدافع عن حقوقهم التي بدأوا يتحسسون بها . ولم تكتف الطبقة الوسطى المهنية من تأجيج روح التغيير بين اوساط الطبقة العاملة والفلاحية بل تخطت وبدأت تبحث عن فئة اخرى تملك القوة الا وهو الجيش .

ومما لاشك فيه ان الدولة العراقية عندما اسست وبنيت الجيش كانت في تلك الفترة تطمح في تنظيمه لغرض الحفاظ على الاستقرار والنظام الداخلي للبلاد وخاصة خلال فترة الانتداب . وبذل العهد الملكي جهوداً مضنية في كسب الجيش وابعاده عن التأثيرات الجديدة ولكن لم يستطع من ايقاف انتشار دعوة القومية العربية التي بدأت تؤثر فيه وتحفزه على الثورة والتغيير وبدأت طموحاتهم تتبلور في تغيير الحكم لاجل تحقيق العدالة الفعلية لاءناء الشعب ووجدوا ان واجبه ليس هو اخماد الحركات الداخلية وحركات القبائل^(٢) وانما هناك وظيفة اهم تتعلق في المجتمع والقضاء على هياكل الفساد الذي اصبح منتشر في البلاد والمطالبة في فسح المجال لكل الشرائع الاجتماعية الى مساهمتها في مراكز القوى في البلاد .

Harris, George L., Op. Cit., p. 5.

(١)

Khadduri, Majid., (1951) Op. Cit., pp. 78-79.

(٢)

والجدير بالذكر ان العسكريين الذين بدأوا يمارسون النشاط السياسي في العراق كانوا يعبرون عن طموحات الجيل الجديد . وكان القسم الاعظم منهم - عدا كبار الضباط الذين نالوا تدريبهم تحت العهد العثماني - متأثرين بالدعوة القومية قبل دخولهم الى السلك العسكري ، وان معظم العسكريين الذين كثفوا نشاطهم من صفار الضباط^(١) الذين انسجمت طموحاتهم مع اهداف الطبقة الوسطى المهنية والطبقة العمالية . ان هذه النخبة الجديدة الثورية من الضباط وجدت ان معظم القياديين في الفترة ما بعد الاستقلال ١٩٢١ كانت تربط بينهم روابط عائلية^(٢) وقرابية وصداقة وتقاسموا مراكز القوى والوظائف العليا في البلاد وتمتعوا بالحقوق والامتيازات وبنفس الوقت لم يفسحوا المجال امام الفئات الاجتماعية الاخرى لتحل مكانها في السلطة والدولة .

ان العناصر القومية من الجيش والتي معظمها من الشباب الذي ينتمي الى الجيل الجديد والمتأثر بالتيار القومي الوطني حاولوا تنظيم انفسهم في جماعات صغيرة وبدأوا يناقشون طموحاتهم في تحسين وضع البلاد والطرق التي يستطيعون تحقيق هذه الطموحات^(٣) . وذلك لان الوضع القائم لا يتحمل نظرا لتفشي الفساد في معظم اجهزة الدولة وعلى هذا الاساس نجد ان الطبقة الوسطى المهنية مؤيدة من قبل الطبقات العمالية والفلاحية والتي نظمت نفسها

(١) Khadduri, Majid., (1969) Republican Iraq; A study in Iraqi politics since the revolution of 1958, Oxford University Press, London, p. 16.

(٢) Johnson, Maxwell Drme, (1974), Iraqi political and military Leadership, A case study of its Formative years in the Great Arab Revolt, American University of Beirut, p. 6.

(٣) Khadduri, Majid, (1951) Op. Cit., p. 80.

وانضوت تحت الحركات السياسية السرية قد تلاقى في اهدافها وهو تغيير النظام . وعلى الرغم من وقوع اضرابات واستنكارات من قبل هذه الفئات الاجتماعية سواء بصورة علنية متمثلة في المظاهرات او الاحتجاجات في الصحف والمجلات السرية منها والعلنية لم تستطع الاستغناء عن قوة الجيش التي تعتبر العنصر المنفذ للثورة . لذا نجد ان جميع هذه القوى تكاثفت مع بعضها وصنعت ثورة تموز ١٩٥٨ التي قوضت جميع ركائز النظام الملكي وقضت على الاقطاع والاسرة المالكة والمتنفذين من رجالاته . وبدأت تقوم بعملية اصلاح . ولقد تعثرت حركة التغيير والتبديل في البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بعد سنة ١٩٥٨ لذا حدثت اضطرابات واحتجاجات منها العنيفة المتمثلة في الانقلابات والثورات كثورة شباط ١٩٦٣ وامتدت هذه الفترة الى سنة ١٩٦٨ حيث استلم حزب البعث العربي الاشتراكي السلطة وبدأ يطبق منهاجه الثوري الذي يمثل طموحات كل هذه الشرائح الاجتماعية التي تحدثنا عنها والى وقتنا الحاضر .

SOURCES

- (1) Atiyyah, Hamid, (1973). The Iraqi Development Board 1950-58, unpublsh M. A. thesis, American University of Beirut, Beirut.
- (2) Abboushi, W.F., (1974), The Angry Arabs, Philadelphia Westminster Press, N. Y.
- (3) Badre, Albert Y. & Siksek, Simon G., (1959) Manpower and Oil in Arab Countries, American University of Beirut, Beirut.
- (4) Ben-David, Joseph, (1964), Professions in the class system of present day societies, current sociology, Vol. XII, 1963-64.
- (5) Barber, Bernard, (1957) Social Stratification : A comparative Analysis of Structure and Process. Harcourt, Brace World, N. Y.
- (6) Bendix, Renhard & Lipset, Seymour Martin, (1974), Class Status and Power: Second Edition, Routledge, Kegan Paul, London.
- (7) Cuber, John F., (1951). Sociology: a Synopsis of principles, second edition, Appleton-century-corfts, N. Y.
- (8) Coser, Lewis A., & Rosenberg, Bernard (1974) Biological theory, A book of Readings, second edition, The MacMillan Company, N. Y.
- (9) Ellis, Howard S., (1970) Private Enterprise and socialism in the Middle East, American Enterprise Institute For Public Policy Research, Washington.
- (10) Goldthorpe, J. E., (1974), An Introduction to sociology second edition, Cambridge University Press, Cambridge.
- (11) Gould, Julins & Kolb, William L., (1964) A Dictionary of the Social Sciences, The Free Press, London

- (12) Harris, George L., (1958) Iraq its people its society its culture; Hraf Press.
- (13) Hutber, Patrick, (1976) The decline and fall of the Middle Class, and how it can fight back, Associated Business Programmes, London.
- (14) Halpern, Manfred; (1963), The politics of social change in the Middle East and North Africa, Princeton University Press, New Jersey.
- (15) Iraq, Government of (1932) Report on the educational inquiry commission survey directed and report, by Paul Monroe, Baghdad, Government Press.
- (16) Johnson, Maxwell Orme; (1974) Iraqi political and military leadership, a case study of its formative years in the Great Arab Revolt; American University of Beirut, Beirut.
- (17) Lerner, Daniel, (1964) the passing of traditional society; Modernizing the Middle East, the Free Press, N. Y.
- (18) Mosley, Leonard, (1973), Power play: the tumultuous world of Middle East Oil 1890-1973. Weidenfeld and Nicholson, London.
- (19) Mansfield, Peter, (1973) The Ottoman Empire and its successors Hazell Watson and Viney, Great Britain.
- (20) Max, Weber, (1947), The theory of social and economic organization, The Free Press, N. Y.
- (21) Parsons, Talcott, (1968), Professions, International Encyclopedia of the social sciences, Free Press, Vol. 12, N. Y.
- (22) Seligman, Edwin R. A. & Johnson, Aven (1959), E.S.S., The MacMillan Company, N. Y.
- (23) (Show, Stanford Jay, Some aspects of the aims and achievement of the nineteenth-century Ottoman Reform) in Beginings of modernization in the Middle East, Ed. Polk, William R. & Chambers, Richard L., University of Chicago Press, Chicago 1968.

- (24) Seton-Williams, M. V. Britain and the Arab States: A Survey of Anglo-Arab Relations, 1920-1948, London, 1948.
- (25) (Smolansky, Oles M., Qasim and the Iraqi Communist Party, A study in Arab Politics), 1972, in Man, state, and Society, Ed., The Contemporary Middle East, Ed., London, Jacob M., Praeger Publishers, N. Y.
- (26) Somervell, D. C., (1945) The British Empire, sixth edition, Christophers, London.
- (27) Khadduri, Majid, Republican Iraq (1969) A study in Iraqi politics since the revolution of 1958, Oxford University Press, London.
- (28) Khadduri, Majid, (1951), Independent Iraq; A study in Iraqi politics since 1932, Oxford University Press, London.
- (29) Kahl, Joseph A., (1967), The American Class Structures, Holt, Rinehart and Winston, N. Y.
- (30) Kubain, Fahim I., (1966), Education and Science in the Arab World, Johns Hopkins Press, Baltimore.
- (31) Warriner, Doreen, (1948) Land and Poverty in the Middle East, Royal Institute of International Affairs, London.
- (32) Wilensky, Harold L., (1964) The professionalization of everyone ? American Journal of Sociology, Vol. LXX, No. 2. September.

المراجع العربية : -

- ١ - الهلالي ، عبدالرزاق : (١٩٣٩) تاريخ التعليم في العراق خلال العهد العثماني ١٩١٧-١٩٣٨ . الدار القومية للطباعة والنشر بغداد .
- ٢ - بوتومور ، تمهيد في علم الاجتماع (١٩٧٣) ، بغداد ، تعريب ، د . محمد الجوهري وآخرون ، دار الكتب الجامعية - الاسكندرية .
- ٣ - التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن ، كانون الثاني ١٩٧٤ .

الهمذاني وكتابه تكملة تاريخ الطبري

الدكتور بدري محمد فهد
كلية الآداب - جامعة بغداد

المؤلف :

أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد بن أبي الفضل
الهمذاني الفرضي (ت ٥٢١/١١٢٧ م)

تربى الهمذاني على يد أب عالم عد من أئمة الدين وأوعية العلم ، وهو
عبد الملك الهمذاني الفرضي المعروف بال مقدسي ، وكان قد سكن بغداد ، وتوفي
بها سنة ٤٨٩ هـ . وقد استشهد هذا الأب أيضا بحفظ مجمل اللغة لابن فارس
وغريب الحديث لأبي عبيد . وأما معرفته بعلم الفرائض والحسابات ، وقسمة
التركات فكان قيم عصره بها . ولهذا عرض عليه منصب قاضي القضاة إلا
أنه امتنع .

وقد ترجم له ابنه في (تاريخه) وأشار إلى اهتمامه بتربيته واخذه بالشدة
لكي تستقيم قناته ، ولكي يتجه نحو العلم فقال : « كان أبي إذا أراد أن يؤدبني
يأخذ العصا بيده ، ويقول : نويت أن أضرب ولدي تاديبا كما أمر الله ، ثم
يضربني ، قال : وربما هربت قبل أن يتم النية » (١) وقد استشهد هذا الأب
بالتحديث أيضا (٢) .

١. أنسني طبقات الشافعية ٦ : ١٣٥ ط الطلو والطناحي ، الصفدي ٤ : ٣٨

٢. ابن الجوزي : المنظم ١٠ : ٨

أما محمد نفسه فقد سمع من شيوخ عصره أبا الحسن أحمد بن محمد
بن النور والنجيب أبا النوارس طراد الزنبي وغيرهما ، وروى عنه ابن
عساكر في معجم شيوخه .

وكان فاضلا حسن المعرفة بالتواريخ ، وأخبار الدول والملوك ،
والحوادث . قال فيه ابن النجار « وبه يختم هذا الفن » (٣) .

وذكر له الصفدي من المؤلفات :

- ١ - كتاب الشوام .
- ٢ - أمراء الحج من زمن النبي (ص) إلى أيامه
- ٣ - أخبار دولة السلطان محمد ومحمود
- ٤ - طبقات الفقهاء سماء ابن خلكان ذيل طبقات الفقهاء
- ٥ - أخبار الوزراء (.... وهو ذيل) لكتاب ابن الصابي
- ٦ - عنوان السير وقد نقل عنه ابن خلكان وسماء (بالتاريخ
الصغير)
- ٧ - الذيل على تاريخ الوزير أبي شجاع (التالي لكتاب تجارب الأمم
لابن مسكويه)
- ٨ - الذيل على تاريخ الطبري .
- ٩ - المعارف المتأخرة ... نقل عنه ابن خلكان وسماء تاريخه الصغير
وسيرد الكلام عنه .

(٣) الصفدي : انوافي بالوفيات ٤ : ٢٧ ، ٢٨

كتاب تكملة تاريخ الطبري

١ - الكتاب :

يبدو ان هذا الكتاب اشهر كتبه لانه ذيل لكتاب مشهور هو تاريخ الطبري ، ولهذا وجدنا بعض المؤرخين يعرفون الهمداني بانه (صاحب التاريخ) كابن الاثير^(٤) وابن كثير^(٥) ولما ترجم له السبكي^(٦) ذكرا اياه قال : وقد ذكر ترجمته ابنه محمد في تاريخه . وقد مرت بنا الاشارة من قبل . فهذا الكتاب اذن عرف بكتاب التاريخ وان لم يرد اسمه كاملا عند بعض من نقل منه .

ولم يكن ذيل الهمداني هذا اول ذيل لتاريخ الطبري فقد سبقته مؤلفات وصلت واكملت اولها ذيل تاريخ الطبري للطبري نفسه^(٧) . وثانيها كتاب ثابت ابن سنان بن ثابت الذي داخل تاريخ الطبري في بعض السنين حيث ابتداء من سنة نيف وتسعين ومائتين ثم استمر فيه الى بعض سنة ٣٦٣ هـ ، وقد ذيل على تاريخ الطبري ايضا ابو محمد عبدالله ابن احمد بن جعفر الفرغاني (ت ٣٦٢ هـ) وقد وصل فيه الى حوادث سنة ٣١٢^(٨) . وقد وصف القفطي هذا الذيل بأنه أكثر تفصيلا من كتاب ثابت في بعض الاماكن^(٩) . وقد أكمل كتاب الفرغاني ابنه من ابن منصور محمد وقد توفي في مصر سنة ٣٩٨ هـ^(١٠) . وكان أبو منصور

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٠ : ٩٤٨

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ١٢ : ١٩٨

(٦) السبكي : طبقات الشافعية ٥ : ١٦٢-١٦٣

(٧) اسمعادي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - ضمن كتاب نظم

التاريخ عند المسلمين لروزنتال ص ٦٧٠

(٨) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ٢ : ١٠٣

(٩) عفتي : تاريخ الحكماء : ١١٠

(١٠) ياقوت الحموي : معجم الادباء ٣ : ١٠٥ . وكرر نفس المعلومات

الصمداني : الوافي بالوفيات ٧ : ٨٦-٨٧

هذا يروي عن أبيه تصانيف محمد بن جرير الطبري . أما اسم ذيل الفرغاني
الاب فيدو أنه (صلة تاريخ الطبري) (١١) .

وكذلك وصل تاريخ الطبري عريب بن سعد القرطبي ، وقد نقل منه
المؤرخ ابن عذاري ما يختص بتاريخ إفريقية والاندلس وادعاه كتابه (المغرب)
وأم اخبار العراق فطبعت ملحقة بالتاريخ بأسلصلة تاريخ الطبري من سنة
٢٩١ الى ٣٣٠هـ (١٢) .

ولابن النديم رأي في ذيول الطبري بعد ان ذكر من اختصر تاريخه
وحذف اسانيده مثل محمد بن سليمان الهاشي ، وابو الحسين الششاطي
الموصللي المعلم والسلي بن احمد بقوله (وقد الحق به جماعة من حيث قطع الى
زماننا هذا ، لا يعول على الحاقهم لانهم ليس ممن يختص بالدولة
ولا بالعلم ...) (١٣) .

ثم اكملت هذه الذبول جصلة تواريخ تداخلت فيما بينها مثل تاريخ
الصابي هلال بن المحسن حيث وصل به الى حوادث سنة ٤٤٧هـ وقد وصفه
القفطي بقوله : « ولم يتعرض احد في مدته الى ماتعرض له في احكام الامور
والاطلاع على اسرار الدولة ... » وذلك لانه كان غفيد كاتب الانشاء
ابراهيم الصابي ولانه هو نفسه كان متوليا للانشاء ايضا (١٤) وقد اكمل
ابنه محمد المشهور بفرس النعمة الصابي كتاب ابيه هلال وبناء على
وصيته مبتدأ من سنة ٤٤٨ هـ الى ما بعد سنة ٤٧٠ هـ (١٥) فلما جاء الهذاني
داخل هؤلاء حيث بدأ تاريخه بسنة ٢٩٦هـ وسماه ذيل تاريخ الطبري ووصل
فيه الى حوادث سنة ٥١٢هـ وقد وجد من هذا الكتاب جزؤه الاول .

(١١) المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب : ٢٨ ط محمد القاسي

(١٢) محمد ابو الفضل ابراهيم « مقدمة » تاريخ الطبري : ٢٦ .

(١٣) ابن النديم : الفهرست : ٢٤١ حط الاستقامة .

(١٤) القفطي تاريخ الحكماء : ١١٠

(١٥) نفس المصدر

وقد نشره البرت يوسف كنعان وطبع مرتين الاولى عام ١٩٥٨ واتتالية عام ١٩٦١ بالطبعة الكاثوليكية . بيروت ، وهو يبدأ بخلافة المقتدر بالله سنة ٢٩٦هـ كما اشرنا وبعدها فيسلسل الحوادث حتى يصل الى سنة ٣١٨ فينقطع التسلسل حتى يعود ويبتديء مرة اخرى من سنة ٣٢١هـ حتى ينتهي الجزء هذا في اخبار سنة ٣٦٧هـ وفي اخره يعد المؤلف بالجزء الثاني . وهذا الجزء مع فارسه يقع في ٣٠١ صفحة .

٢ - مصادر

ذكر الهذاني في مقدمة كتابه بعض مصادر التي يرجع اليها وهي مؤلفات الصولي والتنوشي والخطيب وابي اسحاق الصابي واولاده وابن سنان وغير هؤلاء واطافة الى ذلك : « ما حفظت من شعر الشعراء وحكايات العنساء تشهد بالحوال » (١٦)

ومن خلال قراءة تكملة تاريخ الطبري تعرفنا على مصادر التي ذكرها مسنداً اليها الاخبار وقد شملت مؤلفات المذكورين في المقدمة وغيرهما من المؤلفات المشهورة : او من المدونات الخاصة ، وكذلك جملة من المصادر الشفوية كما توجد في الكتاب طائفة من الاخبار لم يشأ الهذاني ان يخبر بها بسندرها واكتفى بالاشارة اليها ولهذا فمصادر كتاب التكملة يمكن تصنيفها على هذا الوجه .

أ - مصادر شفوية :

ابن البهلول : (١٧) وذلك في اثناء كلامه عن الخليفة المستكفي حيث قال فان ابن البهلول : كنا اذا كلنا المستكفي وجدنا كلامه كلام العيارين .

١٦- ان الهذاني تكملة تاريخ الطبري : ٢

(١٧) احمد بن اسحاق بن البهارل التونسي المنوفي سنة ٣١٨ فقيه اديب ولي قضاء مدينة المنصور عشرين عاماً وله جملة كتب . الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ٤ : ٣٠

وكان جلدا بعيدا الغور ...» (١٨) فاهية هذا المصور نقله المعلومات
عن الخليفة مباشرة عن قرب وعن معرفة .

الزهري : ابو الفضل (١٩) في اثناء ترجمته لابي بكر بن مجاهد المفري
الذي توفي سنة ٣٢٤هـ حيث نقل عنه مارواه عن ابيه من توقعه وفاة احد
المشهورين في نفس الليلة التي توفي فيها ابن مجاهد (٢٠)

السوسي : ابو سعد (٢١) ، ناقلا عنه بعض المعلومات المتعلقة بالامير التركي
بحكم . اذ يبدو من الخبر ان السوسي كان كاتب هذا الامير وعلى صلة
به حيث يبدأ الخبر هكذا قال : « بجكم بحضرة اصحابه معي ... » وكان
الخبر اثناء كلام الهمداني عن افراد بجكم هذا عام ٣٢٧هـ بأمره الامراء (٢٢)
عبد الملك الهمداني : والد المؤلف وقد نقل عنه قصة تتعلق بالزجاج (٢٣)

العلوي : ابو جعفر مسلم بن طاهر ، وقد نقل عنه رايه في كافور حاكم
مصر في اثناء سنة ٣٥٦هـ (٢٤)

القطان : ابو سهل بن زياد ، اخذ عنه معلومات تتعلق بحياة وزير المقتدر
(علي بن عيسى بن داود بن الجراح) في اثناء حوادث سنة ٣٣٥هـ (٢٥) .

(١٨) ابن الهمداني ١٤٩ .

(١٩) لعله ابن ابراهيم بن نجيع الزهري المتوفي سنة ٣١٠ الخياط البغدادي
تاريخ بغداد ٦ : ١٩٨ ، ١٩٩

(٢٠) ابن الهمداني ص : ٩٥

(٢١) يبدو انه كان كاتباً عند الامير التركي بجكم .

(٢٢) ابن الهمداني : ١١١

(٢٣) ن - م : ١٥٤

(٢٤) ن - م : ١٩٧

(٢٥) ن - م : ١٥٣

ابن كامل القاضي (٢٦) اخذ عنه معلومات تتعلق بالوزير علي بن عيسى المتوفي سنة ٣٣٥ (٢٧) .

ب - مصادر مكتوبة

وهي اما ان تكون مؤلفات التي اشار الى اصحابها في المقدمة كما ذكرنا او مذكرات وسجلات خاصة اخرى نقل عنها وهي كما يأتي مرتبة حسب الحروف .

ابن بسم : علي بن محمد البغدادي - وكان شاعرا اخباريا الف جملة كتب (٢٨) الا ان الهذاني لم يذكر لنا مصدره الذي نقل عنه عند ايراده بيتين من الشعر في وصف وزارة حامد بن العباس (٢٩)

الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسن - صاحب الكتب المشهورة الاغاني ومقاتل الطالبين . وادب الغرباء . وقد اشار اليه الهذاني ناقلا عنه قصيدة نسبتها اليه دون ان يشير ان كان قد نقلها من احد كتبه ام عن طريق الرواية الشفوية وكانت في هجاء البريدي عند تقلده الوزارة سنة ٣٣٧هـ (٣٠)

التنوخي : ابو علي المحسن بن ابي القاسم القاضي (٣١) : صاحب كتاب لتسوار المحاضرة واخبار المذاكرة : وقد اشار اليه في احد عشر موضعاً . ناقلاً عنه معلومات تتعلق بالوزراء حامد بن العباس ، وعلي بن الفرات والمهلبى وابن الفضل ، العباس بن الحسن الشيرازي ، وبعض الامراء مثل : طغج

(٢٦) ن - م : ١٥٢

(٢٧) ن - م : ١٥٤

(٢٨) كحالة معجم المؤلفين ٧ - ٢٣٦

٢٩. الهذاني : ص ٢٠

٣٠. الهذاني ص : ١١٢

(٣١) لسانه دراسة منشورة باسم القاضي التنوخي وكتاب النشور ، بغداد ١٩٦٦

الملقب بالآخشيده ، وكمعلومات اخرى تتعلق ببعض المشهورين مثل امام
الحنفية ابن الحسين الكرخي ، والشاعر المتنبّي ، ومعلوم ان كتاب النشوار من
الكتب المستفيضة باخبار القرن الرابع الهجري ، المأخوذة عن اصحابها مباشرة ،
او عن السجلات الرسمية لاسيما ماتعلق منها بالرواتب او المصادرات او
واردات ضياع الخلفاء والوزراء والكتاب (٣٢) .

التيبي : نقل الهمداني عن خطة مباشرة بقوله : « ووحدت بخط
التيبي قال ... » والكلام يتعلق بالزاهد ابي عمر غلام ثعلب المتوفي سنة
٥٣٤٥ هـ (٣٣) ، او « نقلت من خط التيبي ... » وهي ثلاث مقطعات من الشعر
منسوبة لابن دريد ابي بكر صاحب الجبيرة (٣٤) .

التوحيدى : ابو حيان ولقد نقل عنه في موضعين دون ان يسمى الكتاب
الذي نقل عنه ، وذكر الامتاع والمؤانسة في موضع اخر ، وكان نقله في
الموضعين الاولين عن الوزير المهلبى والوزير ابي الفضل العباسي بن الحسن
الشيرازي (٣٥) وفي الموضع الثاني بعض المعلومات عن احداث سنة ٥٣٦٤ هـ وهي
السنة التي عتت فيها الفوضى ، وظهرت سطوة العيارين والشطار (٣٦) .

الثعالبي : ابو منصور عبدالمك بن محمد صاحب اليتيمة ، وفي اليتيمة
نقل الهمداني عدة قطع من الشعر تكمل بها معلومات عن الاشخاص الذين
ترد اخبارهم خلال سن الكتاب كقصة ابن ابكر الخوارزمي التي يرثي بها ركن

(٣٢) انظر الهمداني : الصفحات . ٢٧ ، ٤٦ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٧ .
١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ .

(٣٣) ص ٧٦

(٣٤) ص : ١٧١

(٣٥) ص : ١٨٦ ، ٢١٢

(٣٦) ص : ٢١٧

الدولة البويهية^(٣٧) وثلاث قصائد للشاعر ابن الحجاج (١٨ بيتا)^(٣٨) و
(١٧ بيتا)^(٣٩) ، و (٢١ بيتا)^(٤٠) ، وكانت القصيدتان الاخيرتان في عز
الدولة البويهية كما ورد لابن الحجاج قطعتين اخريين^(٤١)

جحظة : وهو احد البرمكي :^(٤٢) وقد نقل عنه الهمذاني قصة وقعت
له مع الوزير العباسي بن الحسين ، اكمل بها معلوماته عن هذا الوزير^(٤٣) ثم
ايات في نكبة الوزير علي بن القرات^(٤٤) الهمذاني لم يشأ ان يذكر لنا من
كتب جحظة واشعاره جمعها (ابو نصر المرزبان^(٤٥)

ابن حاجب النعمان رئيس الرؤساء ابو الحسن ، نقل من خطه قصة
تتعلق بالمقريء ابن مجاهد ابو بكر الذي توفي سنة ٣٣٤هـ^(٤٦) .

الخطيب البغدادي : ابو بكر احمد بن ثابت : والمعلومات التي استقاها
من تاريخ بغداد او مدينة السلام ، اكمل بها معلوماته عن بعض الاشخاص
الذين وردوا في التكملة امثال الفقيه الاديب محمد بن داود الاصبهاني^(٤٧) .
وابي هاشم عبدالسلام الجبائي المتكلم . وامام اصحاب ابي حنيفة عبدالله
بن الحسين الكرخي^(٤٨) .

(٣٧) ص : ٢٣٠

(٣٨) ص : ٢٣١

(٣٩) ص : ٢٣١

(٤٠) ص : ٢٣٢

(٤١) ص : ٢٣٥ - ٢٣٦

(٤٢) ابو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى البرمكي ت ٣٢٦ هـ انظر
ابن خلكان : وفيات ج ١ ص ١٣٣

(٤٣) ص ٨

(٤٤) ص : ١٩ .

(٤٥) انظر ابن النديم : الفهرست ، ١٤٥ ابن خلكان وفيات ج ١ ص : ١٢٣

(٤٦) ص : ٩٥ .

(٤٧) ص : ١٠

(٤٨) ص : ٧٦ ، ١١٨ ، ١٣٠ ، ١٦٥

ثابت بن سنان بن ثابت ، الذي مرت الإشارة اليه (٤٩) وإلى أهمية تاريخية الذي داخل الطبري واكمل عليه حتى سنة ٣٦٣ هـ والذي كان احد مؤلفي البلاط العباسي واحد المطلعين على امور الدولة ، ولهذا كان لكتابه أهمية خاصة ، وقد نقل عنه الهمداني بعض المعلومات عن ابن قرابة صديق والد ثابت بن سنان (٥٠) وعن الحاجب ابي جعفر السجدي (٥١) ومعلومات عن الوزير ابن مقلة قدمها ثابت بن سنان عن معرفته بهذا الوزير حيث ذكر انه كان عائدا له اثناء مرض اصابه (٥٢) ثم معلومات عن مقدار اموال الامير التركي بجكم (٥٣) واخيرا اختيار الامير التركي توزون للمستكفي خليفة (١)

الشيرازي : الشيخ ابو سحاق ، في كتاب الفقهاء ، ومنه نقل الهمداني حكاية تتعلق بالاديب الفقيه محمد بن داود الاصبهاني صاحب كتاب الزهرة (٥٤) ابو اسحاق ابراهيم بن هلال (٥٥) وهو كاتب الانشاء وصاحب الرسائل المشهورة وهو جد المؤرخ هلال الصابي الذي ورد اسمه في اول البحث وقد اقتبس الهمداني من رسائله .

(٤٩) انظر فقرة (١ . الكتاب)

(٥٠) ص : ٦٨

(٥١) ص : ٨٥

(٥٢) ص : ٩٤

(٥٣) ص : ١٢٢

(٥٤) الصفدي ، تاريخ الحكماء . ٧٥

(٥٥) ص : ١٤٢

١٥٥١ ص انظر ترجمته عند ابن خلكان : وفيات ج ١ : ٥٢ . الصفدي - تاريخ

الحكماء ص ٧٥ .

جلال بن المحسن الفايي . وقد مرن الإشارة الى كتابه وقد اخذ منه
الهمداني معلومات عن لقاء الوزير علي بن عيسى للامير البويهى مع الدولة
وكيف ان الاخير طلب راي الوزير في اصلاح البلاد^(٥٦) وبعض المعلومات
عن الوزير ابن العبيد^(٥٧)

الصولي ابو بكر محمد بن يحيى ، ولم يشأ ابن الهمداني ان يذكر
اسم الكتاب الذي نقل عنه واكتفى بذكر (الصوبي) مجرأ نسباً اليه
معلومات عن نسب احد الخارجين بافريقية واسمه عبيد الله بن عبدالله^(٥٨)
ومعلومات عن منشأ الوزير علي بن الترات وعن اخوته^(٥٩) .

ابو نصر^(٦٠) : في كتاب المناوضة حيث اخذ منه بعض المعلومات عن
المحدث العدل دعلج بن احمد بن دعلج المتوفى سنة ٣٥١هـ^(٦١) .

ج - مصادر غير مذكورة : وهي مصادر لم يشأ ان يذكرها وذلك
لما الشيوع المعلومات التي : ستأها منها وكثرة ورودها في المؤلفات التاريخية
عنى عهد . واما ان المعلومات كانت ما بقي من ذاكرته من محفوظاته وهو ما
اشار اليه في مقدمة الكتاب بقوله : « ما حفظت من شعر الشعراء وحكايات
العشاء لشهد بالاحال » . وليذا كان يكتفى بقوله : « قال صاحب الحكاية »

١٥٦/ ص : ١٥٤

٥٧/ ص : ٣٠٧

٥٨/ ص : ١٤

٥٩/ ص : ٤٦

٦٠/ ذكر حمى خليفة كتاب المناوضة لان المحسن محمد بن علي بن محمد
لمكان الوزير جلال الدولة بوصفه بالامتناع عن ٢٥٨ ج ٢ ولاندرى ان
كان هو نفس الكتاب اعلاه ام غيره .

٦١/ ص : ١٨٢

وكان الكلام عن إمامك القاضي أبي عمر لبعض القادة وحضور الخليفة المقتدر
لحفلة الاملاك هذه وساعه خطبة القاضي بالنسبة^(٦٢) وفي موضع آخر
اكتفى بالقول « قال بعض أهل العلم » وكان الكلام عن تشييع جنازتين ابن
هشام عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب الجبائي وجنازة ابن دريد وهما
شيخا الكلام والادب^(٦٣) واستعمل في موضع ثالث كلمة (حكى) وكان
الكلام مرة يدور حول سيف الدولة الحمداني ، ووروده بغداد في اثناء
امرة توزون^(٦٤) واخرى تدور حول وجود همدان ببغداد سنة ٣٥٨هـ^(٦٥) .

٣ - منهج الكتاب

وضع الكتاب - كما اشرنا - تكملة لتاريخ الطبري ولهذا فهو سير
على نهجه أي يؤرخ حسب توالي السنين وقد بدأ بحوادث سنة ٢٩٦/٩٠٧م
وكان يبرز عناوين استخلاف الخلفاء او استيزار الوزراء ضمن اماكنها من
سلسلة السنين فمثلا تحت عنوان خلافة المقتدر بالله ضمن اماكنها من سلسلة
السنين فمثلا تحت عنوان خلافة المقتدر بالله ذكر خلافته ، واسمه الكامل
وتاريخ ميلاده ، وظروف بيعته ثم بعد ذكره خلافة المقتدر بدأ بذكر الاحداث
لسنة ٢٩٦ هـ على سبيل الاختصار . وبشكل متقطع اي انه يورد احداث
الوزراء بعدها خبر او جملة اخبار تتعلق بالاطراف وبعدها ذكر قتل قائد
خارج على الدولة ... وهكذا اورد اخبار . بشكل تراكبي .

وقد كشف الهذاني في مقدمة كتابه عن منهجه هذا من حيث الاختصار
وايراد المشهور من الاخبار بقوله « واختصرته بجهدى ولخصته بحسب طاقتي
واقصرت فيه على الامور المشهورة والاحوال السائرة الماثورة ، وختته بيعة

(٦٢) ص : ٣٠

(٦٣) ص ٧٥

(٦٤) ص : ١٩٨

(٦٥) ص ٢٠٢

سبداً ومولانا الامام المستظهر بالله امير المؤمنين الذي قضى حق الله في بريته
بارتسم امره في رعيته ...» (٦٦)

وذكر في مقدمته هذه السبب الذي حدى به ان يتدي سنة ٣٩٦ هـ ، ولم
يبدأ من حيث انتهى الطبري الى سنة ٣٠٢ هـ وذلك انه رأى الطبري قد
اشار الى الامور في هذه السنين الاخيرة من تاريخه اشارة خفيفة غير مفصل
فيها كشأنه في اول كتابه وذلك بقوله : « ولما ختم ابن جرير تاريخه سنة
اثنين وثلاثائة وهي السنة السابعة من خلافة المقتدر بالله رضي الله عنه
واشار الى الامور اشارة خفيفة ، رايت ان ابتدي بخلافته ووقت بيعته
وبالله التوفيق (٦٧)

اما عن المساحة المخصصة لإخباره فلم تكن متساوية انما كانت متعلقة
باهمية الخبر او توفير المادة عنه . لهذا فقد نجد اخبار سنة ٣٠٣ هـ قد شغلت
حوالي الصفحة ، نصفها تقريباً عن أحد شيوخ المعتزلة وهو ابو علي الجبائي
الذي توفي في هذه السنة ~~والنصف الآخر جملة من الاخبار~~ (٦٨) . اما اخبار
سنة ٣٠٥ فانها اكثر اختصاراً ، حيث لم تتجاوز خمسة اسطر (٦٩) في حين
خصص لاحداث بعض السنين مساحات اوسع من ذلك بكثير فقد خصص
لتكلام العلاج ست صفحات تتعلق بحاكمته واستفتاء الفقهاء في امره والقاء
القميص على بعض اتباعه اتبعها سبع قطع من شعره (٧٠) .

٦٦ : ص ٣

٦٧ : ص ٤

٦٨ : ص ١٦ - ١٧

٦٩ : ص ١٩

٧٠ : ص ٢٢ - ٢٨

كما انه لم يكن يلتزم بطريقة واحدة من حيث الابتداء او الانتهاء في اخبار السنين اي انه قد يبدأ بذكر الاحداث السياسية ثم يورد خلال انعام اخبار وفيات المشهورين او يجعلها في اخر اخبار السنة . وقد يبدأ بها احياى اخرى كما حصل في عام ٣٢٣ هـ حيث بدأه بذكر من توفي فيه . ثم ذكر من جلة اخباره معاقبة رجل يقرأ بقراءة شاذة واخبار من حج بالناس . في حين نجد الطبري يجعل اخبار الحج في اخر اخبار العالم^(٧١) الا انه التزم طريقة واحدة بالنسبة للمعلومات المتعلقة بالخلفاء من حيث ذكر اسمائهم واسماء امهاتهم ، ومدة خلافتهم بالسنين والاشهر والايام وذكر من اجلسهم وبايع لهم من القادة العسكريين او الوزراء وقد مر بنا ، اتباعه هذا النهج بالنسبة للخليفة المقتدر وكذلك فعل بالنسبة لبقية الخلفاء المذكورين وهم : القاهر بالله ، والراضي بالله ، والبيهي لله ، والمكتفي بالله ، والمطيع لله . والطائع لله .^(٧٢) وعمل على نفس الشيء الامراء بنو بويه فقد جعل للامير عز الدولة ابي منصور يختار عنوانا خاصا ثم ذكر والده ، ومدة امارته ، وما قيل في خلقه وخلقته وقوة يديه^(٧٣) .

وكان الهمداني يختار من المادة المتوفرة لديه الشفوية او المودعة في المؤلفات الغزيرة في عهده او يختصر منها على قدر حاجته للتشيل او الاستشهاد فانه مثلا في اثناء تناوله للوزير حامد بن العباس اشار الى سوء اخلاقه وساق قصة كلامه الى القهرمانة أم موسى التي جاءتته تكلمه وتطالبه على لسان السيدة ام المقتدر بالراتب الشهري المخصص له . والقصة المذكورة

(٧١) ص : ٨٧

(٧٢) ص : ٨٢٠٧١-١١٩-١٢٢-١٥٠-٢١٥

(٧٣) ص : ١٩٦

في مروج الذهب للسعودي ، وفي نشوار المحاضرة للتونسي وكان من جمل
ردده قوله « . . . » والتقطي والحذري ان تغلطي « واكتفي بهذه الكلمات
حاذف كسرة مقذعة ، وقد اكتفى بالاشارة الى ان قوته معروفة (٧٤) .

ومن قبيل اختياره للسادة واختصاره لها ما قاله في اثناء كلامه عن ابن
السائب عتبة بن عبيدالله قاضي القضاة « ولا بن سكرة فيه قصائد تجنب
انباتها » . (٧٥) وكذلك اكتفى بالاشارة الى كثرة اشعار القرمطي صاحب
البحرين وشيوخها وانه لم يورد منها سوى قطعة صغيرة باربعة ابيات
وردت في آخر رسالة كتبها القرمطي الا الامير مؤنس قائد جيش الخمينية
سنة ٣١٦هـ (٧٦) .

وكذلك عمد الى الاخبار المشهورة والمعروفة فلخصها واختار منها ثم
ترك الباقي بعد ان اشار اليه كقوله في اثناء كلامه عن الوزير ابن مقلة
« وجرى على ابن مقلة من المكاره ما يطول شرحه . وضرب بالقاروع . . . » (٧٧)
وكان الهذاني يستعرض المادة الموجودة امامه فلا يكتفي بالاختيار فقط
بل كان يحيط بالقاريء غلبا بامور لها صلة بالاجداث التي يكتب عنها . لهذا
نجد في سنة ٣٢٥هـ ينظر الى خارطة الدولة العباسية وقد مزقتها حركات
الانفصال والعصيان فيقول : « وغلب على الدنيا الطوائف : فصارت واسط
والبصرة والاحواز في يد البريدي وفارس في يد علي بن بويه . كرمان في يد
ابي علي بن الياس والري واصبهان والجل في يد ركن الدولة ابي علي بن
بويه وشكبير ، الموصل ودبار وريعة وديار بكر في يد بني حمدان ومن
والشام . . . ولم يبق في يد الرازي وابن رائق غير السواد » (٧٨) .

٧٤ : ص ٢٠

(٧٥) : ص ١٧٩

٧٦ : ص ٥٥

(٧٧) : ص ٩٤

٧٨ : ص ١٠٩

وقد يشير عند كلامه عن احداث القرن الرابع قبالا الى الاحداث المشابهة التي وقعت في القرن الثاني الهجري ، لاسيما اذا كانت الحادثة حكاية او قصة وقعت لاحد الناس^(٧٩) ولعله كان يوردها من اجل العبرة او من قبيل نحلية تاريخه . بهذه القطع الادبية شأنها شأن الشعر الذي اورده .

كما انه يشير منها القاريء الى ما سيتناوله بتفصيل عن الاحداث الكبيرة مثل ظهور البويهيين حيث قال : في سنة ٣١٥ هـ « في هذه السنة كان ظهور الديلم » وذلك على اثر ترك قائد الجيش العباسي لمدينة الري وماحصل من نزاع حولها بين الامراء المحييين والقادة الطموحين .

وكان الهمداني يربط ما يؤرخه مما وقع قبل عصره وبين ما هو موجود على عهده مثال ذلك ماقاله في اثناء حوادث سنة ٣٣٤ هـ وهي السنة التي دخل فيها الامير البويهبي ابو الحسن معز الدولة بغداد ، ونزل بدار مؤنس : « ... ومن جملة دار مؤنس المدرسة النظامية اليوم »^(٨٠) وكذلك عند كلامه على وفات المحدث العدل دعلج بن احمد بن دعلج . قال : « وله خان بسويقة غالب عند قبر سريج وقف على اصحاب الشافعي رحمه الله الى اليوم »^(٨١)

ويبدو ان الهمداني كان ادبيا الى جانب كونه مؤرخا فان مقدمته التي وصفها الكتاب التكملة تنبئ بقابلياته الادبية وكذلك صياغته لآخباره في ثانيا الكتاب فانك كما يقول المحقق تجد اسلوبه سهل ، كتعبير ، لآخسوفيه ولازخرف صناعة ، لذلك جاءت جملة الاخبارية قصيرة بخلاف جملة ابن الاثير ، وابن مسكويه واضرابهما^(٨٢) ولعله قد تأثر بكتابات الادباء والمؤرخين

(٧٩) ص : ٢٤

(٨٠) ص : ١٤٨

(٨١) ص : ١٨٢

(٨٢) ص : : ٩ المقدمة

الذين رجع اليهم امثال الصابي (هلال) . والتوحيدي . والفاضي . نسوحى
كما يقال لك ولعه الادبي بكثرة اقتباساته لاشعار الجياد فقد كانت في متناول
يده قائمة كبيرة من اشهر شعراء القرن الرابع الهجري . وهذا ما ستناوله في
مادة الكتاب .

٤ - مادة الكتاب :

١ - الحياة السياسية :

١ - العالم الاسلامي : كما كان كتاب تكملة تاريخ الطبري كتابا
عاما يسير وفق نظام الحوليات لذلك أرخ لاحداث العالم الاسلامي الشرقية
الممتدة من العراق الى خراسان ومن بلاد الروم واذربيجان والديلم الى اليمن
جنوبا ، وارخ لبلاد المغرب الاسلامي حتى افريقية ، ولم يستد ابعده من ذلك .
لذلك نجد فيه مدار في بلاد فارس من صراع بين المضوحيين من القادة
المحليين وصلة اولئك بدولة الخلافة^(٨٣) ثم سجل لنا الصراع الدائر الرحى
بين المسلمين وفي مقدمتهم الحمدانيين وبين البيزنطيين برا وبحرا ولقد سبقت
الاشارة الى ان الهذلي لم يورد اخباره بشكل متواز فقد تكون اخبار
سنة من السنين مختصرة مقتضبة كما حصل في اخبار سنة ٥٣١٠ هـ حيث اكتفى
بهذه الجملة « توالى الفتوح على المسلمين برا وبحرا فقرأت الكتب على
المنابر بذلك »^(٨٤) وقد تخلل اخباره عن الروم ماقام من صلة سلبية حدث
فيها تبادل في الرسل والهدايا^(٨٥) .

اما اخبار الجنوب العربي فقد سجل حركات الفرامطة وتابعها جنوبا
كتابعتهم لاجبار الحمدانيين في الشمال سواء منها تحركاتهم داخل نطاق
الخليج العربي او داخل الجزيرة العربية او صعودهم الى الكوفة والنجف^(٨٦) .

٨٣. انظر بلاد فارس من فهرست الكتاب .

٨٤. من : ٢٩ ، وانظر من : ٩٧-١٢٩ . ١٦١ . ١٦٧ .

٨٥. من : ١١١ .

٨٦. من : ٤٠-٤٣ . ٤٧-٤٨ . ٤٩-٥٢ . ٥٤ . ٥٥ . ٦٢ . ٩٥ . ١٠٣ .

وكذلك حنل كتابه باخبار مصر والشام^(٨٧) وافريقية الا انه لم يتوغل
اكثر من ذلك الى المغرب الاقصى او الاندلس^(٨٨) .

ب - العراق : كان من الطبيعي ان نرى جل اخباره عن العراق فان
الهاداني كان يعيش في بغداد مقر الخلافة فهو يسمع ويرى لمن تتلمذ عليهم
او حضر مجالسهم كما كان في متناول يده سيلا من المؤلفات التاريخية والادبية
تؤرخ او تحدث عن عصره والعصور السابقة لذا كان الطريق امامه معبدا
سهل الارتياح ، ان شاء لخص وان شاء اختصر او هذب وهذا ما عمله لهذا
لم نره يظهر رايه فيما تعرض له من ترجيح او رفض او تأييد لان مقدمه
هو مختار من بين اكداس الكتب الموجودة في متناول يده . وعلى كل حال
فانه سجل احداث اوزارة وصلتها بالخليفة وبالقيادة والجند الاتراك^(٨٩) وقد
كان الجيش في هذه الفترة عبئا ثقيلا على كاهل الدولة واداة ارباك لما ليتها
حتى وصفه بعض المعاصرين بان مساوئه كانت اشبه بمساوئ الجيش
الامبراطوري الروماني بالنسبة لدولة الرومانية . والجيش الانكشاري
بالنسبة لدولة العثمانية^(٩٠) فقيادة الجيش هم الذين يولون الخلفاء او
يعزلونهم وهم الذين يختارون الوزراء او يعزلونهم ، واذا حدث الخلاف
بين قادتهم حول خليفة او وزير كانت انكارته وكانت الفتن الداخلية والمؤامرات
وما يتبعها من مصادرات واضطراب لاحوال البلاد المالية . اما الجند فعينهم

٨٧ : ص : ١١٧ .

٨٨ : ص : ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ .

٨٩ : انظر عن الوزير علي بن عيسى ص : ١٣ . وعن حامد بن عباس ص : ٢١
وعن ابن الفرات ص : ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ . والوزير الخاقاني ص : ٤٧ وعن
ابن مقلة ص : ٩٤ ، والكاوذي ص : ٦٣ .

(٩٠) : فليب حتي : تاريخ العرب ص ٦٠٢ .

مرحون بصلواتهم الباقية وولائهم هم يكن قابلاً لتزعيم معين فهم مع أكثرهم
مالاً ونشاطاً (٩١) .

ب - الحياة المالية :

في كتاب التكملة معلومات كثيرة عن الاوضاع المالية المختلفة كزراع
الضرائب والوزراء وفادة الجيش ومدخولاتهم السنوية منها . والمصاريف
المالية ومقدار ما كان يؤخذ من الوزراء بعد تنحيهم باساليب لم تكن تعرفها
دولة الخلافة من قبل (٩٢) كما ان فيه اخبار ضمان بعض البلاد التابعة لدولة
الخلافة للولاة وكيفية سداد مقدار الضمان لخزينة الدولة (٩٣) اضافة الى
المعلومات المتعلقة بغلاء الاسعار وانخفاضها نتيجة استقرار الاوضاع السياسية
او عديمها . كما ان في الكتاب اخبار الكوارث المؤدية بحياة الناس او
الحوادث (٩٤) .

ج - الحياة الثقافية

تضمن كتاب لتكملة في جملة ما تضمن معلومات عن الحياة الثقافية من
خلال ذكره لوفيات المشهورين خلال تسلسله لحوادث التاريخ . ولم يكن
الهمداني يكتفي بإيراد تاريخ وفاة أحد الأدباء أو اللغويين أو غيرهم بل كان
يتطرق لحياتهم ويذكر أسماء مؤلفاتهم مثال ذلك كلامه عن أبي اسحاق ابراهيم
بن السري المشهور بالزجاج المتوفي سنة ٣١١هـ فقد خصص له ٣١ سطرا

١١) انظر عن مشاكل الجيش الصفحات : ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٤٨

10YU77-00-0100.4 (-77-7041Y-17 : 0- 97)

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

104-15, 97: 20 1031

حوالي صفحة كاملة ونصف^(٩٥) . في حين بلغت اخبار الحوادث المختلفة في بعض السنين صفحة واحدة . ومن ذكرهم ايضا ابو بكر بن الانباري مشيرا لعلنه وتصانيفه وكثرة حفظه^(٩٦) .

اما يراده الشعر فقد بالغ في ذلك حتى كاد ان يخرج بكتابه التكملة من نطاق كتب التاريخ الى كتب الادب لكثرة استشهاده بالشعر او ايراده القصائد الطوال التي قيلت في مدح الامراء ولاسيما ابو فراس الحمداني وقد نقل من كتاب (الفسر) لابن جني قصائد المتنبي في مدح هذا الامير لانا نجد شروح ابن جني في كثير من المواضيع تالية لآيات المتنبي توضح اغراضه، وتفسر ما غمض من تعابيره . وكانت مدائح المتنبي بعد كل غزوة يقوم بها سيف الدولة ضد البيزنطيين سواء كان منتصرا فيها او مدافعا او هاربا^(٩٧) .

ومن جملة من نقل من شعرهم سيف الدولة نفسه^(٩٨) ، ومن شعراء سيف الدولة ، الشاعر السري الرقاء^(٩٩) والبيعا^(١٠٠) وابي نصر بن نباته السعدي^(١٠١) والنامي^(١٠٢) . كما انه اورد قطعاً في مدح وزراء وامراء تلك الفترة امثال معز الدولة البويهبي حيث اورد قصيدة للشاعر ابن نباته السعدي

(٩٥) ص : ٣٩

(٩٦) ص : ١١٥

(٩٧) ص : ١٢٩ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ .

(٩٨) ص : ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٩٠

(٩٩) ص : ١٦٩ ، ١٧٤ ،

(١٠٠) ص : ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٨ .

(١٠١) ص : ١٦٤ ، ١٨٦

(١٠٢) ص : ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٩١

في مدحه (١٠٣) وقصيدة لنفس الشاعر في مدح الوزير المنهلي (١٠٤) . وقصيدة للشاعر ابن الحجاج في مدح ابن العبد (١٠٥) . ومن الجدير بالاشارة ان بعض هذه القصائد كانت طويلة تصل اياتها ١٩ بيتا وان عدد هذه القصائد الطويلة كبيرة بالنسبة لكتاب تاريخ مختصر ككتاب التكملة وعلى كل حال فان الهذائي قد اعلن رغبته في تثبيت الشعر وايراده في كتابه في مقدمته حيث قال « واضفت الى ذلك ما حفظته من شعر الشعراء وحكايات العلماء تشهد بالحال » (١٠٦)

د - الحياة الاجتماعية

وفي هذا المجال يظهر كتاب التكملة موقف جماهير العامة في العراق ازاء اضطراب الاحوال المتمثل بمؤامرات الوزراء والحاشية وقادة الجيش قبل السيطرة البويهية . وبعد سيطرة البويهيين على مقاليد الحكم بالبلاد واستبدادهم بالخليفة وكف يده عن العمل واعتداءاتهم على الناس سواء كانوا باعة في الاسواق او تجارا او فلاحين . واغلاقهم للحياة السياسية كتبديلهم للخلفاء والوزراء مما ينتج عنه اضطراب الاسعار وغلائها وفقدان المؤن من الاسواق . وكانت هذه الامور مما تثير العامة وتحفزها للوثوب بوجه الوزراء او القادة ، او الجند الديلم . فلو تتبعنا وثبات العامة وتحركاتها كرد فعل على تلك الاوضاع السائدة في تلك الفترة خلال الحقب المتلاحقة لوجدنا العامة سنة ٣٠٧ تضج من غلاء الاسعار وتهجم على المساجد تكسر منابرها وتقطع اقامة الصلاة وتحرق الجسر . مما أدى

(١٠٣) ص : ١٩١

(١٠٤) ص : ١٦٤

(١٠٥) ص : ٢٢٤

(١٠٦) ص : ٣

بالوزير حامد بن العباس الى الرضوخ لمطالب الجماهير بتسكير الغلات
 وبيع مخزون الحكومة منها ما ادى الى تسكين حالهم^(١٠٧) الا ان الاسعار
 عادت الى الصعود سنة ٣٠٨هـ ما ادى الى تحرك الجماهير مرة اخرى^(١٠٨)
 ففي سنة ٣١٢هـ يعث القرامطة بامن الناس وراحتهم باعتداءاتهم ونهبهم
 الاموال ما ادى بالعامه الى اعلان غضبها على تخاذل الحكومة برجم
 سفينة الوزير ابن الفرات ، وقطع الصلاة في الجباعات^(١٠٩) . ولما سمعت
 العامة بتنحية ابن الفرات عن الوزارة وقفت له مترصدة على دجلة حتى
 اذا مرت السفينة حاملة الوزير رجسته بالحجارة^(١١٠) .

كما ان العامة قاتلت في البر وفي دجلة في سنة ٣٢٩هـ ، ٣٣٠هـ جند
 البريدي الذي كان يشير ضد دولة الخلافة وينوي السيطرة على امور
 البلاد حسب مشيئته^(١١١) . وقد كان الخليفة يستنفر العامة للوثوب الى
 جانبه ضد العصابة من الامراء او القادة والتموحيين للسيطرة كما حدث
 سنة ٣٣٥هـ^(١١٢) . وجاء في حوادث سنة ٣٣١هـ ان الجند الديلم اخذوا
 الدقيق من الدكاكين في منطقة (قطيعة ام جعفر) ما ادى بالعامه الى
 الوثوب بوجههم^(١١٣) . وفي سنة ٣٤٥هـ ضجت العامة من احد القادة
 الديلم وهو روزبهان الذي اغتن عصيانه فرجسته بالحجارة عند مروره

(١٠٧) ص : ٢١

(١٠٨) ص : ٢٢

(١٠٩) ص : ٤٣

(١١٠) ص : ٤٤

(١١١) ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١١٢) ص : ١٢٦

(١١٣) ص : ١٢٤

باجلته (١١٤) . اما في سنة ١٩٦٢م فإن العامة أثرت ضد خمار صاحب الشرطة وقتلته وأحرقت جثته لأنه كان قد قتل رجلا من العامة . ولما تولى الجيش مكدن خمار عهد الى قتل احد العيارين في سوق النخاسين مما اثار العامة مرة اخرى ودفعتها لقتال صاحب الشرطة فكان من جراء هذه الثورة وقوع الحرائق في جملة من الاسواق من النخاسين الى سوق المساكين . وذهب ضحيتها بعض الرجال والنساء الذين ماتوا حرقا داخل الدور او الحمامات الموجودة في تلك المنطقة (١١٥) .

ومما ورد من امور الحياة الاجتماعية في ثنايا الكتاب اخبار الجوّاري سواء المغنيات منهن مثل سريرة الواثقية (١١٦) تجني جارية الوزير المهدي (١١٧) او القهرمانات (١١٨) وما قس به من ادوار سياسية (١١٩) او اخبار بعض الزهاد (١٢٠) ومدعي الربوبية (١٢١) .

وكذلك اخبار النصوص (١٢٢) . وقطاع الطرق امثال عمران ابن شاهين الذي اعتصم بالطبائع جنوب العراق مدة طويلة (١٢٣) —

(١١٤) ص : ١٧١

(١١٥) ص : ٢١١

(١١٦) و (١١٧) ص : ١٢٩ و ١٧٧

(١١٨) ص : انظر بحثنا عن القهرمانات مجلة المناهل

(١١٩) ص : ١٤٣، ١٤٢، ٢٤٠، ٣١١ .

(١٢٠) ص : ٤٩

(١٢١) ص : ٨٦

(١٢٢) ص : ٢٢

(١٢٣) ص : ١٦٢ ، ١٦٥

هـ - امور اخرى

ولقد حوى تاريخ الهذاني امورا اخرى لا تندرج تحت العناوين السابقة سجلها لنا في اوقات حدوثها كاخبار الحرائق^(١٢٤) ، وبنساء مارستان^(١٢٥) او ظهور حيوان غريب^(١٢٦) ، او زيادة الماء في نهر دجلة والفرات وقت الفيضان^(١٢٧) او سقوط القبة الخضراء التي بناها الخليفة ابو جعفر المنصور^(١٢٨) . او تغير احوال الطقس^(١٢٩) .

هـ - النقول من مؤلفاته

يبدو ام ابن خلكان كان اكثر من غيره اطلاعا على كتب الهذاني واستفادة منها حيث اشار الى عدة كتب كما ياتي :

١ - كتاب المعارف المتأخرة : وقد نقل منه بعض ما يتعلق بترجمة تميم ابن المزمع الفاطمي محددا تاريخ وفاته بسنة ٣٧٥هـ^(١٣٠) .

وكذلك نقل منه بعض ما يتعلق بترجمة ابن العلق الشاعر ابي بكر الحسن بن علي النهرواني المتوفي سنة ٣١٨ او ٣١٩هـ الذي رثى الوزير المحسن بن الفرات ايام محنته وكفى عنه بالهر لانه لم يجسر ان يذكره في مراثيه^(١٣١) .

(١٢٤) ص : ٩٧ .

(١٢٥) ص : ١٢١ .

(١٢٦) ص : ١٧ .

(١٢٧) ص : ٢٢ ، ٢١ ، ١٢٦ .

(١٢٨) ص : ١٢١ .

(١٢٩) ص : ٢٢ .

(١٣٠) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ١ ص : ٣٠٣ ط احسان عباس

(١٣١) ن . م . ٢ : ١٨

وفي اثناء ترجمة ابي المكارم مسلم بن قريش الملقب سيف الدولة
العقيلي نقل من هذا الكتاب ما يتعلق بالحرب التي دارت بين الامير العقيلي
وبين سلطان دولة الروم السلاجقة سليمان بن قتليش عند باب انطاكية في
خامس عشر صفر سنة ٤٧٨هـ (١٠٣٢) .

٢ - كتاب عنوان السير : وقد ساء ابن خلكان عيون السير ، ولعلها
الاصوب ، ناقلا عنه في اثناء ترجمته لناصر الدولة بن حمدان ابي محمد
الحسن بن عبدالله ليكمل بهذا النقل معلوماته عنه حيث جاءت في اخر
الترجمة متناولة اخريات حكم ناصر الدولة ، وكيف قبض عليه ابنه
الغضنفر سنة ٣٥٦هـ بعد ان كان اميرا على ديار الموصل وما جاورها
مدة اثنين وثلاثين سنة . وذكر وفاته في سنة ٣٥٧هـ ، وذكر مقتل ابنه ببغداد
وهو يدافع عن الامام القاهر بالله سنة ٣١٧هـ واكتفى بالاشارة الى انها قصة
مشهورة .

ثم تناول بعد ذلك الغضنفر بن ناصر الدولة مختصرا اخباره وما جرى
له مع عضد الدولة بقوله : « قضيا يطول شرحها ، وحاصلها ان عضد
الدولة ... قصده بالموصل فهرب منه الى الشام ثم توجه الى الرملة فقتل
هناك في ذي القعدة سنة ٣٢٨هـ (١٠٣٢) ويبدو واضحا ان الهذاني كان في
امكانه التطويل والتفصيل في سرد الاحداث وانه كان يملك المصادر عن هذه
الاحداث التي اشار اليها الا انه فضل الاختصار والاكتفاء بالاشارة لانها
متناولة بأيدي الناس ومصادرها متوفرة . وهذا يعطي ثقة بكتب الهذاني
اولا ويوضح عنوان الكتاب ثانيا حيث جعله مختصرا مختارا اذ اختار من
اخبار عيونها .

١٣٢ ن . م . ٥ : ٢٦٨

١٢٣ ن . م . ج ٢ : ١١٦

ومن هذا الكتاب ايضا وقد اكد ابن خلكان تسميته (بغيرون انسير)
كما سماه بالتاريخ الصغير نقل معلومات عن ابي بكر محمد بن طغج الاخشيدي
ذاكرا عدد جيشه اربعمائة الف رجل ، وانه كان جباناً ، وان له ثمانية الاف
مملوك يحرسونه في كل ليلة الفان منهم ويوكل بجانب خيمته الخدم اذا سافر
ثم لا يثق حتى يضي الى خيم الفراشين فينام فيها . وانه لم يزل على ملكه
حتى توفي ٥٣٣٤ هـ بدمشق ، وحمل تابوته الى بيت المقدس فدفن به (١٣٤) .

كما نقل منه في اثناء ترجمته لابي الفضل ابن العميد ، محمد ابن العميد
ابي عبدالله الحسين الكاتب ، وكيف ان الشاعر ابا الطيب المتنبي قصده
مع جملة شعراء الى ارجان ومدحه هناك بقصائد . وكيف ان ابن العميد
اعطاه ثلاثة الاف ديناراً (١٣٥) .

ثم اخيرا نقل من هذا الكتاب بعض ترجمته ابن بقيه الوزير ابي طاهر
محمد بن محمد الذي وزير لفر الدولة بختيار بن بويه بعد ان كان ينولي
المطبخ حتى قال الناس : من الغضارة الى انوزارة . وان كرمه ستر
عيوبه (١٣٦) .

ومن هذا الكتاب نقل ابن القوطي وسماه (عنوان السير) في اثناء
ترجمته لابي طاهر باتكين بن عبدالله النشاري الامير الملقب بالمختص الذي
تقلد واسطا حربا وخرابا كما تقلد معها الكوفة سنة ٤٢٦ هـ . وكان حسن
السيرة يخرج من ماله ويتصدق به . وان وفاته كانت بارجان سنة ٤٤١ هـ (١٣٧) .

(١٣٤) ن . م . ج ٥ : ٥٩

(١٣٥) ن . م . ج ٥ : ١٠٥

(١٣٦) ن . م . ج ٥ : ١١٩

(١٣٧) ابن القوطي تلخيص مجمع الادب في معجم الانتساب ٢ ق ٢ ص ٥١

وقد اورد الكتاب شمس الدين السخاوي وسماه ايضا (عنوان السير)

٣ - كتاب الذيل على تاريخ الوزير ابي شجاع : (١٣٩) (الثاني لكتاب تجارب الامم لابن مسكويه) وقد سماه ابن خلكان ذيل تجارب الامم على سبيل الاختصار اذ عنوان الكتاب هو الصحيح لان الوزير ابي شجاع الروزراوري هو الذي ذيل على تجارب الامم لمسكويه ثم جاء بمسوده الهمداني فذيل كتاب الروزراوري وقد نقل منه ابن خلكان بعض ما يتعلق باخبار الكاتب ابي الفوارس ابن الخازن الحسين بن علي المتوفى سنة ٥٠٢هـ (١٤٠) .

٤ - كتاب ذيل طبقات الفقهاء : وهو الكتاب الذي ذيل به على طبقات الفقهاء للشيخ ابي اسحاق الشيرازي (ت هـ) وقد نقل منه ابن خلكان بعض ما يتعلق بترجمة ابي سعيد المتولي عبدالرحمن بن محمد الفقيه النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٤٧٨هـ (١٤١) . ولعل من هذا الكتاب نقل السبكي (ت ٧٧١ هـ) بعض ما يتعلق بفقهاء الشافعية الذين ترجم لهم في طبقاته وان اكتفى بذكر اسم الهمداني دون اسم كتابه كما هو الحال عند ترجمته محمد بن المظفر الحصري القاسمي الشافعي المتوفى سنة ٤٨٨هـ (١٤٢) . وكذلك عند ترجمته الوزير نظام الملك الحسن بن علي الطوسي (١٤٣) .

(١٣٨) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين ص ٦٧.

(١٣٩) نشرت قطعة منه مع تجارب الامم اعتناء امدرود ، والروزراوري محمد ابن الحسين من وزراء الخليفة المستظهر بالله (ت ٤٨٧ هـ) .

(١٤٠) ابن خلكان : ٢ : ١٩٨

(١٤١) ن م

(١٤٢) السبكي طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٠٣

(١٤٣) ن م ٢٢١

هـ - كتاب تكملة تاريخ الطبري : او ذيل تاريخ الطبري

وقد نقل من هذه التكملة او الذيل جملة مؤرخين هم على الترتيب

أ - ابن الجوزي : عبدالرحمن بن علي (ت ٥٦٧ هـ) في كتابه المنتظم
في تاريخ الملوك والامم)

نقل عنه بعض مايتعلق بسيرة الخليفة القادر بالله وكيف انه كان يتزيا
بزي العوام تخفيا عن عيون الناس ويرتاد مقابر الاولياء مختلطا بالناس
يسمع شكواهم ولا يعرفونه (١٤٤) .

ب - ونقل عنه في ترجمته لعبيد الله بن محمد المعروف بابن بطة
المتوفي سنة ٣٨٧ هـ قولا في ابن برها (عبدالواحد الاسدي) الذي جرح
ابن بطة كان يسيل الى المرد الملاح ويقبلهم (١٤٥) وكرر قص النقل عندما
ترجم لعبد الواحد الاسدي في حوادث سنة ٤٥٦ هـ (١٤٦) .

ج - ونقل عنه في اثناء حوادث عام ٤٣٦ هـ ما جاء عن الماوردي من
منع جواز استعمال لقب شاهان شاه الاعظم ملك الملوك لجلال الدولة
البويهية وكيف ان جلال الدولة استدعاه واكرمه لانه جاهر بالحق ولم
يساري (١٤٧) .

د - ونقل عنه في اثناء حوادث سنة ٤٥٠ هـ عند ترجمته لعللي بن
الحسين ابي القاسم ابن المسلمة الوزير (١٤٨) .

(١٤٤) ابن الجوزي : المنتظم ٧ : ١٦١

(١٤٥) م . ١٩٥ :

(١٤٦) ن . ٠ م : ٨ : ٢٣٧

(١٤٧) ن . ٠ م : ٨ : ٩٧ .

(١٤٨) ن . ٠ م : ٨ : ٢٠١

هـ - ونقل عنه في اثناء حوادث سنة ٤٥١ هـ بعد عودة الخليفة القائم
من حديثة الى بغداد على اثر انتهاء عتبان البساسيري (١٤٩)

و - ونقل عنه في اثناء حوادث سنة ٤٧٤ هـ خبرا عن محاولة قتل شرف
الدولة مسلم بن قريش في الحمام من قبل احد خدمه (١٥٠)

ب - ابن الديبشي : محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ)

في كتابه ذيل تاريخ بغداد - وقد نقل عنه في اثناء ترجمته لعقاد الدين
ابي نصر احمد بن عبدالله بن احمد بن رضوان البغدادي الرئيسي * وكان
الهمداني قد ذكره باعتباره من المحدثين ومن شيوخه هو (١٥١) .

ج - ابن خلكان ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١) في كتابه
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان بنقل معلومات تتعلق بترجمات

١ - السلطان طغرل بك ابي طالب محمد السلجوقي المتوفي سنة ٤٥٥ هـ
في مدينة الري (١٥٢) .

٢ - والسلطان محمد بن ملكشاه (١٥٣) .

٣ - والسلطان ملكشاه بن الب ارسلان (١٥٤) .

٤ - والوزير نظام الملك (١٥٥)

(١٤٩) ن . م : ٨ : ٢١١

(١٥٠) ن . م : ٨ : ٢٢١ ، وانظر ج ٧ ص ١٠٥

(١٥١) ابن الديبشي - ذيل تاريخ بغداد عن تلخيص مجمع الاداب ج ٢ ق ٢
ص ٦٦٢

(١٥٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٥ : ٦٧

(١٥٣) ن . م : ٥ : ٧٢

(١٥٤) ن . م : ٥ : ٢٨٥ ، ٢٨٦

(١٥٥) ن . م : ٥ : ٢٨٧

٥ - والوزير ظهير الدين ابي تجاع محمد بن الحسين الروزراوري
المتوفي سنة ٤٨٨هـ (١٥٦)

٦ - وامي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري (١٥٧)

٧ - ابن القوطي : كتاب الدين عبدالرزاق بن احمد (ت ٥٧٢٣) في
كتاب، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب - وكان نقله حول التراجم
التالية :

١ - عز الدين ابو سلطان بدران بن برکه بن سلطان الخفاجي الامير
وكان من اكابر بني عقيل (١٥٨) .

٢ - عز الدين ابو الحسن سعادة بن عبدالله الرومي المستظهري الخادم
الرسائي المتوفي سنة ٥٠٠هـ (١٥٩) .

٣ - عماد الدولة ابي المظفر ابراهيم بن ايلك نصر المعروف بطنجاج
التركستاني المتوفي سنة ٤٧٠هـ (١٦٠) .

٤ - فخر الدولة شرف الوزراء ابو نصر محمد بن محمد بن جهيسر
الموصللي تزيل بغداد المتوفي سنة ٤٨٣هـ (١٦١) .

٥ - كريم الملك ابو غالب هبة الله بن زيد بن القاسم الاصفهاني
نائب الوزراء المتوفي سنة ٤٩٥هـ (١٦٢) .

(١٥٦) ن . م . ٥ : ١٢٥

(١٥٧) ن . م . ٣ : ٢٨٣

(١٥٨) تلخيص مجمع الاداب ج ٤ ق ١ ص ٤٢ .

(١٥٩) ن . م . ١٥٨

(١٦٠) ن . م . ق ٢ ص : ٦٥٠

(١٦١) ن . م . ق ٣ ص : ٣٦٣

(١٦٢) ن . م . ج ٥ ق ١ ص : ٨٩ - ٩٠

- ٦ - كمال العراقيين ابو العزابق بن عبدالله الجلالى الحاجب (١٦٣)
- ٧ - كهف الاسلام والمسلمين يمين الدولة ابو القاسم محمود بن سبكتكين الغزنوي السلطان (١٦٤) .
- ٨ - المتوسم بسيف الله جمال الدولة ابو المظفر عبدالرشيد بن يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي (١٦٥) .
- ٩ - مجد الوزراء الامين ابو الفتح منصور بن الامين احمد التيرازي وزير الامام القائم بامر الله العباسي (١٦٦) .
- ١٠ - معتمد الدولة ظهير الدين ابو منصور طغتكين بن عبدالله اتابك التركي والى دمشق (١٦٧) .
- ١١ - معز الدولة ابو عبدالله محمد بن محمد بن محمد الدينزقي الفقيه الوزير (١٦٨)
- ١٢ - معين الدولة ابو نصر سلطان بن ارتق بن الب التركمانى صاحب ديار بكر (١٦٩) .
- ١٣ - ملك العرب سيف الدولة بن الحسن صدقة بن منصور بن ديبس الاسدي صاحب الحلة (١٧٠) .

(١٦٣) ن . م . ١١١ :

(١٦٤) ن . م . ٢١٢ :

(١٦٥) ن . م . ٢ ص : ٥٩ :

(١٦٦) ن . م . ص : ٢٦٢ :

(١٦٧) ن . م . ص : ٦٢١ :

(١٦٨) ن . م . ص : ٦٢٦ :

(١٦٩) ن . م . ص : ٦٦٥ :

(١٧٠) ن . م . ص : ٧٥٨ :

١٤ - مناصح الخاصة ابر العز اقبال بن عبدالله الحبشي استاذ
الدار (١٧١)

١٥ - المناصح فيروز تكين بن عبدالله الديلمي الامير (١٧٢) *

هـ - الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد (ت ٥٧٤٨)
في كتابه (سير اعلام النبلاء - ترجمة الوزير ظهير الدين ابي شجاع محمد
بن الحسين الروزراوري المتوفي سنة ٤٨٨هـ (١٧٣) *

وكذلك ترجمة قاضي القضاة ابي عبدالله محمد بن علي الدامغانسي
الشافعي (١٧٤) *



(١٧١) ن . م . ص : ٧٦٤

(١٧٢) الذهبي : سير اعلام النبلاء ج ١٢ ورقة ٦

(١٧٣)

(١٧٤) ن م ج : ١١ ورقة ٢٥٩ (١)

جريدة المصادر والمراجع

- ١ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ - بيروت ١٩٦٦ م
- ٢ - جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي - مراجعة الدكتور حسين مؤنس دار الهلال
- ٣ - ابن الجوزي : المنتظم - الهند ١٣٥٨ هـ
- ٤ - حاجي خليفة : كشف الظنون ، ط : ٣ همدان ١٣٧٨ هـ .
- ٥ - حتي : فليب خوري : تاريخ العرب - ترجمة محمد مبروك تافع - القاهرة ١٩٥٣
- ٦ - ابن خلكان : وفيات الاعيان - ط احسان عباس .
- ٧ - ابن الدبيثي : ذيل تاريخ بغداد - مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب جامعة بغداد .
- ٨ - الذهبي : سير اعلام النبلاء - مخطوطة مصورة .
- ٩ - السبكي : طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق الطحاوي والطنطاوي - القاهرة ١٩٦٨
- ١٠ - السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - ضمن كتاب علم التاريخ عند العرب لروزنثال .
- ١١ - انصفاي : الوافي بالوفيات - ط فيسبادن
- ١٢ - الطبري : تاريخه المقدمة التي كتبها محمد ابو الفضل ابراهيم
- ١٣ - ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب . نشر الدكتور مصطفى جواد .
- ١٤ - القفطي : تاريخ الحكماء ، ليزك ١٩٥٣
- ١٥ - ابن كثير : البداية والنهاية - نشر مكتبة المعارف ومكتبة النصر ١٩٦٦ م
- ١٦ - كحالة : عمر رضا : معجم المؤلفين - بيروت دار احياء التراث العربي
- ١٧ - المراكشي : المغرب في تلخيص اخبار المغرب - ط محمد القاسي
- ١٨ - ابن النديم : الفهرست مطبعة الاستقامة
- ١٩ - ابن الهيثمي : تكملة تاريخ الطبري - بيروت طبعة ٢ سنة ١٩٦١
- ٢٠ - شافوت السخوي : معجم الادباء بعناء احمد الرفاعي .

دراسات في الحضارة والمدنية

بحث السيد/ احمد عيسى الفطاح
كلية الاداب - جامعة بغداد

١ - ماهية الحضارة والمدنية :

تضاربت الاراء حول معنى الحضارة والمدنية ، فلا يوجد معنى واحد لها وحتى في العلوم الاجتماعية نفسها لا يوجد اتفاق بين العلماء على معاني محددة لهذه الالفاظ . ومع كل هذا نستطيع اذا ما استعرضنا المعاني المختلفة لهذه المصطلحات في العلوم الاجتماعية ان نعطيها مفهومين :-

المفهوم الاول :

وهو الاكثر اهمية . هو ان المدنية بحد ذاتها ماهي الاشكل من اشكال الحضارة ، وفي طيها نجد ثلاثة اشكال لاستخدام كلمة مدنية :

- أ - استخدام كلمتي حضارة ومدنية بمعنى واحد اي كمرادفين .
 - ب - المدنية هي الحضارة حين تتعقد هذه وتتميز بخصائص معينة .
 - ج - المدنية هي الحضارة اذا ما وصلت الى درجة واضحة من الرقي .
- وامكن قياسها بمقاييس خاصة .

المفهوم الثاني :

ويستند على مقابلة المدنية بالحضارة ، فالحضارة تتجرد حتى تصبح معبرة عن مجرد افكار ومبتدعات انسانية متعلقة بالاساطير والدين والفن والادب ،

في حين ان المدنية تدل على المبتدعات الانشائية المتعلقة بالعلوم
الاجتماعية (١) .

اما عن علماء الاثروبولوجية الحضارية الاوائل فكانوا يعتبرون المدنية
والحضارة ذات معنى واحد من حيث المساواة ، فالعالم الاجتماعي
الاثروبولوجي الانكليزي ادورد تايلر (E. Tylor) كان مترددا في
مدلولها فاحيانا يقرر ان المدنية او الحضارة في معناها الاثنوكرافي
(Ethnography) الواسع هي : ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة
والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعادات واية قدرات اخرى يكتسبها
الانسان من حيث هو عضو في المجتمع (٢) .

وعند العالم الاجتماعي الفرنسي ايميل دوركهايم (E. Dorkheim)
والامبيد او ضحوا بأن ليس هناك فرقا بين مصطلحي الحضارة والمدنية فلفظ
المدنية والحضارة متجانسان عند الاثروبولوجيين وعلماء الاجتماع الاوائل ، وان
اختلف بين العلماء الانكليز والفرنسيين .

بعد هذا بدأت مرحلة جديدة في استخدام اللفظين ، ففريق من العلماء
ذهب فائلا الى ان المدنية شكل من اشكال الحضارة يختلف نوعا وكيفا عن
الاشكال الاخرى وهذا المفهوم لا يزال قائما حتى يومنا هذا . وهذا بطبيعة
الامر يرجع الى القرن الثامن عشر الميلادي حين كان العلماء متأثرين بما احدثته
التكسفات العلمية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي من تقدم وتطور
في مجال الحياة الاجتماعية وكانت المدنية عندهم تعني التحضر والتمدن .

جم العلوم الاجتماعية من ٢٢٢-٢٢٣ تصدير ومراجعة : ابراهيم ...
سنة ١٩٧٥

Edward Tylor, Primitive Culture, London, p. 246 1871.

• قائمندية عند العلماء في القرنين السابع عشر والثامن عشر هي (مجموعة من القيم والنماذج التي تحققها الانسانية في تطورها ، ومجموعة من الانماط الاجتماعية والاخلاقية والصناعية التي يحققها المجتمع للوصول الى السعادة الانسانية) •

فالعالم الاجتماعي الفرنسي كوندرسيه (١٧٤٣ - ١٧٩٤) يقول :

ان المدنية عبارة عن اختفاء الحروب والاستعمار والبؤس . ثم يأتي العالم الاجتماعي جيزو : بقوله ان المدنية : عبارة عن سيادة امبراطورية العقل الخالد على العالم .

وكان يعتقد بعض مفكري القرن التاسع عشر بأن المدنية خاصة بالمجتمعات الغربية حيث اعتبروا ان التقدم العلمي والتطور التكنولوجي هو المعيار للترقية بين الشعوب المتحضرة والشعوب غير المتحضرة ، وهذا ما يمكننا الرد على هذا القول المتعصب والصيغة الفحوى جعل علماء القرن التاسع عشر الميلادي ان يأخذوا مثل هذا المعيار وهو معيار العلم والتقدم التكنولوجي اكثر من اتخاذهم معايير اخلاقية كأساس لتلك التفرقة .

فالعالم شبنكلر (Spengler) في فلسفته للتاريخ يعرف المدنية بأنها مرحلة تنسخ الحضارة ، تلك المرحلة تفقد فيها الحضارة حيوتها الخلاقة ، ومن ثم تتحول الى شيء ميكانيكي جامد^(٣) . في حين ذهب العلماء في تعريفهم للحضارة بأنها المجموع الكلي لما يتعلمه الفرد في مجتمعه من سلوك^(٤) .

(٣) د . احسان محمد الحسن . علم الاجتماع - ص ١٥١ - ١٥٣ مطبعة اومسبت

بغداد ١٩٧٦ .

E. Adamson Hoebel "The Nature of Culture", In Ed. by (٤)
Herry Shapiro, *Man, Culture & Society* (New York Ox-
ford univ. Press 1971) p. 208.

أما علماء القرن العشرين فقد فرقوا بين المدنية والحضارة دون إصدار حكم فيسية على شعوب متحضرة أو غير متحضرة ، إذ لكل شعب حضارته بدائيا كان أم متطورا فله معايير علمية وتكنولوجية خاصة به . بينما يرى آخرون : : أن مصطلح الحضارة Culture يستعمل على الأقل في مفهومين مختلفين Different Senses المفهوم الاول : يشير الى أن الحضارة هي مظهر مركب فوق البشر ، أو ربما هي تخصص طريقة حياة جماعية معينة .

المفهوم الثاني : وهذا ما يشير اليه علماء الانثروبولوجي حيث يصنفون الحضارة بأنها أساليب منجزه وتقتبس من قبل الفرد Individual كأي شيء وراثي (٥) .

أن الحضارة تهتم بالنواحي الأخلاقية والروحية في حياة المجتمع إلى جانب المظاهر المدنية . ويتعلق بتلك المعايير الخاصة بالمدنية اكتظاظ المدن المزدحمة بالسكان ، ووجود صناعات وحرف معقدة تقوم على التخصص الدقيق .

أن العالم كرويليه (Kroelie) يربط فكرة المدنية بتطور المجتمع انساني والتكنولوجي ، وأن كان لا ينكر ما لهذا التطور من اثر في المجال الحضاري أو الاخلاقي ، ففي انتشار العلم والتكنولوجيا مثلا ما يصرف الناس عن التعديل على السحر والشعوذة ، وهناك علماء آخرون يفرقون بين المدنية والحضارة على أساس الكم لا الكيف . فالمدينة شكل معقد من اشكال حضارية . يقول بيلز (Beals) وهويجر (Hoiser) ان المدن كانت دائما وحديثها والسائد منها اليوم ليست الا حالات خاصة من الحضارة

(٥) Mischa Titiev, Introduction to Cultural Anthropology (New York Henry Holt and Co. 1959) p. 11.

تتميز بكسبية مضمونها ونقده انماطها ، ولكنها لا تختلف عن الناحية الكيفية والنوعية عن حضارات من يسون بالشعوب غير المتحضرة^(٦) .

وهناك بعض العلماء يفضلون مجال المدنية عن الحضارة نهائيا ، فهم يقصرون كلمة حضارة على النظم والمعايير التي تعبر عن حياة الجماعة الروحية كالدين والادب والفن والغايات الأخلاقية العليا .

اما المدنية فتتصب على المظاهر المادية والميكانيكية التي ابتدعها الانسان في محاولة لضبط ظروف حياته . وهذا المعنى الذي ساد عند العلماء الالمان وعلى رأسهم الفريد فيبر (A. Weber) الذي استقى منه العالم الاجتماعي الاميريكي مكيفر أفكاره (R. M. Maciver) ويتضح أن اغلب من فصلوا المدنية عن الحضارة تأثروا جميعا بعلماء الاجتماع الالمان .

هذا وقد انشأ العالم الاجتماعي الالمانى الفريد فيبر علما خاصا لدراسة المدنية والحضارة واطلق عليه علم الاجتماع الحضاري (Sociology of Culture) وبرهن فيه على أن المدنية تستند على العقل بالإضافة إلى الله لا وطن لها . وذلك لأن نماذجها تنتقل بسهولة من مجتمع إلى آخر . اما الحضارة فأساسها العاطفة والقيم الروحية وهي تقوم على الكمال الروحي والفلسفي للانسان . وأخذ عنه في هذا - كما قدمنا - من الامريكيين العالمين الاجتماعيين مكيفر و اودم (R.M. Maciver & H. W. Odum) غير أن

معظم العلماء الامريكيين يعتقدون ان المدنية هي جزء من الحضارة .

اما علم الحضارة عند العالم الاجتماعي العربي التونسي (١٣٣٢ -

١٤٠٦) ابن خلدون هو ... علم العمران البشري والاجتماع الانساني .

A. L. Beals & Hoiser. The Macmillan Co, New York 1959. (٦)
In Introduction to Anthropology, Third Edition p. 271, 272.

وفي الحقيقة فإن ابن خلدون نظر إلى تطور المجتمع البشري من حالة
مروره في أربع حالات تتدرج من البساطة إلى التعقيد : وهي حالة البداوة ،
وحالة الملك وحالة الحضارة ، وحالة التمدن .

فمفهوم الحضارة إذن عند ابن خلدون هو ذلك النصف من الحياة المتناقص
ببداؤه والمنصف بالاستقرار في الحضر أي المدن ، والقرى وما نشأ من وراءها
للأرض وانتظام في الإدارة والصنائع والعلوم ومكاسب العيش ومن وسائل
الرفاه الأخرى .

فالتعريف الحديث للحضارة حسب البحوث الاجتماعية الحديثة تعني
مستوى معين للحياة المادية والروحية والاجتماعية لمجتمع من المجتمعات أي
يقصد بها مجموع الحياة التي يحياها شعب واحد أو شعوب عدة ، بها تضم
من تنظيم في الحكم وسبل في تحصيل المعاش وعلاقات اجتماعية ومعرفة
نظرية وقواعد سلوكية وغيرها من المقومات التي تمثل بها تلك الحياة^(١٧) .
وبالإضافة للتعاريف المتعددة لمفهوم الحضارة فإن هناك تعاريفاً أخرى .

فهناك تعريف العالم الألماني غوستاف كليم (Gustav Klemm)
(١٨٠٢ - ١٨٦٧) حيث قال إن الحضارة هي مجموعة العادات والمعلومات
والمهارات والحياة الخاصة والعامة في الحرب والسلام والدين والعلم ، وتشمل
الحضارة في نقل تجارب الجيل الماضي للجيل الحاضر .

ويعرف الأستاذ روبرت لوي (Robert Lowie) (١٨٨٣ - ١٩٥٧)
الحضارة بأنها (مجموع ما يحصل عليه الفرد من مجتمعه ، أي المعتقدات
والتقاليد والنماذج الفنية ، والعادات المتعلقة بالغذاء والحرف ، التي تصف
عن طريق فعالياته الإبداعية بل كسيراث من الماضي ينقل إليه بالتعليم المنهجي
أو المنظم) .

(١٧) سلطان ناهي مفاخر الحضارة اليمنية القديمة في محاولة لتعريف
التونسي عليها عن مجلة آفاق عربية . العدد الثاني ، السنة الرابعة - ١٩٧٨
تشرين الأول سنة ١٩٧٨ .

اما الاستاذ رالف بيدنكن (Ralph Piddington) فيأتي بتعريف فريد ، اذ يرى ان المدنية شعب ما تتكون من (مجموعة الادوات المادية والفكرية التي يستطيع بها ذلك الشعب اشباع حاجاته الحياتية والاجتماعية وتكييف نفسه لبيئته) .

ويعرفها الاستاذ فلفل جرسكوفنس (M. Herskovits) بانها (الجزء الذي يخلقه الانسان من البيئة) . ثم يصفها بانها : (تعلم وتلقن وذات كيانات متميزة وقابلة للتقسيم الى اوجه مختلفة ومتغيرة وتتفرغ من كل حاضر المكونه لوجود الانسان)

ويذهب العالم الاجتماعي ماثيو ارنولد (M. Arnold) فيعرف الحضارة بانها دراسة الكمال والبحث عن الجمال والضياء فهي حالة داخلية للعقل والروح لا يسكن ان تنعكس في الظروف الخارجية الحيطه بالانسان (٨) . ان المدنية هي عبارة عن نظام قائم في مجتمع له عقيدة ودين وفلسفة خلقية توحد انماط السلوك المختلفة وتسكن الناس للقيام بعمل جماعي . وخير ما يشل الحضارة وجود المؤسسات الاجتماعية التي تعين الناس على العمل الموحد وعلى انسجام وجهات النظر والوصول للاجتماع في الرأي وقت الخطر المداهم الذي يحيق بالامه .

من هذا نستطيع القول اذن ان الحضارة تصبح ذات عامل موحد (٩) واخيرا ان الحضارة والمدنية تميز جميع المجتمعات الانسانية ، فحتى المجتمعات البسيطة فيها نوع من الحضارة والمدنية ومثل هذه الحضارة والمدنية تعمل على رسم طبيعة اطارها الحياتي ، وتحدد معالمها الاجتماعية .

(٨) د . احسان محمد الحسن ، علم الاجتماع ص ١٥٢ لسنة ١٩٧٦ مطبعة اوفسيت بغداد .

(٩) د . عبد الجليل الطاهر . المشكلات الاجتماعية ص ١٤٢-١٤٣ مطبعة دار المعرفة ، بغداد سنة ١٩٥٣

وعندما تقوم شعوب المجتمعات البدائية بتغيير معالم البيئة الطبيعية التي تعيش فيها وتسخر القوى المائية والهوائية لتأديتها وتستغل المياه والتربة وأشعة الشمس في الأغراض الزراعية أو تمارس طقوسها الدينية وعاداتها الاجتماعية فإنها تكون قد تأثرت وأثرت على طابع الحضارة والمدنية في آن واحد (١) .

وقد قال البعض من الكتاب بأن المدنية تتصل بنظام الدولة . بينما ترتبط الحضارة بحياة الشعب وفي معنويته .

اشتقت كلمة (مدنية) أو (تمدن) (Civilization) من اللغة اللاتينية (Civilitas or civilis) وقد عنت بادىء ذي بدء المجاملات التي افلهرها الرومان للشعوب المغلوب على امرها .

اما في العصور الوسطى فقد يحمل استعمال الكلمة معاني جديدة فقد عرفها الفيلسوف دانتى (Dante) في كتابه المشهور De Monarchia بأنها وحدة اجتماعية ذات كيان ووجود فوق الفرد ، كالعائلة والامة الا ان المعنى الحديث قد تطور على ايدي الملاسفة العقلين في القرن الثامن عشر وفي مقدمتهم الفيلسوف الفرنسي فولتير والكتاب الانسكلوبوديون .

اما الكتاب المحدثون فانهم يصرون على التفريق بين الكلمتين ، كما انه ليس من الممكن الاكتفاء في البحث عن الحضارة في المظاهر المادية المحسوسة فقط .

الفروق الاساسية بين الحضارة والمدنية

اذا حاولنا استعمال كلمة (حضارة) Culture للإشارة الى مجتمع يسود فيه نظام خلقي وعقيدة مشتركة ، فإن كلمة (مدنية) Civilization تنصف بالاقليمية وبالروح المحلية ، أو بالمفهوم المكاني الجغرافي ، وهي نتاج الفعاليات المادية والاقتصادية .

(١) ١ - احسان محمد الحسني ص ١٥١-١٥٢ . مطبعة اوفسببت عام ١٩٦٦ .

فالحضارة تستند على اذابة العناصر الغريبة والمختلفة ، بعملية من التمثيل الاجتماعي ، وذلك بتحويل انظمتها الدينية والخلقية الى قوانين دينوية ففي ظل الامبراطوريات يعيش الناس من مختلف العناصر والاجناس جنبا الى جنب وبالنتيجة تسود حضارة واحدة في كافة المجتمعات . ولايسكن قيام الحضارة بوجود الانقسامات الطائفية والطبقية حيث أن نشأتها وتطورها وازدهارها يتطلب اجماعا في الرأي لان الاجماع في الرأي يعني وجود تفاهم عام ، وأهداف شاملة - ومصالح مشتركة حيث ان النقل الفكري عن طريق المساهمة والمشاركة في حياة عامة .

يعتبر العالم الاجتماعي الالماني الفريد فيبر (A. Weber) مؤسس علم الاجتماع الحضاري (Sociology of Culture) حيث اعتبر (الحضارة) ظاهرة روحية ابداعية وحررة .

او هي (المصنوعة الحية) في البنية الاجتماعية . ينسب وصف (المدنية) بكونها ظاهرة عقلية . وهي نتاج جهد الانسان للسيطرة على المحيط الطبيعي والحضاري عن طريق الذكاء والعلم والصناعة . ينسب تنوخي الحضارة (تحقيق الروح) او (النزوة العاطفية) (١١) .

ولعل من ابرز الفروق بين الحضارة والمدنية هو (التعاقد) - المكانية الاجتماعية - . ففي المدنية يرتبط الناس بعضهم البعض الاخر عن طريق التعاقد . ينسب يحاول التمرد في الحضارة ان يضمن حاجاته النفسية والمادية بالحصول على مكانة اجتماعية .

ويمكن القول بأن الحضارة ظاهرة فريدة . (Unique) اذ تختلف اختلاف كبير عن العناصر المكونة للمدنية التي تباع وتشترى .

(١١) د . عبدالحلبيز الطاهر . انصار السابق ص ٤٤٣

ثم ان من مقومات المدنية لاتتصف بالقدسية والاحترام كقومات الحضارة ، لان باستطاعة كل فرد ان يدخل في حوزته المدنية لغرض التمتع بنائيتها ومنفعتها .

ويعتقد الفيلسوف شبنكلر (Spengler) بان كل حضارة (Culture) تسيل لتصبح في الاخير مدنية Civilization فكلما اتسعت المدنية وتعقدت الحياة اشتدت الهجمات والضربات التي تسدها المدنية ضد الحضارة ، حيث يسيل سكان القرى والارياف الى كسر الروابط العائلية المقدسة والنزوح الى المدينة ليشيدوا جزرا حضارية منعزلة ، سرعان ماتتلاشي حدودها وسط مدنية معقدة ومركبة - لانها تحررهم من القيود الاولى ولانها مؤسسة على العلاقات الثانوية غير الشخصية .

تضعف المدنية الجذور الحضارية للناس فتقضي على تضامنهم وتعمل على هلهلة النسيج الاجتماعي ، وبناء على ذلك فان نمو المدن وأدخال التعاقد يؤدي الى زعزعة مكانة الحضارة بالنسبة للمدنية Civilization

يصبح التفريق بين الحضارة والمدنية في قولنا ان الحضارة مؤسسة على العلاقات الاولى الني يسود فيها التجاذب الروحي والتضامن العالمي ، بينما تحكم العلاقة المكانية والجغرافية في المدنية .

ان الروابط التي تربط افراد الحضارة الواحدة بعضهم مع البعض الاخر هي المشاعر . والالتزامات الخلقية والروحية والاخلاص والولاء المتبادل بينما تعم في المدنية الروابط المحلية والتجارية . تتصف الحضارة بالعصبية العنصرية . بينما تتميز المدنية بحبة الوطن - اي الاخلاص لمجتمع يشغل رقعة معينة من الارض - يحل الشعور بالحرية في المدنية محل التضامن والانسجام في الحضارة .

لهذا من الممكن اعتبار الحرية نتاجا لفكرة الحدود السياسية والاقليمية حيث توجد الحضارة بوجود النظام العائلي المقدس ، بعكس المدنية التي تنعش المصلحة الفردية . تستند المدنية على فكرة المجتمع الاقليمي القائمة على اساس التعاون التنافسي ، بينما تقوم الحضارة على الاجماع في الرأي . يبنى النظام الاجتماعي في الحضارة على التقاليد والعادات الاجتماعية والاداب الشعبية Folkways بينما النظام الاجتماعي في المدنية على الرأي العام المميز بالانقسام والتبدل وبعدم الاستقرار .

قلنا بأن المدنية قائمة على فلسفة نفعية معيارها الكفاءة والمهارة والتخصص وغاياتها معلومة وقابلة للتنبؤ والقياس ، وهي مجتعة ومتطورة تنتقل عن طريق التجارة والتبادل ، بينما يتم نقل الحضارة بالمساهمة في الشعور وفي التفكير المتشابهين ولما كانت الحضارة نتاجا للروح الانسانية وتنتقل بالتجاذب الروحي ، وان الحضارة لها تأثيرها الواضح على حياة الافراد منذ الولادة الى الموت سواء كان هذا التأثير شعوريا Conscious أو غير شعوريا Unconscious كما أنها تمارس ضغطها بأنماط وأساليب معينة مؤثرة في سلوكه (١٢) وبالتقدير والاعجاب المشترك وبسبب ذلك يمكن أن تكون المدنية وسيلة من وسائل النقل الحضاري ، عن طريق الراديو والتلفزيون في نقل الغناء والوسيقى .

تغير الحضارة والمدنية

يعتقد العالم الاجتماعي الامريكي وليم او كبرن Wm. Ogburn وغيره من العلماء . امثال كنزبرك وهوبهوس وويلز بأن الحضارة تقسم الى قسمين : الحضارة المادية ، والحضارة المعنوية . ويؤكد وليم او كبرن ان الحضارة المادية تسير بسرعة تفوق الحضارة المعنوية . ويضيف قائلا ان طبيعة الحضارة تتجلى

Edited by Richard Kluckhohn, culture & Benhaviour (N. Y. (١٢)
The Free Press 1962). p. 25.

ليس في حياة الموضوع نفسه ، وإنما في طريقة صنعه ، التي تنتقل من جيل الى جيل - وعلى اساس التعاون بين قسبي الحضارة - صاغ نظريته في التكلوء الحضاري Cultural Lag Theory وقد ارجع وليم اوكون التبدل الحضاري الى عامل واحد هو الاختراع ، وخاصة في القسم المادي من الحضارة .
الا انه في كتاباته الاخيرة يعترف بأن (المدنية) تشير الى المراحل الاخيرة من تطور (الحضارة) ، وعلى كل حال فلو استثنينا العالم الاجتماعي وليم اوكون الذي يرغب باستعمال كلمة الحضارة لانها تتضمن حكما خلقيا ومقاييس ذاتية نجد كثيرين من علماء الاجتماع من يفرق بين المدنية وبين الحضارة ، فليس من المعقول اذن استعمال احدهما بدلا عن الثانية لوجود اختلافات كبرى بينهما .

وهنا لابد من الاشارة الى نظرية التحول الاجتماعي التي نادى بها العالم الاجتماعي وليم اوكون لكي نلقي الضوء على عمليات التحول الاجتماعي في المجتمع بصورة اكثر وضوحا .

لقد اشتهر العالم الاجتماعي وليم اوكون في نظريته عن التحول الاجتماعي ، وحسب هذه النظرية ان التغيرات التي تحدث في حضارة اي مجتمع من المجتمعات تكون هناك فجوة GAP يدعوها وليم اوكون بالتكلوء الحضاري والتي يعني بها ان التغيرات المادية في الحضارة اسرع في وقوعها من التغيرات التي تطرأ على الحضارة غير المادية ، وتنص هذه النظرية على ان الحضارة شيء عضوي اشتقت من الافكار الكلاسيكية الاغريقية حول المجتمع وتحليله المنطقي . وتعتقد نظرية التكلوء الحضاري ان التغيير يسير في اتجاه طولي ثابت ، وهنا تتفق هذه النظرية مع النظرية الحديثة الثلاثية لتغيير الاجتماعي التي اعتقد بها كل من العالمين الفرنسي اوگست كومت والانكليزي هربوت سبنسر .

ويعتقد وليم او كبرن ان التقدم في صناعة الآلات التكنولوجية يعطي
التغير الحضاري اتجاهها طويلا بمرور الزمن ، الا ان التغير هو عملية قابلة
للزيادة والتراكم ، وعليه فأن الهبات المتراكمة التي تمنحها الاجيال للحضارة
تستخرج من الاختراع ، وهذا ينتج من داخل المجتمع او عن طريق الانتشار
الذي يأتيه من الخارج

في الحقيقية ان الاختراعات تعتمد على نوعية القاعدة الحضارية
الموجودة في المجتمع وعلى القيم الاجتماعية المشجعة للاختراع .

ان المجتمع قد يعارض فكرة قبول الاختراعات خصوصا اذا كان
الاختراع مفيدا للمجتمع ولم يبرهن نفسه على ان لديه القدرة على تغير المجتمع
وقلب نظام حياته ، كما ان الاختراعات تقاوم من ناحية اخرى لكونها تتعلق
بزعزعة القطاعات الحضارية الاخرى ، او بسبب تكاليف الاختراع او بسبب
ظهور المصالح الشخصية التي تتعارض مع الاختراع لانه يعمل على تغييرها .

ويضيف وليم او كبرن قائلا : انه في المستقبل البعيد سوف تسير مكونات
الحضارة المادية وغير المادية (المعنوية) بدرجة من الانسجام في تقبلها للتغير
في المجتمع . وبفضل الاختلافات التي تقع في منظمات المجتمع بشأن مدى
سرعة تكيفها للتغير الحضاري بشقيه المادي والمعنوي .

يمكن استعمال وتطبيق نظام التلكوء الحضاري في شرح مصادر بعض
المشاكل الاجتماعية التي يمكن معالجتها . وبذلك يمكننا اعادة تأسيس البيئة
الاجتماعية عن طريق احداث تغيرات سريعة في المؤسسات الخاصة في المجال
الحضاري غير المادي ، وبنفس الوقت ضبط وتقييد سرعة معدل التغير في العلم
والتكنولوجيا . ومع هذا فأن وليم او كبرن يدعي بأن المشاكل الاجتماعية
والتوترات النفسية يمكن ان يسيطر عليها عن طريق احداث تغيرات في تركيب
المجتمع (١٣) .

(١٣) علم الاجتماع احسان محمد الحسن ص ٢٩٩-٣٠٣ مطبعة اوفسيت بغداد
١٩٧٦

ولو اخذنا نظرية التلكؤ الحضاري التي جاء بها العالم الاجتماعي وليم
او كبرن و طبقناها على المجتمع العراقي لوجدنا بأن هذا المجتمع منذ عام ١٩٥٠
استطاع احراز درجة محسوسة من التقدم والتطور في النواحي الاقتصادية
والعلمية والتكنولوجية ولكنه لم يحرز نفس الدرجة من التقدم والتطور في
النواحي الفكرية والمثالية والقيمية ، ولذلك فالتوازن الاجتماعي يصبح
غير متكافئ . الا اننا نستطيع القول هنا بأن المجتمع العراقي يستطيع احراز
التقدم في شتى المجالات الحضارية والمادية والتكنولوجية^(١٤) فيما اذا نجح
بتحقيق التوازن الاجتماعي عن طريق احداث تغيرات في تركيب المجتمع .

وقد بدأ القطر العراقي يسير قدما نحو تحقيق التوازن الاجتماعي بفضل
الخطط الحكيمة التي وضعتها القيادة السياسية في القطر فنلاحظ انه في الوقت
الذي تقوم فيه (السلطة) بأنشاء وتوسيع المصانع ، تركز اهتمامها ايضا على
الجوانب الاخرى ، حيث انها بدأت تهتم بنشر الثقافة عن طريق دور الثقافة
الجهائية ، كما انها اهتمت بالفنون وأولتها رعاية خاصة ، اضاف الى اهتمامها
بالناحية التعليمية ، حيث اننا نلاحظ محاولتها القضاء على الامية في جميع انحاء
القطر ، كما انها جعلت التعليم الزاميا ومجانيا لجميع المواطنين .

اثر القسم المادي من الحضارة على القسم المعنوي

لاشك ان الانسان اذا ما اهتم الى اختراعات حديثة ومتطورة في
المجال المادي - التكنولوجي - من حضارته فأن هذا ولا ريب يعمل على تغيير
عاداته وآساليه ووجهة نظره في الحياة ، وقد زرع اعتقاده بالقيم القديمة .

(١٤) بحث المشكلات الاجتماعية لعناية نقل التكنولوجيا - للدكتور احسان محمد
الحسن من جريدة النورة عدد ٢٩ والصادر بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢٤ بغداد
بحث القى في مؤتمر التنمية الاقتصادية (اكتات) في ٢٦ شباط عام ١٩٧٩

ان اثر القسم المادي للحضارة كبير في القسم المعنوي منها ، فأن كان التبدل سريعا وجذريا اضطربت بنية المجتمع وأختلفت مقاييسه .

لهذا يبدأ الناس في المقاومة الاجتماعية خوفا من حدوث تبدل فيما لديهم من قيم ومن تراث ، فيسود القلق ويعم الاضطراب (١٥) .

وسرعة التقدم المادي على التقدم المثالي والروحي والقيمي التي تحدث في الدول النامية وتسبب مشاكل وتحديات خطيرة يسكن ان تعالج معالجة ايجابية وذلك من خلال تسريع تغيير الجانب الروحي والقيمي للمجتمع كتغير عاداته وتقاليده وأفكاره التي يحملها ازاء المرأة مثلا او العمل الحر او الانتماء الديني او التعصب او الانتماء او الانحدار الطبقي ... الخ .

واذا ما تعادل التقدم المادي مع التقدم المثالي والروحي للمجتمع فأن المجتمع سيتخلص من معظم مشاكله وهمومه ، وهنا يستطيع الفرد من تحقيق اهدافه وطموحاته التي هي أهداف وطموحات المجتمع الكبير . واذا ما استطاع المجتمع من تحقيق طموحاته القريبة والبعيدة الا ان فإنه سينتقل الى مرحلة حضارية متطورة تختلف عن المرحلة التي كان فيها سابقا .

W. F. Ogburn, Social Change, University of Chicago, Chicago, p. 234. 1926.

المصادر العربية

- (١) معجم العلوم الاجتماعية للدكتور ابراهيم مذكور سنة ١٩٧٥
- (٢) علم الاجتماع للدكتور احسان محمد الحسن مطبعة اوفسيت بغداد ١٩٧٦
- (٣) سلطان ناجي « مظاهر الحضارة القديمة في محاولة تطبيق التفسير النوينبي عليها » من مجلة افاق عربية العدد الثاني ، السنة الرابعة تشرين الاول سنة ١٩٧٨
- (٤) بحث المشكلات الاجتماعية لعملية نقل التكنولوجيا للدكتور احسان محمد الحسن من جريدة الثورة عدد ٢٩ والصادر بتاريخ ١٩٧٩/٥/٢٤ بغداد .
- (٥) د. عبدالجليل الطاهر . المشكلات الاجتماعية - مطبعة دار المعرفة - بغداد ١٩٥٣ .

المصادر الانكليزية/-

1. A. L. Beals Khoiser, The Macmillan Co., New York 1959. An Introduction to Anthropology, Third Edition.
2. W. F. Ogburn, Social Change, University of Chicago, Chicago, 1926. p. 234.
3. Community and Association (Gemeinschaft and Gesellschaft) By Ferdinand Tonnies, Translated and supplemented by Charles P. Lodmis, London, E. C. A. 1955.
4. Edited By Harry L. Shapiro, Man Culture and Society (London: Oxford Univ. Press 1971). p. 208.
5. Edited By Richard Kluckhohn Culture and Behaviour (New York the Free Press 1962) p. 25.
6. Mischa Titiev, Introduction to Cultural Anthropology (New York Henry Holt and Company 1959). p. 11.

من روائع العمارة الاسلامية في اليمن القبّة البكرية في صنعاء

د . غازي رجب
كلية الآداب - جامعة بفسداد
قسم الآثار

لقد اتجه العثمانيون - بعد قيام دولتهم وتثبيت أركانها - شرقا وغربا لفتح البلاد وبسط سلطانهم عليها . وقد افلحوا في اخضاع مصر والشام وبلاد الجزيرة العربية بما فيها بلاد اليمن . الا انهم عجزوا عن تثبيت سيطرتهم على اليمن وبقيت سلطتهم مهزوزة بسبب المقاومة العنيفة التي ابداه اهلها . لكن لهذا لم يمنع العثمانيين من تشجيع الفنون والعمارة في البلاد التي حكموها حتى يضمنوا بقاء بصابتهم عليها ويصبغوا بطابعهم فنونها ويؤطروا عمارتها بأسلوبهم المميز في هذا المضمار . لهذا فقد ازدهر على ايديهم طراز فني متميز في معظم اجزاء امپراطوريتهم الهرمة التي دب اليها الضعف منذ نهاية القرن الثاني عشر الهجري (١٨ م) .

وقد انشيء في اليمن خلال فترة السيطرة العثمانية عليها عدد من القلاع والاسوار التي استخدمت للدفاع ، كما بنيت القصور والمساجد ومنها القبّة البكرية موضوع بحثنا هذا .

بنيت هذه القبّة أصلا لتكون مدرسة ومسجدا وسميت بالبكرية نسبة الى بكير اغا احد مساليك الباشا حسن واحبهم اليه^(١) ، والذي شاءت له

١ - العجوري : مساجد صنعاء ص ١٧ ، زبارة : ائمة اليمن بالقرن الرابع عشر
ق ١ ص ١٤ .

الأقدار ان يسقط من فوق فرسه ويسوت لحينه في ميدان قصر صنعاء .. كما يروى .. فرغب الباشا حسن بدفته في المدرسة الا ان بعض خاصته اشار عليه ان يتركها مسجدا ويدفن بكير في مكان آخر خارجها فبني له نبة صغيرة الى جانبها لعلها الغرفة التي يؤدي اليها باب صغير من داخل المنسى^(١٢) .

وقد اقيمت القبة على مقبرة دارسه رفعت منها عظام الموتى قبل بنائها^(١٣) بأشراف بكير نفسه^(١٤) سنة ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م . كما هو مدون في حنية محراب القبة .

« وفي الفتح تأريخه يلوح نورا سامعا »

وسجله ايضا محمد بن عبدالله بن الامام شرف الدين بالشعر الاتي^(١٥) :

شاد الوزير جامعنا يلوح نورا سامعا

وقد اتى تاريخنا لكل خير جامعنا

وبنى بكير ابي الجوار القبة حسانا وبعض البيوت^(١٦) جعلها وقفا عليها .. فكانت القبة ومدخلها من أعجب المباني التي سميت في اليمن أثناء حكم الاتراك العثمانيين فقد توجهت اليها الانظار وكب في جبالها ومحاسنها في القرن الرابع عشر الهجري مفاخرات ومدبرات ومفاكرات منها رسة الطراز المذهب فيما بين البكيرية وجوامع صنعاء ومسجد المذهب « القاضي علي صالح بن ابي الرجال (ت ١٣٣٥ هـ / ١٧٢٢ م)^(١٧) . وبعض بناء هذه

٢ - زيارة : ائمة اليمن ق ١ ص ١٤ . يحيى غايه الاماني ص ٢٥٨ .

٣ - زيارة ائمة ق ١ ص ١٤ .

٤ - انجرافي . المتخلف من تاريخ اليمن ص ٩١ . يحيى . ثناء ص ٢٧٩ .

٥ - انجرافي ص ٩١ . انجري ص ١٧ .

٦ - انجرافي : ص ٩١ . زيارة : ائمة اليمن ق ١ ص ١٤ .

٧ - زيارة : ائمة اليمن ق ١ ص ١٤ .

٨ - زيارة : نشر العرب ق ١ ص ٦٨٢ . م ٢٢٥ .

انقبة ضالة تأثير الاثراك الذين حكموا اليمن منذ القرن العاشر الهجري.
(١٦ م) على الفنون العمارية على الرغم من أنهم لم يألوا جهدا في سبيل تترك
هذه الفنون .

ومن أوسع الترميمات التي انجزت في هذه القبة هي التي أمر بها
السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد خان . ففي سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م
اكمل الاثراك ترميم وتزويق المسجد^(٩) وفرشه بالمفارش وازاد منبر رخامي جميل
اليه وترخيم جميع صحن القبة^(١٠) . وقد دون تاريخ الانتهاء على الباب
الغربي للقبة هو ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م . وفي سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م توفي
الوالي محمد عزت باشا ودفن الى جوار القبة الكبيرة وعمر على قبره وكيله -
المتصرف أحمد رشدي باشا - قبة ثنالي الداخل الى صحن الجامع من
الميدان^(١١) .

وقد جرت على هذا المسجد ترميمات لم تخرجه عن طابعه الاصني
واخرها كانت في السبعينات من القرن العشرين .
المدخل

يتوسط جدار المسجد الغربي مدخل ضخم ذو قوس منبسط يؤدي
الى صحن مستطيل طوله من الشمال الى الجنوب ٥ ر ٢٤ م وعرضه ٥ ر ٢٠
وعلى واجهة المدخل الخارجية مستطيل غائر واربعه المباقي زخرفية .

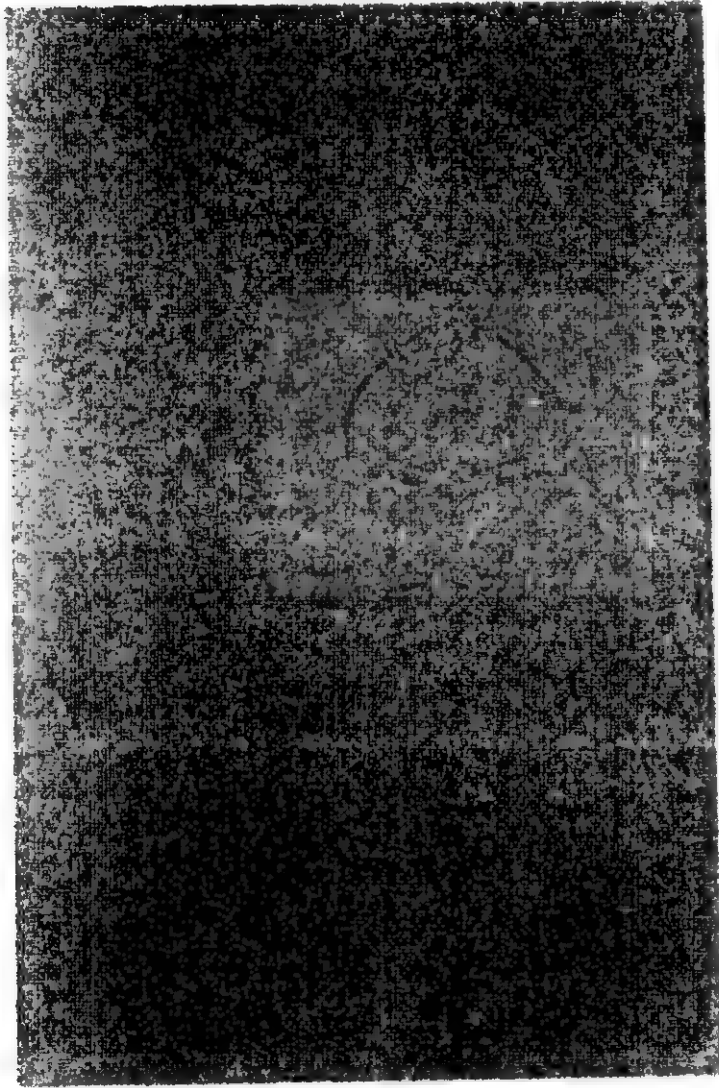
ويعلو المدخل من جهة الصحن ومن الخارج قبة نصف كروية ترتكز
في كل جهة على ثلاثة عقود : الشمالي والجنوبي فيها صغير مدبب مطول
والشرقي والغربي منها أكبر وجميعها تبدأ بيروز جميل ومبنية بصنح زوجية

٩ - زبارة : امة اليمن ق ١ ص ١٤ . Scott, In the High Yemen. p. 125.

١٠ - الحجري ص ١٧

١١ - زبارة : امة اليمن ق ١ ص ٢٠ . الجرافي ٩٧

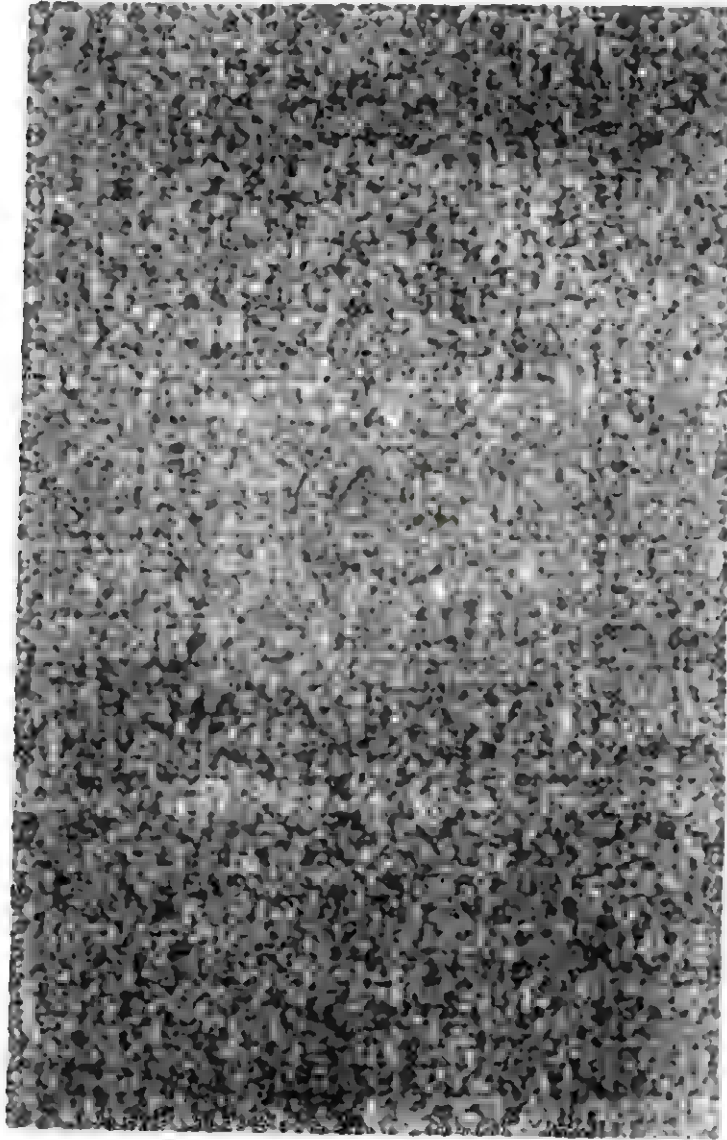
بالمونير الاسود والابيض بالتناوب وتؤلف هذه العقود بسجوعها قاعدة
مربعة طول ضلعها حوالي ٥٧ حوزا املاها الى مشن يحصل التربة وبنوا
واجبانيها شرفات مفصصة تسعة منها في كل ضلع عدا شرفات الاركان
(شكل ١ وشكل ٢) •



(شكل ١) المدخل من الخارج

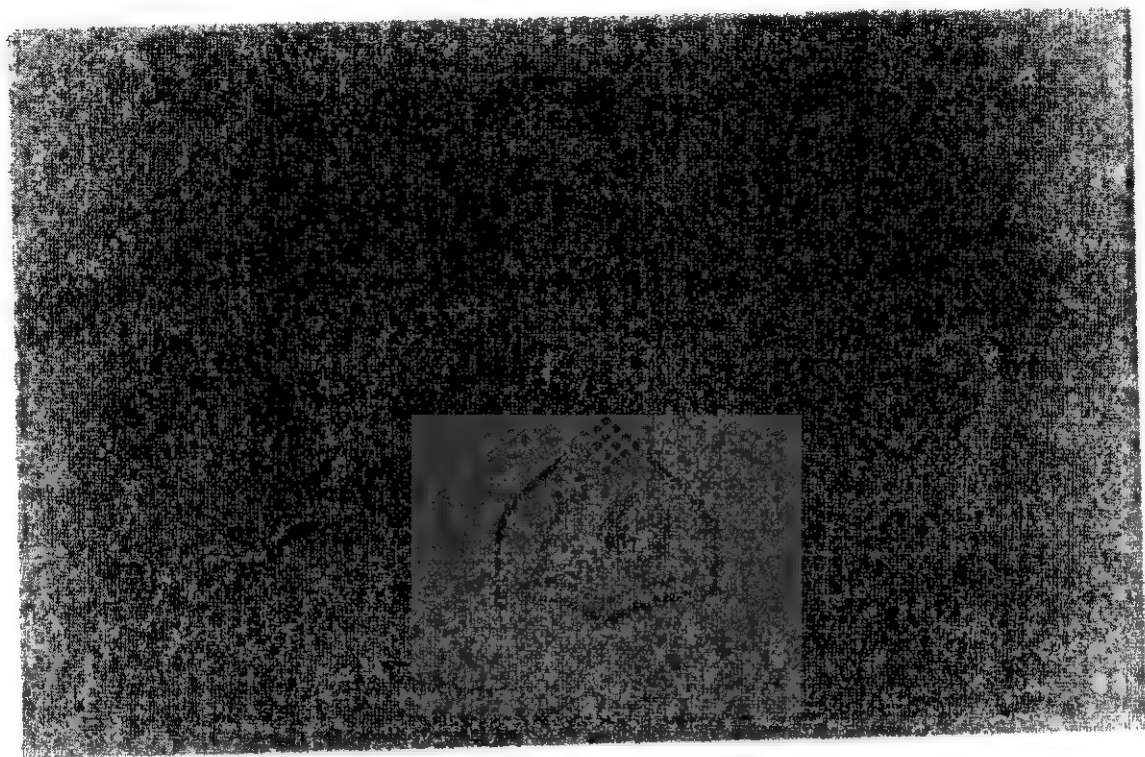
الرواق الامامي

يتقدم بيت الصلاة رواق كبير عرضه حوالي ٢٠ م وعمقه حوالي ٦ر٥ متر مفتوح على الصحن بثلاثة عقود قائمة على عمودين من الحجر الاسود يعلو كل منهما قاج كاسي .



(شكل ٢) المدخل من الصحن

ويغطي سقف هذا الرواق ثلاثة قباب جميلة كسيت بأصناف رخارف
جصية دقيقة الحفر أجملها يغطي القبة الوسطية منها على شكل طاقات مسطحة
فيهما رخارف نباتية وهندسية وكتابات (شكل ٣) •

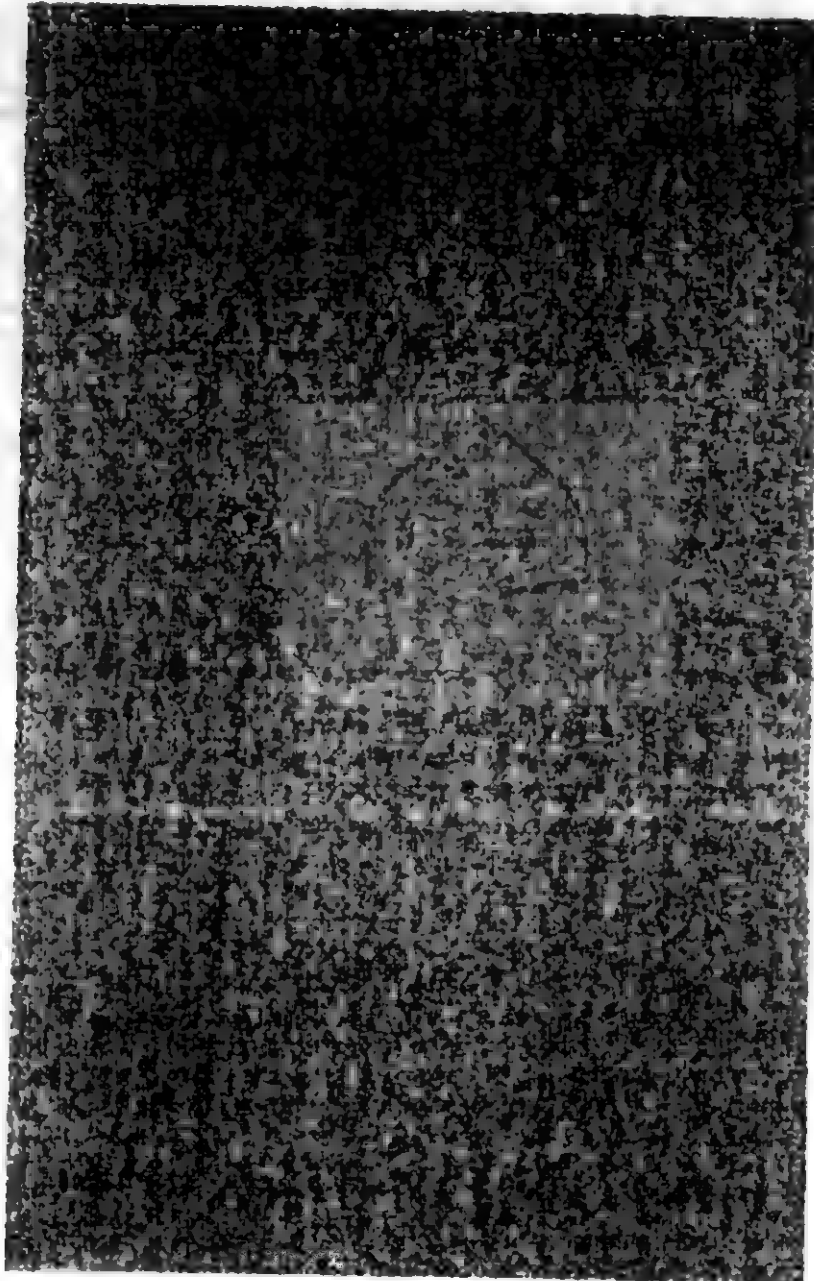


(شكل ٣) الرواق الامامي

وارضية الرواق مرتفعة تغطيها الواح الرخام ويقطعها مسرين منخفضين
في بابي المصلى عرض كل منهما من الخارج ١ر٤٨ م ومن الداخل
٣ر٥٦ م ولكل منهما قوسان العلوي منها منقوش معلق يتوسطه في الباب
السري رخامي عليه طغراء بأسم السلطان عبدالحميد وكلمة « الغازي »

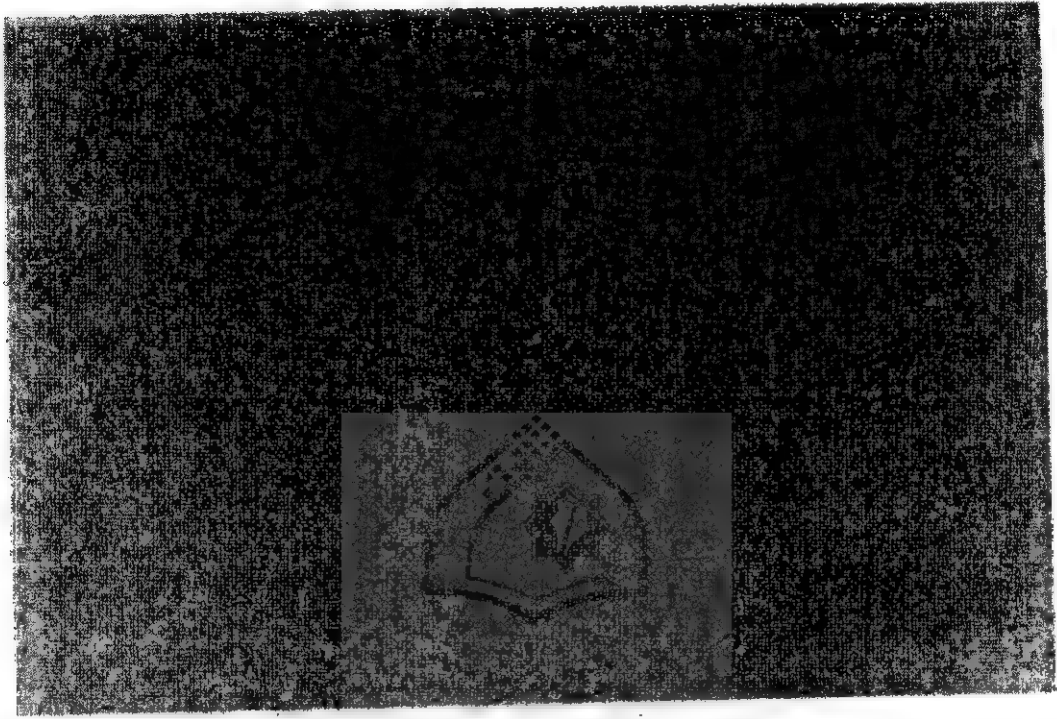
الى جانبه (شكل ٤) - ويتوسط قوس الباب الغربي لوح مشابه عليه شعرا
يؤرخ اتنام تعبير المسجد (شكل ٥)

ذا جامع نعيمه جامع للفتح والنصر لئذاك النجيب
عبد الحميد الديو سلطانا سيف رسول الله ذاك الحبيب
لذا أنى تاريخ اتنام نصر من الله بفتح فريسيب



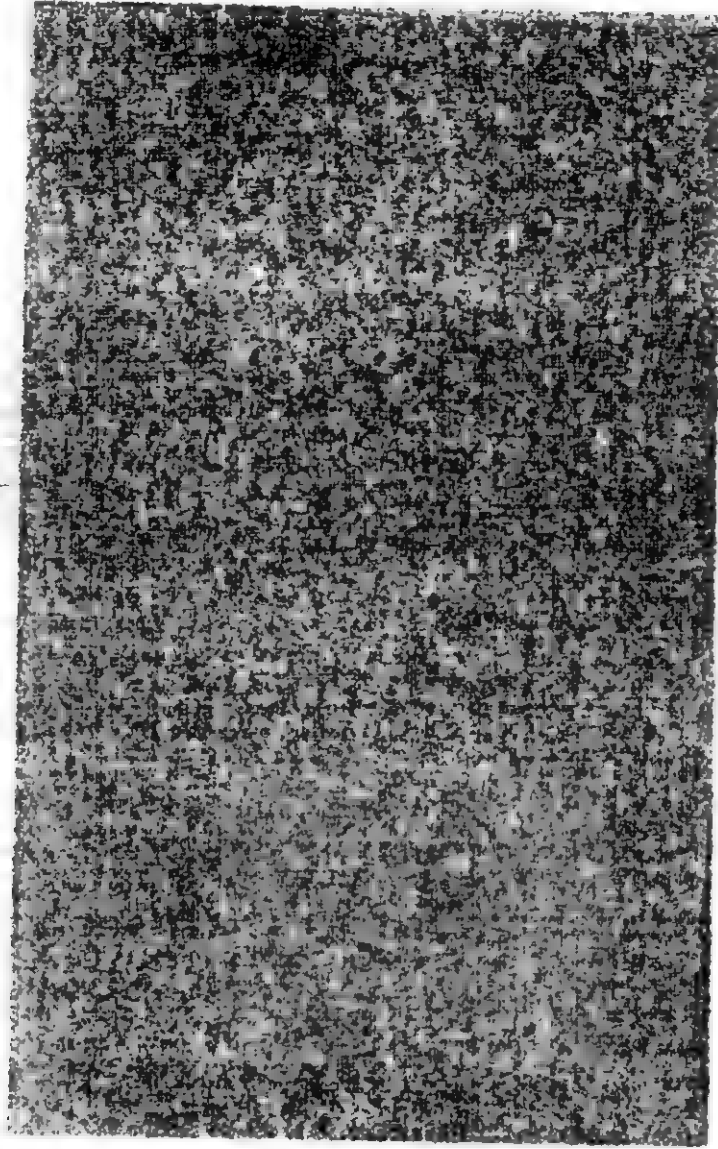
(شكل ٤) المصلى : المدخل الشرقي

ويزين هذين المدخلين من الداخل زخارف محفورة حصيرة ولجندولة
وجامات متعددة الاشكال غاية في الروعة والجمال وفي اعلاها شرافات
(شكل ٦) .



(شكل ٥) المصلى : قوس المدخل الغربي

وفي الجدار الجنوبي للمصلى أربعة شبايك كبيرة تطل على الرواق
أحدها في أقصى الشرق والثاني في أقصى الغرب وشباك في الوسط ويعلم
هذه الشبايك زجاجية مصلى شريط عريض دخله البسلة وآية الكرسي .
وفي الجدار الشرقي لهذا الرواق باب صغير كان يؤدي إلى المذبة
القريبة من على الغالب . أما الجدار الغربي فبجانبه فتحة تطل إلى الشريح المجاور
خارج المسجد .



(شكل ٦) مدخل المصلى من الداخل

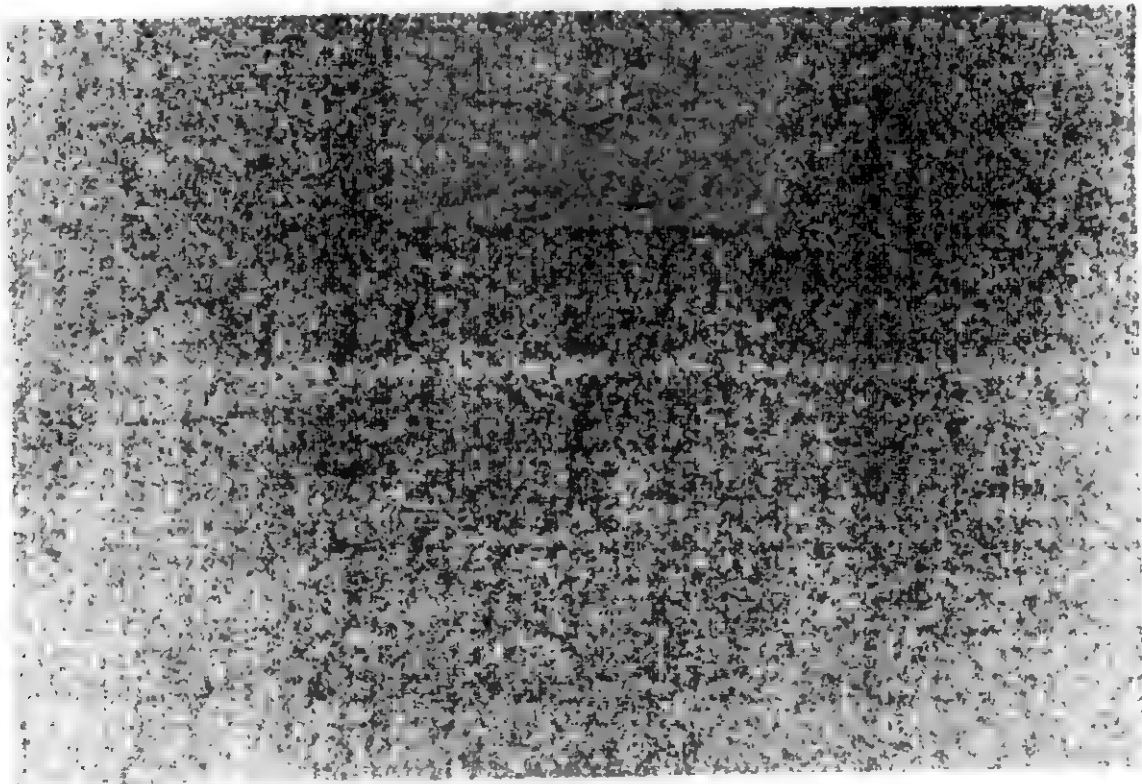
الابواب الخشبية لبيت الصلاة

وعلى مدخلي المصلى بابان خشبيان متشابهان يتكون كل منهما من مصراعين متشابهين وينقسم ثلاثة أقسام : العلوي منها حشوة كبيرة مستطيلة الشكل تتوسطها مطرقة معدنية ذات قاعدة مخرمة ويعلو هذه الحشوة ويدنوها شريط معدني ذو زخارف مخرمة وبارزة . أما القسم الاوسط فيتكون من حشوات صغيرة مثثة الشكل ومعيّنة مجبّعة الى جانب بعضها

لشؤون الجبال نجبية واخرى مسه جبية . . أما القسم السفلي فشيبه
بالقسم العلوي الا انه حال من الزخارف المعدنية ومن الطريقة وهذه الالهام
الثلاثة مصفحة من الداخل بلوحين ختبيين داخل اطار مجمر . اما قائم
الباب فهو يتولى الصراع الاليسر الذي يتصل به وشكله نفس اسطواني
الجزء العلوي والسفلي منه مستطيل الشكل .

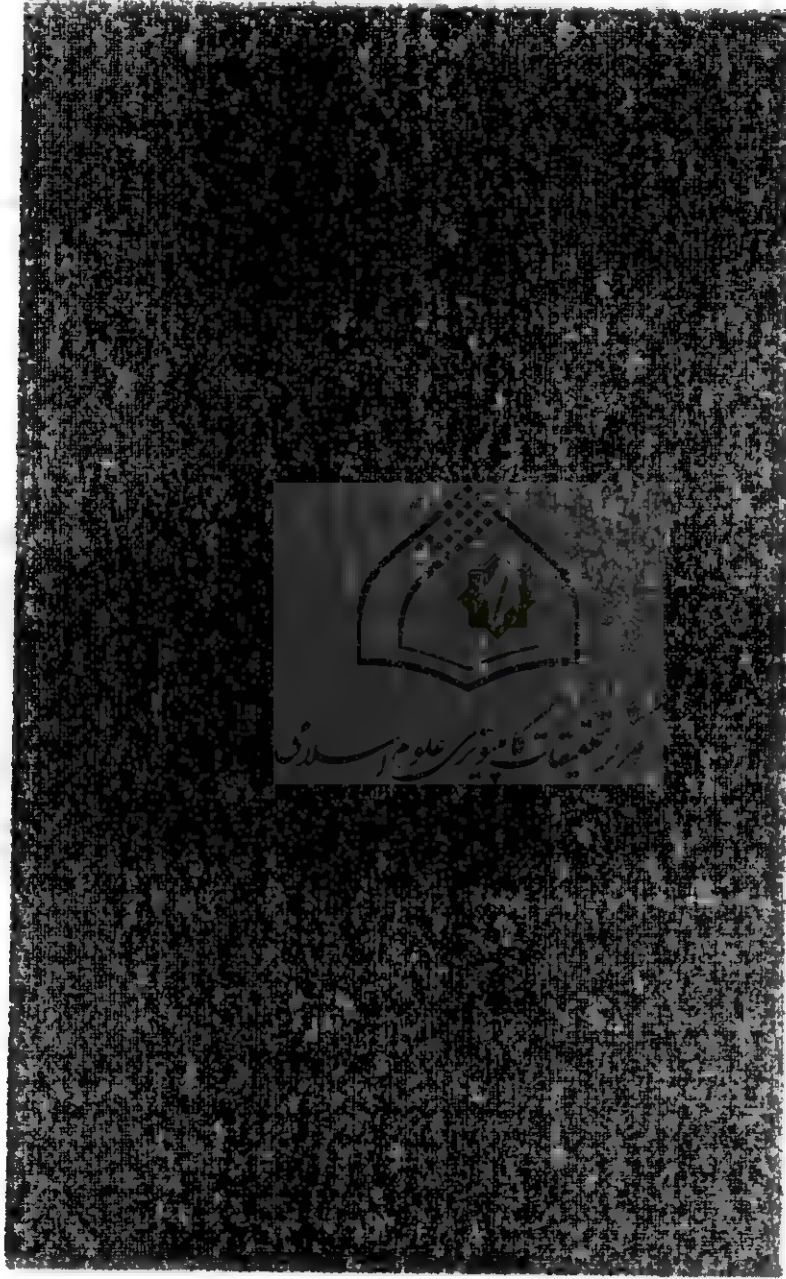
المصلى

والمصلى قاعة ضخمة مربعة الشكل طول ضلعها حوالي ١٧ر٢٥ م -
وبواسطة حنايا ركنية كبيرة حول الجزء العلوي منها الى مثن أفيم فوقه قبة
سخنة نصف كروية مغطاة بالقضاض يتوجها ثلاث كرات معدنية فائسة على
قاعدة معدنية مضلعة ويعلو الجميع هلال معدني - شكل ٧ - .



(شكل ٧) الباب المصلى عن الخارج

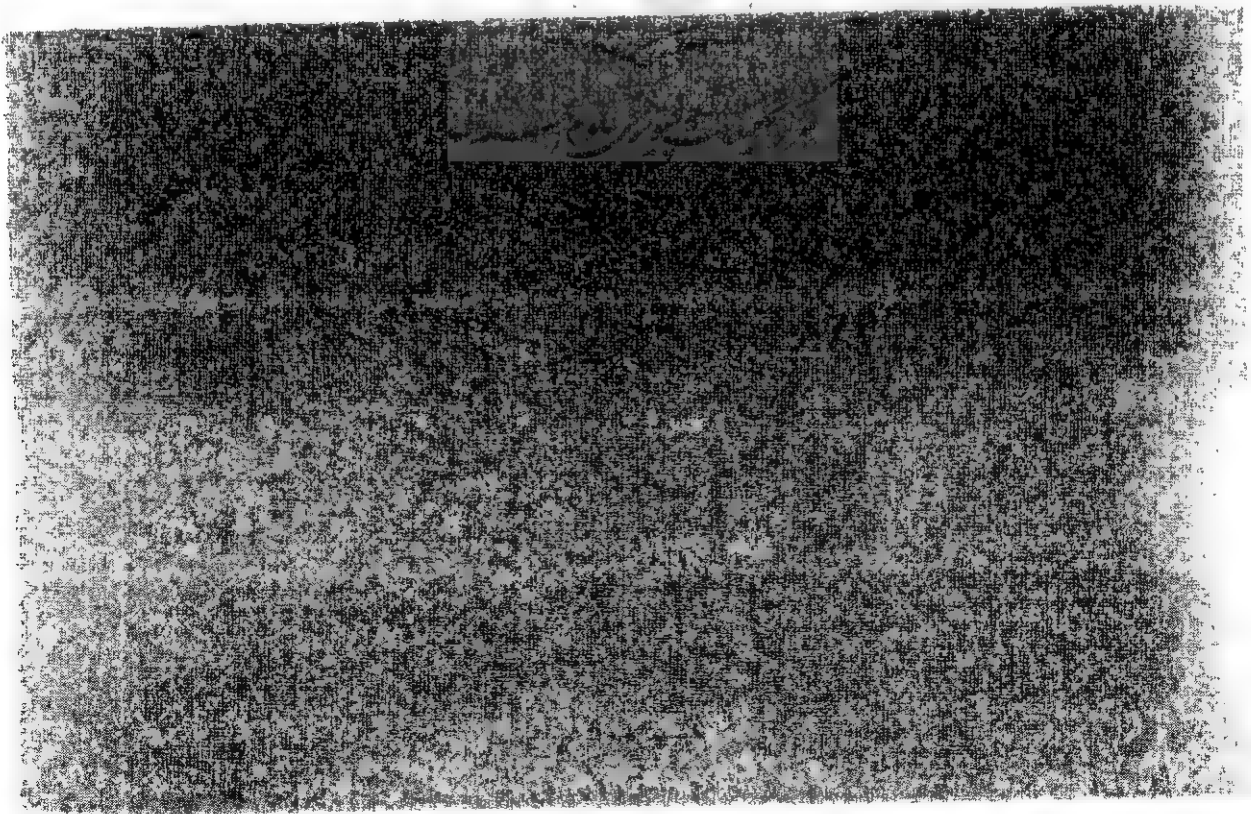
وفي الحنايا الركنية مقرنصات زخرفية من سبعة حطات بارزة على شكل
مواقد وعقود صغيرة مزخرفة بالالوان المائية يحيطها اشرطة مسننة ويتوجها
زخرفية نباتية من زهرتين متناظرتين واعصان ملتفة • والشكل العام لهذه
المقرنصات ستارة مدلاة ومربوطة من الاسفل (شكل - ٨) •



(شكل ٨) المقرنصات الركنية

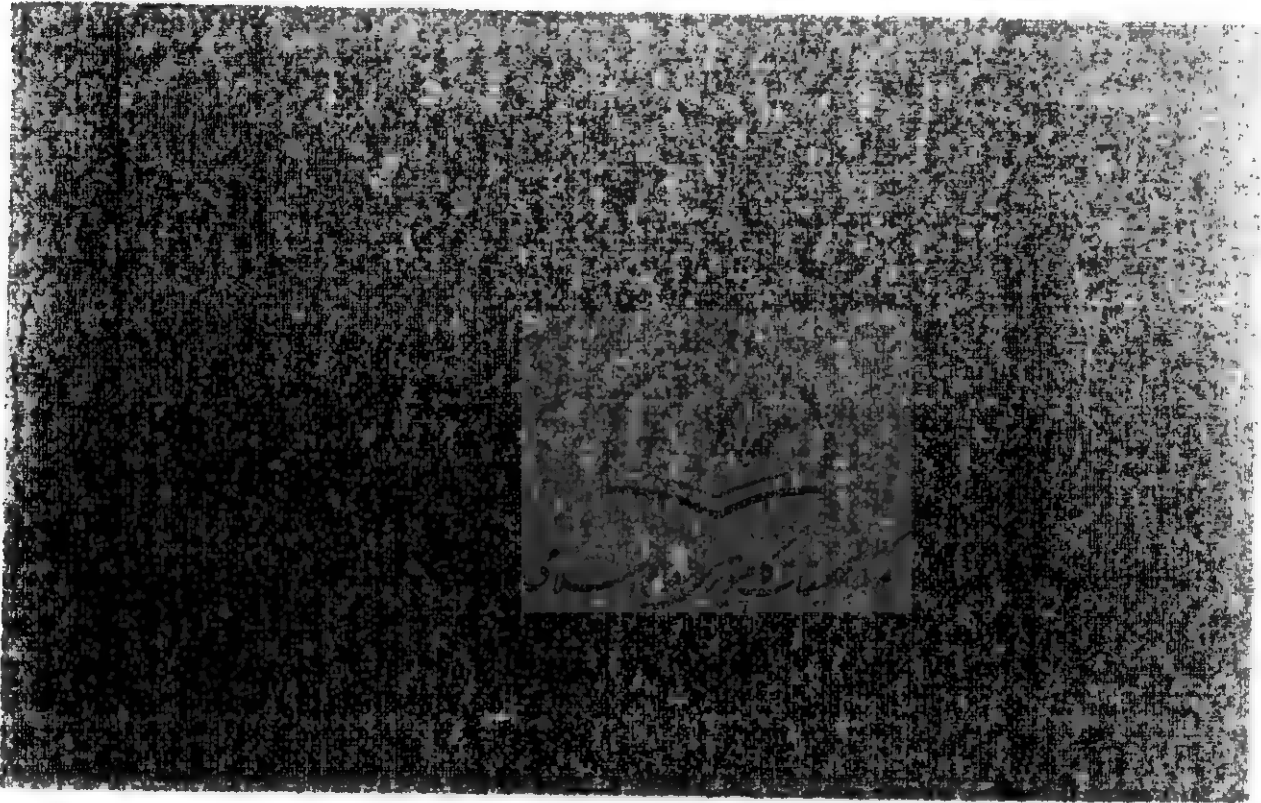
وقد رست أقواس الحنايا الركنية بالالوان على شكل صنج ملاصقة
وكذلك أقواس متناظرة على الجدران مع أعينها . وفوق هذه العقود تقوم
الرفية التي تحل القبة وهي ذات شكل دائري من الداخل ومشنه من الخارج
في كل من أضلاعها شباكين شفافين مديين بركن نافذة مغطاة من الخارج بستائر
خشبية (مشربيات) لا زالت آثار بقاياها باقية في الجدار الغربي ومن الداخل
ثبت في أعلاها سارية خشبية مخروطة مطرزة بالزجاج الملون وأسفلها الواح
زجاجية كبيرة داخل إطارات خشبية من الشكل الشائع في العصر التركي
العثماني ويحيط بهذه الشبايك إطار زخرفي ورسوم بالالوان والجص ويزين
المساحة بين كل شباكين وكذلك كوشات العقود زخرفة بالالوان أساسها
ورقة الاكاتس وطبق دائري داخل إطار مضلع .

ويعلو الشبايك شريط زخرفي على شكل شرافات يعلوه زخرفة رائعة
تكون من آنية جميلة ذاتة على قاعدة مستطيلة تنفج بأنواع الفواكه (شكل
٩) .



(شكل ٩) الأقواس المرسومة والنوافذ والانتزعة الزخرفية داخل المصلى

اما قمة القبة فيزيئها جامة كبيرة نصبيه السكون ربي وسنبل زهره كبيرة
داخلها كتابة بخط الثلث تتفلسن ابسسته وآية من القرآن الكريم ريسلاء الجامة
كلها زخارف نباتية متشابكة غاية في الروعة تدل على مهارة الفنان وبراعته في
انجازها وفي استخدام النمل والنور لابرارها محسنة (شكل ١٠) • ودائش
العتود وفوق الباب المفتوح في الجدار الشرقي زخرفة نباتية تتكون من غصنين
متقابلين بينهما زهرة كأسية كبيرة ••



(شكل ١٠) قمة القبة من الداخل

ويتدلى من باطن القبة حلقات وسلاسل معدنية تحمل ثريا ضخمة تتكون
من اطار معدني ذي اثني عشر ضلعاً داخله اطار اخر ذي ثمانية أضلاع علق به
قناديل زجاجية بينها بيض للنعام اربعة منها في الاطار المثلث وستة في الاطار
الخارجي •

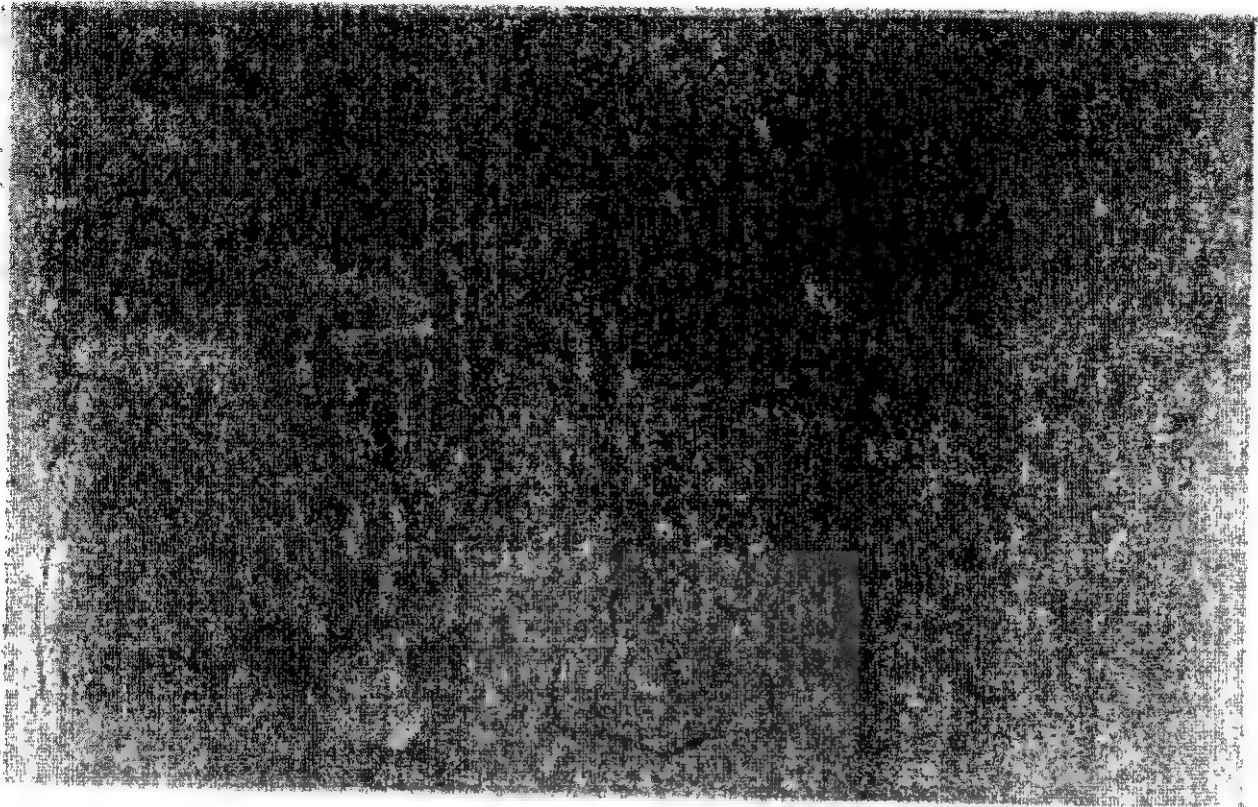
وفي جدران المصلى نوافذ كبيرة (٢ × ٢٤م) على ارتفاع متر واحد تقريباً اثنان منها في جدار القبلة وشباكاً في الجدار الغربي وأربعة شباك في الجدران الجنوبي وشباكاً آخران في الجدار الشرقي داخل الرواق الداخلي وهذه الشبايك تتشابه مع بعضها في التخطيط العام فهي ذات فتحات مستطيلة يعلوها قوس أصم فوقه أفرز مستطيل ويحيط بالجميع إطار يعلوه صف من الشرفات المتصلة به . أما التنسيقات الزخرفية ففيها تنوع واختلاف وتتكون عموماً من عناصر نباتية وهندسية وكتائية إضافة الى زخرفة خاتم سليمان التي أقبل عليها الفنانون في اليمن اقبالاً شديداً .

والفتحة الخارجية لهذه الشبايك مغطاة بمشبكات معدنية وزينها من الداخل عقود صماء متنوعة الاشكال ويغطيها بابان احدهما خشبي والاخر زجاجي والى جانب هذه الشبايك بنيت في الجدران رفوف صغيرة تعلق بابواب خشبية صغيرة .

الرواق الداخلي

وفي النصف الجنوبي من الجدار الشرقي للمصلى رواق عمقه ٥ متر ويطل على المصلى بمقدين مديين فتحة كل منهما حوالي ٢٠م ويرتكزان على دعامة ضخمة مشنة الشكل يعلوها دح مربع في كل من زواياه ثلاثه مترات رداً لهذا الرواق قوس ثالث يرتكز على الدعامة من جهة وعلى الجدار الشرقي من جهة أخرى ينقسم الرواق الى قسمين اقيم فوق كل منهما قبة بعد ان حولت قاعدتها الى مشن بواسطة مثلث كبير في كل زاوية . ويتدلى من سقف القبة الشمالية منهما فانوس غريب كبير مشن الشكل تعلوه دعامات صغيرة وعليه زخارف محفورة .

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الرواق كرسي خشبي جميل شكله
ربع دائرة لعله استخدم في الارشاد والقاء الدروس في هذا الجزء من المسجد
(شكل ١١) •



(شكل ١١) الرواق الداخلي

المحراب

وبتوسط الجدار الشمالي من النصف المحراب محراب بسيط الشكل يعتبر
لوحة فنية دائرية في بنائه وزخرفته يشبه آثار جندسي قلندر تبرز وتوجهه موزعة
فيه موزعة نسبة الارتفاع على الجدران، وفي بناء المحراب رسمت بالانوار
ويتميز برسم ثلاثة كرات وعلامة و... وغيرها من الرسوم داخله كتابات ومرات
اسفله في كل من زاويتي واجبه المحراب اربعة كبيرة صافيه الى اشعة دائرية
صغيرة في الوسط •

وحنية المحراب آية في الروعة والجمال عرضها ٢٢٠ م على كل من جانبيها عمود ارتفاعه ١٣٥ م تعلوها نصف قبة مخروطية مخرطة مقرنصة بخمسة حطات ونههي في اعلاها بنصف قبة صغيرة مضلعة . . وتبدأ هذه الحطات على شكل اقواس صغيرة كتب داخلها بعضا من أسماء الله الحسنى ويتدلى منها رسوم ستائر مربوطة الاطراف وأسفل هذه الاقواس أفريز كتابي شعري داخل جدران مربعة نصه :

وزير كريم غدا	حبا أفاض الندا
فكم عابد زاهد	به ود ان يعبد
وفي فتح كل المال	ك أحيى وأفي العدا
واشراق نور القبول	أهم فيه صدقا بسدا
بنى جامعنا للا	له وطرزه عجبنا
وفي التفتح تاريخه	تراهم ركبا سجدنا

واكتب هذه الايات جانة نصها : تاريخ تغية هذا الجوامع الالام سنة ١٢٩٧ هـ ،
 « غزوي عبدالحميد ثاني » وعلى جانبيها وأسفلها رسوم ستائر جميلة بنيت
 ذات طبيعة البيزنطية لونها عاجي وطياتها باللون الرماني الجيبي ونرى
 ألوانا أخرى منها الأزرق والذهبي والرماني وغيرها فوق الأرضية والخزف
 والاقواس والكتابات تجعل من هذا المحراب نصفه قبة مخرطة / شكل ١٢٠

ويبدأ عند جدار القبلة تسعتان في المساق كل مسافة تسعة م .

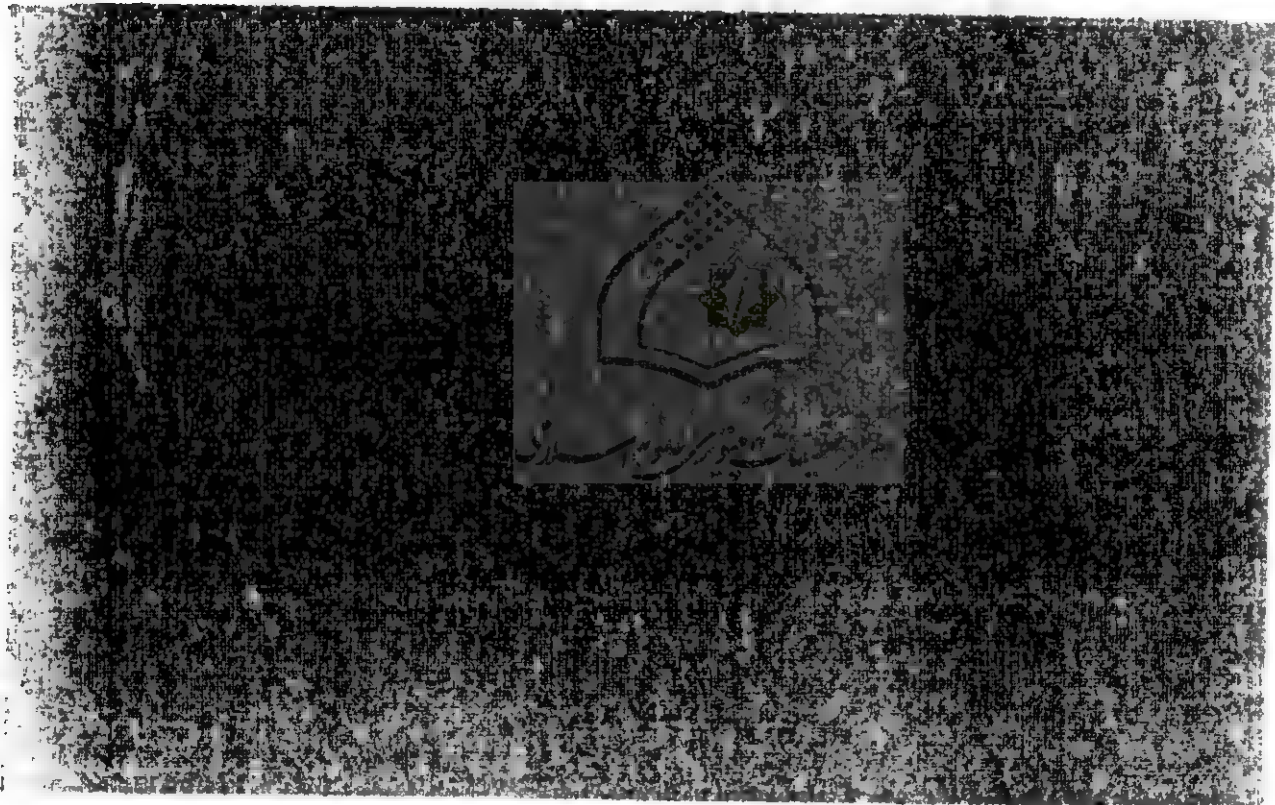
منذ من البرق الاصفر ليلهما يرجعان الى زمن السلطان عبدالحميد .



(شكل ١٣) المنبر

ارتفاع فتحة مدخل المنبر ٧٥ م وعرضها ٦٨ سم على كل من جانبيها
 العلم من الرصاص ومنه في زواياها الخارجية حديد مغطى مسير ، يعلو القلندر
 تتوسطه حجرة من حديد واحدة متحركة من أسفل كل من جهتيها وتحت
 الشريحة أسفل من الحارصات البسيطة المدعمة بالبرونز ، الرصاصية
 كبيرة وفيرة الكمية .

ويؤدي مدخل المنبر الى سلم من تسعة درجات ومقعد على كل من جانبيه
 سياج رخامي طوله ٢٩٥ م وعرضه ٥٩ سم مخرم باشكال سداسية تحيطها
 وحدات سدسة مكونة أطباقا نجمية مكررة وعلى كل من جانبي المنبر زخرفة
 رئيسية تتكون من مثلث كبير قائم الزاوية يتوسطه شكل مربع ذو زخرفة
 مخرمة جميلة يتوسطها قبة بارزة مضلعة يزين قبتها زهره كبيرة (شكل ١٤)
 وبناء المنبر مجوف وذلك واضح من خلال الزخارف المخرمة ومن البابين
 الصغيرين المفتوحين في جانبيه وارتفاع كل منهما ١٢٤ م وعرضه ٤٤ سم
 يعلوه قوس مدبب صغير يتركز على قائم حجري في كل من جانبيه .



(شكل ١٤) جانب المنبر

ويعلو مقعد المنبر قبة رخامية مشنة الاضلاع مخروضية مدببة شبيهة
 بقمم المآذن العثمانية وهي غاية في الجمال عليها كتابات نسخية بأصاء الله

انحسنى وزخارف هندسية وتتوجها كرة معدنية وهلال وهي قائمة على أربعة عقود صغيرة مدببة محمولة على اعمدة صغيرة مئمة الشكل ارتفاع كل منها متر واحد - عدا تاجه وقاعدته - ويحيط بأسفل القبة شرافات عليها زخارف مستديرة رائعة *

وعلى مدخل المنبر باب خشبي رائع جدا مغطى بالزخارف ويتكون من مصراعين بينهما قائم خشبي يتصل بالمصراع الايسر وكل من المصراعين يتكون من ثلاثة حشوات الوسطية منها مستطيلة يعاوها ويدلونها حشوة مربعة ..

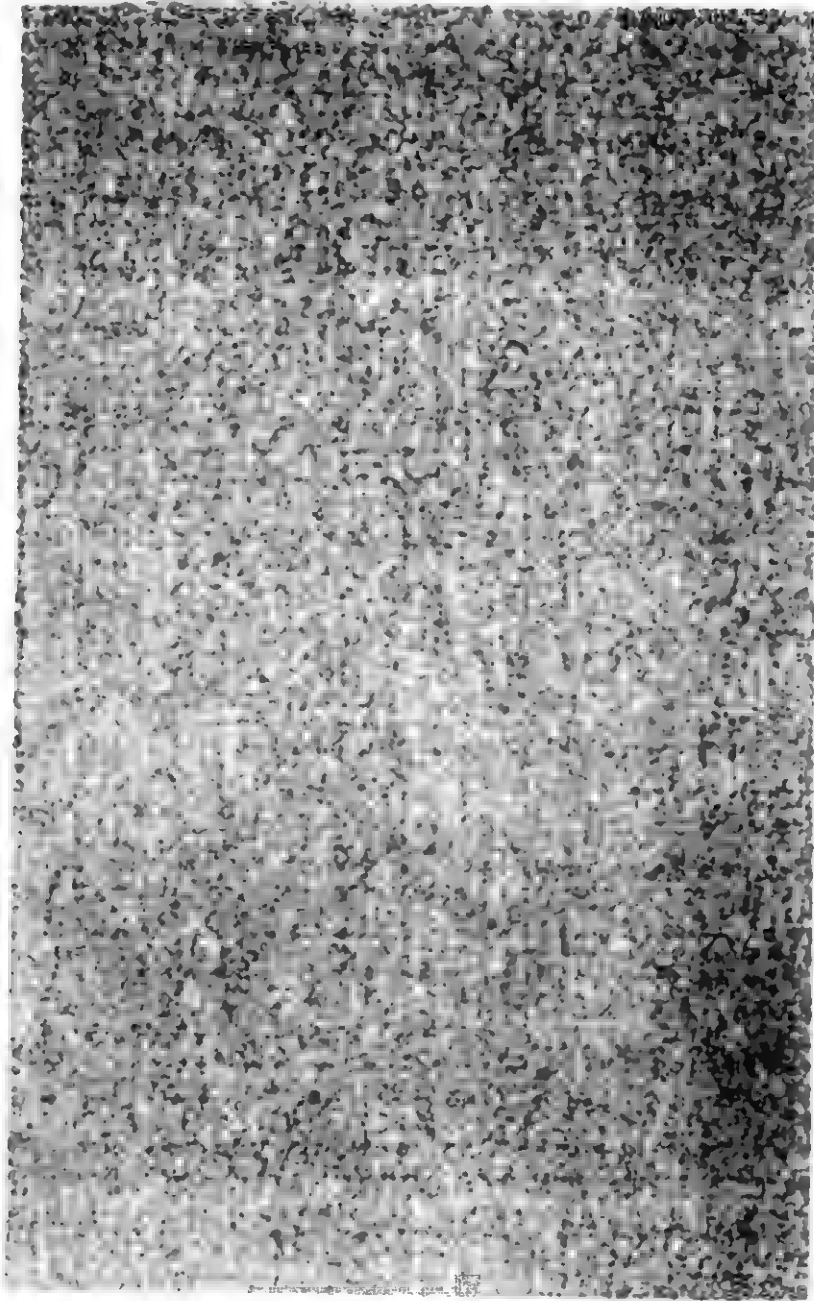
والحشوة المربعة زينت زواياها بعقد ذو ثلاثة فصوص وفي وسطها نجمة نباتية محيطها زهرات مرسومة باللون الذهبي على أرضية يغلب عليها اللون الاسود الفاتح ، أما الحشوات المستطيلة فيزين اعلاها واسفلها قوس مقصص تزهر زهرة القوس وتغطيها زخارف شبيهة بزخارف الحشوات المربعة . ويحيط بهذه الحشوات اطراف عليها زخارف نباتية على أرضية ذهبية داكنة ويتصل بالمصراع الايسر للباب قائم خشبي جميل مغطى بالزخارف الدقيقة *

ويحيط بهذا الباب كلها مدهونة بطريقة اللاكية (اللك) التي ازدهرت في القرنين السادس عشر والثامن عشر ونجد مثالا طيبا لهذا الأسلوب في باب قصر جهيل ستون في اصفهان يرجع الى نهاية القرن السادس عشر او بداية القرن السابع عشر وقد يفتن الخواص بطريقة زينة من الجص مرصوف بالفسيفساء الملونة من هذه المادتين الجصية من الجص والفسيفساء الملونة (شكل - ١٥) *

الزخارف الهندسية في القصور الإيرانية في القرنين السادس عشر والثامن عشر

١ - الزخارف الهندسية في القصور الإيرانية في القرنين السادس عشر والثامن عشر

٢ - الزخارف الهندسية في القصور الإيرانية في القرنين السادس عشر والثامن عشر

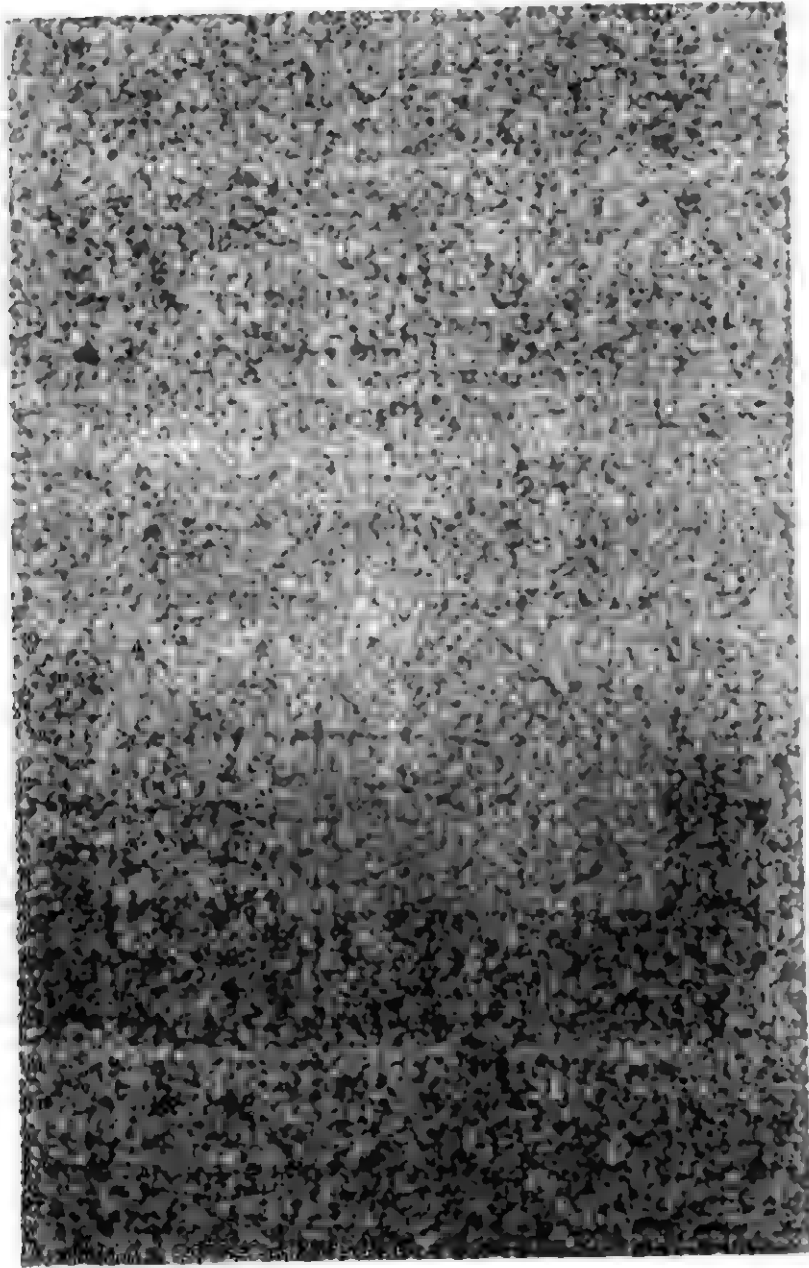


(شكل ١٥) باب النبر

المكبرية

ويين مسخلي بيت مساحته ١٠٠ متر مربع داخل يقوم المكبرية (ذلك المبنى) ملاصقة للجدار الجنوبي وتحتوي على ثلاثة أعمدة وخامسة عشر أربعة أفواس مقصوفة يزينها رسوم نبيية بالألوان المائية ويؤدي إلى المكبرية سبم من داخل الشباك الواقع غربي المدخل الذي ليس اتصاله بي في مسك الجدار الجنوبي

وهذه هي شكل حنية عانته في الجدار اما الستارة المحيطة بأشلى المنبرية فهي
 منسوجة شبيهة بستارة دير المسجد (شكل ١٦) .



(شكل ١٦) المنبرية

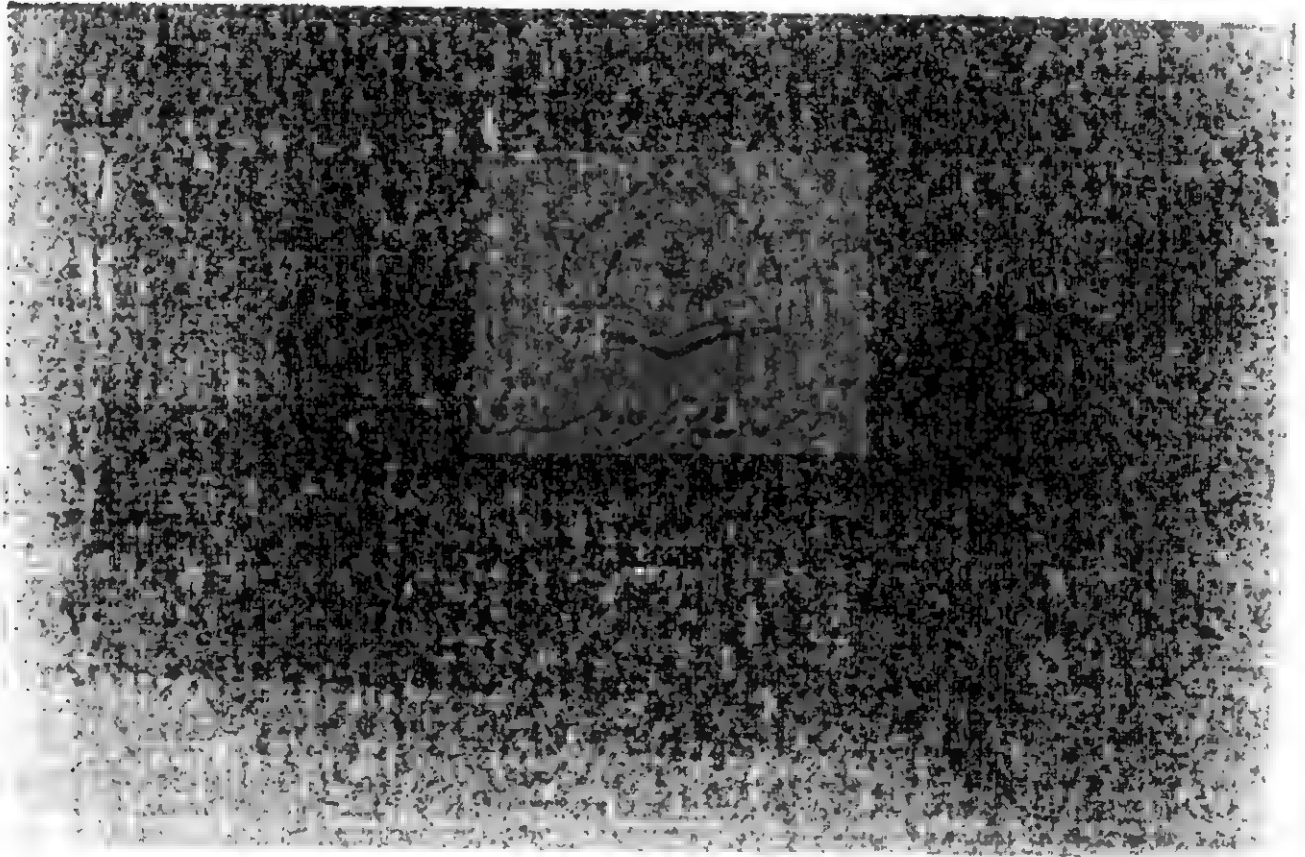
المطبخ

من عن طول الضلع الجنوبي للصحن وترتفع أرضيتها عند وادي ال
 مدخلها في الجهة الغربية سلم يتكون من درجتين تؤديان إلى امراحة . يسارها
 جهة الباب وساحة صغيرة يعلوها عفدان منبطحان ثم فسحة مستطيلة وخسة

ويغطي سقف المظاهر أربعة قباب نصف كروية تقوم كل منها على قاعدة
مربعة من جدران وعقود كبيرة مديّة محنولة على دعائم قصيرة وفي أركانها
الأربعة مثلثات كبيرة تحولها إلى مشن ترتكز عليها القبة •

وفي الجدار الجنوبي أسفل كل قبة نافذتان جميلتان مدودتان - بصنائج
الرخام الشفاف (قماري) وثلاثة وحدات للوضوء يؤدي إليها مدخلان يسبقهما
مسرعريض يستند أسفل القباب ويؤدي إلى باب آخر في الجهة الشرقية يخرج منه
المتوضيء إلى الصحن •

ونلاحظ في الجهة المطلّة على الصحن مجرى مغطى بقبو جلوني طويل كان
ينقل الماء للمتوضئين من عشرين فتحة صغيرة في الأسفل (شكل ١٧) •

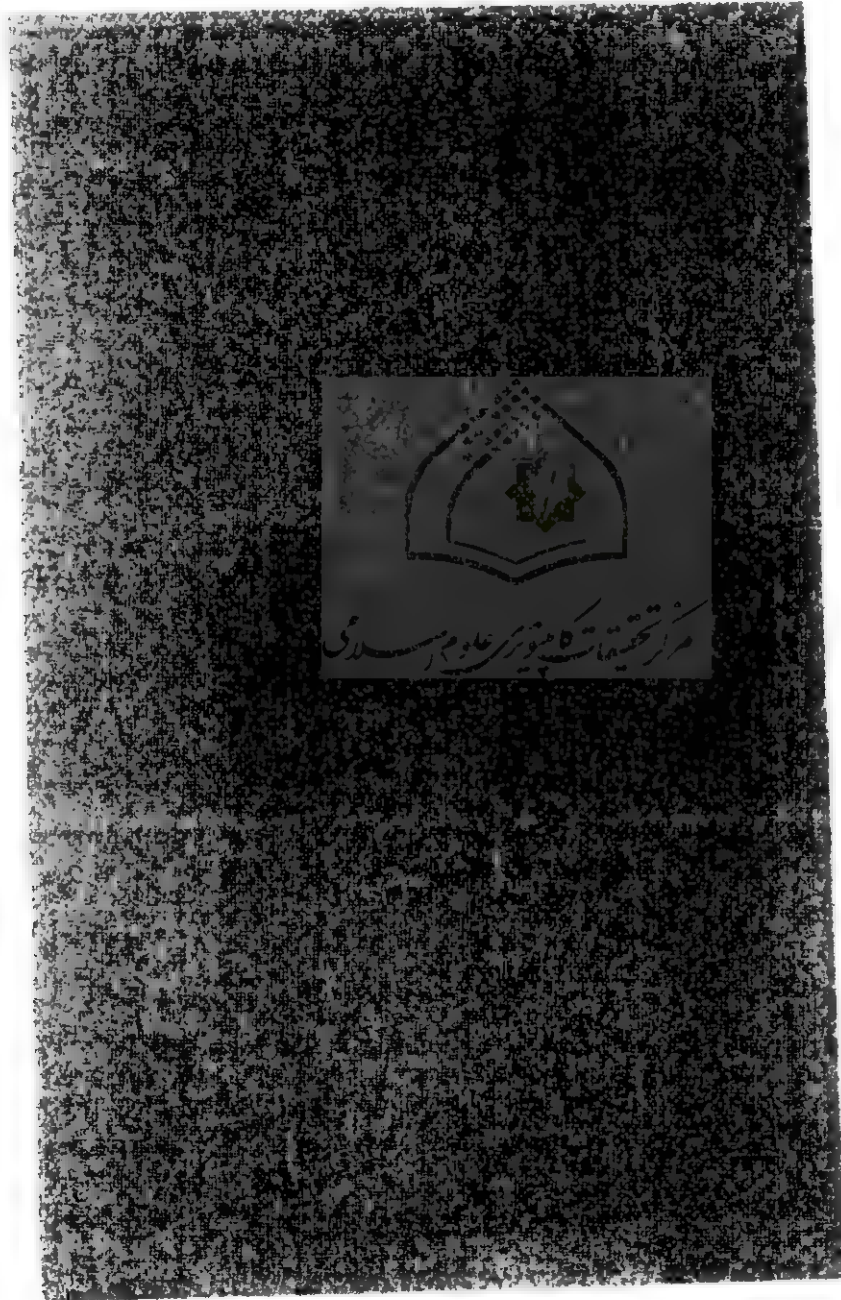


(شكل ١٧) المظاهر من الخارج

المذنبنة

وتقوم المذنبنة مسطحة عن جدران المسجد قرب الزاوية الجنوبية الشرقية
من الزوايا الخارجيّة وهي من بناءة ضخمة ذات منساج مربع بني النصف

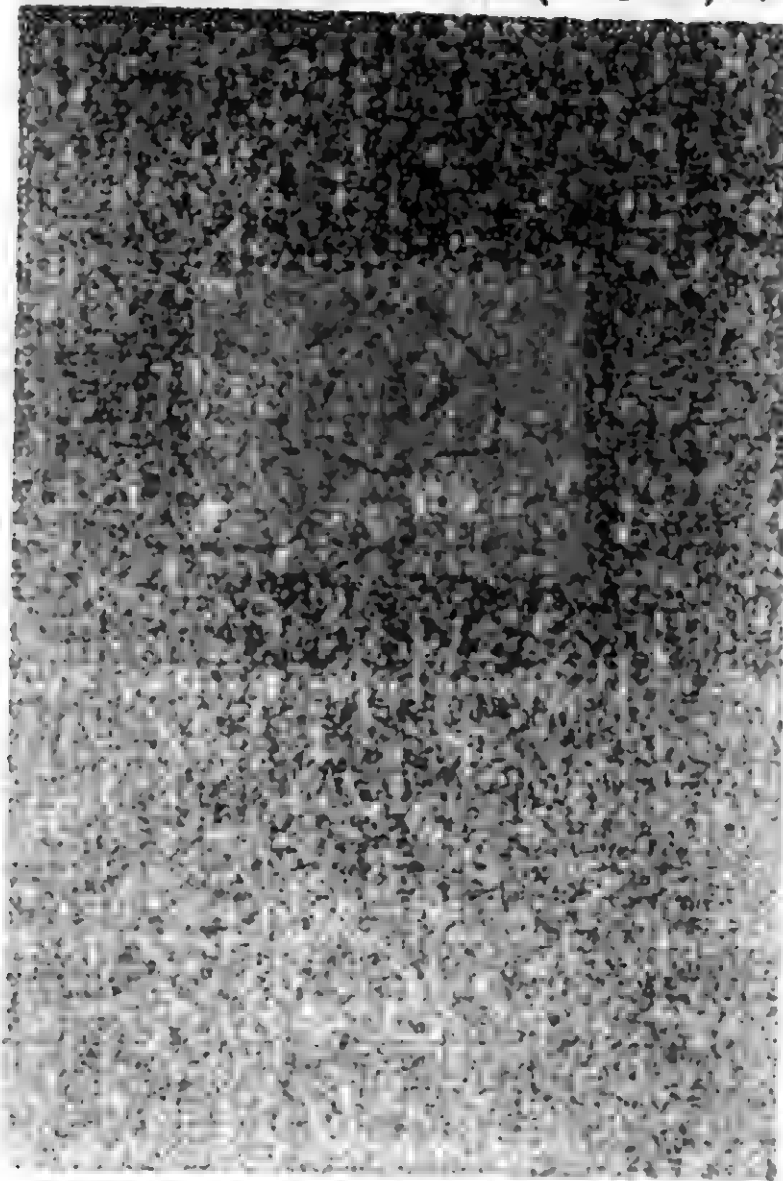
السنلي منها به حجارة وبافيه بالاجر زين اذنها بجذيله كبيره يعلوها في ضاميهما
 الجنوبي والشمالي طاقات صماء داخلها كتابات قرآنية يعلو الطاقات سلسلة من
 الحفود الصغيرة اسفل بروز منشوري يعلوه شريط كتابي من الجهات الاربعه
 ونهايه القاعده مزين بثلث مرسومة اسفلها زخرفة آجرية تشبه عظم
 السنه (شكل ١٨) وعلو القاعده بدون آجري مزخرف بالجرى . الجزء
 السنلي منه منقح في الجهة الشرقيه منه باب صغير وبقيه البدن ذو ١٢ ضلعاً



(شكل ١٨) قاعة السنه

يزيل الجزء العلوي منه السطح شرفة المؤذن تجويفات صغيرة داخلها عناصر
زخرفية متناوبة وشرفة المؤذن تستند على مقرنصات مثلثة من خمسة
خطات تزين ستارقتها عقود صماء داخلها اشكال معينات هندسية .

ويعلو شرفة المؤذن بدن صغير ذو ستة عشر ضلعاً مزينة بطاقات دائرية
مزدوجة العلوية منها ذات عقود مفصصة مفتوحة تتناوب مع طاقات صماء .
ويتوج المئذنة قبة صغيرة مضلعة يعلوها هلال معدني وفتح في الجهة الشرقية
منها باب يؤدي الى شرفة صغيرة تحيط بالقبة ومحاطة بشرفات تشبه شرفات
مدخل المسجد (شكل ١٩) .



(شكل ١٩) بدن المئذنة

ولا يخفى على الناظر ميلا الى جهة الشمال في بدن هذه المئذنة نرى مشه
في مئذنة مسجد الامام صلاح الدين المجاور للبكرية ولعل لطبيعة الارض ،
بناظر من الجغرافية اثرها في هذه الظاهرة .

والملاحظ ان المآذن التي بنيت في اليمن قد حافظت على طرازها العثماني
ولم تتأثر بالطراز العثماني - ذا الشكل المديب المشقوق - الذي تأثرت به
معظم الاقطار التي خضعت للسيطرة العثمانية . .
الاهرمسة

في المسجد ثلاثة غرف تمثل أضرحة لاشخاص دفنوا فيها على عادة المسلمين
في اليمن قرب المساجد . ففي الجدار الشرقي داخل المصلى باب صغير
(٣/٤ ر ١ × ١ م) مرتفع عن أرضيته تخطيطه رسوم نباتية بالالوان المائية تتوزع
ككتابات وتؤدي الى غرفة كبيرة تعلوها قبة ضخمة لعلها ترجع الى زمن بناء المسجد
والها كانت مدفنا لبكبر .

وعلى جانبي المدخل الرئيس للمسجد غرفتان أخريان تتصلان بالجدار
الغربي من الخارج وتتشابهان في المظهر الخارجي : الشمالية منها مربعة
الشكل ينوسط ضلعها الجنوبي باب جميل (منسد) تعلوه اطار مستطيل قد
يكون مزينا بكتابة رفعت بعد بناء الغرفة وعلى كل من جانبي المدخل شبك
كبير (منسد) يظهر من خلال ثغرة صغيرة في احدهما القسم العلوي من هذه
الغرفة وقد حول بواسطة حنايا ركنية الى مثنى أقيم فوقه قاعدة مشته ترتكز
عليها قبة باطنها خال من الزخرفة واقيم فوق الاركان الاربعة للغرفة حول القبة
مسلة صغيرة قليلة الارتفاع مربعة الشكل فوقها قبة صغيرة نرى مثلها حول قبة المصلى
وفي الجدار الغربي لهذه الغرفة نوافذ مستطيلة تعلوها زخرفة نجمية بأحجر
الاسود وفي الجدار الشرقي نافذة تطل على الرواق الامامي داخل البكرية يرى
جدرها الشمالي ثلاثة مجاريب مجوفة الاوسط منها جميل يغطي الجزء العلوي

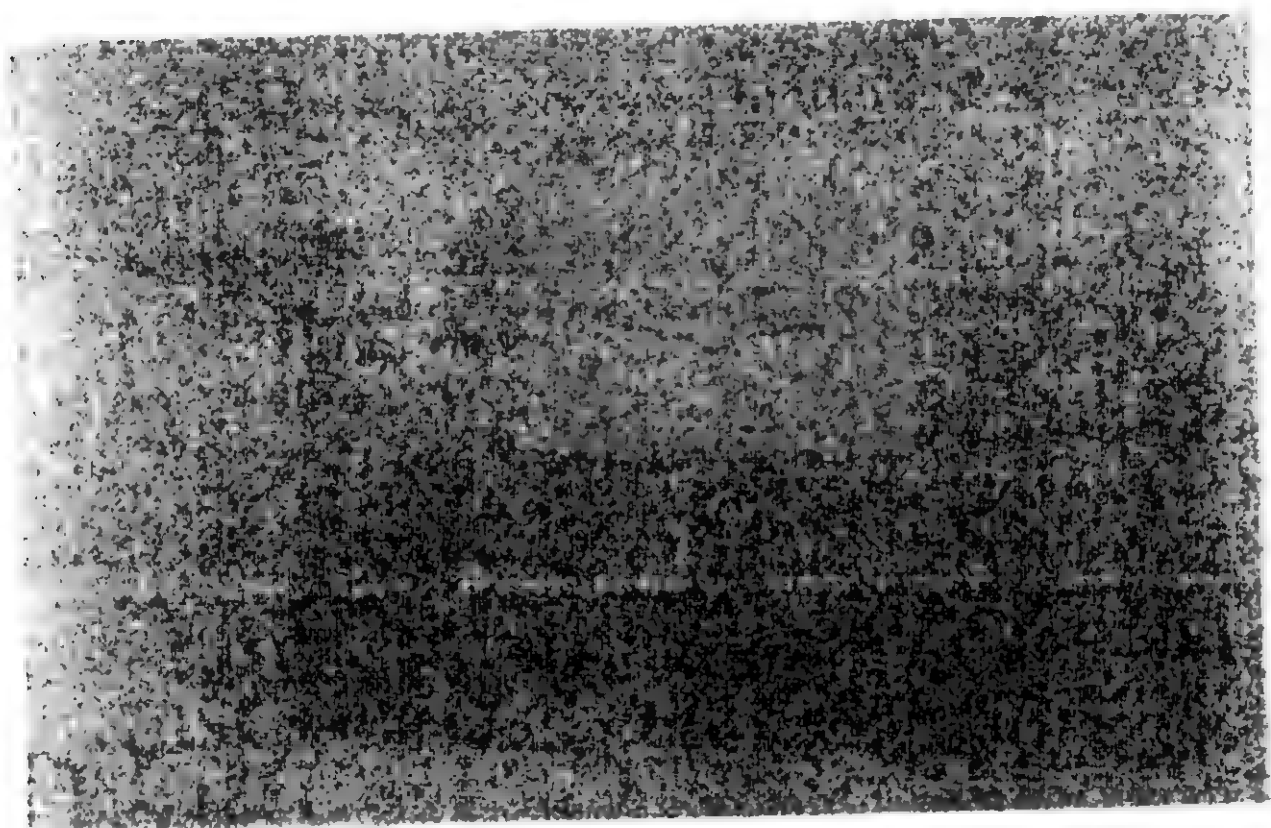
من حنيته ستارة جصية مخرمة ملوثة بالزجاج سقطت عن المحاربين الآخرين
ويعلو المحارب الثلاثة ازار كتابي جميل حفر على الجص • وعلى أرضية هذه
الغرفة قبور قليلة الارتفاع ربما يعود احدها للموالي محمد عزت باشا المتوفي سنة
١٣٠١هـ والذي شيد عليه المتصرف أحمد رشدي باشا هذه القبة (شكل ٣٠)



(شكل ٢٠) الضريح الشمالي

أما الغرفة الثانية (الجنوبية) فبقتها أكثر ارتفاعاً من الأولى تزين باطنها
 زخارف بالالوان المائية تسمية بزخارف فية المصلى ففها زخارف نباتية وهندسية
 ومناظر طبيعية وآنية فيها الزهور والفراخ والخضر بالوان طبيعية جذابة ولعل
 هذه الغرفة ترجع الى الترميم والبناء الذي تم في زمن السلطان عبدالحميد (سنة
 ١٢٧٨ هـ) .

فلنحفظ في الغرفتين الأخيرتين سماها كثيراً في طريقة البناء والنخيل وفي
 مناسبات الأبنية الجنوبية أكثر ارتفاعاً وبدعم أركان قبتها دعائم ترسم
 كما ان زخارفها أكثر شبيها بزخارف الالوان المائية داخل المصلى (شكل
 ٢١) .



(شكل ٢١) الضريح الجنوبي

المناسبات المعمارية والزخرفية

ومن القبة البكرية نموذج النخيل المساجد التي تسمى المراكب المصنوعة
 في الأقطار التي خصصت لخدمة عمارة المسجد بشارع من مائة كبيرة

تغطيها قبة ضخمة يسبقها رواق مفتوح على الصحن تلحق به تربة أو ضريح
يضم رفاة أسرهم وحاشيتهم •

أما قباب المسجد فهي تختلف عن الشكل المألوف للطراز العثماني الذي
تمتاز به قبابه بانخفاضها وزيادة عددها واختلاف أشكال بنائها بين أنصاف
قباب وأرباع قباب تجاور القبة الكبيرة الرئيسة • فالمصلى في هذا البناء تغطيه
قبة واحدة ضخمة لا تستند إلا على جدران سميكة حذا أعدت لتحمل
ثقلها الهائل •

أما المآذن التركية العثمانية فتمتاز برشاقتها وطولها وتديها وقد ساد
هذا الطراز الأقطار التي خضعت لنفوذ العثمانيين إلا أن مئذنة البكيرية
تختلف كلياً عن هذا الطراز واحتفظت بطابعها المحلي اليمني •
وعلى عادة العثمانيين في توجيه عنايتهم إلى داخل المساجد دون خارجها
نجد واجهة البكيرية بسيطة وخالية من الزخارف •

ومما يستدعي الانتباه أن القبة البكيرية كانت خالية من الترخيم -
الذي أقبل عليه العثمانيون آنذاك - إلا الصحن الذي يلبط بالواح رخامية
والمنبر الأنيق الجميل الذي رخم باللونين الأسود والأبيض المائل إلى الزرقة • •
وقد عني العثمانيون بالزخارف الجصية وبالألوان المائية دون الزخرفة
بالقشاني التي كادت تكون منعدمة هناك على الرغم من إقبالهم عليها في الأقطار
الإسلامية الأخرى • •

ويبدو أن الترميمات والتجديدات التي أنجزها السلطان عبدالحميد في
هذا المسجد كانت مقتصرة بالدرجة الرئيسة على ترخيم الصحن وبناء المنبر وعلى
الزخارف المرسومة بالألوان المائية وتلوين المحفور منها • • وهذه الزخارف
المرسومة نجدها على المحراب وفوق العقود الكبيرة والأعمدة المرسومة على
الجدران والحنايا الركنية وفي باطن القبة كما نجدها أيضاً حول مدخل الضريح
في الجدار الشرقي من المصلى وفوق مقروصات الحنايا الركنية وفي مواضع
أخرى من هذا المصلى إضافة إلى جدران الضريحين الخارجيين وباطن قبة الضريح
الجنوبي منهما •

وتأثر العثمانيون بأساليب الفنون الاوربية نتيجة للاتصال الوثيق بينهما
وهذا التأثير بدأ واضحا جليا في الخزارف المنجزة بالالوان المائية وخاصة في
رسوم الانية والفواكه وبعض النباتات وفي ظهور البعد الثالث (التجسيم) في
الرسم .

وقد دأب العثمانيون شأنهم شأن كل مستمر بغرض بالتأثير المباشر في
أساليب العمارة والزخرفة ولم يألوا جهدا في سبيل نقل أسلوبهم الفني الى الاقطار
التي رزحت تحت نير نفوذهم الا ان تأثيرهم في اليمن كان محدودا وما قبة البكيرية
الا مثالا حيا وتجسيدا رائعا لشموخ العربي الابي واعتزازه بطابعه المميز . . .



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی

المراجع

- ١ - الجرافي (عبدالله بن عبد الكريم)
المقتطف من تاريخ اليمن (القاهرة ١٩٥١) .
 - ٢ - الحجري : (محمد بن احمد)
مساجد صنعاء عامرها وموفوها (صنعاء ١٣٦١) .
 - ٣ - حسن (زكي محمد)
اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية (القاهرة ١٩٥٦) .
 - ٤ - زيارة (محمد بن محمد)
نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الإنفا (القاهرة ١٣٥٩ - ١٣٧٧)
 - ٥ - زيارة : ائمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة (القاهرة ١٣٧٦)
 - ٦ - مرزوق (محمد عبدالعزیز)
الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني (القاهرة ١٩٧٤)
 - ٧ - يحيى (بن الحسين بن الناصح)
غاية الاماني في اخبار القطر اليمني (القاهرة ١٩٦٨)
- S. 111, II.
In the High Yemen (London 1942)
- ٨

فهرس الموضوعات

2241

2-3

- ١ - د. نوري جهودي القيسي تقويم جديد لطائفة الهجاء في ٧ - ٢٠٠٠
الشهر العربي

- ٢ - د. زكي الجابر الأستاذ المساعد ٢١ - ٥٦

- ٢ - السيد وليد الجادر
- تطور صناعة الادوات الحirurgية ٩٧-٥٧
في شمال افريقيا

- ٤ - مناقش الصالحى عبادة اللات العربية والشامى ١٨-١٠٧

- ٥ - د. خالد موسى ناظم
على مسؤولية الانكسارية في ١٠.٨.١٩٧٢
تدور الدولة العثمانية

- ١٧٢-١٧٣

- المسكوكات وثيقة معبرة عن
الحضارات السياسية زمن

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

- ۲۱۶-۱۸۶

- دور البشريّة في تاريخ الإنسان
المبشر في التاريخ

- المعهد العالي لعلوم البحار والصيد البحري
البحرية العربية

- ٢٧٧-٢٦٥

- ندجین انیسویان ۳۱۲-۲۷۸

- ٢٢٣١٤

- المراق

- المدة : ٥٠ يومين مع جيلانهم احدهما شهر وانظر الطبقة الوسطى في ١٠٦٧٨

- أحمد بن يحيى صاحب فريد
البريدان وكتابكم كلمة في يد

- الطبری

- اسم السيد احمد عيسى الفلاني در اصفهان في الحاشية والمقدمة ١٢٠٠

- أسد، غازي رجب من روائع العمارة الإسلامية في ٤٨٦-٤٥٦